مجلة العلوم الإنسانية والتربوية
دورية علمية محكمة

- تصدر عن -

جامعة طبرق - ليبيا
Tobruk University– libya

رئيس التحرير
د. فوزي عمر الحداد
Fawzi.hadad@tu.edu.ly

العدد السادس - نوفمبر 2022 **م**
السنة الثانية

دلالات

مجلة دورية علمية محكمة متخصصة

تصدر عن جامعة طبرق- ليبيا

موقع الجامعة : www.tu.edu.ly

موقع المجلة : d.journal.tu.edu.ly

صفحة المجلة على الفيس بوك : www.facebook.com/delalatt

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية بنغازي: 52/ 2021

رقم الإيداع الدولي : 6956 – 2788 ISSN :

تستند المجلة إلى ميثاق أخلاقي يحكم عملية النشر في أعدادها، وإلى لائحة داخلية تنظم عملية التحكيم من خلال لجنة علمية استشارية متميزة من ليبيا وخارجها. المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها.

تُنشر المجلة الكترونيًا على المنصات الآتية :

AskZad | دار المنظومة DAR ALMANDUMAH

هيئة التحرير

د. حسن علـــي حسن	المشرف العــام
د. فــوزي عمر الحــداد	رئيس التحرير
د. علاء جابر الضراط	مدير التحريــر
د. أحمد محمد الميداني	منسق التحرير

لجنة المراجعة والتدقيق اللغوي

د. علي ماضي العبودي	كلية التربية جامعة طبرق
د. فيصل عبدالله حيدر	كلية التربية المرج/ جامعة بنغازي
د. فتحي حسن خطاب	كلية الآداب جامعة سبها

الاخراج الفني

أنور الشريف الأمين

اللجنة الاستشارية العلمية

1. أ د. أحمد عمران بن سليم	كلية الآداب - جامعة بنغازي
2. أ د. أحمد عيسى فرج	كلية السياحة والآثار - جامعة عمر المختار
3. أ د. خليفة صالح حواس	عميد كلية القانون – جامعة سرت
4. أ د. سعدية حسين البرغثي	كلية التربية – جامعة بنغازي
5. أ د. عبدالرحيم محمد البدري	كلية الآداب - جامعة بنغازي
6. أ د. عبدالله سالم مليطان	عميد كلية الآداب - جامعة طرابلس
7. أ د. عياد أبوبكر هاشم	عميد كلية الفنون الجميلة والإعلام سابقًا- طرابلس
8. أ د. فتحي رمضان الماقوري	الأكاديمية الليبية للدراسات العليا- طرابلس
9. أ د. محمد أحمد الوليد	كلية الآداب جامعة بنغازي
10. أ د. فريدة الأمين المصري	كلية اللغات - جامعة طرابلس
11. أ د. مسعود حسين التائب	كلية الآداب - جامعة الزاوية
12. أ د. مهند سامي العلواني	كلية التربية – جامعة الزاوية
13. أ د. وليد شعيب آدم	كلية الآداب - جامعة طبرق
14. د. أحمد مزهار	المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين-فاس مكناس – المغرب
15. د. حافظ الصديق منصور	كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة طبرق
16. د. خديجة زيدي	كلية الآداب- جامعة سيدي محمد بن عبدالله / المغرب
17. د. رضاء عبدالحليم جاب الله	كلية الآداب – جامعة طبرق
18. د. زهرة عبدالعزيز الثابت	كلية الآداب والعلوم الإنسانية القيروان/ تونس
19. د. سالمة صالح العمامي	كلية الآداب - جامعة طبرق
20. د. سليمة عمر التائب	كلية الآداب- جامعة مصراتة
21. د. شوكت نبيل المصري	أكاديمية الفنون- القاهرة / مصر
22. د. صفاء امحمد فنيخرة	كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية – الجامعة الأسمرية
23. د. عادل إبراهيم المحروق	كلية الآداب - جامعة غريان
24. د عادل عبد العزيز غيث	كلية الآداب والعلوم المرج جامعة بنغازي
25. د. عاصم زاهي العطروز	الجامعة الإسلامية- مينسوتا- أمريكا
26. د. علي عبدالأمير عباس	رئيس تحرير مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم الإنسانية/ الأردن
27. د. فرحة مفتاح عبدالله	عميد كلية الآداب - جامعة سرت
28. د. كريمة المبروك الرقيعي	كلية الآداب والعلوم – جامعة درنة
29. د. محمد شحاتة واصل	كلية التربية جامعة طبرق
30. د. محمد مفتاح فضيل	كلية الآداب – جامعة عمر المختار
31. د. هاشم منصور مفتاح	كلية الآداب – جامعة درنة
32. د. هدى عطية عبدالغفار	كلية الآداب - جامعة عين شمس القاهرة / مصر
33. د. هنيء محلية الصحة	كلية الآداب- جامعة مالانج الحكومية/ إندونيسيا
34. د. يحيى عمر القويضي	كلية التربية - جامعة مصراتة
35. د. وريدة علي المنقوش	كلية التربية – جامعة مصراتة

مجلة دلالات للعلوم الإنسانية والتربوية

في سياق الحرص على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي ورغبة في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي، تسعى نحو العالمية، نعلن إطلاق المجلة العلمية المُحكمة: دلالات (DELALAT) المخصصة لنشر الأبحاث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والتربوية، وفقًا للضوابط والمعايير المعتمدة عربياً ودولياً.

تهدف المجلة إلى:

- السعي نحو إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير/ Impact Factor، وذلك عبر ضوابط التحكيم والنشر الدقيقة التي تتبعها المجلة.
- توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة أمامهم لنشر بحوثهم حسب جودة محتواها العلمي، مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجاً ولغةً في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها.
- تغطية التظاهرات الثقافية ذات العلاقة باختصاص المجلة ، مثل الندوات والمؤتمرات ومعارض الكتاب وعرض لأهم المؤلفات الصادرة حديثاً في كل فروع العلوم الانسانية.

رؤيتنا:

مجلّة علميَّة عربية ليبية المنطلق، تسعى للتميز لتكون خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم ودراساتهم في مجالات اهتمام المجلة.

رسالتنا:

نسعى لنقدم محتوى يجعل المجلة مرجعاً علمياً أصيلاً للباحثين وفق المعايير العالمية من حيث الأصالة، والمنهجية، والتميز العلمي.

أهدافنا:

- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر الأبحاث العلمية المحكمة من متخصصين ذوي مستوى رفيع.
- تقديم بحوث مميزة وإنتاج المعرفة التي تخدم المجتمع، ودعم الإبداع الفكري والتوظيف الأمثل للتقنية والشراكة المحلية والعالمية الفاعلة.
- استقطاب الباحثين المتميزين، في عضوية هيئة التحكيم الاستشارية سعياً لتجويد البحوث المقدمة للنشر في المجلة، ولإنشاء بيوت خبرة علمية ذات كفاءة عالية وتميز رفيع.
- تلبية حاجات الباحثين على المستويات المحلية والعربية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والتربوية.
- إنشاء محتوى الكتروني فارق للنشر العلمي المتخصص لخدمة الباحثين والدارسين ومؤسسات المجتمع كافة.

شروط النشر في مجلة دلالات

- تنشر المجلة البحوث باللغتين: العربيةّ, والإنجليزية.
- يقبل للنشر في المجلة البحوث, والنصوص المحققة والمترجمة وعروض الكتب الحديثة الصادرة في مجال اختصاص المجلة.
- يشترط في البحث المقدّم للمجلة أن يكون أصيلاً وغير منشور أو مقدّم للنشر لدى جهة أخرى. ويوقع الباحث بذلك تعهداً خطياً مرفقاً بالبحث، حسب النموذج الموجود المرفق بهذه الشروط، ويمكن سحب النموذج من موقع المجلة الالكتروني.
- أن يكون البحث المقدم خاضعاً لأسس البحث العلمي, مدققاً لغوياً وخالياً من الأخطاء اللغوية والإملائية والطباعية، مستوفياً شروط البحث العلمي المتعارف عليها.
- أن يكون البحث المقدّم للمجلة مطبوعًا بوساطة برنامج (Word) وهوامش (2.5سم) وحجم الورقة (A4)ولا يتجاوز البحث (25) صفحة، بما في ذلك الملخصين العربي والإنجليزي وقائمة المراجع والمصادر، ولا يقل عن (15) صفحة، ونوع الخط لبحوث اللغة العربيّة هو(simplified arabic) بنط (14) في المتن وبنط (16) في العناوين, وبنط (12) في الهوامش, ويكون نوع الخط في بحوث اللغة الإنجليزيّة Times New Roman، بنط (14)، والهوامش بنط (12).
- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية والمؤسسة التي ينتمي إليها وعنوان بريده الالكتروني وهاتفه الشخصي على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع بصفحات البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث في متن البحث أو في مراجعه صراحة، أو بأية طريقة تكشف هويته.
- يرفق البحث بملخصين (عربي وإنجليزي) لا تزيد كلمات كل منهما عن 150 كلمة، يليهما كلمات مفتاحية (key words) لا تزيد عن خمس كلمات غير موجودة في عنوان البحث تعبر عن مجالات البحث لتستخدم في التكشيف.
- تدرج الهوامش أسفل الصفحات، وتكون أرقامها متسلسلة حتى نهاية البحث. مع مراعاة ذكر المعلومات كاملة عند ذكر المرجع لأول مرة، وإذا ذكر مرة أخرى فيكتفى باسم الكتاب والصفحة، ويتم وضع قائمة بالمصادر والمراجع في نهاية البحث وترتيبها أبجدياً، ويراعى في كتابة أسماء المؤلفين ذكر الاسم أولا ثم الكنية، أو بالطريقة المكتوب بها على غلاف الكتاب.
- في حالة قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز للباحث

نــشر بحثــه أو تقديمــه بأيــة طريقــة لأي جهــة نــشر أخــرى دون إذن كتابــي مــن رئيــس التحريــر.

- لا يمكن للمجلة قبول أي بحث بدون مراعاة ضوابط النشر السابقة.
- البحــوث المنشــورة في المجلــة تعــبر عــن آراء مؤلفيهــا، ولا تعكــس بالــضرورة آراء هيئــة التحريــر أو جهــة الإصــدار.
- ترسل الأبحاث كاملة مستوفية للشروط المعلنة على البريد الالكتروني للمجلة:

Delalat@tu.edu.ly

ت	المحتويات	الصفحة
1	الاجتهاد والتجديد الفقهي عند الإمام الشوكاني من خلال تفسيره (فتح القدير) د. حمزة الهادي محمد التمتام	13
2	خصائصُ المدرسة الحديثية في الأندلس وسماتُها خلال القرن الخامس الهجري(ابن عبدالبر القرطبي ، والحميدي الميورقي أنموذجاً) د/ عادل عبدالعزيز غيث	27
3	أحكام الصوم مع أهم نوازله لمين باب محمد محمود	57
4	تقنيات التكثيف في القصة القصيرة جدًا في القرآن الكريم "جزء عم أنموذجًا" د. علي محمد عيسى عبد الرحيم الشاظوف د. رحاب محمد عيسى عبد الرحيم الشاظوف أ. نسيبة سعد الفيتوري عبد الرحمن	74
5	ظاهرة التوسع الدلالي في اللغة العربية الأبعاد والتجليات مصطلح الأداء أنموذجا إبراهيم الطاهري	95
6	حجاج النص، وتكوثر الدلالة في الخطاب الإنشائي نص (أبا الهول) لأحمد شوقي أنموذجاً، وفق اللسانيات التداولية د. تماضر زاهي العطروز/ أستاذ مساعد في جامعة جدارا- الأردن	114
7	الاتجاه الشكلاني أسُسه ومفاهيمُه وجدليةُ اقترانه بثنائية الشكلِ والمضمون أ. طـــارق فـــرج عـــلي مـــحـــمـــد أ. بـشرى مـــنـــعم أبـــوفراج اسبيق أ. أبـو القاسم عبـد العـزيز حـمودة	127
8	التِّكرار وأنماطه في شعر أحمد قنابة عائشة عبد الله أحمد	141
	الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في ضوء بعض المتغيرات أ. خالد الناجي عمر محاضر كلية التربية – جامعة بنغازي أ.دارين ونيس القطعاني محاضر بكلية الآداب- جامعة اجدابيا أ. غالية محمد عبدالسلام مساعد محاضر بكلية الآداب – جامعة اجدابيا	157
9	تجليات البناء القصصي عند أحمد يوسف عقيلة "دراسة نقدية تحليلية" د. عماد خالد عبد النبي	178

ت	المحتويات	الصفحة
10	الثقافة التنظيمية القوية وعلاقتها بتحسين الأداء "دراسة ميدانية على الموظفين في صندوق الضمان الاجتماعي فرع اجدابيا " علي إدريس محمد دخيل - حسن صالح حسين سعد - سعد إبراهيم عيسى منصور	195
11	مدى تطبيق المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية بالمصارف التجارية دراسة استطلاعية على مصرف الوحدة بطبرق بفرعيه (الوحدة الرئيسي، الوحدة الحريقة) سعد علي بالخير عبدالعزيز يوسف شعيب مصباح	217
12	أثر النظام المالي على طبقات المجتمع العثماني خلال فترة القرن الثامن عشر د . منيرة علي مسعود الشيخي	245
13	الاتفاقيات الليبية الأمريكية وأثرها على استقلال ليبيا 1951 - 1960 د. صلاح صالح عبد المولى	254
14	دراسة فرص وتحديات التنمية السياحية المستدامة في بلدية شحات أ. إسماعيل عيسى إسماعيل	276
15	الظروف الطبيعية المؤثرة في النقل البري ووسائله بإقليم البطنان د. الطيب فرج السنوسي امجاور.	299
16	الكثبان الرملية في منطقة المرصص شمال شرق ليبيا - دراسة في الجيومورفولوجية التطبيقية د. علاء جابر فتح الله الضراط	314
17	إصلاح الجهاز الإداري للدولة الليبية (المعوقات وآليات التطبيق) طه الكوني المختار معيوف	344
18	الشرط الجزائي وسلطة القاضي وفقاً لأحكام القانون الليبي د. ميسون فتحي عمر أبوغرسة	379

الافتتاحية

بصدور هذا العدد السادس نوفمبر2022 تكمل مسيرة مجلة دلالات عامها الثاني.

مسيرة واجهتها عواقب وكللتها نجاحات بدأت بصدور العدد الأول في مارس 2021 واستمرت تصدر حسب خطتها المرسومةثلاث مرات في العام: مارس - يوليو - نوفمبر ومن المهم الإشارة إلى أن هيئة التحرير لم تتأخر قط عن إصدار أي عدد من أعدادها في موعده دون أي تأخير، وهذا إنجاز يحسب لهيئة التحرير بالقياس للكثير من المجلات المحلية والعربية.

ومما يدعو للفخر جهود المجلة في السعي لنيل المكانة التي تستحقها عربيا ودوليا، إذ كللت الجهود باعتماد المجلة في جامعات دول المغرب العربي كلها، فنَشر في أعداد المجلة باحثون من تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا، وفي المشرق العربي اعتمدت المجلة في الأردن والعراق والكويت، والعمل مستمر لإضافة المزيد مع كل عدد جديد.

هذه الجهود ما كان لتحقق كل هذا النجاح لولا العناية التي يوليها المشرف العام على المجلة ورئيس جامعة طبرق الأستاذ الدكتور حسن علي حسن الذي يتابع باهتمام كبير سير خطط التحرير ويقدم الدعم اللازم لاستمرار حضور المجلة وتألقها محليا ودوليا. وأسرة التحرير وهي تثمن كل هذا العطاء المخلص تتعهد بمواصلة الطريق نحو مزيد من النجاحات.

د. فوزي عمر الحداد

رئيس التحرير

الاجتهاد والتجديد الفقهي عند الإمام الشوكاني من خلال تفسيره (فتح القدير)

إعداد:
د. حمزة الهادي محمد التمتام
كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة طرابلس

الاستلام: 21/ 8/ 2022 القبول : 22/ 9/ 2022

المستخلص:

اهتم الشوكاني بالجانب الفقهي في تفسيره (فتح القدير)، وأولاه عناية خاصة، فقد أودع فيه آراء الصحابة والتابعين، وأئمة المدارس الفقهية المختلفة، مع عقد الموازنات بينها، وذكر مسائل الخلاف وتوجيهها، حتى جاء التفسير ثرياً بالمباحث الفقهية، والأحكام التشريعية. حيث تجلت في هذا التفسير آراء الشوكاني الفقهية، وما وافق وما خالف فيه الجمهور، والخلافات الفقهية عامة، باجتهاد متحرر من التعصب المذهبي، والنظرة الضيقة البعيدة عن المقاصد العامة للشريعة، وقد ساعد ذلك إلى حد كبير في تكوين شخصيته العلمية المستقلة. وهو ما انعكس على تفسيره (فتح القدير) لاسيما في الجانب الفقهي، حيث اتسم بالجهد الكبير الذي بذله فيه مؤلفه، من خلال تقصيه للأدلة في مختلف المسائل الفقهية المختلفة، وقد كانت له أراء اجتهادية تجديدية في بعض فروع الفقه المختلفة، حاولت هذه الدراسة رصدها والتركيز عليها، من خلال ما أستأثر به من قضايا فقهية، أو ما خالف فيه الجمهور، مع مراعاة فروع الفقه المختلفة قدر الإمكان.

Abstract

al-Shawkānī (1759CE/1173AH) in his a well-known Tafsir (Fath al-Qadir) has mentioned many linguistic topics of the Qur'ānic interpretations, including grammar, morphology, the root meanings of words, and he regularly takes Arabic poetry in his explanations. However, he has paid a special attention of the jurisprudential aspects of his interpretation (Fath al-Qadir). As he is conveying the authentic narrations including Tafsir of the Prophet, Sahaba, Tabi'un, and the various jurisprudential schools, while making balances between them, and mentioning and directing the issues of dispute, until the interpretation came rich in jurisprudential investigations, and legislative provisions. This has reflected in his interpretation (Fath al-Qadir), especially in the jurisprudential aspects. Therefore, this study tried to monitor and focus on it, through the jurisprudential issues he accounted for, or what the public disagreed with, taking into account the different branches of jurisprudence as much as possible.

Keywords, interpretation, jurisprudence, Tafsir,

مقدمة :

على الرغم من أن الشوكاني بدأ حياته متفقها زيدياً، إلا أنه سرعان ما تحرر منه، وأصبحت قوة الدليل هي مركز الثقل في وجهته الفقهية نصا وفهما، ثم تعليلا وترجيحا، إلى أن صار مجتهدا، ثم من المُجددين، لذلك من الصعوبة بمكان حصر الشوكاني في مدرسة فقهية معينة، وهو ما أكده أغلب الباحثين الذين اهتموا بدارسة إسهامات الشوكاني في مختلف المجالات الإسلامية. مع هذا قال المفسر والمصلح محمد عبده إن الشوكاني كان من متتبعي المدرسة (الوهابية)، ولكنه ربما جانب الصواب في هذه القضية، فالشوكاني سلك مسلكاً علمياً مميزاً في تفسيره لآيات الأحكام، فقد كان بعيداً عن الالتزام بمذهب فقهي معين، فهو لم يتقيّد في تفسيره بالمذهب الزيدي، ولا بمذاهب أهل السنة الأربعة المشهورة، بل اتخذ كما قال الدكتور عبد الغني قاسم الشرجي:" من تراث جميع مذاهب المسلمين بستاناً، أخذ يستأصل منه كل عشب ضار، ويقطف منه كل ما طاب ثمره" [1] .

وقد رجح الدكتور محمد الأشقر الأستاذ بجامعة المدينة المنورة من خلال مقدمة تفسيره المختصر من تفسير الشوكاني (زبدة التفسير)، السبب في اعتماد تفسير الشوكاني كأحد المناهج المقررة في مادة التفسير في الجامعات الإسلامية هو:" طول باعه في التحليلات اللغوية، وطول نفسه في مناقشة الأقوال غير المرضية، وفي توجيه القراءات القرآنية المختلفة" [2] .

كما أن منهجه في (فتح القدير) كان له أيضاً الدور الفعال في اعتماده كمقرر للطلاب الدارسين في مختلف الجامعات الإسلامية في مادة التفسير في البلاد الإسلامية، بل أثره تعدى حتى الدول غير المسلمة فقد أصبحت له مدرسة في الهند تعرف (بالشوكانية)، كما يقول عنه تلميذه محمد صديق خان:" كان واسع التأثير فقد بلغ أثره الهند حيث لازال هناك مدرسة تسمى بالشوكانية"[3].

كما أسهمت في ذلك أيضا النزعة التجديدية التي صاحبت هذا التفسير، ودعوة مؤلفه إلى تحريم التقليد والتعصب، وهو ما تميز به الشوكاني في معالجته للقضايا الفقهية في تفسيره، فهو لم يلتزم باتجاه معين، فقد أكثر من المناقشات والتحليلات والاختلافات بين المدارس الفقهية، ويظهر ذلك جلياً من خلال عرض بعض القضايا الفقهية التي أستأثر بها، أو خالف بها الجمهور، وسوف أحاول من خلال هذا البحث الوقوف عند الخصائص الاجتهادية التجديدية للمدرسة الشوكانية، من خلال التركيز على بعض القضايا الفقهية الخلافية من خلال تفسير (فتح القدير) مع مراعاة فروع الفقه المختلفة قدر الإمكان، مركزاً من

(1) ا لإمام الشوكاني حياته وفكره، لعبد الغني الشرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد صنعاء، ط1، هـ1408.ص23.

(2) الإمام الشوكاني حياته وفكره: ص23.

(3) لإمام الشوكاني حياته وفكره: ص24.

خلالها على ما تفرد به الشوكاني، سواء ما خالف به الجمهور، أو ما أستأثر به من قضايا فقهية، وهي في مختلف المجالات الفقهية، نوردها على سبيل التمثيل لا الحصر:

_ قصر الصلاة في السفر: خالف الشوكاني جمهور العلماء في حكم قصر الصلاة، فقد أقر جمهور العلماء أن قصر الصلاة ليس بواجب، وذلك لقوله تعالى:(وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا)[4]، فظاهر قوله تعالى: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ)، فيه دليل أن القصر ليس بواجب. إلا أن الشوكاني أوجب قصر الصلاة، ومسنده حديث يعلى بن أمية قال: "سألت عمر بن الخطاب قلت: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقد أمن الناس، فقال لي، عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته". علق الشوكاني على هذا الحديث بقوله:" وظاهر قوله: فاقبلوا صدقته أن القصر واجب" [5].

_ مسح الرأس: أما مسح الرأس فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه، أما أبوحنيفة والشافعي يجوزان مسح بعض الرأس لا جميعه، وقد ردّ الشوكاني القائلين بوجوب مسح جميع الرأس محتكماً إلى السنّة واللغة، حيث قال بعد أن ذكر الاختلاف:" وعلى كل حال فقد ورد في السنة المطهرة ما يفيد أنه يكفي مسح بعض الرأس، فكان هذا دليلا على المطلوب غير محتمل كاحتمال الآية، على فرض أنها محتملة، ولا شك أن من أمر غيره بأن يمسح رأسه كان ممتثلا بفعل ما يصدق عليه مسمى المسح، وليس في لغة العرب ما يقتضي أنه لا بد في مثل هذا الفعل من مسح جميع الرأس"[6].

وقد خالف مالك في هذه المسألة، وبين مسنده من السنة، غير أنه لم يذكر الحديث الوارد في ذلك وهو:" أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ وَعِمَامَتِهِ" [7]. كما دعم رأيه باللغة التي نزل بها القرآن.

_ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة: ناقش الشوكاني حكم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، حيث ذكر رأي الجمهور القاضي بأنها سنة مؤكدة، ثم ذكر رأي الشافعية، القاضي بوجوبها، مع اشتراط الإعادة على تاركها عمداً، لكنه رجح القول بوجوبها، ولكن مع عدم الإعادة عند تركها، فقد وافق الشافعي في وجوبها، وخالفه في الإعادة عند تركها عمداً[8].

(4) سورة النساء الآية:101.

(5) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،ط2، 1422ه،2002م: 1/ 586. والحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، تفريع صلاة السفر: 2/ 12.

(6)فتح القدير: 2/ 21.

(7) الحديث أخرجه مسلم في صحيحيه، كتاب الطهارة، باب المسح على الناصية والعمامة: 3/ 14.

(8) فتح القدير: 346/4.

ـ التيمم بالصعيد : يرجح الفقهاء أن الصعيد المذكور في قوله تعالى: (وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا)[9]، هو تراب الأرض، لكن الشوكاني يرى أن المقصود وجه الأرض سواء كان عليه تراب أو لا، وذلك لما ثبت في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن اليمان قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء" وفي لفظ "وجعل ترابها لنا طهورا" فهذا مبين لمعنى الصعيد المذكور في الآية"[10].

ـ نقض الوضوء بملامسة المرأة: لا يرى الشوكاني بوجوب الوضوء، أو التيمم، على من لمس المرأة بيده، أو بشيء من بدنه، حسب الشوكاني لا يصح القول بذلك، استدلالا بقوله تعالى: (أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا)[11]، فاللمس هنا بمعنى الجماع دون غيره من معاني اللمس. وقد استدل الشوكاني بقراءة (لَمَسْتُمْ)، في الرد على رأي الأحناف، حيث قال: " وعلى فرض أن الملامسة ظاهرة في الجماع، فقد ثبتت القراءة المروية عن حمزة والكسائي بلفظ (أو لَمَسْتُمْ)، وهي محتملة بلا شك، ولا شبهة مع الاحتمال، فلا تقوم الحجة بالمحتمل". وقد خالف بذلك الشافعي، الذي قال:" إذا مس جسدها فعليه الوضوء، لشهوة أو لغير شهوة"[12]. وقد رد الشوكاني رأي الشافعية بأن هذا الحكم تعم به البلوى، ويثبت به التكليف العام، فلا يحل إثباته بمحتمل، وقد وقع النزاع في مفهومه. ويرى أن تمسك الشافعية بقراءة (لمستم) لا يرفع من قوة استدلالهم، فيقول:" وأما وجوب الوضوء أو التيمم على من لمس المرأة بيده أو بشيء من بدنه فلا يصح القول به، استدلالا بهذه الآية، لما عرفت من الاحتمال"[13].

ـ وجوب التتابع في صيام كفارة اليمين: خالف الشوكاني الجمهور ووافق الأحناف في قولة بالتتابع في الصيام في كفارة اليمين، وذلك في قوله تعالى: (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)[14]. قال الشوكاني:" أي فمن لم يجد شيئاً من الأمور المذكورة، إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فكفارته صيام ثلاثة أيام، وقرئ (متتابعات) حكى ذلك عن ابن مسعود، وأُبي، فتكون هذه القراءة مقيدة لمطلق الصوم"[15].

---

(9) سورة النساء الآية: 43.

(10) فتح القدير: 545/1. والحديث أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التيمم: 1/ 481.

(11) سورة النساء الآية: 43.

(12) المهذب في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي، مطبعة عيسى بابي الحلبي مصر د.ت.ط: 1/ 23.

(13) فتح القدير: 1/ 514.

(14) سورة المائدة الآية: 8.

(15) فتح القدير: 2/ 72، وانظر المحتسب في تبيين شواذ القراءات، أبو الفتح بن جني، تحقيق: عبد الحليم النجار وآخرون، لجنة إحياء التراث العربي 1386هـ 2 2/ 61.

ـ أنواع الحج : يشير الشوكاني أن أفضل أنواع الحج هو التمتع، كما أدخل تحت الاستطاعة في الحج أن يكون الحاج صحيح البدن على وجه يمكنه الركوب، فلو كان زمنا بحيث لا يقدر على المشي، ولا على الركوب، فهذا وإن وجد الزاد والراحلة فهو لم يستطع السبيل. ثم ذكر الاختلاف الوارد في مسألة:" إذا كان في الطريق من الظلمة من يأخذ بعض الأموال على وجه ولا يجحف بزاد الحج"، فقد خالف الشافعي الذي أسقط الحج في مثل هذه الحالة، حيث أدخلها في عدم الاستطاعة، يقول الشوكاني:" والظاهر أن من تمكن من الزاد والراحلة، وكانت الطريق آمنة، بحيث يتمكن من مرورها، ولو بمصانعة بعض الظلمة لدفع شيء من المال يتمكن به الحاج ولا ينقص من زاده، ولا يجحف به، فالحج غير ساقط عنه بل واجب عليه، لأنه قد استطاع السبيل بدفع شيء من المال، ولكنه يكون هذا المال المدفوع في الطريق من جملة ما تتوقف عليه الاستطاعة، فلو وجد الرجل زادا وراحلة، ولم يجد ما يدفعه لمن يأخذ المكس في الطريق، لم يجب عليه الحج، لأنه لم يستطع إليه سبيلا، وهذا لا بد منه، ولا ينافي تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة، فإنه قد تعذر المرور في طريق الحج لمن وجد الزاد، والراحلة إلا بذلك القدر الذي يأخذه المكاسون، ولعل وجه قول الشافعي الذي أسقط الحج في مثل هذه الحالة، إن أخذ هذا المكس منكر، فلا يجب على الحاج أن يدخل في منكر، وأنه بذلك غير مستطيع" [16] .

ـ الإحرام: أقر الشوكاني عدم جواز الإحرام في أي وقت من السنة، بل يُقّصره على الأشهر الثلاث المذكورة في قوله تعالى: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) [17] . وقد خالف بذلك المالكية والأحناف، فالمشهور عندهما جواز الإحرام بالحج في جميع السّنة، من غير كراهة. وقد أجاب الشوكاني على من اعتمد على قوله تعالى: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) [18] ، في جواز الإحرام بالحج في جميع السنة، حيث جعلوها كلها مواقيت للحج، من دون تخصيص الثلاث أشهر، أجاب على هذا الاستدلال إن هذه الآية عامة، وتلك خاصة، أعني: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) [19] .

ـ التجارة مع رحلة الحج: فهم الشوكاني من قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) [20] . إن في هذه الآية ترخيص لمن حج في التجارة [21] .

(16) فتح القدير: 1/ 416.

(17) سورة البقرة الآية: 197.

(18) سورة البقرة الآية: 189.

(19) فتح القدير: 1/ 232.

(20) سورة البقرة الآية: 198.

(21) فتح القدير: 1/ 231.

_ قتل الحر بالعبد: يرى الشوكاني أن الحر يقتل بالعبد، وهو بهذا خالف الجمهور في أحد مسائل القصاص، وهي قتل الحر بالعبد، وذلك بقوله: "الحر يقتل حتى إذا قتل العبد" [22] . فلم يعتبر الشوكاني التساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية. فقد خالف بذلك أيضا بعض المفسرين، منهم ابن جزي، الذي اشترط التساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية [23] .

_ تحريم أكل الطين: استدل بعض المفسرين منهم الرازي بقوله تعالى:(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ **) [24] ، على تحريم أكل الطين أو التراب، إلا أن الشوكاني لم ير في هذه الآية ما يفيد ذلك، وأقر أن تحريم أكل التراب ثابت بالسنّة المطهرة، حيث قال:" أما التراب فقد ورد في السنة تحريمه" [25] .**

_عدل الإمام: استدل جماعة من أهل العلم بقوله تعالى:(لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**) [26] ، على أن الإمام لا بد أن يكون من أهل العدل، والعمل بالشرع ... إلا أن الشوكاني رد هذا الاستدلال، حيث قال إن هذا الخبر في معنى: "الأمر لعباده أن لا يولوا أمور الشرع ظالما" [27] .**

_ عدة المطلقة: اختلف العلماء في تعيين ما هو المراد بالقروء المذكورة في آية البقرة: (228)، فقال فريق: هي الحيض، وقال آخر: هي الطهر، إلا أن الشوكاني جمع بين الرأيين مستنداً على اللغة، حيث قال: "ويمكن أن يقال إنها تنقضي العدة بثلاثة أطهار، أو بثلاث حيضات، ولا مانع من ذلك ، فقد جوّز جمع من أهل العلم حمل المشترك على معنييه، وبذلك يجمع بين الأدلة، ويرتفع الخلاف ويندفع النزاع" [28] .

_ المطلقة الحامل: يرى الشوكاني وجوب الإنفاق على المطلقة الحامل، وتوفير السكن لها، حتى تضع حملها، فإذا وضعته، وقامت بإرضاعه، فعلى الأب دفع أجور هذا الإرضاع، بحسب ما هو متعارف عليه في المجتمع، فإذا لم يتفق الطرفان على الأجر، فللأب أن يستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده [29] .

_ طلاق المكره: لا يقول الشوكاني بطلاق المكره، ووقوع الطلاق بالكناية. كما يقول: الزوج أحق بزوجته في عدة طلاقها، وإذا خالع الزوج زوجته، كان أمره إليها بعد الخلع [30] .

(22) فتح القدير: 1/ 202.

(23) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، إشراف لجنة تحقيق التراث، د.ت.ط.: 1/ 70.

(24) سورة البقرة الآية: 29.

(25) فتح القدير: 1/ 72.

(26) سورة البقرة الآية: 124.

(27) فتح القدير:1/ 161.

(28) فتح القدير: 1/ 271.

(29) فتح القدير: 5/ 293.

(30) فتح القدير: 1/274.

ـ إرسال الثلاث طلقات دفعة واحدة : اختلف أهل العلم في إرسال الثلاث دفعة واحدة، هل يقع ثلاثاً، أو واحدة فقط، فذهب إلى الأول الجمهور، إلا أن الشوكاني خالفهم وذهب إلى الثاني [31] .

ـ الظهار : يقر الشوكاني بسبيل آخر في كفارة الظهار، إذا ما عجز المستظهر على صوم شهرين، أو إطعام ستين مسكيناً، وهي الدولة، فإن لم يجد ما يطعم به المساكين، قامت الدولة المسلمة بتدبير ما يطعمهم [32] .

العادة السرية : لا يقول الشوكاني بحرمة العادة السرية بأشكالها المختلفة، فقد تعرض لهذا عند تفسيره لقوله تعالى: (فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ) [33] . حيث أقر أن العادة السرية لا تدخل تحت هذه الآية، كما قال بذلك جمهور العلماء، فهو يرى أنها ليست حرام ولا حلال، بل عدّها من المشبهات، أي ليست من الحرام البيّن ولا من الحلال البيّن، غير أنه في رسالة أخرى بيّن ما في هذا العمل من خسة وسقوط نفس وضعف همة، على الرغم من ذلك أقر أنّه لا يوجد أدلة تفيد بتحريمها [34] .

حكم النكاح: خالف الشوكاني مالك والشافعي وأبو حنيفة في حكم النكاح، فقد اختلف العلماء في حكم النكاح من ناحية الاستحباب، أو الإباحة، أو الوجوب، يقول الشوكاني: "ذهب إلى الأول الشافعي، وإلى الثاني مالك وأبو حنيفة، وإلى الثالث بعض أهل العلم، على تفصيل لهم في ذلك، فقالوا: إن خشي على نفسه الوقوع في المعصية وجب عليه، وإلا فلا". ثم قرر بعد أن حاول الجمع بين الآراء، أن النكاح سنة مؤكدة، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح، بعد ترغيبه في النكاح: "ومن رغب عن سنتي فليس مني ولكن مع القدرة عليه" [35] .

ـ الخلوة : خالف الشوكاني الجمهور في مسألة الخلوة هل تقوم مقام الدخول أم لا، وهل تستحق المرأة في هذه الحالة كمال المهر في حالة الطلاق أو لا ؟، فبعد أن ذكر وقوع الاتفاق على أن المرأة الغير مدخول بها ومات زوجها وقد فرض لها مهراً تستحقه كاملا بالموت، ولها الميراث وعليها العدة، ذكر الاختلاف الوارد في الخلوة هل تقوم مقام الدخول، وتستحق المرأة بها كمال المهر كما تستحقه بالدخول أم لا؟ فذهب إلى الأول مالك والشافعي في القديم، والكوفيون والخلفاء الراشدون، وجمهور أهل العلم، وتجب عندهم أيضا العدة، إلا أن الشوكاني أوجب لها نصف المهر، وبذلك فلا تقوم الخلوة عند الشوكاني مقام الدخول [36] .

ـ وجوب النفقة وتوابعها للمعتدة من طلاق بائن : اتفق الفقهاء على وجوب

(31) فتح القدير: 1/ 273.

(32) فتح القدير: 5/ 213.

(33) سورة المؤمنون الآية: 7.

(34) فتح القدير: 3/ 651. وانظر الشوكاني حياته وفكره: ص465.

(35) فتح القدير: 4/ 33.

(36) فتح القدير: 1/ 291.

النفقة وتوابعها من كسوة وسكنى للمطلقة الرجعية، إلا أنهم اختلفوا في المعتدة من طلاق بائن، فمنهم من أوجب لها كل الحقوق، كالرجعية والحامل، ومنهم من لم يوجب لها شيئاً. إلا أن الشوكاني أوجب لها كل الحقوق، فلها النفقة والسكنى في عدتها، رجعياً كان أو بائناً [37].

_ فيما يخص الإرضاع: يقول الشوكاني بوجوب إرضاع الأم لولدها إذا لم يقبل الرضيع غيرها، وإلى وجوب تحمل الأب تكاليف معيشة المرضعة المطلقة منه، وهو أن يطعمها ويكسوها بما هو متعارف عليه. واستحسن مكافأة المرضعة عند الفطام، والحكمة من ذلك حسب قوله: حتى لا يبعثهن على التساهل بأمر الصبي، والتفريط في شأنه [38].

_ تعدد الزوجات: انقسم المفسرون في هذه المسألة إلى قسمين، فمنهم من منع التعدد لاستحالة العدل الوارد في قوله تعالى: (وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) [39]. ومنهم من أجاز التعدد واستحسنه [40]. ورغم هذا التباين، إلا أن العلماء أجمعوا على تحريم الزيادة على أربع زوجات، وهو مستفاد من القرآن والسنّة، قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)[41]. ومن السنة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لغيلان بن سلمة: "امسك أربعا وفارق سائرهن" [42].

إلا أن الشوكاني قابل هذا الإجماع، حيث أقر بجواز الزواج فوق أربع إلى تسع، متوهماً أن مثنى وثلاث ورباع مرادفة لاثنين وثلاثاً وأربعاً، وأن الواو للجمع، ومسنده هي اللغة حسب قوله، ومن المرجح أنه قد جانب الصواب في هذا الفهم [43].

_ الغيبة : الغيبة هي ذكر أحد غائب بما لا يحب أن يذكر به [44]، وهي صنف من المحرمات، بدلالة قوله تعالى:(وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ

(37) فتح القدير: 5/ 293.

(38) فتح القدير: 1/ 281.

(39) سورة النساء الآية: 129. يمثل هذا الرأي من المحدثين الإمام محمد عبدُه " فقد دعا إلى العزوف عن التعدد، وربطه باستحالة العدل، بل ذهب إلى أكثر من ذلك حيث دعا الإمام الى منع التعدد رغم أنه مباح"، انظر تفسير القرآن الحكيم (المنار)، دار الفكر، بيروت، ط2. د.ت. 4 /358. نقلا عن التفسير الفقهي عند الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، سالم الأطرش، رسالة دكتوراه جامعة الزيتونة تونس 2014: ص580.

(40) منهم محمد رشيد رضا. تفسير المنار: 4/349.

(41) سورة النساء الآية: 3.

(42) موطأ مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، ط4 1419ه، 1999م، كتاب الطلاق، باب جامع الطلاق: 2/ 17.

(43) فتح القدير:1/ 483.

(44) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م: 26/ 254.

يَـأْكُلَ لَحْـمَ أَخِيـهِ مَيْتًـا فَكَرِهْتُمُـوهُ وَاتَّقُـوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَـوَّابٌ رَحِيـمٌ)[45]، وقـد ورد في الحديـث الصحيـح: " أن رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - قـال: أتـدرون مـا الغيبـة ؟ قالـوا: اللـه ورسـوله أعلـم، قـال: ذكـرك أخـاك بمـا يكـره، فقيـل: أفرأيـت إن كان في أخـي مـا أقـول؟ فقـال: إن كان فيـه مـا تقـول فقـد اغتبتـه، وإن لـم يكـن فيـه فقـد بهتـه، أيحـب أحدكـم أن يـأكل لحـم أخيـه ميتـا"[46]. وقـد أجـاز العلمـاء الغيبـة في حـالات نـادرة، زاد عليهـا الشـوكاني: "اغتيـاب الظالـم عنـد السـلطان، وذكـر اللقـب (كالأعـرج) في حالـة عـدم التمييـز بالاسـم، وجـرح شـهود الـزور عنـد التقـضي، وصيانـة الديـن مـن الوضاعـين" [47].

_ أحـكام الصيـد: تعـرض الشـوكاني لمسـألة الصيـد بالبنـدق والحجـر والمعـراض، وعـرض اختـلاف العلمـاء في الصيـد بالمعـراض، وهـو: "السـهم الـذي لا ريـش لـه أو العصـا التـي رأسـها محـدد" مـن ناحيـة كلـه خـرق أو لـم يخـرق أي الصـدم، ثـم ذكـر أن مـن العلمـاء مـن لا يـرى بأسـاً مـا إذا كان خـرق أو لـم يخـرق، إلا أن الشـوكاني خالفهـم في ذلـك، واشـترط الخـرق، مدعمـاً ذلـك بأدلـة مـن السـنة منهـا: "عـن عـدي قـال: قلـت يـا رسـول اللـه إنـي أرمـي بالمعـراض الصيـد فأصيـب فقـال: إذا رميـت بالمعـراض فخـرق فكلـه، وإن أصـاب بعرضـه فإنمـا هـو وقيـذ فـلا تأكلـه فقـد اعتـبر صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم الخـرق وعدمـه، فالحـق أنـه لا يحـل إلا مـا خـرق لا مـا صـدم، فـلا بـد مـن التذكيـة قبـل المـوت وإلا كان وقيـذا"[48]. ثـم تعـرض إلى الصيـد بالبنـادق المعروفـة بعـد إشـارته أنـه أمـر مسـتحدث، لـم يعـرف إلا مؤخـراً، لا سـيما في اليمـن، وقـد ذكـر أنـه سُـئل عـن الصيـد بهـا، إذا مـات ولـم يتمكـن الصائـد مـن تذكيته حيـاً، والـذي ظهـر لـه أنهـا حـلال،" لأنهـا تخـرق وتدخـل في الغالـب مـن جانـب منـه وتخـرج مـن الجانـب الآخـر، وقـد قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم في الحديـث الصحيـح السـابق:" إذا رميـت بالمعـراض فخـرق فكلـه فاعتـبر الخـرق في تحليـل الصيـد" [49].

_ أكل لحـوم الخيـل: رد الشـوكاني اسـتدلال مـن رأى تحريـم أكل الخيـل، اسـتفادة مـن قولـه تعـالى: (وَالْخَيْـلَ وَالْبِغَـالَ وَالْحَمِيـرَ لِتَرْكَبُوهَـا وَزِينَـةً)[50]. حيـث قـال: "وقـد اسـتدل بهـذه الآيـة القائلـون بتحريـم لحـوم الخيـل، قائلـين بـأن التعليـل بالركـوب يـدل عـلى أنهـا مخلوقـة لهـذه المصلحـة دون غيرهـا". ثـم ذكـر مسـندهم، وهـو ذكـر هـذه الأنـواع الثلاثـة في الآيـة، وإخراجهـا عـن الأنعـام، حيـث أفـاد ذلـك اتحـاد حكمهـا في تحريـم الأكل. كمـا ذكـر مسـنداً أخـر لهـم وهـو: ذكـر الخيـل في معـرض الركـوب وليـس الأكل، وهـو أولى مـن الركـوب، فلـو كان أكلهـا جائـز لذكـرت في معـرض الأكل

(45) سورة الحجرات الآية: 12.

(46) صحيح مسلم، بشرح النووي، بيروت لبنان، 1403،1983م، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة: 10/ 66.

(47) فتح القدير: 5/ 78.

(48) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الصيد بالكلاب المعلمة: 13/ 64.

(49) فتح القدير: 2/ 12.

(50) سورة النحل الآية: 8.

مثل الأنعام، وقد أجاب عليهم بقوله: "لا حجة لأهل القول الأول في التعليل بقوله لتركبوها؛ لأن ذكر ما هو الأغلب من منافعها، لا ينافي غيره، ولا نسلم أن الأكل أكثر فائدة من الركوب حتى يذكر، ويكون ذكره أقدم من ذكر الركوب، وأيضاً لو كانت هذه الآية تدل على تحريم الخيل لدلت على تحريم الحمر الأهلية، وحينئذ لا يكون ثم حاجة لتحديد التحريم لها عام خيبر" (51) .

ثم دعّم هذا الاستدلال بالسنّة المطهرة حيث قال:" فلو سلمنا أن في هذه الآية متمسكاً للقائلين بالتحريم، لكانت السنة المطهرة الثابتة رافعة لهذا الاحتمال" .

_ العورة: تعرض الشوكاني لعورة المرأة في الآية (30) من سورة النور، وبعد أن نقل عن القرطبي الإجماع على أن السوأتين عورة من الرجل والمرأة، وأن المرأة كلها عورة، إلا وجهها ويديها على خلاف في ذلك، وإن عورة الرجل من سرته إلى ركبته، أقر بعدم وجوب ستر ما عدا الوجه والكفين من الأطفال، إلا أنّه أكّد بقاء الحرمة كما كانت فيما يخص عورة الشيخ الكبير الذي قد سقطت شهوته، حيث قال: " والأولى بقاء الحرمة كما كانت، فلا يحل النظر إلى العورة ولا يحل له أن يكشفها" (52) .

_ العقود : استنتج الشوكاني من قوله تعالى: (فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) (53) ، على أن:" أموالهم مع عدم التوبة حلال لمن أخذها من الأئمة ونحوهم ممن ينوب عنهم" (54) . كما زاد أن الرهن ثابت في السفر بنص التنزيل، وفي الحضر بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت في الصحيحين: " أنه صلى الله عليه وآله وسلم رهن درعاً له من يهودي" (55) . كما أنه نقل رأي الجمهور القاضي بالقبض في الرهان كما صرح القرآن، ثم ذكر أن المالكية خالفوا الجمهور، أنه يصح الارتهان بالإيجاب والقبول من دون قبض، إلا أنه اكتفى بالنقل ولم يناقش، لكن يبدو أنه يميل إلى رأي المالكية (56) .

_ كفالة الطفل : يقول الشوكاني في كفالة الطفل أنه إذا تنازع الأب والأم في ابن لهما، كان الواجب هو تخييره، فمن أختار ذهب معه ..... وأن التخيير في حق من بلغ سن التمييز، هو الواجب، من غير فرق بين الذكر والأنثى، أما إذا تساوى الأمران، فعند الشوكاني: " تستخدم القرعة ويجوز نقل الصبي إلى من يختار ثانيا، وأجاز تخصيص الاختيار أو القرعة بملاحظة مصلحة الصبي، وهو أن يكون أحد الأبوين أصلح له من الآخر" (57) . كما أن الشوكاني خالف في من رأى

(51) فتح القدير: 3/ 181.

(52) فتح القدير: 4/ 29.

(53) سورة البقرة الآية: 279.

(54) فتح القدير1:/341.

(55) صحيح البخاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان المنصورة، ط1 1419ه 1998م، كتاب الرهن، باب الرهن في الحضر: 5/ 166.

(56) فتح القدير: 1/ 348.

(57) الإمام الشوكاني حياته وفكره: ص 490.

في فسق الأم الحاضنة مبرراً لنقل ولدها إلى حاضنة أخرى [58] .

_ حد السرقة : لإقامة حد السرقة المذكور في قوله تعالى:(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [59] ، شرطان: أن تكون ربع دينار فصاعدا، ولا بد أن تكون من حرز. وهناك من أسقط القطع بالتوبة، استناداً إلى قوله تعالى في الآية التي تتبع آية السرقة: (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). إلا أن الشوكاني ردّ ذلك، وأقر أن هذا الاستدلال غير صحيح؛ " لأن هذه الجملة الشرطية لا تفيد إلا مجرد قبول التوبة، وإن الله يتوب على من تاب، وليس فيها ما يفيد أنه لا قطع على التائب، وقد كان في زمن النبوة يأتي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وجب عليه حد تائبا عن الذنب الذي ارتكبه طالبا لتطهيره بالحد، فيحده النبي صلى الله عليه وآله وسلم" [60] .

_ التقليد : استدل الشوكاني على تحريم التقليد بأدلة ربما تكون إضافية، منها قوله: (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءابَاءنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءاثَـرِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءابَاءكُمْ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَـفِرُونَ) [61] ، قال الشوكاني هذه الآية "وإن كان موردها في الكفار، فالمراد بها ذم من أعرض عما أنزله الله تعالى، وأخذ بقول سلفه .. من هنا صح تأويلها في المقلدين لاتحاد العلة، ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" [62] .

_ الدعوة إلى السلم : اعترض الشوكاني أثناء تفسيره لقوله تعالى: (فَلاَ تَهِنُواْ وَتَدْعُواْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ) [63] ، على من قال من أهل العلم أنها ناسخة لقوله تعالى:(وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا) [64] ، فقال: "ولا يخفاك أنه لا مقتضى للقول بالنسخ، فإن الله سبحانه نهى المسلمين في هذه الآية عن أن يدعو إلى السلم ابتداءً، ولم ينه عن قبول السلم إذا جنح إليه المشركون، فالآيتان محكمتان، ولم يتواردا على محل واحد حتى يحتاج إلى دعوى النسخ أو التخصيص" [65] .

_ جواز شهادة العبيد : يرى جمهور العلماء عدم جواز شهادة العبد، لما يلحقه من نقص الرق، وذلك في قوله تعالى:(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ) [66] ، إلا

(58) الإمام الشوكاني حياته وفكره: 492.

(59) سورة المائدة الآية: 38.

(60) فتح القدير:2/ 46.

(61) سورة الزخرف الآية: 23 – 24.

(62) فتح القدير:2/ 46.

(63) سورة محمد الآية: 35.

(64) سورة الأنفال الآية: 61.

(65) فتح القدير: 5/ 50.

(66) سورة البقرة الآية: 282.

أن الشوكاني خالف الجمهور في هذه المسالة، مؤكدا أنّه لا وجه لخروج العبيد من هذه الآية، كما ناقش استدلال الجمهور على عدم جواز شهادة العبد، بأن الخطاب في هذه الآية مع الذين يتعاملون بالمداينة، والعبيد لا يملكون شيئا تجري فيه المعاملة. وأجاب عن هذا بقوله: الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وأيضاً العبد تصح منه المداينة، وسائر المعاملات، إذا أذن له مالكه بذلك ([67]). كما جوز شهادة المرأتين مع يمين المدعي، موافقاً بذلك مالك والشافعي، ومخالفا بذلك أبو حنيفة وأصحابه [68].

_ عقوبة الفاحشة: أقر الشوكاني ببقاء عقوبتا الحبس والأذى مع الجلد عند تفسيره لقوله تعالى:(فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ) [69] ، حيث قال:" كان هذا في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ)[70] ، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الحبس المذكور وكذلك الأذى باقيان مع الجلد، لأنه لا تعارض بينهما بل الجمع ممكن" [71] .

_ الحسد: لقد تتطرق الشوكاني لمرض الحسد مبيناً مدى أثره على قلوب العباد، فعند تفسيره لقوله تعالى: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ) [72] ، بعد أن فصّل في ماهية التمني قال: وفي هذه الآية: " نهي عن أن يتمنى الإنسان ما فضل الله به غيره من الناس عليه، فإن ذلك نوع من عدم الرضا بالقسمة التي قسمها الله بين عباده على مقتضى إرادته وحكمته البالغة، وفيه أيضا نوع من الحسد المنهي عنه إذا صحبه إرادة زوال تلك النعمة عن الغير"، ثم ذكر اختلاف العلماء في الغبطة وهي" أن يتمنى أن يكون به حال مثل حال صاحبه من دون أن يتمنى زوال ذلك الحال عن صاحبه"، فذكر رأي الجمهور القاضي بجوازها وذكر استدلالهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم:" لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" [73].

إلا أن الشوكاني خالفهم في ذلك، حيث قال:" وعموم لفظ الآية يقتضي تحريم تمني ما وقع به التفضيل، سواء كان مصحوباً بما يصير به من جنس الحسد أم لا، وما ورد في السنة من جواز ذلك في أمور معينة يكون مخصصاً لهذا العموم"[74].

(67) فتح القدير: 1/ 345.

(68) فتح القدير: 1/ 346.

(69) سورة النساء الآية: 15.

(70) سورة النور الآية: 2.

(71) فتح القدير: 1/ 504.

(72) سورة النساء الآية: 32.

(73) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، 13/ 511.

(74) فتح القدير: 1/ 530

الخاتمة :

إن دعـوة الشـوكاني للتحـرر وخلـع ربقـة التقليـد أسـهمت إلى حـد كبـير في تكويـن شـخصيته العلميـة المسـتقلة. وهـذا مـا انعكـس عـلى تفسـيره (فتـح القديـر)، حيـث اتسـم بالجهـد الكبـير مـن خـلال تركيـزه عـلى قـوة الأدلـة في مختلـف المسـائل، باجتهاد متحـرر مـن التعصـب المذهبـي، والنظـرة الضيقـة البعيـدة عـن المقاصـد العامـة للشريعـة، وهـذا مـا جعلـه مقبـولاً ومعتمـداً في مختلـف الأوسـاط العلميـة والجامعيـة. كمـا أسـهمت في ذلـك أيضـا النزعـة التجديديـة التـي صاحبـت هـذا التفسـير، وهـو مـا تحـدث عنـه هـذا البحـث.

وقـد رصـد هـذا البحـث العديـد مـن المسـائل الفقهيـة مـع مراعـاة فـروع الفقـه المختلفـة قـدر الإمـكان، مركـزاً مـن خلالهـا عـلى مـا تفـرد بـه الشـوكاني، سـواء مـا خالـف بـه الجمهـور، أو مـا اسـتأثر بـه مـن قضايـا فقهيـة في تفسـيره.

ومـن خـلال هـذا البحـث اتضـح أن الشـوكاني لـم يتأثـر بـأي مذهـب أو شـخصية أو مدرسـة فقهيـة معينـة، فقـد كان مـع قـوة الدليـل، وخالـف الجمهـور في غـير مـا موضـع مـن تفسـيره، كمـا وافقهـم في مسـائل أخـرى. مـع ذلـك لـه بعـض الاجتهـادات والفتـاوى الشـاذة والتـي ينبغـي التنبيـه عليهـا، كـقوله بجـواز الزيـادة عـلى أربـع زوجـات.

المصادر والمراجع :

1_ الإمام الشوكاني حياته وفكره، لعبد الغني الشرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد صنعاء، ط1، 1408هـ.
2_ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984م.
3_ التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، إشراف لجنة تحقيق التراث، د.ت.ط.
4_ التفسير الفقهي عند الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، سالم الأطرش، رسالة دكتوراه جامعة الزيتونة تونس 2014.
5_ المحتسب في تبيين شواذ القراءات، أبو الفتح بن جني، تحقيق: عبد الحليم النجار وآخرون، لجنة إحياء التراث العربي، 1386هـ.
6_ المهذب في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي، مطبعة عيسى بابي الحلبي، مصر، د.ت.ط.
7_ تفسير القرآن الحكيم (المنار)، الإمام محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، ط2. د.ت.
8_ صحيح البخاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان المنصورة ط1 1419هـ 1998م.
9_ صحيح مسلم، بشرح النووي، بيروت لبنان، 1403، 1983م.
10_ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،ط2، 1422هـ،2002م.
11 _ موطأ مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، ط4 1419هـ 1999م.

خصائصُ المدرسة الحديثية في الأندلس وسماتُها خلال القرن الخامس الهجري (ابن عبدالبر القرطبي ، والحميدي الميورقي أنموذجاً)

إعداد :
د/ عادل عبدالعزيز غيث

الاستلام : 30/ 9/ 2022 القبول : 15/ 11/ 2022

الملخص:

اهتم الناس في الأندلس بدراسة علم الحديث رواية ودراية ، وانبرى طائفة من طلبة العلم لتعلم هذا الفن ودراسته لشرفه ومكانته العالية بين العلوم ؛ كونه يختص بكلام خير البرية – صلوات الله وسلامه عليه – وأفعاله وتقريراته ، والمتأمل في كتب التراجم الأندلسية يجدها مليئة بتراجم العلماء ممن اشتغل بعلم الحديث وطرقه ورواته ، تأليفاً ، وشرحاً ، وتدريساً ، فكان لجهودهم العظيمة أثرها البارز في تطور مدرسة الحديث في الأندلس وازدهارها ،التي امتازت بخصائصها وسماتها وطابع الحجازي الأثري ، كون المدينة النبوية هي وجهة الطلاب المغاربة والأندلسيين ومقصدهم في رحلاتهم العلمية ، والتي نشطت بقوة مع منتصف القرن الثاني الهجري لوجود عالم الحجاز في زمانه ذلك الوقت الإمام الفقيه المحدث مالك بن أنس رحمه الله – صاحب الشهرة الكبيرة التي بلغت الآفاق، والمدرسة العظيمة في الحديث والفقه – فكان للطلاب الأندلسيين النصيب الوافر في التلقي والتعليم علي يديه، فما أن رجعوا لبلادهم حتى أسسوا مدارس ومراكز علمية ،أسهمت مع الوقت في تكوين مدرسة حديثية فقهية كبيرة لها طلابها البارزون، وعلماؤها الربانيون، بلغت طور الازدهار مع بداية القرن الخامس الهجري ، يتضح ذلك جلياً في وفرة العلماء والفقهاء ؛ لاسيما علماء الحديث والأثر، ممن ذاع صيتهم شرق البلاد الإسلامية وغربها وسارت بمؤلفاتهم الحديثية الركبان.

الكلمات المفتاحية: الاندلس، مدرسة الحديث، ابن عبدالبر، الحميدي.

Abstract.

People in Andalusia were interested in studying the science of hadith in narration and know-how, and a group of science students rushed to learn this art and study it due to its honor and high position among the sciences. Because it is specific to the words of the best of creation - may God's prayers and peace be upon him - and his actions and reports, and the contemplator in the books of Andalusian biographies finds them full of biographies of scholars who worked with the science of hadith, its methods and its narrators, in composition, explanation, and teaching. Their great efforts had a prominent impact on the development and prosperity of the hadith school in Andalusia, which It was distinguished by its characteristics, characteristics, and the archaeological character of Hijaz, since the Prophet's city was the destination of Moroccan and Andalusian students and their destination in their scientific trips, which became very active with the middle of the second century AH due to the presence of the scholar of Hijaz in his time at that time, the imam, the jurist, the hadith, Malik bin Anas, may God have mercy on him - the owner of great fame that reached the horizons And the great school in hadith and jurisprudence - Andalusian students had the abundant share of receiving and teaching at his hands, and as soon as they returned to their country, they established schools and scientific centers, which contributed with time to the formation of a great hadith school of jurisprudence with its prominent students and divine scholars, which reached a stage of prosperity at the beginning of the century Fifth Hijri, this is evident in the abundance of scholars and jurists; Especially the scholars of hadith and athar, whose reputation spread to the east and west of the Islamic countries and whose hadith writings inspired the Rukban.

Keywords: Al-Andalus, the school of hadith, Ibn Abd al-Barr, al-Hamidi.

المقدمة

اتجهت همّة الناس في الأندلس منذ عهودها الأولى إلى الاهتمام بدراسة علم الحديث رواية ودراية ، وانبرى طائفة من طلبة العلم لتعلم هذا الفن ودراسته لشرفه ومكانته العالية بين العلوم ؛ كونه يختص بكلام خير البرية - صلوات الله وسلامه عليه - وأفعاله وتقريراته ، والمتأمل في كتب التراجم الأندلسية يجدها مليئة بتراجم العلماء ممن اشتغل بعلم الحديث وطرقه ورواته ، تأليفاً ، وشرحاً ، وتدريساً ، فكان لجهودهم العظيمة أثرها البارز في تطور مدرسة الحديث في الأندلس وازدهارها ،التي امتازت بخصائصها وسماتها وطابع الحجازي الأثري

، كـون المدينـة النبويـة هـي وجهـة الطـلاب المغاربـة والأندلسـيين ومقصدهـم في رحلاتهـم العلميـة ، والتـي نشـطت بقـوة مـع منتصـف القـرن الثانـي الهجـري لوجـود عالـم الحجـاز في زمانـه ذلـك الوقـت الإمـام الفقيـه المحـدث مالـك بـن أنـس رحمـه اللـه - صاحـب الشـهرة الكبـيرة التـي بلغـت الآفـاق، والمدرسـة العظيمـة في الحديـث والفقـه - فـكان للطـلاب الأندلسـيين النصيـب الوافـر في التلقـي والتعليـم عـلي يديـه، فمـا أن رجعـوا لبلادهـم حتـى أسسـوا مـدارس ومراكـز علميـة ،أسـهمت مـع الوقـت في تكويـن مدرسـة حديثيـة فقهيـة كبـيرة لهـا طلابهـا البـارزون، وعلماؤهـا الربانيـون، بلغـت طـور الازدهـار مـع بدايـة القـرن الخامـس الهجـري ، يتضـح ذلـك جليـاً في وفـرة العلمـاء والفقهـاء ؛ لاسـيما علمـاء الحديـث والأثـر، ممـن ذاع صيتهـم شرق البـلاد الإسـلامية وغربهـا وسـارت بمؤلفاتهـم الحديثيـة الركبـان.

لـذا تعـد هـذه الدراسـة والمعنـون لها بــ :خصائص المدرسـة الحديثيـة في الأندلس وسـماتُها خـلال القـرن الخامـس الهجري(ابـن عبدالـبر النمـري ، والحميـدي الميورقـي أنموذجـاً) سرداً تاريخيـا ، وصفيـاً ، تحليليـاً عـن موضـوع مهـم مـن موضوعـات تاريـخ العلـوم والعلمـاء في بـلاد الأندلـس مـن حيـث التطـور والازدهـار، والخصائـص والسـمات ؛ ألا وهـو مدرسـة علـم الحديـث ، التـي تأثـرت بمدرسـة الحديـث والأثـر الحجازيـة ، كونهـا مقصـد الطـلاب في رحلاتهـم العلميـة ذلـك الوقـت.

وترجـع أهميـة البحـث إلى التعـرف عـلى خصائـص المدرسـة الحديثيـة في بـلاد الأندلـس وسـماتها خـلال القـرن الخامـس الهجـري ، وكيفيـة نشـأتها ، وازدهارهـا ، وأبـرز رجالهـا، ومـدى تأثيرهـا عـلى الحيـاة العلميـة في بـلاد الأندلـس والمغـرب ذلـك الوقـت.

وأمـا عـن أهـداف الدراسـة فتكمـن في بيـان أسـس مدرسـة الحديـث في بـلاد الأندلـس واتجاهاتهـا وسـماتها ، مـن خـلال نخبـة ممـن اشـتهروا بعلـم الحديـث ورواتـه ، ومـدى تأثيرهـم عـلى الحيـاة العلميـة في بـلاد الأندلـس خاصـة ، والمغـرب والمـشرق الإسـلامي عامـة ، وذلـك مـن خـلال كتبهـم ومؤلفاتهـم وتلاميذهـم.

وترجع أسباب اختيار الموضوع إلى الآتي:

- الاهتمـام بتاريـخ الحيـاة العلميـة في بـلاد الأندلـس عامـة ، ولاسـيما العلـوم النقليـة (الشرعيـة) منهـا خاصـة.
- الاطـلاع عـلى سـمات وخصائـص مدرسـة الحديـث في الأندلـس ؛ وأبـرز رجالهـا خـلال عصورهـا المتتاليـة ، لاسـيما القـرن الخامـس الهجـري -عـصر تطـور العلـوم وازدهارهـا في الأندلـس- ، وأثرهـا في تطـور مدرسـة الحديـث في كل بـلاد المغـرب والأندلـس.

وأمـا عـن المنهـج المتبـع في هـذه الدراسـة فسـيكون المنهـج التاريخـي التحليـلي السـردي ، الـذي يعتمـد عـلى تتبـع الظواهـر أو الأحـداث مـن مضانّهـا ، ومحاولـة اسـتنطاقها، ثـمّ اسـتنباط ملامـح التطـور وتوقعـه عبرهـا ، خاصـة أن موضـوع البحث

يتطلب هكذا منهج ؛ لتتبع مراحل تطوره وازدهاره وأبرز سماته وخصائصه، وذلك من خلال جمع تلك المعلومات من مصادرها ، ومن ثم مناقشتها وسردها بشكل موضوعي وعلمي ؛ للوصول الى نتائج مدعمة بالبراهين ، تؤكد الحقائق التي تتطلبها الدراسة.

وأما عن خطة البحث والمعنون له: بـ (خصائص المدرسة الحديثية في الأندلس وسماتها خلال القرن الخامس الهجري (ابن عبدالبر النمري، والحميدي الميورقي أنموذجاً) فسيقسم إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة ، حيث سيتناول التمهيد نشأة علم الحديث في الأندلس وتطوره خلال عصورها التاريخية المتعاقبة حتى فترة الدراسة، في حين سيخصص المبحث الأول للحديث عن مدرسة الإمام ابن عبد البر النّمَري الحديثية وأثرها في ازدهار علوم الحديث في الأندلس، وسيتحدث المبحث الثاني عن مدرسة الإمام الحميدي الميورقي الحديثية وأثرها في ازدهار علوم الحديث في الأندلس ، ثم تأتي الخاتمة متضمنة لأهم نتائج البحث.

وماكنت أهلاً للذي قد كتبته وإني لفي خوف من الله نادم
ولكني أرجوا من الله عفوه وإني لأهل العلم لاشك خادم

والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل

تمهيد :

اهتم المسلمون منذ العهود الإسلامية الأولى بعلم الحديث وأولوه أهمية بالغة، فظهر في البلاد الإسلامية من عُرِف برواية أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتخريجها، أمثال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله 179هـ / 795م، وتلميذه محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله 241هـ / 855م[1]، وتلميذ الشافعي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله241 هـ/855م ، ومن بعدهم جاءت الصحاح والسنن ، أشهر ما أُلِّف في علم الحديث وهي: صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري 256هـ/ 869 م ، شيخ المحدثين، وصحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري 261هـ / 874م تلميذ البخاري، وسنن أبي داود السجستاني 274هـ / 887م، وسنن ابن ماجه 272هـ/885م، وسنن الترمذي محمد بن عيسى 278هـ / 891م، وسنن النسائي 302هـ / 914م، وهذه الأسانيد هي المشهورة في الملة وإليها ترجع الأمة[2].

اتجهت همة الناس في الأندلس إلى دراسة علم الحديث منذ وقت مبكر فشُدّت الرحال لبلاد المشرق لتلقي هذا العلم الشريف، فظهر في بلاد الأندلس خلال عصر الإمارة رجال عَنوا بدارسة علم الحديث رواية ودراية أمثال بقي بن مخلد 276هـ / 889 م[3]، عالم الأندلس في الحديث وطرقه ورجاله، ومحمد ابن وضاح بن يزيغ 287هـ / 900 م[4] وهو أيضاً من العلماء المشهورين والرواة المكثرين، اشتهر بعلم الحديث وتدريسه مدة طويلة في الأندلس فانتشر علمه فيها، وفي ذلك يقول ابن الفرضي في كتابه "تاريخ علماء الأندلس": وبمحمد بن وضاح وبقي

---

(1) ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق: الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 1997م ، ص 259-247 ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق ومراجعه خليل شحاده وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م: المقدمة ، ص280.

(2) ابن خلدون : المقدمة ، ص281.

(3) هو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد يزيد القرطبي، من كبار الحفاظ والمحدثين والزهاد الصالحين، رحل إلى المشرق وأخذ العلم على كبار أعلام السنة أمثال الإمام أحمد بن حنبل والإمام أبوبكر بن أبي شيبة وغيرهم كثير، رجع إلى الأندلس فملأها علماً وفقهاً وتنوعت مصنفاته في التفسير والحديث إلا أنه في الحديث أوسع دائرة، يدل على ذلك كتابه - المصنّف الكبير في فتاوي الصحابة والتابعين- = ابن بشكوال، ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك :كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهوا ري، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 2003م ، ج 1 ص108،109 ؛ الحميدي ،أبوعبدالله محمد بن فتوح: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص251 ؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص246 ؛ ابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج3 ص87 ؛ الحنبلي ، شهاب الدين أبي الفلاح العكري: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرون،دار بن كثير، بيروت،1406هـ ج 2 ص169.

(4) الخشني، أبو عبدالله محمد القيرواني: أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويس آبيلا ولويس مولينا، مدريد، 1992م، ص173 ؛ ابن الفرضي، أبوالوليد عبدالله بن محمد: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م، ص305، 306 ؛ الحميدي : جذوة المقتبس، ص140 ؛ الصفدي،صلاح الدين خليل أيبك : الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث، بيروت، 2000م،ج 5 ص 115 .

بـن مخلـد صـارت الأندلـس دار حديـث "[5]، فكانـت الرحلـة إليهمـا في الأندلـس، روى عنهـم جماعـة كُثـر بلغـوا الشـهرة في الحديـث وحفظـه روايـة ودرايـة أمثـال قاسـم بـن أصبَـغ[6] 340هـ / 951م صاحـب التصانيـف الكثـيرة في علـم الحديـث " كالمجتبـى عـلى أبـواب كتـاب المنتقـى لابـن الجـارود، وغرائـب حديـث مالـك بـن أنـس ممـا ليـس في الموطـأ "[7]، وكان رحمـه اللـه مـن الثقـة والجلالـة بحيـث اشـتهِر أمـره وعـلا ذكـره بـين العامـة ، والسـلطة الحاكمـة المتمثلـة في الخلافـة الأمويـة [8]، ومـن كبـار محدثـي الأندلـس خـلال عـصر الخلافـة أيضـاً ابـن فطـيس عبـد الرحمـن بـن محمـد بـن عيـسى القـرطبي 402هـ / 1011م[9] قـال عنـه ابـن بشـكوال في صلتـه: " كان مـن جهابـذة المحدثـين وكبـار العلمـاء والمسـندين، حافظـاً للحديـث وعللـه، منسـوباً إلى فهمـه وإتقانـه، عارفـاً بأسـماء رجالـه ونقلتـه، يَبْـصُر المعدَّلـين منهـم والمجرَّحـين، لـه عنايـة كاملـة بتقييـد السُّـنن والأحاديـث المشـهورة والحكايـات المسـندة، جامعـاً لهـا، مجتهـداً في سـماعها ورواياتهـا، جمـع مـن الكتـب في أنـواع العلـم مـا لـم يجمعـه أحـد مـن أهـل عـصره بالأندلـس، مـع سـعة الروايـة، والحفـظ والدرايـة، وكان يمـلي الحديـث مـن حفـظ في مسـجده والنـاس يكتبـون عنـه"[10]، ومـن مؤلفـاته في علـم الحديـث كتـاب: "الإخـوة مـن المحَدّثـين مـن الصّحابـة والتابعـين ومـن بعدهـم مـن الخالفـين "، وكتـاب: "مسـند حديـث محمـد بـن فطيـس" وغيرهـا مـن المؤلفـات في علـوم القـرآن والسـير والأخبـار، تـوفى رحمـه اللـه أيـام الفتنـة البربريـة في قرطبـة في ذى القعـدة سـنة 402هـ / 1011م[11] .

وقبـل الانتقـال بالحديـث إلى الفقـرة اللاحقـة لموضـوع البحـث نـود التعريـف بعلـم الحديـث مـن حيـث اللغـة ، واصطـلاح المحدثـين عـلى النحـو الآتـي:

التعريف بعلم الحديث:

(5) تاريخ علماء الأندلس ، ص306.

(6) هـو قاسـم بـن أصبـغ بـن محمـد بـن يوسـف بـن ناصـح بـن عطـاء البيَّانـي، يكنـى أبـا محمـد، أصلـه مـن بيانـه، سـكن قرطبـة وبهـا مـات، مـن أئمـة الحديـث وحفاظـه، روى عنـه الحديـث جماعـة مـن آكابـر بلـدة كابـن الجسـور ويعيـش الـوراق وغيرهـم = الحميـدي، جـذوة المقتبـس، ص 487 ، 488.

(7) الخشنى ، أبوعبدالله محمد القيرواني: أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويس آبيلا ولويس مولينا، مدريد، 1992م ، ص417 ؛ الذهبي، أبوعبدالله شمس الدين محمد : سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م ، ج 15، ص 472 ؛ اليافعي، أبي محمد عبدالله بن أسعد اليمني : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان،علق عليه: خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت،1417هـ ج 2، ص 333.

(8) الحميدي: جذوة المقتبس ، ص487.

(9) يكنـى أبـا المطـرف ، تـولى قضـاء الجماعـة بقرطبـة سـنة 394 هـ، مقرونـة بولايـة صـلاة الجمعـة والخطبـة أيـام المطـر بـن عبـد المالـك بـن أبـي عامـر، ثـم مـا لبـث أن صُرف عـن القضـاء سـنة 395هـ، روى عنـه كبـار المحدثـين في عـصره كابـن عبـد الـبر النمـري، وأبـي عمـر بـن الحـذاء وغيرهـم = ابـن بشـكوال، الصلـة، ج 1 ص255 ؛ الحنبـلي، شـذرات الذهـب ،ج 3 ص163 ؛ حسـين مؤنـس: شـيوخ العـصر في الأندلـس، منشـورات الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، القاهـرة، 1986م، ص78.

(10) الصلة، ج1، ص256.

(11) ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص257 ؛ الحنبلي: شذرات الذهب، ج 3، ص163.

لغة: يقول ابن منظور: " يأتي الحديث بعدة معانٍ منها: الحدث أي صغير السن، ومنها الحديث نقيض القديم، ومنها الحدوث كون الشئ لم يكن، وحدث أمر أي وقع، ومحدثات الأمور هي ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي لم تكن معروفة في كتاب ولا سنة ولا إجماع، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: إياكم ومحدثات الأمور"[12]، ويقول الفراهيدي وتبعه الزمخشري إن الحديث: " هو الجديد من الأشياء ويقال رجل حدث أي كثير الحديث "[13]، والحديث: " بمعنى تكلم وأخبر وروى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "[14].

وفي اصطلاح المحدثين: " علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن من صحة ، وحسن وضعف، وعلو ونزول ، ورفع ووقف ، وقطع ، وصفات الرجال وغير ذلك، وغايته معرفة الصحيح من غيره "[15]، ويعرفه القنوجي بأنه: "علم يُعرف به أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، ومعنى التقرير أن أحداً فعل أو قال شيئاً في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يُنكر عليه ذلك ولم ينه عنه بل سكت وقرره"[16]، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم هي الوحي الثاني بعد القرآن الكريم، والسنة الشارحة له، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [17]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[18]، ويقول صلى الله عليه وسلم: " ألا وإني أُتيت الكتاب ومثله معه "[19] أي السنة[20].

(12) لسان العرب، منشورات دار صادر، بيروت، د.ت، ج 2 ص131 ؛ ابن فارس : معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، القاهرة، د. ت ، ج2 ص36.

(13)(كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، بدون تاريخ، 3ص177؛ أساس البلاغة، دار الفكر، بيروت، 1979م، ج1، ص115.

(14) إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ج1، ص159.

(15) عصام موسى هادي : علوم الحديث، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2003 ف، ص7 ؛ عبد السلام محمود أبو ناجي: الموجز في مصطلح الحديث، منشورات الجامعة المفتوحة، الخمس، 1996 م، ص 2.

(16) الحطة في ذكر الصحاح السته، تحقيق على حسن الحلبي، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ، ص98-97.

(17) سورة النحل : الآية (44).

(18) سورة النجم : الآيتان (3 ، 4).

(19) أبوداوود ، سليمان بن الأشعث : سنن أبي داوود، تحقيق محمد نصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1988م، ص690.

(20) نفس المصدر والصفحة.

المبحث الأول
مدرسة الإمام ابن عبد البر النّمَري الحديثية وأثرها في ازدهار علوم الحديث في الأندلس

بلغت مدرسة علوم الحديث في الأندلس تطورها ملحوظاً ، وازدهاراً كبيراً مع بداية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي -عصر ملوك الطوائف-، وذلك بفضل جهود ثلة من كبار رجال الحديث فيها، سارت بمؤلفاتهم الركبان وقصدهم طلاب العلم من كل أرجاء البلاد، فكان من أولئك العلماء المحدثين ابن عبد البر النّمَري (-368 463هـ / 1070-978م) وهو أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النّمري[21] تأثّر بمدرسة شيخه في علم الحديث خلف بن القاسم بن سهل الأزدي (ت 393 ه/ 1002 م) حتى أنه قال عنه " شيخ لنا، وشيخ لشيوخنا أبي الوليد ابن الفرضي وغيره، كتب بالمشرق عن نحو ثلاثمائة رجل، وكان أعلم الناس برجال الحديث، وأكتبهم له، وأجمعهم لذلك ... وهو محدث الأندلس في وقته "[22] وكذلك عبد الوارث بن سفيان بن جبرون (ت 395هـ - 1004م)، كان له تأثير مهم في ابن عبدالبر علمياً وأخلاقياً، قرأ عليه الإمام ابن عبدالبر مصّنف قاسم بن أصبغ في السنن، والمعارف وشرح غريب الحديث لابن قتيبة[23]، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزّاز (ت395هـ - 1004م) ذكره ابن عبدالبر بالشيخ المحدّث، مُسند الأندلس، الثقة العالم الزاهد، وقال عنه: " قد لقيته وسمعت كثيراً منه "[24]، وأحمد بن عبدالله بن محمد الباجي الإشبيلي (396 هـ - 1005م): قال عنه ابن عبدالبر أيضاً: " كان أبو عمر الباجي إمام عصره وفقيه زمانه، جمع الحديث والرأي، والبيت الحسن، والهدى والفضل، ولم أر بقرطبة ولا بغيرها من كور الأندلس رجلاً يقاس به في علمه بأصول الدين وفروعه، كان يُذاكَر بالفقه ويُذاكر بالحديث والرجال، ويحفظ كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم ابن سلاّم، وغريب الحديث لأبي محمد بن قتيبة حفظاً حسناً "[25]. قرأ عليه الإمام ابن عبدالبر مصنفات لابن الجارود

(21) أبو الفداء، إسماعيل بن نور الدين: المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، 1959م، ج2، ص ص 187، 188؛ ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ، ج12، ص104.

(22) جذوة المقتبس ، ص305.

(23) ابن بشكوال : الصلة، ج 2، ص308.

(24) الحميدي : جذوة المقتبس ، ص202.

(25) الحميدي : الجذوة، ص186؛ ابن ماكولا،أبي نصر علي بن هبة الله: الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق : عبدالرحمن بن يحيي المعلمي اليماني أمين مكتبة الحرم المكي، مطبوعات وزارة المعارف للتحقيقات العلمية والأمور الثقافية للحكومات العالية الهندية وبرعاية مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط1،الهند ، 1383هـ ، ج 1، ص467؛ القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير، ، دار مكتبة الحياة، ، ط1 ، بيروت،1967م، ج 7، ص107؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية ، ط7، بيروت،1419هـ، ج 3 ص1058 - العبر في خبر من غبر، تحقيق : أبوهاجر محمد زغلول ، دار الكتب العلمية،بيروت،د. ت،ج3 ص60 - سير أعلام النبلاء، ج 17، ص75؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج 3، ص147 .

النيسابوري في الحديث كالمنتقى، والضعفاء والمتروكين، والآحاد في الصحابة، كما قرأ عليه كتاب رجال الموطأ لابن مُزين[26]، وعبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي القرطبي المشهور بابن الفرضي (ت 400هـ/1009م): روى عنه ابن عبدالبر كل مؤلفاته وسنده فيها من أوثق الأسانيد وأعلاها[27].

خصائص مدرسة ابن عبدالبر النمري الحديثية وسماتها :

نجح الإمام ابن عبدالبر رحمه الله تعالى فى تأصيل مدرسة حديثية لها خصائصها وسماتها ومنهجيتها الصارمة ذات الطابع الحجازي في علم الحديث ورواته بالأندلس ، يتضح ذلك جلياً في مصنفاته ، وقوة منهجية وشهرة طلابه وتلاميذه : فأما عن مؤلفاته في علم الحديث: فقد شهد لعظمتها ابن حزم الظاهري بقوله: " ولصاحبنا ابن عبدالبر كتب لا مثيل لها "[28]، وكذلك ابن سعيد المغربي بقوله: " انظر إلى آثاره تغُنِك عن أخباره "[29]، وقال عنه صاحب الذخيرة: "وتواليفه اليوم تيجان رؤوس العظماء وأسوة العلم والعلماء"[30]، وأثنى عليه ابن خاقان بقوله :" كان موفقاً فيه معاناً عليه"[31] أي التأليف، وامتدح مصنفاته صاحب السير بقوله: " من نظر في مصنفاته بان له منزلته من سعة العلم وقوة الفهم وسيلان الذهن "[32].

كان علم الحديث من المؤلفات التي حظيت باهتمام الإمام ابن عبدالبر كونه السنةَ الشارحةَ لمراد الله عز وجل، وبما أن أهل المغرب والأندلس قد اعتنوا بكتب الصحاح الستة وكتب السنن الأخرى كسنن النسائي وابن ماجة والترمذي، إلا أن جلَّ اهتمامهم انصبّ على موطأ الإمام مالك بن أنس -رحمه الله - كونه إمام دار الهجرة النبوية ، ومذهبه هو المتبع في المغرب والأندلس، فَرُكّزت الشروح والدراسات عليه وعلى غيره من كتب السنة، وعلى هذا سار الإمام المحدث أبو عمر بن عبدالبر ، فاهتم بالموطأ اهتماماً كبيراً ، وقدم دراسات كثيرة عليه ، فجاءت أول مصنفاته في علم الحديث موسوعته: التمهيد لما في الموطأ من المعاني

(26) ابن عبدالبر ،أبوعمر يوسف القرطبي: الاستذكارالجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار ،تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار قتيبة ، بيروت، د.ت، ،ج 1، ص30 ، 31.

(27) ابن عبدالبر:المصدر نفسه، ج 1ص30 ؛ الحميدي : الجذوة ، ص367.

(28) المقري ،أحمد بن محمد : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،، تحقيق :إحسان عباس، دار صادر 1388هـ ، بيروت ، ج 3 ص169، 170.

(29) المغرب : ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى:المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ج 2، ص407.

(30) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م، القسم الثالث ، ج 1، ص125.

(31) أبونصر الفتح بن خاقان: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة،مؤسسة الرسالة،بيروت،1403ه، ص62.

(32) الذهبي: السير ،ج 18 ص157.

والأسانيد[33]: وهو من أجلّ مصنفات ابن عبد البر وأشهرها في الحديث والفقه، وهو شرح لموطأ الإمام مالك رحمه الله، وقد ذكر مؤلفه أنه أمضى قرابة الثلاثين عاماً في تأليفه، مرتباً فيه شيوخ الإمام مالك الذين روى عنهم الحديث على حروف المعجم، مقدماً رواية الإمام يحيى بن يحيى الليثي لأنها المشهورة في الأندلس[34]، وعندما يشرح الحديث يقدم له ترجمة موجزة لرجال السند الذين روى عنهم الإمام مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يورد أقاويل العلماء في تأويل المعاني، ويشرح ما استعجم من الألفاظ مستنداً إلى أقوال أهل اللغة ، وموروداً شواهد من الشعر، ثم يقوم باستنباط الأحكام الفقهية ، ويستوعب أقوال العلماء على اختلاف مذاهبهم[35] وهذا الكتاب رتَّبه ابن عبدالبر على الأسانيد مرتباً إياها على أسماء شيوخ مالك الذين روى عنهم في الموطأ ، وذكر ما رواه عن كل شيخ مرتباً إياه على حروف المعجم؛ ولذا يصعب الوقوف على الأحاديث المرادة منه إلا بعد معرفة الشيخ، ثم رتب الشيوخ على حروف الهجاء على طريقة المغاربة، وهي أيضا تختلف عن ترتيب طريقة المشارقة، فالصعوبة من جهتين: من كونه مرتباً على الشيوخ، ولو كان مرتباً على الأبواب على ترتيب مالك رحمه الله لكان أولى، لكن هذه وجهة نظر الإمام ابن عبد البر، ولما كان التمهيد مرتباً على أسماء شيوخ الإمام مالك ، كان من الصعب الوصول إلى أحاديث الموطأ المشروحة فيه، فضلا عن الوصول إلى آراء فقهاء الأمصار، بحيث يصعب الأمر على المتخصص فضلا عن غيرهم ، فقد يذكر ابن عبد البر المسألة في مواضع عدة من الكتاب، وفي بعض الأحيان يذكرها مرات في المجلد الواحد ، فذكر مثلا تَطيب المُحرِم في: (ج 2ص254) و (ج10ص 16) و (ج15ص 123) و (ج 19ص 302، 309) وحكم إجابة الوليمة في: (ج 1ص 272 ، 273) و (ج2ص 189) و (ج10 ص 187، 179) و (ج14 ص 111، 113)، فإذا أراد الباحث الاطلاع على مسألة فقهية ، فعليه أن يكون ملمَّاً بأحاديث الموطأ التي تتكلم عن المسألة التي يبحث عنها، ثم بعد ذلك يبحث عن مواضع الأحاديث في التمهيد، ولا يتمُّ له ذلك إلا إذا

(33) كتاب مطبوع يقع في نحو أثني عشر جزءاً، حققه الدكتور محمد المغراوي ونشرته مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر، الرياض، 1996م.

(34) هو يحيى بن يحيى بن كثير بن رسلاس الليثي، أصله من البربر من قبيلة مصمودة، فوالى أجداده بني الليث فنسبوا إليهم، والموالاة في اصطلاح أهل الحديث واللغة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ولاء بالعتق، وولاء بالإسلام، وولاء بالحلف؛ رحل إلى المشرق فسمع من مالك بن أنس، وسفيان بن عيينه، والليث بن سعد، إلا أن ملازمته لمالك كانت أكثر وعنه أخذ العلم والفقه، لقّبه مالك بعاقل الأندلس، انتهت إليه رئاسة الفقه بالأندلس وبه انتشر مذهب الإمام مالك فيها = الخشني، أبو عبدالله محمد: أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لوسيا ولويس مولينا، مدريد، 1992م، ص493 ؛ الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم: طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1973م، ص152 ؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 2، ص534 ؛ ابن فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق : محمد الاحمدي، دار التراث للطبع والنشر ، القاهرة، د.ت، ص352 ؛ العرشاني، عبدالحكيم بن محمد البريهي: التعليق النفيس على اختصار علوم الحديث لابن كثير الدمشقي، دار الآثار، ط1، القاهرة، 1428هـ، ص293؛ رضا أبوشامه: يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطأ، مجلة الأصلاح، العدد الثالث، دار النهضه للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص27 .

(35) ابن عبدالبر : التمهيد ، ج 1، ص8- 10.

عـرف شـيخ الإمـام مالـك في الحديـث الـذي يبحـث عنـه ، وإذا كان الحديـث في الموطـأ مذكـورا مـن روايـة شـيخين ، فعليـه أن يرجـع إلى التمهيـد في موضعـين عـلى الأقـل، وإذا كان للمسـألة أكثـر مـن حديـث ، فعليـه أن يرجـع إلى كل الأحاديـث، وفي ذلـك مشـقة لا تخفـى، وقـد لا يجـد مـراده؛ لأن المؤلـف لا يتقيَّـد بذكـر الأحـكام الفقهيـة عـلى مـا ذكره الإمـام مالـك في تراجمـه للأحاديـث، بـل يتكلـم عـن فقـه الحديـث، وعـن دلالتـه سـواء أكانـت واضحـة أو خفيـة في أي موضـع ينشـط فيـه لـسرد مذاهـب الفقهـاء وحججهم، وقـد يـترك ذلـك في بعـض الأحاديـث التـي تبـدو أنهـا أقـرب للمسـألة الفقهيـة، ويختـار لهـا موضعـاً آخـر أقـلَّ وضوحـاً، فقـد يظـن البعـض أن مسـألة أفضـل الأضاحـي مثـلا ذكرهـا المؤلـف عندمـا شرح أحاديـث كتـاب الضحايـا وهـو ظـن متبـادر إلى الذهـن، فـإذا تتبـع أحاديـث كتـاب الضحايـا في التمهيـد فـلا يجـد لهـذه المسـألة ذكـراً؛ لأن المؤلـف ذكـر أفضـل الضحايـا عندمـا شرح حديـث أبـي هريـرة أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: "مَـنِ اغْتَسَـلَ يَـومَ الجُمُعَـةِ غُسْـلَ الجَنَابَـةِ ثُـمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمـا قَـرَّبَ بَدَنَـةً، ومَـن رَاحَ في السَّـاعَةِ الثَّانِيَـةِ، فَكَأَنَّمـا قَـرَّبَ بَقَـرَةً، ومَـن رَاحَ في السَّـاعَةِ الثَّالِثَـةِ، فَكَأَنَّمـا قَـرَّبَ كَبْشًـا أَقْـرَنَ، ومَـن رَاحَ في السَّـاعَةِ الرَّابِعَـةِ، فَكَأَنَّمـا قَـرَّبَ دَجَاجَـةً، ومَـن رَاحَ في السَّـاعَةِ الخَامِسَـةِ، فَكَأَنَّمـا قَـرَّبَ بَيْضَـةً، فَـإِذَا خَـرَجَ الإِمَـامُ حَـضَرَتِ المَلَائِكَـةُ يَسْـتَمِعُونَ الذِّكْـرَ[36]. " وقـد ذكـر مالـك هـذا الحديـث في كتـاب الجمعـة: بـاب العمـل في غسـل الجمعـة، ولـم يحـل ابـن عبـد الـبر عـلى هـذا الحديـث عندمـا تكلـم عـلى أحاديـث الضحايـا كمـا هـي عادتـه، والمؤلـف معـذور؛ لأن طريقـة عـصره لا تخـرج عـن ذلـك، بالإضافـة إلى أنـه يتعامـل مـع الأسـانيد التـي لا ينتظـم فيهـا الموضـوع الفقهـي، ولا يتعامـل مـع الموضوعـات المذكـورة في الموطـأ بسـبب ترتيـب أحاديـث مالـك عـلى أسـماء شـيوخه، هـذا إذا كان البحـث عـن مسـألة واحـدة، أمـا مـن يبحـث عـن موضـوع كامـل فعليـه أن يقـرأ التمهيـد كلـه أو عـلى الأقـل مطالعـة كلّ الأحاديـث التـي تتكلّـم عـن موضـع البحـث ممّـا هـو عـلى شرط المؤلـف في التمهيـد. فالإحـرام الـذي مثّلنـا لمسـألة منـه سـابقاً ذكـره المؤلـف في: (ج 2ص 245 ـ 264) و (ج 4ص 286، 271) و (ج 9ص 58، 59، 124) و (ج10ص 16) و (ج15ص 107، 109، 117، 123، 147 – 151) و (ج17ص 221) و (ج19ص 302، 309، 317) و (ج 21ص 152 ـ 153) والأمثلـة في ذلـك كثـيرة يطـول حصرهـا.

ثـمّ ختـم الكتـاب بالكنـى والبلاغـات واقتـصر في شرحـه عـلى الأحاديـث المرفوعـة، ولـم يتعـرَّض للموقوفـات ولا المقطوعـات ولا أقـوال مالـك، وهـو يرجِّـح تبعـاً للدليـل، ومـن أظهـر المسـائل التـي رجحهـا المالكيـة تفضيـل المدينـة عـلى مكـة، بينمـا نجـد ابـن عبـد الـبر خـرج بتفضيـل مكـة عـلى المدينـة خلافـا لمـا يقولـه إمامـه، لـذا فـإن العلمـاء مـن بعـده ، وطـلاب العلـم أقبلـوا عـلى كتابـه التمهيـد كونـه موسـوعة حديثيـة لهـا خصائصهـا وسـماتها ، تمثلـت في شرح الموطـأ متنـاً وسـنداً، وقـد سـئل ابـن حـزم تلميـذ الإمـام ابـن عبدالـبر عـن التمهيـد فقـال: " لا أعلـم في الـكلام عـلى

(36) رواه البخاري ومسلم

فقه الحديث مثله، فكيف بأحسن منه"[37]، ومن كتبه الحديثية أيضا التقصي لحديث الموطأ وشيوخ مالك[38]: ويسمى أيضاً " بتجريد التمهيد " وقد جمع فيه ابن عبدالبر الأحاديث التي كانت أصلاً لكتابة " التمهيد " وجرّدها مسندة[39] ومرسلة[40] ومتصلة[41] حتى يكون هذا الكتاب – أي التقصي – مدخلاً سهلًا إلى التمهيد ومساعداً على حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعله على أبواب التمهيد حتى يسهل الرجوع إلى أصله – التمهيد – عند حدوث إشكال في علّة أو سوءِ فهم في معنى أو إبهام في وجه من الوجوه، وقد بين الإمام ابن عبدالبر سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله: " وعلمنا أن أكثر الناس من قصرت همته، وضعفت عنايته، ودعاه إلى القناعة بأقل من ذلك طلب راحته، أو ضيق معيشته، رأينا أن نجرد تلك السنن التي جعلناها أصل ذلك الكتاب"[42]، ويتبين من خلال نص ابن عبدالبر أن قلة الهمم على مدارسة التمهيد جعله يضع هذا المصنف المختصر للتمهيد كي يكون مدخلاً سهلاً له، ولأهمية هذا المصنف ألا وهو التقصي، اعتنى بتدريسه وحفظه العلماء وطلاب العلم ، حتى أن الفقيه أبا الوليد الباجي رحمه الله كان يُدّرسه لطلابه ويفضله على غيره من الكتب والشروحات الفقهية لسهولته وإيجاز عبارته[43]، وله كذلك الأجوبة الموعبة في المسائل المستغربة في كتاب البخاري[44]: يشرح فيه الإمام ابن عبدالبر غريب الألفاظ في صحيح البخاري مورداً الشواهد من اللغة العربية، ثم يبسط المعنى العام المراد من كل حديث وما يستفاد منه[45] ، ومن مصنفاته الحديثية أيضا جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله[46]: صنف ابن عبدالبر كتابه هذا إجابة لسؤالٍ من أحد طلابه عن فضل العلم، استهله بجمع طرق

(37) الحميدي : الجذوة ، ص544 ؛ ابن بشكوال : الصلة ،ج 2ص522

(38) كتاب مطبوع يقع في جزء واحد بتحقيق حسام الدين القدسي وطبع مرة واحدة في مصر .

(39) المسند من الحديث هو الذي يرويه المحدث عن شيخ يظهر سماعة منه ليس يحتمله وكذلك سماع شيخه عن شيخه إلى أن يصل الإسناد إلى صحابي مشهور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم = الحاكم، أبو عبدالله محمد النيسابوري: معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1977م، ص17.

(40) المرسل: هو الذي يرويه التابعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم = الحاكم : علوم الحديث، ص24 ؛ السخاوي، شمس الدين محمد: فتح المغيث شرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت ، 1403هـ ، ص136.

(41) المتصل هو ما اتصل إسناده فكان كل واحد سمعه ممن فوقه حتى ينتهي إلى منتهاه = الشهر زوري، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن: علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1977، ص45.

(42) ابن عبدالبر: التقصي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدس، القاهرة، 1350هـ، ص9.

(43) ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، 2ص844 ؛ المعجم في أصحاب الإمام أبي على الصدفي، منشورات دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص67.

(44) ذكره ابن عبدالبر في كتابه الاستذكار إذ كثيراً ما يُعزى إليه ، والكتاب لازال محفظاً = انظر ابن عبدالبر: الاستذكار، ج 2، ص219 ؛ ليث سعود الجاسم: ابن عبدالبر وجهوده في التاريخ، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط2، المنصورة، 1988م، ص113، 114.

(45) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج 4، ص810.

(46) كتاب مطبوع في جزأين، نشرته دار الكتب العلميه، ببيروت، 1398هـ.

حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " طلب العلم فريضة على كل مسلم "[47] ثم يذكر فضل العلم وأهله ، والأحاديث الواردة في هذا المعنى، ورواياتها المتعددة، وفضل تقييد العلم – أي كتابته – وتعلمه منذ الصغر والحث عليه، ثم يذكر الرحلة في طلب العلم والصبر عليها، وما يجب على العالم من العمل في علمه، وأن العلماء هم الغرباء لكثرة الجهال، وما يجب على طالب العلم تعلمه، ويبين مكانة السنة، ودور العلماء في التصدي لأهل البدع والأهواء[48].

ونوجز الكلام على الخصائص الحديثية لابن عبدالبر فى هذا الكتاب في النقاط الآتية:

1 – قدم ابن عبدالبر لكتابه بمقدمة ذكر فيها سبب تأليف الكتاب، كما تقدم.

2 – قسَّم ابن عبد البر الكتاب إلى أبواب كثيرة، وجعل لكل باب عنواناً يحمل إشارة مختصرة لمضمون أحاديث الباب.

3 – لم يقتصر المصنف على ذكر الأحاديث المرفوعات فحسب بل ذكر كذلك الموقوف والمقطوع، فضلاً عن جملة كبيرة من الأشعار المستجادة المتعلقة بموضوع الكتاب، وذكر كذلك مقولات بعض الحكماء، وهو في كل هذا يسوق النصوص بأسانيده، ولكنه مع هذا كان يقف في بعض المواضع ناقدا ومحللاً ومستخلصًا للقواعد العامة من النصوص.

4 – لا يقتصر ابن عبدالبر في إيراده للأحاديث على طريق واحد بل يجمع طرق الحديث التي تسنى له الوقوف عليها، مثال ذلك: قوله في باب قوله صلى الله عليه وسلم: " طلب العلم فريضة على كل مسلم ": قال أبو عمر: هذا حديث يروى عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، كلها معلولة، لا حجة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد، قرأت على أبي القاسم خلف بن القاسم بن سهل الحافظ، أن أحمد بن صالح بن عمر المغربي حدثهم قال: أخبرنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث، وخلف بن القاسم، ثنا أبو صالح أحمد بن عبد الرحمن بن صالح بمصر قال: أخبرنا عبد الجبار بن أحمد السمرقندي قالا جميعا: أنا جعفر بن مسافر التنيسي قال: أنا يحيى بن حسان قال: حدثنا سليمان بن قرم الضبي، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " طلب العلم فريضة على كل مسلم" ثم ساق عدة روايات للحديث، بلغت أكثر من عشر روايات.

(47) أخرجه أبو يعلى في مسنده من حديث أنس بن مالك، ج 5، ص223؛ وانظر الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، تحقيق حمد عبد المجيد السلفي، منشورات مكتبة الزهراء، ط2، الموصل، 1983م، ج 10، ص195– الروض الداني (المعجم الصغير)، تحقيق محمد شكور ومحمود أمين، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م، ج1، ص58 – المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415 هـ، ج 1، ص7 ؛ القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر: مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ج 1، ص135.

(48) ابن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398 هـ، ج 1، ص3.

-5 يعد هذا الكتاب العظيم منهجا تربويّاً متكاملا لتكوين الطالب والعالم، كما أنه قد احتفظ لنا بجملة كبيرة من أقوال أئمة السلف في العلم وفضله ، وآداب طلبته وطرق تحصيله، ولأن المصنف محدث وفقيه ، فقد ظهرت اهتماماته التربوية في الغالب في شكل حقائق وأحكام فقهية مدعومة بالأدلة من الكتاب والسنة ، وهي من أهم سمات كتاباته رحمه الله.

وله كذلك رسالة الزيادات التي لم تقع في الموطأ عند يحيى بن يحيى ورواها غيره في الموطأ وهي عبارة عن رسالة صغيرة أشار فيها الإمام ابن عبدالبر إلى الزيادات التي لم يذكرها يحيى بن يحيى الليثي رحمه الله في روايته للموطأ[49]، وإنما ذكرها غيره من رواة الموطأ، وقد رتب الرواة فيها على حروف المعجم كما فعل مع كتابيه "التمهيد والتقصي"، وكتاب الشواهد في إثبات خبر الواحد[50]: واستدل الإمام ابن عبدالبر فيه على العمل بخبر الواحد ووجوب العمل به وقبوله إذا كان عدلاً، مبيناً الآثار والحُجج في إثبات خبر الواحد من الكتاب والسنة ودلائل الإجماع والقياس، مستدلاً بحديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُقبّل زوجاته وهو صائم[51]، فبين الحديث أن خبر أم سلمة في قوله صلى الله عليه وسلم " ألا أخبرتيها أني أفعل ذلك " يجب العمل به، وكذلك خبر المرأة لزوجها[52]، والأدلة في قبول خبر الواحد كثيرة لا مجال لحصرها هنا.

ولابن عبدالبر مصنفات أخرى في علم الحديث لم يبق إلا ذكرها في كتب التراجم والسير ومنها: كتاب حديث مالك خارج الموطأ[53] واختصار كتاب التحرير[54]

(49) ومن هذه المرويات للموطأ والتي بلغت قرابة الثلاثين رواية، رواية أبي مصعب الزهري المدني 242 هـ، ورواية محمد بن الحسن الشيباني، 189هـ، ورواية أبو عبدالله عبدالرحمن بن القاسم العتاقي 191هـ = الزهري، أبو مصعب المدني، الموطأ للإمام مالك، تحقيق بشار عواد ومحمود محمد، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1998م، 1ص37 ، 38 ؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي،، ترجمة نبيه فارس وآخرون، بيروت، 1965م، 3ص 278 – 282.

(50) لازال مخطوطاً في جزء واحد = انظر، سليمان بن صالح الغصن: عقيدة ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996م، ص49.

(51) ابن عبدالبر: الاستذكار، ج 10، ص53، 54، وهذا نص الحديث: روى الإمام مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار: " أن رجلاً قبل امرأته وهو صائم في رمضان، فوجد من ذلك وَجْداً شديداً، فأرسل امرأته تسأل عن ذلك، فدخلت على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لها، فأخبرتها أم سلمة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبل وهو صائم، فرجعت فأخبرت زوجها بذلك، فزاده ذلك شراً، وقال: لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم، الله يحل لرسوله الله صلى الله عليه وسلم ما شاء، ثم رجعت امرأته إلى أم سلمة، فوجدت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لهذه المرأة؟ فأخبرته أم سلمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبرتيها أني أفعل ذلك ؟ فقالت: قد أخبرتها، فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شراً، وقال : لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم، الله يحل لرسوله صلى الله عليه وسلم ما شاء ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: والله إني لاتقاكم لله، وأعلمكم بحدوده".

(52) ابن عبدالبر: المصدر نفسه، ص 47، 48 ، القاضي عياض: ترتيب المدارك،ج 4، ص810.

(53) القاضي عياض: المصدر نفسه ، ج 1، ص 200.

(54) المصدر نفسه، ج 3، ص 810.

واختصار كتاب التمييز لمسلم[55] والاستظهار في طرق حديث عمار[56] وعوالي ابن عبد البر في الحديث[57] ومسند ابن عبدالبر[58]، ووصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل[59].

أما عن السمة الأخرى لمدرسة ابن عبدالبر الحديثية فتتمثل في شهرة وعلم طلابه وتلاميذه، فابن عبدالبر حامل لواء الحديث في الأندلس ، وعلمٌ يتسابق طلبة العلم للقائه والسماع منه ، والأخذ عنه؛ لذا قصده الداني والقاصي رجاء التلقي عنه ، ونيل إجازته لما اتسم به من سعة الاطلاع ، وقوة الحفظ وغزارة التصنيف، وحيازته مؤلفات شيوخه، لذا كان محط أنظار طلاب العلم من كل أصقاع بلاد الإسلام، ومن لم يدركه سعى للقاء من تتلمذ على يديه، فظهرت مدرسة حديثية كبرى إمامها ابن عبدالبر شرق الأندل ،س عُمّرت بها حواضر الأندلس كلها ، وطال تأثيرها حتى بلاد المغرب، وقد أنجبت هذه المدرسة تلامذة نجباء، امتلأت بهم كتب التراجم من شتى أرجاء البلاد الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية، ولكثرة هؤلاء التلاميذ سأقتصر على الخواصّ منهم ممن كان ملازماً وقوي الصلة بشيخه الإمام ابن عبدالبر، فمن أبرزهم (أبو الحسن طاهر بن مفوِّز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطبي) من خاصة تلاميذ الإمام ابن عبدالبر، لزم شيخه مدة وإليه انتهى علم ابن عبدالبر وعُدَّ سنده أعلى الأسانيد ، ومروياته عن شيخه ابن عبدالبر أوثق الروايات، كما أنه الوحيد الذي نقل أصح ماروي عن ولادة شيخه الإمام ابن عبد البر وذلك بقوله: " أرانيه الشيخ – ويقصد ابن عبدالبر – بخط أبيه عبدالله بن محمد رحمه الله "[60]، وهو كذلك الذي صلى على ابن عبدالبر عند وفاته، كل ذلك يدل على قوة صلته بشيخه وحبه له، وقد اشتهر ابن مفوّز بحفظ الحديث وإتقانه مع تقوى ووقار وسمت وورع، توفي لأربع خلون من شعبان سنة 484 هـ - 1091م[61]، ومن خاصة تلاميذه أيضاً (أبو علي حسين بن محمد الغساني الجياني) وهو من جهابذة الحفاظ، ومن أكمل المحدثين علماً بالحديث، ومعرفة بطرقه، وحفظاً لرجاله، أكثر النقل عن

(55) محمد بن الحسن الحجوري: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تحقيق عبد العزيز القاري، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، 1396 هـ، ج 2، ص213.

(56) أحال إليه ابن عبدالبر في كتابه الاستيعاب عند حديثه عن الصحابي الجليل عمار بن ياسر، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم له: " تقتلك الفئة الباغية " = ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ، بيروت،1412ه،ج 2، ص 448.

(57) القاضي عياض: الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تحقيق زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 1402م، ص94.

(58)ابن الآبار ، أبو عبدالله محمد بن عبد الله القضاعي: المعجم في أصحاب الإمام أبي على الصدفي، منشورات دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص320.

(59) الكتاني، محمد بن جعفر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق محمد المنتصر، دار البشائر الإسلامية، ط4، بيروت، 1986م، ص15.

(60) ابن بشكوال : الصلة، 2 ص522 ، 523.

(61) الذهبي: تذكرة الحفاظ، 4ص1222.

شيخه ابن عبدالبر رواية وإسناداً ولازمه في دانية فترة طويلة، فما من كتاب روي بسند عن ابن عبدالبر إلا كان أبو علي الغساني راويةً له، وقد ذكر السُّهيلي صاحب كتاب – الروض الأُنُف – أن أبا عمر بن عبدالبر قال لتلميذه أبي علي الغساني: " أمانة الله في عنقك متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة لم أذكره ، إلا ألحقته في كتابي الذي في الصحابة – يعني الاستيعاب"[62]، فكان أبو علي الغساني خير حافظ لعلم أُستاذه، وخيرُ مُبلّغ لعلمه من بعده[63] توفى سنة 498هـ – 1104م[64]، ومن تلامذته أيضا (أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن عتّاب القرطبي) وهو كذلك من خواص الإمام ابن عبدالبر وملازميهم، أخذ عنه كل علمه ومصنفاته، قال عنه صاحب كتاب الصلة: " هو آخر الشيوخ الأجلة الأكابر بالأندلس في علو الإسناد وسعة الرواية "[65]، ولسعة علمه صارت الرحلة إليه في طلب العلم، توفى سنة 520 هـ – 1126م عن عمرٍ ناهز سبعةً وسبعين عاماً([66]) كما أخذ عن ابن عبدالبر (أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فُتُوح بن عبدالله الأزدي الحُميدي الميورقي الأندلسي) رحل إلى شرق الأندلس مع والده وهو ابن خمس سنين ليسمع من العلماء، فالتقى في مملكة مجاهد العامري بكبار أهل العلم كابن عبدالبر وابن حزم، وأخذ عنهما الحديث والفقه، إلا أن سماعه من ابن حزم كان أكثر، رحل إلى المشرق سنة 448 هـ – 1056م متجهاً إلى بغداد، فبقي فيها حتى وفاته سنة 488 هـ – 1095م[67] كما أخذ عنه تلميذه وصديقه (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري) والذي حل بمملكة مجاهد العامري بعد أن ضيق عليه الفقهاء والسلاطين وحرقوا كتبه، ومنعوا الناس من السماع له، فالتقى بابن عبدالبر فأخذ عنه الحديث[68]،

(62) عبدالرحمن السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل،دار الكتب الإسلامية، القاهرة،1387ه، 3 ص445 ؛ ابن عبد الهادي،أبو عبدالله محمد بن أحمد الصالحي: طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1986م ، 4ص7.

(63) اليافعي، أبي محمد عبدالله بن أسعد اليمني : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان،علق عليه: خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت،1417هـ ، ص161؛ المقري،أحمد بن محمد التلمساني:أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق أحمد السقا وإبراهيم الأبياري، القاهرة، 1940م، 3ص149؛ مخلوف: شجرة النور الزكية، ج 1، ص128.

(64) ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص130 ؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك ، ج 8، ص192.

(65) ابن بشكوال: المصدر نفسه ،ج 2، ص284.

(66) الونشريسى ، أبوالعباس أحمد بن يحيي التلمساني: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ، 1981م ، ج 1، ص479.

(67) ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق: إحسان عباس،دار صادر ، بيروت،1398ه،ج 4ص282 ؛ كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي،ج 6 ص103، 104 ؛ عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1984م، ج 4، ص723.

(68) الذهبي: السير ،ج 18، ص185 ؛ القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج 4، ص809.

ونقل كثيراً من مروياته في كتبه[69]، توفى سنة 456هـ - 1063م[70] وروى عن ابن عبدالبر كذلك(أبو القاسم بن عبدالله بن سعيد بن عباس بن مدير الأزدي توفي سنة 495 هـ - 1101 م) وكان خطيباً للمسجد الجامع بقرطبة، قصد شرق الأندلس لطلب الحديث من محدث عصره الإمام ابن عبدالبر رحمه الله[71] وسمع منه أيضاً (أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن القرطبي) يُعرف بابن الحشّا ، وهو من بيت علم وفضل ونباهة وفهم، نزل دانية لأخذ العلم عن الأكابر فيها، فأخذ الحديث عن ابن عبدالبر ثم حلّ بطليطلة ، وتولى القضاء فيها زمن المأمون بن ذى النون، وفي سنة 460 هـ 1067-م رجع إلى شرق الأندلس حتى وفاته سنة 473 هـ1080- م[72]، وأخذ عنه كذلك (أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله القضاعي) من أهل أُنده دار القضاعيين بالأندلس إلا أنه سكن مدينة مربيطر قرب بلنسية ، وكان يُعرف بابن خيرون رحل إلى شرق الأندلس للسماع من الأئمة الكبار أمثال أبي الوليد الباجي وابن عبدالبر والوقشي، إلا أن ملازمته لابن عبدالبر كانت أطول فأخذ عنه الحديث وقرأ عليه موطأ الإمام مالك، ثم رجع إلى مدينة مربيطر وتولى القضاء فيها حتى وفاته سنة 510هـ - 1116م[73]، كما تتلمذ على يديه ابنه(أبو محمد عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري)، أخذ عن أبيه العلم حتى صار مقدماً فيه، وصفه صاحب الجذوة بقوله: " كان من أهل الأدب البارع والبلاغة الرائعة، والتقدم في العلم والذكاء "[74]، شغل منصب الوزارة عند المعتضد بن عباد، ثم استقدمه والده إلى دانية بعد أن ساءت العلاقة بين ابنه والمعتضد، وكان الأخير قد سجنه فشفع له والده فأُطلق سراحه ،فتولى منصب كاتب الرسائل لعلي إقبال الدولة بن مجاهد العامري، توفى بدانية قبل والده بسنوات، وذلك سنة 458 هـ - 1065م[75]، ومن طلابه أيضا (أبوبكر محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن إسحاق بن مهلب القرطبي) من بيت وزارة وجلالة، وكانت له عند ملوك الطوائف مكانة، أخذ العلم عن كبار الشيوخ في قرطبة أمثال ابن الفرضي وابن الحذّاء، إلا أنه اختص

(69) ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1416هـ ،ج 4، ص74 – 112 - الإحكام في أصول الأحكام: تحقيق محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، 2005 هـ ، ج 8، ص 1070 – 1074.

(70) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م ، القسم الأول، ج 1، ص168.

(71) ابن بشكوال : المصدر نفسه ، ج 1، ص153.

(72) ابن بشكوال : الصلة ، ج 2، ص280.

(73) ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1995م ، ج 3 ص242 ؛ شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ ، ج 3، ص43.

(74) الحميدي ،الجذوة، ص384.

(75) ابن سعيد المغربي،أبوالحسن علي بن موسى: المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ج 2 ص402 ؛ ابن خاقان: قلائد العقيان، ص435 ؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 17، ص694 ؛ ابن الآبار: أعتاب الكتاب، تحقيق وتعليق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط1، دمشق، 1961م، ص221.

بابن الفرضي وأكثر السماع والرواية له، ثم رحل إلى شرق الأندلس ونزل مملكة دانية سنة 432 هـ - 1040م وطلب علم الحديث عند الإمام بن عبدالبر وقرأ عليه كتابه – التقصي – ولازمه حتى وفاته سنة 450هـ - 1058م[76] وأخذت عنه كذلك ابنته زينب بنت يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، سمعت من أبيها كثيراً وسكنت معه شرق الأندلس في كنف مملكة مجاهد العامري، أجازها أبوها بكل مؤلفاته وكانت من صوالح النساء وعالماتهن[77].

ومما سبق يتضح الآتى :

أولا : أن ابن عبدالبر تتلمذ على يديه العديد من الطلاب منهم من تقلد مناصب رسمية في عدد من دويلات الطوائف ، مما كان له أكبر الأثر فى رواج مدرسة ابن عبدالبر الحديثية الأثرية الصارمة في كل بلاد الأندلس.

ثانيا : كان من جملة تلاميذه من عمل بالقضاء ، وبالخطابة فى المساجد الجامعة، وهو ما يعطى تأصيلا أكثر ورواجا وانتشارا لمدرسة ابن عبدالبر الحديثية التي لها خصائصها وسماتها.

المبحث الثاني
مدرسة الإمام الحميدي الميورقي الحديثية وأثرها في ازدهار علوم الحديث في الأندلس

لقد ازدهرت المدرسة الحديثية على يد الحميدى الميورقي كونه جمع عِلم حافظين كبيرين من حفاظ الأندلس وهما الفقيه المحدث ابن عبدالبر النمري ، والفقيه المحدث ابن حزم الظاهري، وسلك الحميدى في تأصيل مدرسة الحديث مسلك شيوخه وأساتذته من خلال التأليف والتدريس، فهو أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحُميدي الميورقي: 420 – 488 هـ / 1029 – 1095م ، اعتنت به أسرته منذ نعومة أظفاره ، تتلمذ بداية على والده فُتُّوح الحميدي أحد أعلام مدرسة علم الحديث في جزيرة ميورقة - أحد جزر البليار الشهيرة والواقعة قبالة ساحل مدينة دانية شرق الأندلس - فكان والده يحمله إلى مسجد مدينة ميورقة وهو ابن خمس سنين وذلك سنة 425هـ - 1033م ، للسماع من الشيوخ والعلماء، فكان تأثيره عليه كبيراً[78]، ومن جملة من أخذ عنهم الحميدي الحديث في الأندلس(قاسم بن أصبغ) الذى قال عنه الحميدى " فأول ما سمعت من الفقيه أصبغ بن راشد، وكنت أفهم ما يُقرأ عليه[79]، (وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد

(76) ابن الآبار : التكملة ، ج 1، ص315.

(77) المصدر نفسه ، ج 4، ص253.

(78) ابن الأبار: التكملة، ج 2 ص113.

(79) الحموي ، شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 1993م ،ج 6، ص2599 ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ،ج 33، ص282 ؛ ابن عبد الهادي، أبوعبدالله محمد بن أحمد : طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1986م ،ج 3، ص409.

بن حزم الظاهري)؛ وهو من كبار شيوخ الإمام الحميدي، لقيه بميورقة بعد أن استقدمه إليها عاملها أحمد بن رشيق فلازمه الحميدي طويلاً وأكثر الأخذ عنه واشتهر بصحبته، فكان تأثير الإمام ابن حزم عليه عظيماً في مسائل الاعتقاد والشغف بعلم الحديث والابتعاد عن التقليد[80]، (وأبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر)؛ النمري محدث الأندلس وفقيهها أخذ عنه الحميدي كل رواياته في الحديث والفقه وأجازه ابن عبدالبر بذلك وفي ذلك، يقول الحميدي: " وقد لقيناه – أي ابن عبدالبر – وكتب لنا بخطه في فهرسة مسموعاته ومجموعاته، مجيزاً لنا وكاتباً إلينا بجميع ذلك كله"[81] و (أبو مروان عبدالملك ابن سليمان الخولاني الميورقي)؛ قال عنه الحميدي" سمعنا منه الكثير وكان شيخاً صالحاً، توفي رحمه الله في جزيرة ميورقة سنة 440 هـ"[82]، و(أبو عمر أحمد بن اسماعيل بن دليم الجزيري)؛ من قضاة ميورقة، اشتهر بالحديث، قال عنه الحميدي " سمعنا منه قبل الأربعين وأربعمائة "[83] توفي سنة 440 هـ 1048-م[84].

خرج الحميدي من الأندلس استكمالاً لطلب العلم بعد أن نال من العلم ما يمكن أن يتيحه له بلده، وكان وقت خروجه سنة 448 هـ - 1056م كما ذكر ذلك الحميدي عند ترجمته لشيخه الإمام ابن عبدالبر في كتابه الجذوة[85]، ووصف الإمام الذهبي وغيره هذه الرحلة بقولهم: " وسمع الكثير ورحل وتعب وكان من كبار الحفاظ "[86].

وقد سمع الحميدى في رحلته العلمية للمشرق الكثير من علماء الحديث بمصر وبغداد وواسط ودمشق ومكة ومن أشهرهم أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي؛ قاضي مصر[87] والشيخة العالمة الفاضلة المسندة أم الكرم كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية[88]، والحافظ

(80) ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله: تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج 55، ص77 ؛ الحموي : المصدر نفسه ، ج 6، ص2599 .

(81) الحميدي : جذوة المقتبس، ص 546.

(82) المصدر نفسه، ص411.

(83) المصدر نفسه، ص171.

(84) ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص57.

(85) الحميدي: الجذوة، ص544.

(86) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 33، ص281؛ ابن عساكر: المصدر نفسه، ج 55، ص 80 ؛ ابن عبد الهادي: المصدر نفسه، ج 3، ص409 ؛ الحموي : المصدر نفسه، ج 6، ص2599؛ المقري: نفح الطيب، ج 2، ص 112، 113؛ الحنبلي : شذرات الذهب، ج 3، ص392.

(87) السبكي، تاج الدين بن علي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1976م، ج 4، ص150؛ الوادي آشي، محمد بن جابر: برنامج الوادي آشي، تحقيق = محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1980م، ص521؛ الوادي آشي، أحمد بن علي: ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، تحقيق عبدالله العمراني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1403هـ، ص548.

(88) نسبة إلى مرو الشاهجان، وهي مرو العظمى أشهر مدن خرسان وقصبتها والنسبة إليها مروزي = الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م ،ج 5 ص113-112.

الكبير أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي[89].

خصائص مدرسة الحميدي الميورقي الحديثية وسماتها :

باستقراء مصنفات الإمام الحُميدى رحمه الله تتضح خصائص مدرسته الحديثية وسماتها، ومنهجيته العلمية في التصنيف والتأليف ذات التأثير المشرقي ، فنجد أن من أشهر مؤلفاته في علم الحديث كتابه:(الجمع بين الصحيحين "البخاري ومسلم) [90]: بدأه بالحديث عن السنة ومكانتها وعن جهود العلماء في جمع الحديث وعن الإمامين الجليلين – البخاري ومسلم – وتقدُّمهما في ميدان علم الحديث، ثم بيَّن أنه أراد تجريد ما في الصحيحين (صحيح البخاري وصحيح مسلم) من متون الأخبار ونصوص الآثار، وتلخيص ذلك في كتاب واحد مع جمع مفترقهما وحفظ تراجمهما، ثم ذِكْرِ أهم الأسس التي قام عليها كتابه الموسوم "بالجمع" من تجريد للإسناد إلا ما تدعو الضرورة إليه، وإضافة نُبذ ممّن خرَّج للصحيحين من المتقدمين، وجمع حديث كل صحابي على حدة ممّيزاً بين ما اتفق عليه الشيخان وما انفرد به كل واحد منهما، وقد قسم الإمام الحميدي كتابه – الجمع بين الصحيحين – إلى خمسة أقسام في كل قسم يبدأ بذكر المسانيد التي اتفق عليها الشيخان بخاري ومسلم، ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم من ذلك المسند، وجاء هذا التقسيم على النحو الآتي:

القسم الأول: مسانيد العشرة المبشرين بالجنة بدءاً بمسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم الخلفاء الثلاثة بعده رضي الله عنهم ثم سائر العشرة رضوان الله عليهم أجمعين.

القسم الثاني: مسانيد المقدَّمين من الصحابة بعد العشرة المبشرين بالجنة ابتداءً بمسند عبدالله بن مسعود وانتهاءً بمسند سلمة بن الأكوع رضي الله عنهم وعدد الصحابة في هذا المسند ثلاثة وستون صحابياً.

القسم الثالث: فهو لمسانيد المكْثِرين من الصحابة وهم ستة: عبدالله بن عباس، وعبدالله ابن عمر بن الخطاب، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأبو سعيد الخُدْري، وأنس بن مالك، وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين، وهذا المسند هو القسم الأكبر من الكتاب وفيه ما يقرب من 1797 حديثاً من 3574 حديثاً من مجموع أحاديث الجامع.

القسم الرابع: جعله الحميدي لمسانيد المُقِلّين من الصحابة وهم أربعون صحابياً ابتدأهم بالعباس ابن عبدالله رضي الله عنه وختمه بأبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

القسم الخامس والأخير من الكتاب: فهو لمسانيد النساء، بدأه بمسند عائشة

(89) هو الوزير القدير أبوالقاسم علي بن الحسن، المعروف بابن المسلمة وزير الخليفة القائم بأمر الله، قتل على يد أعوان العبيديين الزاعمين أنهم من نسل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم = الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي: تاريخ بغداد وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها وواردیها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001م، ج 1، ص ص31 – 32.

(90) كتاب مطبوع في أربعة أجزاء بتحقيق علي حسين البواب، نشرته دار ابن حزم، الرياض، 1414هـ.

أم المؤمنين رضي الله عنها وهو أطول المسانيد، ثم مسند فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مسانيد سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الصحابيات التي اتّفق الشيخان على الإخراج لهنَّ وعددهن كلهن أربع وعشرون رضي الله عنهن أجمعين، ثم بعد ذلك أورد الحميدي في هذا القسم ستة مسانيد للصحابيات اللاتي انفرد بهنّ البخاري دون مسلم، وسبعة مسانيد للصحابيات اللاتي انفرد بهن مسلم دون البخاري[91].

تبوّأ كتاب (الجمع بين الصحيحين) مكانة خاصة بين كتب الحديث، وارتبط اسم مؤلفه به، فلا يكاد يُذكر الحميدي إلا وقيل صاحب الجمع بين الصحيحين، وكان آخر ما اشتغل به مؤلفه، قال تلميذ الحميدي محمد بن طرخان: "فاشتغل الحميدي بالصحيحين إلى أن مات"[92]، وقال عنه ابن بشكوال: "ولأبي عبد الله كتاب حسن جمع بين صحيحي البخاري ومسلم أخذه الناس عنه"[93]، ووصفه ابن الجوزي بقوله: " فصار كتابه لِقَدْرِهِ في نفسه مقدماً على جميع جنسه"[94] وأشاد به ابن الأثير قائلا: "واعتمدت في النقل من كِتَابَي البخاري ومسلم على ما جمعه الإمام أبو عبد الله الحميدي في كتابه، فإنه أحسن في ذكر طرقه، واستقصى في إبراز رواياته، وإليه المنتهى في جمع هذين الكتابين"[95]، وله كذلك تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم[96]: شرع فيه مؤلفه بعد الفراغ من كتابه "الجمع بين الصحيحين" وفي ذلك يقول الحميدي رحمه الله: " فإننا لما فرغنا بعون الله وتأييده إيانا من كتابنا الجمع بين الصحيحين الذي اقتصرنا فيه على متن الأخبار بالحفظ والتذكار أردنا أن نفسره بشرح الغريب الواقع أثناء الآثار فلا يتوقف المستفيد له من مطالعته ولا ينقطع بالتفتيش لما أشكل عليه في دراسته "[97].

وتكمن أهمية كتاب الحميدي هذا كونه شرحاً وتفسيراً للألفاظ الغريبة والمبهمة في الصحيحين مرتباً إياه على المسانيد التي اختارها في كتابه الجميع بحيث جعل لكل مسند بياناً خاصاً به في شرح غرائب ألفاظه "[98].

(91) الحميدي: الجمع بين الصحيحين " البخاري ومسلم "، تحقيق علي حسين البواب، دار ابن حزم، الرياض، 1414 هـ، ج 1، ص ص 10 – 12.

(92) الذهبي : السير ،ج 19، ص125.

(93) الصلة ،ج 2، ص439.

(94) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، منشورات مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ص285.

(95)جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، منشورات مكتبة الحلواني، دمشق، 1389 هـ، ج1، ص55.

(96) كتاب مطبوع في جزء واحد بتحقيق الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز.

(97) الحميدي: تفسير غريب ما في الصحيحين، تحقيق زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، منشورات مكتبة السنة، ط1، القاهرة، 1995م، ص33.

(98) محمد بن زين العابدين رستم: المدرسة الأندلسية في شرح الجامع الصحيح من القرن الخامس الهجري إلى القرن الثامن الهجري، منشورات جامعة القاضي عياض، المغرب، د.ت، ص15.

وأما عن الطريق الثانى فى تأصيل مدرسة الحميدى الحديثية - بعد طريق التأليف والتصنيف- التى كانت امتدادا لجهود شيوخه: ابن عبدالبر وابن حزم الظاهري ؛ فتتمثل فى طلابه وتلاميذه، فقد نال الإمام الحميدي شهرة واسعة بالأندلس وخارجها، وصارت له مكانة عظيمة في بغداد ، فسعى إليه طلاب العلم من كل مكان وشارك في الحياة العلمية والتأليف مما يؤكد على حقيقة مهمة وهى انتشار منهجه إلى خارج بلاده الأندلس ، فمن طلابه الذين أخذوا عنه من خارج الأندلس(علي بن هبة الله بن علي بن جعفر المشهور بالحافظ أبي نصرين ماكولا) صاحب كتاب " الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب " [99]، و (أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الجلاّبي الواسطي) ؛ أجازه الحميدي بواسط بكل مروياته وكان الجلاّبي قاضياً ونائباً للحكم بواسط، توفى سنة 542هـ1147-م[100]، و(أبو علي حسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفي السرقسطي الأندلسي)؛ تولى قضاء مرسية ثم طلب إعفاءه منه فأعفي، وأقبل على نشر العلم وتأليفه، استشهد في وقعة " قتندة" التى دارت قرب سرقسطة ضد الفونسو المحارب لست بقين من ربيع الأول سنة 514 هـ - 1120م وله نحو من ستين سنة[101]، و(أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجى القرشي العبدري الميورقي الأندلسي) نزيل بغداد ؛وهو من أعيان الحفاظ ومن فقهاء الظاهرية "[102].

خلاصة القول أن الازدهار الكبير الذي وصل إليه علم الحديث في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي - عصر تطور العلوم وازدهارها-، كان نتيجة عوامل عدة، أبرزها وفرة العلماء الأفذاذ في هذا العصر ، وشيوع جهودهم الحثيثة العظيمة تدريساً وتأليفاً في دفع الحركة العلمية في بلادهم الأندلس؛ كل ذلك أسهم في تطور الدراسات الحديثية وازدهارها في كل الأندلس ، بل وصل هذا التأثير والازدهار شرق بلاد المسلمين وغربها ، فذاع صيتهم ، وأثنى عليهم العلماء ، وسارت بذكرهم الركبان ، فقصدهم العلماء وطلاب العلم من شتى البقاع ليس الأندلس فحسب ، بل حتى من خارجها ، وليس أدل على ذلك من الإرث العظيم الذي تركه أولئك العلماء من مصنفات في الحديث وعلومه لاتزال المكتبة الإسلامية زاخرة بها إلى وقتنا الحاضر

(99) البغدادي، محمد بن عبدالغني: التقييد لمعرفة رواة المسانيد، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1408 هـ، ص418 ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج 43، ص264 ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 33، ص281.

(100) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج 4، ص116.

(101) ابن بشكوال: الصلة، ج 1، ص130 – 132؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج 4، ص1254.

(102) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج 4، ص1273.

الخاتمة

هذا وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- **إن الاستقرار السياسي الذي شهدته الأندلس خلال القرن الرابع الهجري وعناية أمراء بني أمية بالعلوم وإربابها سيما العلوم الشرعية ساهم بشكل كبير في تطور العلوم وازدهارها في شتى ربوع الأندلس كان من خصائصها وفرة العلماء وغزارة ما رووه من دراين ومؤلفات تشهد لها كتب التراجم وفهارس الشيوخ التي تؤرخ لتلك الحقبة.**
- **اتضح أن دخول كتب الحديث في وقت مبكر لبلاد الأندلس عن طريق طلبة العلم والتجار ككتاب الموطأ للإمام مالك رحمه الله برواياته المختلفة قد مهد لدخول كتب علوم السنة المشهورة كالصحيحين البخاري ومسلم، تم تبعتها كتب الحديث الأخرى كالمسانيد والسنن، الأمر الذي ساهم في تكوين مدرسة حديثية كبرى في الأندلس عنت بنسخ كتب الحديث وشرحها، فتكونت مدرسة فقهية حديثية كبيرة بلغ صيتا شرق بلاد الإسلام وغربها من حيث وفرة العلماء وقوة المصنفات الحديثية وتأثرها بمدرسة الحديث في الشرق الإسلامي.**
- **ان بعض المدن والحواضر الأندلسية خاصة قرطبة امتازت عن غيرها من الحواضر الأندلسية في احتضان ثلة من العلماء والمحدثين باعتبارها تمثل قلب الأندلس وعاصمة الخلافة إضافة إلى مكانتها وشهرتها، كان له الأثر الكبير في وفرة العلماء في شتى الفنون والمعارف لاسيما علم الحديث والرواية فنشأت فيها مدرسة حديثية كبيرة لها خصائصها وسماتها تبوأت مكانة كبيرة لدى الحكام والعامة وصارت مقصدا لطلبة العلم في شتى الفنون والمعارف.**
- **ان الحكام الأندلسيون خلال عصر الخلافة او عصر الطوائف كانوا يسندون كثيرا من الوظائف في القضاء والفتية والتدريس لكبار العلماء ما كان لهم الأثر العظيم في شهرتهم وذيوع صيتهم ليس في الأندلس فحسب بل في كل بلاد المغرب ذلك الوقت فقصدهم طلاب العلم من الأندلس وخارجها للأخذ عنهم أمثال ابن عبد البر المالكي عالم الأندلس ومفتيها في زمانه.**
- **تبين كذلك ان شرق الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية وتفرق الناس عن قرطبة بسبب الفتنة والاقتتال، كانت وجهت العلماء والصلحاء إليها وذلك لحرص من تولى الحكم فيها من الفتيان العامرية على استقطاب العلماء من كل الفنون خاصة الشرعية منها فكان نصيبها من العلماء وافر أمثال الحميدي الميورقي، وابن عبد البر المالكي وغيرهم.**
- **اتضح ان رجال المدرسة الحديثية في الأندلس امتازوا بالموسوعية في الحصيلة العلمية، ما جعلهم على بصيرة ودراية تامه بعلوم غيرهم من العلماء في بلاد الإسلام ذلك الوقت، ما أعطاهم الأهلية في البحث والتقصي والاجتهاد، فبرز منهم علماء أجلاء في ميدان الدراسات الحديثية سارت بذكرهم الركبان، وساهموا بشكل بارز في تطور مدرسة علوم الحديث وازدهارها في كل بلاد الأندلس والمغرب، ولعلى المكتبة الحديثية الأندلسية في الوقت الحاضر خير شاهد على مدى تفوق ونبوغ أهل الأندلس في ميدان علوم الحديث والدراسات الحديثية.**

مصادر ومراجع البحث

اولاً: المصادر:

1. ابن الآبار: أبو عبدالله محمد بن عبد الله القضاعي (ت:658هـ/1259م).
- الحلة السِّيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
- المعجم في أصحاب الإمام أبي على الصدفي، منشورات دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
- أعتاب الكتاب، تحقيق وتعليق صالح الأشتر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط1، دمشق، 1961م.
- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1995م.
2. ابن الأثير : عزالدين علي (ت:630هـ/ 1232م):
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، منشورات مكتبة الحلواني، دمشق، 1389 هـ.
3. ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن (ت: 597هـ/1200م):
- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، منشورات مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت.
4. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبدالله (ت: 776هـ/ 1374م):
- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام: نحقيق ليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية ، ط 2، بيروت ،1956م.
5. ابن الفرضي، أبو الوليد عبدالله بن محمد (ت: 403هـ/1012م):
- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبدالرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م.
6. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت: 438هـ/1046م):
- الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 1997م.
7. ابن بسام الشنتريني (ت: 542هـ/1147م):
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م.
8. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 528هـ/1183م):
- كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهوا ري، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.
9. ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن (ت: 597هـ/1200م):
- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، منشورات مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.
10. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت: 456هـ/1063م):

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1416هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، 2005 هـ.
11. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت:808هـ/ 1408م) :
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق ومراجعه خليل شحاده وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م.
12. ابن خلكان، أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت681ه):
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق: إحسان عباس،دار صادر ، بيروت،1398ه
13. أبونصر ، الفتح بن خاقان(ت529ه/1135م):
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة،مؤسسة الرسالة،بيروت،1403ه
14. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت: 685هـ/1286م) :
- المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م.
15. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف القرطبي (ت: 463هـ/ 1070م):
- التقصي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدس، القاهرة، 1350هـ.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، حققه الدكتور محمد المغراوي ،منشورات مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر، الرياض، 1996م.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحملته ، ، نشر المكتبة السلفية ، المدينة النورة، 1968م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل ، بيروت،1412ه.
- الكافي في فروع المالكية، تحقيق :محمد ولد ماديك الموريتاني ، منشورات مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، 1398 هـ
16. ابن عبد الهادي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الصالحي (ت: 744هـ/ 1343م) :
- طبقات علماء الحديث، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1986م.
17. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت: 571هـ/ 1175م):
- تاريخ دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، د.ت
18. ابن فارس، أحمد بن زكريات (ت: 395هـ/1004م):
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، القاهرة، د. ت.
19. ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين (ت: 779هـ/ 1377م) :

- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن يحيى الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996م.
20. ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي (ت: 774هـ/ 1372م) :
- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.
21. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مكرم (ت: 711هـ/1311م) :
- لسان العرب، منشورات دار صادر، بيروت، د.ت.
22. ابن ماكولا،أبي نصر علي بن هبة الله(ت: 486هـ)
- الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق : عبدالرحمن بن يحيي المعلمي اليماني أمين مكتبة الحرم المكي، مطبوعات وزارة المعارف للتحقيقات العلمية والأمور الثقافية للحكومات العالية الهندية وبرعاية مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط1،الهند ، 1383هـ
23. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين (ت: 732هـ/1331م) :
- تقويم البلدان، تحقيق رينود وديسلان، دار صادر، بيروت، .د. ت.
- المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت، 1959م.
24. أبو جعفر البلوي:
- ثبت الوادي آشي، تحقيق: عبدالله العمراني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1403هـ.
25. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ/ 869م):
صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: " فأقرءوا ما تيسر منه " تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1400 هـ.
26. ابن تغرى بردى، جمال الدين أبو المحاسن (ت: 874هـ/ 1469م):
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
27. البغدادي، محمد بن عبدالغني:
- التقييد لمعرفة رواة المسانيد، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1408 هـ.
28. الحاكم، أبو عبدالله محمد النيسابوري (ت: 405هـ/ 1014م):
- معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1977م.
29. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت: 626هـ/1228م) :
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.
- معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 1993م.
30. الحُميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح (ت: 488هـ/ 1095م):
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

- الجمع بين الصحيحين " البخاري ومسلم "، تحقيق علي حسين البواب، دار ابن حزم، الرياض، 1414 هـ.
- تفسير غريب ما في الصحيحين، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، منشورات مكتبة السنة، ط1، القاهرة، 1995م.
31. الحنبلي ، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد العكري (ت1089هـ):
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرون،دار بن كثير، بيروت،1406هـ.
32. الخشنى، أبو عبدالله محمد القيرواني (ت: 361هـ/ 971م) :
- أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويس آبيلا ولويس مولينا، مدريد، 1992م.
33. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت: 463هـ/1070م):
- تاريخ بغداد وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها وواريها، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001م.
34. الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين محمد (ت: 748هـ/ 1347م):
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط 2، بيروت، 1990م.
- تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ،بيروت،1419ه
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
35. الزهري، أبو مصعب المدني (ت: 242هـ/856م):
- الموطأ للإمام مالك، تحقيق بشار عواد ومحمود محمد، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1998م.
36. السهيلي، عبدالرحمن(ت581ه):
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل،دار الكتب الإسلامية، القاهرة،1387ه
37. الشهر زوري، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن (ت: 643هـ/ 1245م):
- علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1977م.
38. الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت: 764هـ/ 1362م):
- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث، بيروت، 2000م.
39. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت: 599هـ/1202م):
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
40. الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: 360هـ/970م):
- المعجم الكبير، تحقيق حمد عبد المجيد السلفي، منشورات مكتبة الزهراء، ط2، الموصل، 1983م.

- الـروض الدانـي (المعجـم الصغـير)، تحقيـق محمـد شـكور ومحمـود أمـين، منشـورات المكتـب الإسـلامي، بـيروت، 1985م.
- المعجـم الأوسـط، تحقيـق طـارق بـن عـوض اللـه وعبـد المحسـن الحسـيني، دار الحرمـين، القاهـرة، 1415هـ.
41. القاضي عياض (ت: 544هـ/ 1149م) :
- الغنيـة فهرسـت شـيوخ القـاضي عيـاض، تحقيـق زهـير جـرار، دار الغـرب الإسـلامي، ط1، تونـس، 1402م.
- ترتيـب المـدارك وتقريـب المسـالك لمعرفـة أعـلام مذهـب مالـك، تحقيـق أحمـد بكـير، ، دار مكتبـة الحيـاة، ، ط1 ،بـيروت ،1967م.
42. القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر (ت :454هـ/ 1062م) :
- مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
43. القنوجي، صديق حسن خان (ت: 1307هـ/ 1889م):
- الحطة في ذكر الصحاح السته، تحقيق على حسن الحلبي، دار الجيل، بيروت، د. ت.
44. الكتاني، محمد بن جعفر (ت: 1345هـ/ 1926م):
- الرسـالة المسـتطرفة لبيـان مشـهور كتـب السـنة المشرفـة، تحقيـق محمـد المنتـصر، دار البشـائر الإسـلامية، ط4، بـيروت، 1986م.
45. مخلوف، محمد بن محمد (ت:1360هـ/1941م):
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.
46. المراكشي، عبدالواحد بن علي (ت: 621هـ/1224م) :
- المعجـب في تلخيـص أخبـار المغـرب، تحقيـق محمـد سـعيد العريـان، منشـورات لجنـة إحيـاء الـتراث الإسـلامي، القاهـرة، 1963م.
47. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت:261هـ/ 874م):
- الجامع الصحيح، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان " أن القرآن أنزل على سبعة أحرف "، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، 1955م.
48. المقرى، شهاب الدين أحمد التلمساني (ت: 1041هـ/1631م):
- أزهـار الريـاض في أخبـار القـاضي عيـاض، تحقيـق أحمـد السـقا وإبراهيـم الأبيـاري، القاهـرة، 1940م.
- نفـح الطيـب مـن غصـن الأندلـس الرطيـب وذكـر وزيرهـا لسـان الديـن بـن الخطيـب، تحقيـق إحسـان عبـاس، دار صـادر، بـيروت، 1968م.
49. الوادي آشي، أحمد بن علي:
- ثبـت أبـي جعفـر أحمـد بـن عـلي البلـوي الـوادي آشي، تحقيـق عبداللـه العمرانـي، دار الغـرب الإسـلامي، ط1، بـيروت، 1403هـ.
50. الوادي آشي، محمد بن جابر (ت: 749هـ/ 1348م) :
- برنامـج الـوادي آشي، تحقيـق محمـد محفـوظ، دار الغـرب الإسـلامي، ط1، أثينـا – بـيروت، 1980م.

51. الونشريسى ، أبوالعباس أحمد بن يحيي التلمساني(914هـ/1509م):
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ، 1981م
52. اليافعي، أبي محمد عبدالله بن أسعد اليمني :
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان،علق عليه: خليل المنصور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت،1417هـ

ثانياً: المراجع العربية:

1. إحسان عباس :
- تاريخ الأدب الأندلسي "عصر الطوائف والمرابطين"، دار الشروق، عمان، 1997م.
2. آنخل بالنثيا :
- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1955م.
3. حسين مؤنس :
- شيوخ العصر في الأندلس، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
4. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون :
- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م.
5. سليمان بن صالح الغصن :
- عقيدة ابن عبدالبر في التوحيد والإيمان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996م.
6. شكيب أرسلان :
- الحلل السندسية في الأحبار والآثار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ
7. عبد السلام محمود أبو ناجي :
- الموجز في مصطلح الحديث ، منشورات الجامعة المفتوحة، (الخمس، 1996م).
8. عصام موسى هادي :
- علوم الحديث، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2003م.
9. كارل بركلمان:
- تاريخ الأدب العربي، ترجمة نبيه فارس وآخرون، بيروت، 1965م.
10. ليث سعود الجاسم :
ابن عبدالبر وجهوده في التاريخ، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط2، المنصورة، 1988م.
11. محمد الكتاني :
- المذهب المالكي بالمغرب والأندلس؛ نظرات في النشأة والاستقرار، بحوث الملتقي الأسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة، 1989م.
12. محمد بن الحسن الحجوري :
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تحقيق عبد العزيز القاري، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، 1396هـ

ثالثاً: المجلات والدوريات:

1 – رضا أبوشامه:

– يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطأ، مجلة الأصلاح، العدد الثالث، دار النهضه للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

2 – محمد الكتاني :

– المذهب المالكي بالمغرب والأندلس؛ نظرات في النشأة والاستقرار، بحوث الملتقي الأسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة 1989م.

أحكام الصوم مع أهم نوازله

إعداد:
لمين باب محمد محمود
باحث دكتوراه في العلوم الإسلامية-جامعة الزيتونة-تونس

الاستلام : 10/ 10/ 2022 القبول : 16/ 11/ 2022

المستخلص :

يتناول الباحث في هذا العرض المتواضع صوم مضان لغة وشرعا، وفرائضه ،ومبطلاته، وتاريخ وجوبه وفوائده، وقضاؤه، ووقت وجوبه، والذي يجب على المسافر والحائض ، وحكم المكره زوجته على الجماع ،والصائم في البلاد الطويل نهارها، وحكم جرعة أوكسجين الربو، ونزع السن وحقنة الشرج وقطرة العين وحبوب منع الحيض وتأخيره وأنواع الكفارات، وصلاة التراويح وسنة الاعتكاف. كل هذا وفق منهج الوصف التحليلي.

الكلمات المفتاحية :
الكفارة، الصوم، الاعتكاف، المناطق الطويل نهارها.

Research Summary

In this humble presentation, the researcher deals with fluorescence fasting, linguistically and legally, its obligatory and invalidities, the date of its obligation and its benefits, its fulfillment, the time of its obligation, which a traveler and a menstruating woman is obligated to, and the ruling on compelling his wife to have intercourse, fasting in a country whose day is long, and the ruling on a dose of asthma oxygen, removing a tooth and an injection. The anus, eye drops, pills to prevent and delay menstruation, types of penances, Tarawih prayers and the Sunnah of I'tikaf. All this is according to the analytical description method.

key words :
Atonement, fasting, seclusion, areas whose day is long.

المقدمة

الحمد لله رب العلمين وأصلي وأسلم على من بعث رحمة للعلمين .

أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان للعبادة [1]وهيأ له الأرضية الصالحة لذلك؛ فأرسل إليه الرسل[2] وأنزل إليه الكتب واختار له الإسلام دينا مرتضى[3] ، وجعل هذا الدين مبنيا على خمسة أركان هي ركائزه ودعائمه التي عليها يتأسس ففي الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) متفق عليه.[4]

ومن هنا يتضح أن صوم شهر رمضان ركن من أركان الإسلام بنص لسان النبي صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الحال هذا فهل هو (الصوم) فرض واجب؟.. ومتى يجب ومتى لا يكون واجبا؟ وما المطلوب من المسلم حالة وجوبه؟ وما المخاطب به حالة عدم وجوبه؟؟.

حول هذه الأسئلة المركزية سيكون هذا العرض المتواضع وذلك ضمن المسائل التالية :

تعريف الصوم لغة وشرعا

• الصيام: لغة: هو الإمساك والامتناع عن الشيء ، لذا يقال: خيل صائم إذا أمسكت وامتنعت عن الصهيل ، ومنه قول المولى عز وجل: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [5]، والمعنى أي: أمسَكْتُ عن الكلام. وصام النهار: اعتدل ، ومصام الشمس حيث تستوي في منتصف النهار.[6]والصوم ركود الرياح وهو إمساكها عن الهبوب ، وصامت الدابة على آريها : قامت وثبتت فلم تعتلف.[7]

---

(1) قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ الآية 56 – 57 سورة الذاريات.

(2) قال تعالى : ﴿رسلا مبشرين ومنذرين ليلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ الآية165سورة النساء.

(3) قال تعالى" ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ الآية 19من آل عمران. وقال:﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ الآية85 من آل عمران.

(4) أخرجه الإمام أحمد (المتوفى سنة 241هـ) (6301) في " مسنده " قال : حدثنا ابن نمير، حدثنا حنظلة، سمعت عكرمة بن خالد، يحدث طاوسا، قال: إن رجلا قال: لعبد الله بن عمر: ألا تغزو؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إن الإسلام بني على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله (3) ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت ".
وأخرجه أيضا محمد الطوسي (المتوفى سنة 242هـ) في " الأربعين " قال : حدثنا عبيد الله بن موسى
و"البخاري"(المتوفى سنة 256هـ) 1/ 9 (8) في " صحيحه "في كتاب الايمان1/ 11
و"مسلم" (المتوفى سنة 261هـ) 1/ 34 (22)
والترمذي" (المتوفى سنة 279هـ) 2609
والمروزي (المتوفى سنة 294هـ) في " تعظيم قدر الصلاة " 414 و"النسائي" (المتوفى سنة 303هـ) 8/107 والنسوي (المتوفى سنة 303هـ) في " الأربعين " قالا: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عمار. قال: حدثنا المعافي بن عمران.

(5) [مريم:26]

(6) راجع الصحاح5/ 1970 واللسان : (صوم)

(7) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ج1ص657ط د الحديث القاهرة2007م

أقول: يتبن من التعريف اللغوي أن الصوم يدور حول الإمساك

• واصطلاحاً (أو شرعًا): هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج وما يقوم مقامهما من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية قبل الفجر أو معه في غير أيام الحيض والنفاس وأيام العيد.[8] وعرف أيضا أنه: الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات .[9]

وقيل: الصوم هو عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة، في زمن مخصوص، من شخص مخصوص، بنية مخصوصة[10]

أقول: أرجح التعريف الأول لشموليته وضابطية ألفاظه؛ فقوله وما يقوم مقامهما يدخل فيه الاستمناء والتفكر الممني، وقوله في أيام الحيض والنفاس والعيد يتضمن حكما الشروط .

نكتفي هنا بهذا الحد من التعريفات ولكن ماذا عن مشروعيته؟؟

هذا ما سأتناوله ضمن المسألة التالية:

مشروعية الصوم

وقد فرض الله عز وجل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الصيام كما فرضه على الأمم التي سبقتها بقوله تعالى﴿يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[11] **وكان ذلك في يوم الإثنين من شهر شعبان ستة اثنتين من الهجرة المباركة[12]**

وقال تعالى:﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾[13].

وفي السنة : بني الإسلام على خمس ومن بينها صوم شهر رمضان[14] .

وقد اتفقت الأمة على فرضيته ولم يخالف أحد من المسلمين فهي معلومة من الدين بالضرورة ومنكرها كافر كمنكر فريضة الصلاة والزكاة والحج[15]

ويتضح من خلال ما سبق أن صوم شهر رمضان فرض واجب بالقرآن والسنة والإجماع ومنكره مرتد مارق من الدين، لكن ما المقصد الشرعي من الصيام؟؟.

هذا ما سأتناوله ضمن المسألة التالية :

المقصد الشرعي من الصيام

(8) الفواكه الدانية على رسالة ابن ابي زيد القيرواني ج1ص442ط.دار الرشاد الحديثة المغرب 2013م

(9) الجامع لأحكام القرآن ص659مرجع سابق. وهذا يشهد له قول النبي صلى الله عليه وسلم بل يؤصله:(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)أخرجه البخاري 1/ 326

(10) التعريفات (1/ 178)، والمطلع (1/ 145) .

(11) الآية 183من سورة البقرة

(12) منهاج المسلم؛ للشيخ أبي بكر الجزائري ص232ط دار الخلفاء الراشدين 2013م

(13) الآية 185من سورة البقرة.

(14) سبق تخريجه.

(15) الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري ج1ص420ط دار الحديث القاهرة2004م

الأحكام الشرعية هل هي معللة أو غير معللة أو عللها (الحكمة)خفية يطلع الله عليها من يشاء من عباده.. لست بصدد نقاش هذا لكن سأذكر بعض أقوال أهل العلم في المقصد الشرعي من الصيام ومن ذلك أنه :

-اضعاف الشهوة وذلك لأن كل ما ضعفت الشهوة قلت المعصية , ويستشهدون على هذا بقوله تعالى : {لعلكم تتقون}[16]. وهذا وجه مجازي حسن[17].

-مخالفة النفس وكسرها وتصفية مرآت العقل وتنبيه العبد على مواساة الجائع[18]

أقول وهنك الحكم التي تتكشف لعلماء الأحياء يوميا في فوائد الصيام[19]فلينظر لها في أبحاث ودراسات الأطباء.

أما فضائل الصيام فلا تحصى لعظمته ونذكر منها:

أن الصيام حِصْنٌ حصين من النار؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الصيام جُنَّةٌ وحِصْنٌ حَصِينٌ من النار))[20] . أقول وما من مسلم إلا ويستعيذ بالله من النار وبالتالي فعليه بالصيام فهو سبيل الوقاية منها, والأحاديث في هذا كثيرة . ولكن ما هي شروط وأركانه وما المترتب على ذلك وهذا ما سأتناوله في المسألة التالية:

فرائض وشروط وجوب وصحة الصيام

وفي هذه الفقرة المتعلقة بالعنوان أعلاه سأكتفي بمذهب المالكية وأتجنب نقاش الخلاف حول ماهية الأركان والشروط من أجل الاختصار ولأن المقام مقام عرض مبسط وليس بحثا لحسم الخلاف.

للصوم شرط وجوب وشرط صحة وشرط وجوب وصحة معا:

فللوجوب؛ البلوغ ، والقدرة على الصوم. وللصحة ؛ الإسلام ، والبلوغ ، والزمان القابل للصوم. وللصحة والوجوب معا ؛ العقل ، والنقاء من دم الحيض والنفاس ، ودخول شهر رمضان[21]. يقول ابن رشد المالكي: "الأركان ثلاثة اثنان متفق عليهما وهما الزمان والإمساك عن المفطرات وواحد مختلف فيه وهو النية. والزمن هنا زمن وجوب وهو شهر رمضان -ويثبت برؤية الهلال بشهادة (ولا

(16) جزء من الآية 183 من سورة البقرة

(17) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مرجع سابق ص 660

(18) الفواكه الدواني للنفراوي مرجع سابق ص443

(19) الصيام يعزز إزالة السموم.الصيام يعمل على راحة الجهاز الهضم الصيام يساعد على علاج الالتهابات الصيام يساعد على خفض مستويات السكر في الدم الصيام يساعد على زيادة حرق الدهون الصيام مفيد لمرضى ارتفاع ضغط الدم الصيام يحفز خسارة الوزن الصيام يعزز العادات الغذائية الصحية الصيام يعزز الجهاز المناعي- الصيام يساعد على التغلب على مشكلات الإدمان.

20(20) أحمد 15/ 123، برقم 9225، وصحح إسناده محققو المسند، 15/ 123، وحسنه المنذري، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، 1/ 578:((حسن لغيره)).

(21) الفقه على المذاهب الأربعة مرجع سابق ص422.

يقبل مالك أقل من شهادة رجلين [22]) أو بإكمال العدة ثلاثين ليلة-والثاني زمن الإمساك عن المفطرات -وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.[23]"وكل هذا تؤصله الآيات والأحاديث التالية:

قال تعالى :﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾[24]وقال {وكلوا وشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى اليل}[25].وفي الحديث: عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال "لا تصوموا حتى تروا الهلال. ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له-وعن بن عباس فإن غم عليكم فأكملوا العدد ثلاثين"[26].

وتحت ضوء ما سبق أطرح الأسئلة التالية:

متى تجب النية للصوم؟؟ والجواب أن ابن القاسم روى عن مالك قال لا يصوم[27] إلا من بيت من اليل. ،وقال مالك من بيت الصيام أول ليلة من رمضان أجزأه ذلك عن سائر الشهر.

يقول ابن أبي زيد في الرسالة: ويبيت الصيام في أوله وليس عليه البيات في بقيته. كما يقول الشيخ خليل في المختصر: وصحته مطلقا بنية ميتة أو مع الفجر وكفت نية لما يجب تتابعه لا مسرود ويوم معين[28].

السؤال الثاني : من كان مسافرا فقدم ومن كانت حائضا فطهرت ومن أصبح ولم يأكل ولم يشرب فتين أن اليوم رمضان ؟ الجواب " للحائض والمسافر بقية اليوم وعلى الآخر الامساك ومتابعة الصيام وعلى الكل القضاء.[29]قال خليل في المختصر: وإن ثبت نهارا أمسك وإلا كفر.

إذا هذه أركان وشروط الصيام فماهي المبطلات وما المطلوب لو بطل؟؟

سأتناول ذلك في المسألة التالية:

مبطلات الصيام وأنواع الكفارات

الصوم كما رأينا ؛ فرض من فرائض الله وحدوده ، وفرائض الله أوامره المطلوب امتثالها ، ونواهيه المأمور باجتنابها وقد قال تعالى :{ومن يتعد حدود

(22) الجامع لأحكام الفرآن القرطبي ص675 مرجع سابق.

(23) بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بابن رشد الحفيد ط دار الفكر2001م.وتعليقاعلى هذا أورد قول ابي محمد عبد الواحد بن عاشر:"ويثبت الشهر برؤية الهلال*أو بثلاثين قبيلا في كمال*فرض الصيام نية بليله وترك وطء شربه وأكله.

(24) الآية 185 من البقرة

(25) الآية 187من سورة البقرة

(26) الحديثين أخرجهما مالك في الموطإ برقم 589والآخر591انظر الاستذكار لابن عبد البر ج3 ص275طدار الكتب العلمية بيروت لبنان2006م

(27) انظر الاستذكار لابن عبد البر مرجع سابق ص285.

(28) انظر في الفواكه الدانية على الرسالة مرجع سابق ص445

(29) رسالة ابي زيد من الفواكه الدانية مرجع سابق ص448

اللـه فقـد ظلـم نفسـه}[30]ورتبت الشريعـة عـلى مـن تعـدى حـدوده ، وانتهـك أمـره في شـهر رمضـان ؛ بمنهـي عنـه عقوبـة ، وطرحـت حلـولا وعلاجـا لمـا يمكـن علاجـه رحمـة وتيسـيرا عـلى العبـاد -كمـا قـال جـل وعـلى :{يريـد اللـه بكـم اليـسر ولا يريـد بكـم العسر}[31]-شرعـت الكفـارات والتوبـة أمـام مرتكبـي تلـك المنهيـات فمـا هـي مبطـلات الصوم؟؟ومـا المكفـر منهـا؟

جمـع الآيـة الكريمـة أصـول مبطـلات الصيـام ؛ قـال تعـالى:﴿ فَـالآنَ بَاشِـرُوهُنَّ وَابْتَغُـوا مَـا كَتَـبَ اللَّهُ لَكُـمْ وَكُلُـوا وَاشْـرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّـنَ لَكُـمْ الْخَيْـطُ الأَبْيَـضُ مِـنْ الْخَيْـطِ الأَسْـوَدِ مِـنْ الْفَجْـرِ ثُـمَّ أَتِمُّـوا الصِّيَـامَ إِلَى اللَّيْـلِ﴾[32].

وهـي : الجمـاع . الاسـتمناء . الأكل والـشرب . مـا كان بمعنـى الأكل والـشرب .إخـراج الـدم بالحجامـة ونحوهـا . القـيء عمـداً . خـروج دم الحيـض أو النفـاس مـن المـرأة .

ولكـن ثلاثـة مـن هـذه المبطـلات توجـب الكفـارة مـع القضـاء وهـي الجمـاع ، والأكل ، والـشرب -عمـدا:- فمـن جامـع في نهـار رمضـان عامـدا مختـارا بـأن يلتقـي الختانـان ، وتغيـب الحشـفة في أحـد السـبيلين ، فقـد أفسـد صومـه ، أنـزل أو لـم يُنـزل ، وعليـه التوبـة ، وإتمـام ذلـك اليـوم ، والقضـاء والكفـارة المغلظـة ، ودليـل ذلـك حديـث أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَـالَ : جَـاءَ رَجُـلٌ إِلَى النَّبِـيِّ صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فَقَـالَ : هَلَكْـتُ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ. قَـالَ: وَمَـا أَهْلَـكَكَ ؟ قَـالَ : وَقَعْـتُ عَـلَى امْرَأَتِـي فِي رَمَضَـانَ . قَـالَ : هَـلْ تَجِـدُ مَـا تُعْتِـقُ رَقَبَـةً ؟ قَـالَ : لا . قَـالَ : فَهَـلْ تَسْـتَطِيعُ أَنْ تَصُـومَ شَـهْرَيْنِ مُتَتَابِعَـيْنِ ؟ قَـالَ : لا . قَـالَ : فَهَـلْ تَجِـدُ مَـا تُطْعِـمُ سِـتِّينَ مِسْـكِينًا ؟ قَـالَ : لا .. . الحديـث[33].

وكذلـك مـن أكل أو شرب ؛ قـال ابـن المنـذر رحمـه اللـه: ((ولـم يختلـف أهـل العلـم أن اللـه حـرَّم عـلى الصائـم في نهـار الصـوم: الرَّفـث: وهـو الجمـاع، والأكل والـشرب)) [34] ، وقـال ابـن حـزم رحمـه اللـه: ((واتفقـوا عـلى أن الأكل لمـا يُغَـذِّي مـن الطعـام ممـا يسـتأنف إدخالـه في الفـم، والـشرب، والـوطء حـرام ...)) [35] .

والحاصـل أن موجـب القضـاء والكفـارة معـا هـو: الجمـاع والأكل والـشرب عمـدا في نهـار رمضـان والباقـي مـن المبطـلات يجـب فيـه القضـاء دون الكفـارة.[36]

وبعد هذا العرض حول المسألة أطرح التساؤلات التالية:

مـا الحكـم في أوكسـجين الربو(الظيـك)؟؟ .. ومـا الحكـم لـو أكل ناسـيا أو شرب أو جامـع زوجتـه مكرهـا، أو أكـره زوجتـه فجامعها؟؟.ومـا الحكـم في حقنـة الـشرج

(30) من الآية 1 سورة الطلاق

(31) جزء من الآية 85 البقرة

(32) الآية 187 من البقرة

(33) رواه البخاري (1936) ومسلم (1111)

(34) الإجماع لابن المنذر، ص59.

(35) مراتب الإجماع، لابن حزم، ص70.

(36) يقـول بـن عاشر:مـن أفطـر الفـرض قضـاه وليزد*كفـارة في رمضـان أن عمـد*لأكل أو شرب فـم أوللمني*ولـو بفكـر أو بفـرض مـا بنـي *بـلا تأول..هـ

وقطرة العين ودواء مسح الجرح ونزع الأسنان ؟؟. ثم ما الحكم لو حاضت المرأة قبل الغروب أو طهرت قبل الفجر وما الحكم لو قدم المسافر نهارا؟

- أوكسجين الربو في الحالات العادية يمكن أن يتم تناولها أثناء فترة الإفطار أو السحور فهذا هو الأفضل خروجا من الخلاف ، و لكن ماذا لو استخدم شخص هذا البخاخ و هو صائم ؟ اختار جمع كثير من أهل العلم القول بأن استخدام هذا البخاخ لا يعتبر مفطرا للصائم[37]

- من أكره امرأته على الجماع في نهار رمضان(بعد طلوع الفجر إلى غروب الشمس) وجب عليه القضاء وعليها أيضا وعليه الكفارة عنها وعنه حتى لو حاضت نفس اليوم[38].

- من أكل أو شرب ناسيا في نهار رمضان وجب عليه القضاء فقط[39].

-إذا طهرت قبل الفجر تعقد النية وتصم وإذا حاضت قبل الغروب لها بقية اليوم وعليها القضاء وكذلك المسافر له بقية اليوم[40].

- حبوب منع الحيض..: الأفضل للحائض أن تبقى على طبيعتها ، وترضى بما كتب الله عليها ، ولا تتعاطى ما تمنع به الدم ، وتقبل ما قَبِل الله منها من الفطر في الحيض والقضاء بعد ذلك ، وهكذا كانت أمهات المؤمنين ، ونساء السلف . بالإضافة إلى أنه قد ثبت بالطبّ ضرر كثير من هذه الموانع وابتليت كثير من النساء باضطراب الدورة بسبب ذلك ، فإن فعلت المرأة وتعاطت ما تقطع به الدم فارتفع وصارت نظيفة وصامت أجزأها ذلك[41] تأخير الدورة الشهرية عن طريق تناول الحبوب الهرمونية، يتسبب في حدوث اضطرابات في الجسم منها عدم انتظام الدورة الشهرية وهذا يسبب مشاكل في الحمل في المستقبل؛ تسبب هذه الحبوب الشعور بالعصبية والإجهاد والنهجان ، كما تتسبب في تغيرات حادة في المزاج ، وتوتر في حالتكِ النفسي و.تسبب الصداع والغثيان ، والميل للقيء

(37) اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية [فتاوى إسلامية (1/130)] و من العلماء و طلبة العلم : العلامة ابن باز [فتاوى الدعوة : ابن باز عدد 979] ، العلامة ابن عثيمين [فتاوى أركان الإسلام ص 475 – فتاوى نور على الدرب – اللقاء الشهري رقم 41 – لقاء الباب المفتوح] ، العلامة ابن جبرين [فتاوى علماء البلد الحرام - الطبعة الأولى - 299-298] ، د. عبدالله بن حمد السكاكر [فقه نوازل الصيام] ، الشيخ د. أحمد الخليل [المفطرات المعاصرة] ، الشيخ عبد المحسن الزامل [شرح عمدة الفقه / كتاب الصيام] ، أستاذي د. عادل المطيرات [بتاريخ 1 / 8 / 2005 نقلا عن الموقع الذي يشرف عليه د.عادل المطيرات http://ws.ftawa/fw/thread14426.html] ، د. حسام الدين عفانة ، أ.د. سليمان بن فهد العيسى أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، شيخنا عثمان الخميس [قاله في تاريخ 2 رمضان 1431 – 13 / 8 /2010] ، شيخنا محمد بن سليمان السنين [قاله في تاريخ 3 رمضان 1431 – 14 / 8 /2010] و غيرهم

(38) انظر المدونة (1/ 319). انظر:الدرر الثمين والمورد المعين للعلامة الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي على المرشد المعين لابن عاشر.

(39) الفواكه الدواني مرجع سابق ص 457.

(40) انظر ميارة 459 مرجع سابق والفواكه الدواني مرجع سابق- يقول ايضا ميارة:إذا طهرت الحائض أو بلغ الصبي أو فاق المجنون أو حضر المسافر نهارا جاز لكل واحد منهم التمادي في الفطر.

(41) فتاوى اللجنة الدائمة 10/ 151

والشعور بدوخة (دوار)تورم الثدين والشعور بألم عند لمسهما،أحيانا تتسبب في آلام بالجسم وتورم ، واحتباس الماء ، وبالتالي زيادة الوزن .تزيد نسبة التعرض لحب الشباب.تكرار استخدام هذه الحبوب قد يؤدي لاحتمال الإصابة بمرض السرطان .لذا يجب توخي الحذر قبل اللجوء لمثل هذه الحبوب ، حيثُ أضرارها أكثر من منافعها.[42]

- الحقنة الشرجية وقطرة العين والأذن وقلع السنّ ومداواة الجراح كل ذلك لا يفطر[43]

الكفارة : قسمان كبرى ، وصغرى

الكبرى هي المتأتية عن جماع أو أكل أو شرب عمدا في نهار رمضان، وهي كما قال خليل: وكفر إن تعمد بلا تأول قريب وجهل في رمضان فقط جماعا أو أكلا أو شربا بفم فقط بإطعام ستين مسكينا لكل مد وهو الأفضل أو صيام شهرين متتابعين أو عتق رقبة كالظهار. ويقول ابن ابي زيد: والكفارة في ذلك إطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم فذلك أحب إلينا وله أن يكفر بعتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين [44].

والخلاصة: أن الأفضل لمن كفر ؛ أن يطعم فذلك هو الأفضل عند فقهاء المالكية.

الكفارة الصغرى: من فرط في القضاء-قضاء رمضان-حتى دخل رمضان وجب عليه مع القضاء الاطعام عن كل يوم مدا لمسكين؛ قال خليل: وإطعام مد بمده صلى الله عليه وسلم لمفرط في قضاء رمضان لمثله عن كل يوم لمسكين . يقول ابن أبي زيد: وكذلك يطعم من فرط في قضاء رمضان حتى دخل عليه رمضان آخر .[45]

ومن خلال ما سبق قد يطرح سؤال ؛ ما الذي يفعله الصائم في البلاد التي نهارها طويل قد لا يصبر على الوصال فيه؟

مسألة الصيام في البلاد الطويل نهارها

وهذه المسألة نكتفي فيها بما أفتى به مجمع الفقه الاسلامي ، وقد نظر مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في هذه المسألة، وأصدر القرار رقم 61 وتاريخ 12/ 4/ 1398هـ،ونصه ما يلي:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

فقد عُرض على مجلس هيئة كبار العلماء في الدورة الثانية عشرة المنعقدة بالرياض في الأيام الأولى من شهر ربيع الآخر عام 1398هـ كتاب معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة رقم 555 وتاريخ 16/ 1/ 1398هـ

(42) http//:hayatouki.com/pregnancy/content191118/

(43) انظر:مجموع فتاوى شيخ الإسلام 233/25 ، 245/25 .

(44) النفراوي ص460 مرجع سابق

(45) الفواكه الدواني ص453 مرجع سابق.

المتضمن ما جاء في خطاب رئيس رابطة الجمعيات الإسلامية في مدينة (مالمو) بالسويد الذي يفيد فيه بأن الدول الإسكندنافية يطول فيها النهار في الصيف ويقصر في الشتاء نظراً لوضعها الجغرافي، كما أن المناطق الشمالية منها لا تغيب عنها الشمس إطلاقاً في الصيف، وعكسه في الشتاء، ويسأل المسلمون عن كيفية الإفطار والإمساك في رمضان؟ وكذلك كيفيَّة ضبط أوقات الصلوات في هذه البلدان؟. ويرجو معاليه إصدار فتوى في ذلك ليزودهم بها.ا.هـ.

وعُرض على المجلس أيضاً ما أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ونقول أخرى للفقهاء في الموضوع، وبعد الاطلاع والدراسة والمناقشة قرر المجلس ما يلي:

أولاً: من كان يقيم في بلاد يتمايز فيها الليل من النهار بطلوع فجر وغروب شمس إلا أن نهارها يطول جداً في الصيف، ويقصر في الشتاء، وجب عليه أن يصلي الصلوات الخمس في أوقاتها المعروفة شرعاً؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [46]؛ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾[47] ؛ولما ثبت عن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً سأله عن وقت الصلاة، فقال له: ((صلِّ مَعَنا هذين)) يعني اليومين، فلما زالت الشمس أمر بلالاً فأذن، ثم أمره فأقام الظهر، ثم أمره فأقام العصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية، ثم أمره فأقام المغرب حين غابت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق، ثم أمره فأقام الفجر حين طلع الفجر، فلما أن كان اليوم الثاني أمره فأبرد بالظهر، فَأبْرَدَ بِهَا فَأَنْعَمَ أن يبرد بها، وصلى العصر والشمس مرتفعة أخّرها فوق الذي كان، وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق، وصلى العشاء بعدما ذهب ثلث الليل، وصلى الفجر فأسفر بها، ثم قال: ((أين السائل عن وقت الصلاة؟))، فقال الرجل: أنا يا رسول الله. قال: ((وقت صلاتكم بين ما رأيتم)) [48]. رواه البخاري ومسلم. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((وقت الظهر إذا زالت الشمس، وكان ظل الرجل كطوله ما لم يحضر العصر، ووقت العصر ما لم تصفر الشمس، ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس، فأمسك عن الصلاة؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان))[49]. أخرجه مسلم في صحيحه. إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في تحديد أوقات الصلوات الخمس قولاً وفعلاً، ولم تفرِّقْ بين طول النهار وقصره، وطول الليل وقصره ما دامت أوقات الصلوات

(46) سورة الإسراء، الآية: 78.

(47) سورة النساء، الآية: 103.

(48) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب أوات الصلوات،برقم 613.

(49) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة،باب أوقات الصلوات،برقم 612.

متمايزة بالعلامات التي بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم.هذا بالنسبة لتحديد أوقات صلاتهم، وأما بالنسبة لتحديد أوقات صيامهم شهر رمضان فعلى المكلفين أن يمسكوا كل يوم منه عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في بلادهم ما دام النهار يتمايز في بلادهم من الليل، وكان مجموع زمانهما أربعاً وعشرين ساعة. ويحل لهم الطعام والشراب والجماع ونحوها في ليلهم فقط، وإن كان قصيراً، فإن شريعة الإسلام عامة للناس في جميع البلاد، وقد قال الله تعالى:﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (50) ، ومن عجز عن إتمام صوم يوم لطوله، أو علم بالأمارات والتجربة، أو إخبار طبيب أمين حاذق، أو غلب على ظنه أن الصوم يفضي إلى إهلاكه أو مرضه مرضاً شديداً، أو يفضي إلى زيادة مرضه أو بطء برئه أفطر، ويقضي الأيام التي أفطرها في أي شهر تمكن فيه من القضاء. قال تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (51) ، وقال الله تعالى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (52) ، وقال:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(53) .

ثانياً: من كان يقيم في بلاد لا تغيب عنها الشمس صيفاً، ولا تطلع فيها الشمس شتاء، أو في بلاد يستمر نهارها إلى ستة أشهر، ويستمر ليلها ستة أشهر مثلاً، وجب عليهم أن يصلوا الصلوات الخمس في كل أربع وعشرين ساعة، وأن يقدروا لها أوقاتها، ويحددوها معتمدين في ذلك على أقرب بلادٍ إليهم تتمايز فيها أوقات الصلوات المفروضة بعضها عن بعض؛ ما ثبت في حديث الإسراء والمعراج من أن الله تعالى فرض على هذه الأمة خمسين صلاة كل يوم وليلة، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربَّه التخفيف حتى قال:((يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة...)) (54) إلى آخره؛ ولما ثبت من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((خمس صلوات في اليوم والليلة))،فقال: هل عليَّ غيرهن. فقال:((لا، إلاّ أن تطوَّع ...))(55). الحديث.

ولما ثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((نُهينا أن نسأل

(50) سورة البقرة، الآية: 187.

(51) سورة البقرة، الاية: 185.

(52) سورة البقرة، الآية: 286.

(53) سورة الحج، الآية: 78.

(54) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم 162.

(55) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب الزكاة في الإسلام، برقم 46، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، برقم 11.

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيءr فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: ((صدق)) إلى أن قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: ((صدق))، قال: فبالذي أرسلك. آلله أمرك بهذا؟ قال: ((نعم...))[56].وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حدّث أصحابه عن المسيح الدجال، فقالوا: ما لبثه في الأرض؟ قال:((أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم))، فقيل: يا رسول الله! اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال: ((لا، اقدروا له قدره))[57]، فلم يعتبر اليوم الذي كسنة يوماً واحداً يكفي فيه خمس صلوات، بل أوجب فيه خمس صلوات في كل أربع وعشرين ساعة، وأمرهم أن يوزعوها على أوقاتها اعتباراً بالأبعاد الزمنية التي بين أوقاتها في اليوم العادي في بلادهم، فيجب على المسلمين في البلاد المسؤول عن تحديد أوقات الصلاة فيها أن يحددوا أوقات صلاتهم معتمدين في ذلك على أقرب بلادٍ إليهم يتمايز فيها الليل من النهار، وتُعرف فيها أوقات الصلوات الخمس بعلاماتها الشرعية في كل أربع وعشرين ساعة.

وكذلك يجب عليهم صيام شهر رمضان، وعليهم أن يقدروا لصيامهم، فيحددوا بدء شهر رمضان ونهايته، وبدء الإمساك والإفطار في كل يوم منه ببدء الشهر ونهايته، وبطلوع فجر كل يوم وغروب شمسه في أقرب البلاد إليهم يتميز فيها الليل من النهار، ويكون مجموعهما أربعاً وعشرين ساعة؛ لما تقدم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن المسيح الدجال، وإرشاده أصحابه فيه عن كيفية تحديد أوقات الصلوات فيه؛ إذ لا فارق في ذلك بين الصوم والصلاة. والله ولي التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه. [58].

وبعد عرض المسائل المتعلقة بالصيام فماذا عن صلاة التراويح؟

أتناول ذلك ضمن المسألة التالية:

صلاة التراويح

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ[59].فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنْ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنْ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(56) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام، برقم 12.

(57) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر المسيح الدجال وصفته، برقم 2937.

(58) أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، 4/ 435 - 464. ولأهميتها نقلها الإمام ابن باز فَضَمَّنها كتاب تحفة الإخوان بنصها، ص 164 - 169، وفي مجموع الفتاوى له، 15/ 293 - 300.

(59) البخاري (37،2009) ومسلم(759)

-، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ: "قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ "وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ"[60].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ؛ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ، فَيَقُولُ: " مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ».

فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - وَالأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ كَانَ الأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَصَدْرًا مِنْ خِلاَفَةِ عُمَرَ عَلَى ذَلِكَ[61].

هذا عن فضل صلاة التراويح وعن مشروعيتها، فماذا عن عدد ركعاتها وكيفيتها؟.

يقول بن أبي زيد "وكان السلف الصالح يقومون فيه في المساجد بعشرين ركعة ثم يوترون بثلاث ويفصلون بين الشفع والوتر بسلام ثم صلوا بعد ذلك ستا وثلاثين ركعة غير الشفع والوتر وكل ذلك واسع ويسلم من كل ركعتين"[62]

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللَّهِ - رضي الله عنه - فِي رَمَضَانَ؟ فَقَالَتْ: " مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - رضي الله عنه - يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا، قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ! إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي"[63]

وعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مِنَ اللَّيْلِ عَشْرَ رَكَعَاتٍ، وَيُوتِرُ بِسَجْدَةٍ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، فَتِلْكَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً[64]

ونلخص هذه المسألة بقول العلامة بن عثيمين رحمه الله تعالى:

"ليس لقيام رمضان عدد معين على سبيل الوجوب، فلو أن الإنسان قام الليل كله فلا حرج، ولو قام بعشرين ركعة أو خمسين ركعة فلا حرج، ولكن العدد الأفضل ما كان النبي - صلى الله عليه وسلّم - يفعله، وهو إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة، فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سُئِلت: كيف كان النبي يصلي في رمضان؟ فقالت: لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، ولكن يجب أن تكون هذه الركعات على الوجه المشروع، وينبغي أن يطيل فيها القراءة والركوع والسجود والقيام بعد الركوع والجلوس بين

(60) البخاري (1129)، ومسلم (761)، وأحمد (25485

(61) مسلم (759)، وأحمد (7774)، أبو داود (7774)، الترمذي (808)، والنسائي (2198

(62) الفواكه الدواني مرجع سابق466

(63) البخاري (1147)، مسلم (738).

(64) مسلم (738)

السجدتين، خلاف ما يفعله بعض الناس اليوم، يصليها بسرعة تمنع المأمومين أن يفعلوا ما ينبغي أن يفعلوه، والإمامة ولاية، والوالي يجب عليه أن يفعل ما هو أنفع وأصلح. وكون الإمام لا يهتم إلا أن يخرج مبكرًا هذا خطأ، بل الذي ينبغي أن يفعل ما كان النبي - صلى الله عليه وسلّم - يفعله من إطالة القيام والركوع والسجود والقعود حسب الوارد، ونكثر من الدعاء والقراءة والتسبيح وغير ذلك."[65]

الاعتكاف

الاعتكاف من نوافل الخير، وحكمة مشروعيته التشبه بالملائكة الكرام في استغراق الأوقات بالعبادات وحبس النفس عن الشهوات وكف اللسان عن الخوض فيما لا يعني[66].

وهو لغة : مطلق اللزوم لخير أو لشر ، وشرعا: عرفه بن عرفة بقوله "لزوم مسجد مباح لقربة قاصرة يصوم معزوم على دوامه يوما وليلة سوى وقت خروجه لجمعة أو لمعنيه الممنوع فيه [67].

شروط الاعتكاف[68]:

الشرط الأول : الإسلام، وضده الكفر، فالكافر لا يصح منه الاعتكاف؛ لقول الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[69]وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِالله وَبِرَسُولِهِ ﴾ [70].الشرط الثاني: العقل، وضده الجنون، والمجنون مرفوع عنه القلم حتى يفيق، فلا يصح منه الاعتكاف؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((رُفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يُفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم))[71].

الشرط الثالث: التمييز، وضده الصغر، وحد التمييز سبع سنين، فلا يصح الاعتكاف من الصبي غير المميز.أما البلوغ والذكورية فلا يشترطان لصحة الاعتكاف، فإنه يصح الاعتكاف من غير البالغ إذا كان مميزاً، وكذلك يصح من الأنثى.الشرط الرابع: النية، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنما الأعمال

(65) http//:www.alukah.net/sharia#/0/57446/ixzz47tURask

(66) ميارة مرجع سابق ص490

(67) الفواكه الدواني مرجع سابق ص468.

(68)فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.القحطاني، سعيد بن علي بن وهف(بنصه)أركان الإسلام./ سعيد بن علي بن وهف القحطاني – القصب، 1431هـ.

(69) سورة الفرقان، الآية: 23.

(70) سورة التوبة، الآية: 54.

(71) أبو داود، برقم 4401، والترمذي، برقم 423، وابن ماجه، برقم 2041، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، 3/56، وفي غيره، وتقدم تخريجه.

بالنيات))[72]، فينوي المعتكف لزوم المسجد تعبداً لله [73].الشرط الخامس: أن يكون الاعتكاف في مسجد؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [74]؛ولفعله صلى الله عليه وسلم حيث كان يعتكف في المسجد، ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه اعتكف في غيره[75][76].الشرط السادس:أن يكون الاعتكاف في مسجد تقام فيه الجماعة، وذلك إذا كانت مدة الاعتكاف تتخللها صلاة مفروضة، وكان المعتكف ممن تجب عليه الجماعة؛ لأن الاعتكاف في مسجدٍ لا تقام فيه الجماعة يقتضي ترك صلاة الجماعة، وهي واجبة عليه، أو يقتضي تكرار خروج المعتكف من معتكفه كل وقت صلاة، وهذا ينافي المقصود من الاعتكاف، أما المرأة فيصح اعتكافها في كل مسجد سواء أقيمت فيه الجماعة أم لا، [إلاّ مسجدها في بيتها فلا يصح الاعتكاف فيه] هذا إذا لم يترتب على اعتكافها فتنة، فإن ترتب على ذلك فتنة مُنِعَتْ.

والأفضل أن يكون المسجد الذي يُعتكف فيه تقام فيه صلاة الجُمُعة لكن ذلك ليس شرطاً للاعتكاف؛ لأن المعتكف إذا خرج مرة واحدة في الأسبوع لا يؤثر هذا الخروج على صحة اعتكافه؛ لأن صلاة الجمعة عليه فرض عين، والخروج إلى هذه الفريضة لا يستغرق وقتاً طويلاً[77].

الشرط السابع: الطهارة من الحدث الأكبر: الحيض، والنفاس، والجنابة؛ ولهذا عرَّف بعضهم الاعتكاف، فقال: لزوم المسجد لعبادة الله من مسلم، عاقلٍ، طاهرٍ مما يوجب غسلاً، فلا يصح اعتكاف الجنب ولا الحائض، ولا النفساء؛ لعدم جواز مكث هؤلاء في المسجد، أما الجنب؛ فلقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ﴾ [78]؛ولحديث عائشة رضي الله عنها ترفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ((وجِّهوا هذه البيوت عن المسجد؛ فإني لا أحلُّ المسجد لحائض ولا جنب))[79]، أما مرور الجنب واجتيازه المسجد فلا حرج فيه لنص الآية: ﴿ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ ﴾.

وأما الدليل على عدم صحة اعتكاف الحائض والنفساء، وأن الطهارة من ذلك من شروط صحة الاعتكاف؛ فحديث عائشة رضي الله عنها المذكور آنفاً: ((... فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب))،وأما المرور إذا تحفظت ولم تخشَ تلويث

(72)متفق عليه: البخاري، برقم1، ومسلم، برقم1907، وتقدم تخريجه في أركان الصيام.

(73)كتاب الفروع، لابن مفلح، 5/133.

(74)سورة البقرة، الآية: 187.

(75)ستأتي الأحاديث إن شاء الله تعالى التي تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتكف إلا في المسجد.

(76)رحبة المسجد، ذكر فيها روايتان عن الإمام أحمد: قيل: إنها من المسجد، وقيل: ليست من المسجد،وقال القاضي عياض: إن كانت محوّطة عن الطريق وعليها أبواب فهي تابعة للمسجد، وهذا هو الراجح إن شاء الله، وهو أنها من المسجد إذا كان عليها سور له أبواب. [انظر: كتاب الصيام من شرح العمدة، لابن تيمية، 2/ 722- 723].

(77) انظر: كتاب الفروع لابن مفلح، 5/137.

(78)سورة النساء، الآية: 43.

(79) أبو داود، كتاب الطهارة، بابٌ في الجنب يدخل المسجد، برقم 232، قال ابن حجر في التلخيص الحبير: قال أحمد: ما أرى به بأساً، وقد صححه ابن خزيمة، وحسنه ابن القطان، وسمعت شيخنا ابن باز أثناء تقريره على بلوغ المرام الحديث رقم 132 يقول: ((سنده لا بأس به))، وحسنه الأرنؤوط في تحقيقه لجامع الأصول، 11/ 205.

المسجد فلا حرج فيه؛ لعموم قوله تعالى:﴿ إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ ﴾ [80] ؛ ولحديث عائشة رضي الله عنها وفيه: ((إن حيضتك ليست في يدك))[81].

وأما الصيام فالصواب أنه ليس بشرطٍ في الاعتكاف، لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال: ((يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال: ((أوفِ بنذرك))[82]، فلو كان الصوم شرطاً لما صح اعتكافه في الليل؛ لأنه لا صيام فيه؛ ولأنهما عبادتان منفصلتان، فلا يشترط لأحدهما وجود الأخرى[83]

ابن باز رحمه الله يقول: ((والصواب أن الصوم ليس شرطاً في الاعتكاف، فإن صام المعتكف فهو أكمل وإن لم يصم فاعتكافه صحيح).

الخاتمة

يتضح من خلال ما سبق :

- أن صوم رمضان من الشعائر التي فرضت على الأمم السابقة قبل الأمة المحمدية.
- وأن الأمة المحمدية فرض عليها وخفف عليها فيه تيسيرا عليها ، وأن المهلكات المبطلة للصوم" الجماع والأكل والشرب عمدا في نهار رمضان ".
- لا صوم إلا بنية قبل طلوع الفجر.
- الحقنة الشرجية وقطرة العين والأذن وقلع السنّ ومداواة الجراح كل ذلك لا يفطر.
- حبوب منع الحمل خطيرة طبيا وعلى المرأة أن ترضى بما قسم الله لها.
- ليس لقيام رمضان عدد معين على سبيل الوجوب، فلو أن الإنسان قام الليل كله فلا حرج، ولو قام بعشرين ركعة أو خمسين ركعة فلا حرج، ولكن العدد الأفضل ما كان النبي - صلى الله عليه وسلّم - يفعله، وهو إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة.
- أن الصوم ليس شرطاً في الاعتكاف،-بخلاف شرطية المسجد-فإن صام المعتكف فهو أكمل وإن لم يصم فاعتكافه صحيح.
- البلاد التي يطول النهار فيها ويقصر اليل يصام النهار ولا يفطر إلا بمفطر شرعي .
- الصوم في البلاد التي تختفي الشمس عنها فصلا من الزمن عليهم أن يقدروا لصيامهم، فيحددوا بدء شهر رمضان ونهايته، وبدء الإمساك والإفطار في كل يوم منه ببدء الشهر ونهايته، وبطلوع فجر كل يوم وغروب شمسه في أقرب البلاد إليهم يتميز فيها الليل من النهار، ويكون مجموعهما أربعاً وعشرين ساعة.

(80) سورة النساء، الآية: 43.

(81) مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها...، برقم 299.

(82) متفق عليه: البخاري، برقم: 2020، ومسلم، برقم1172، ويأتي تخريجه في حكم الاعتكاف.

(83) انظر:الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة،ص168،إعداد وزارة الشؤون الإسلامية.

وأخيرا على المسلم الانتباه لأفضلية هذا الشهر وعظم شأنه وينتهز فرصته فيشغل وقته بقراءة القرآن وصلة الأرحام والإنفاق في سبيل الله والدعاء والاستغفار والتعليم والتعلم وترويض النفس على أحسن الأخلاق وإيصال الحقوق إلى أهلها؛ فينتهج لنفسه منهج خير ونجاة ويتأسى في ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله رب العلمين

فهرس المصادر والمراجع

1. المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح، المكتب الإسلامي، بيروت، 1400هـ.
2. الاستذكار لابن عبد البر، دار البيان، بيروت ط1993/1م.
3. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد(ابن رشد الحفيد)، دار الفكر،بيروت.
4. التاج والإكليل للمواّق، (مطبوع بهامش مواهب الجليل)، دار الفكر ط1978/2م.
5. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير لأحمد الدردير، شمس الدين محمد عرفة الدسوقي، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي).
6. سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق محي الدين عبد الحميد.
7. سنن ابن ماجه القزويني، باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
8. سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، تحقيق محمد عبد القادر عطا، 1414هـ.
9. سنن الترمذي، دار الحديث، القاهرة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
10. سنن الدارقطني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417هـ/1996م.
11. سنن الدارمي، دار القلم، دمشق، تحقيق الدكتور مصطفى البغا، ط 3، 1417هـ/1996م.
12. سنن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411هـ/1991م.
13. ابن مفلح: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الراميني ثم الصالحي (المتوفى: 763هـ)، الفروع.
14. الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة،ص168،إعداد وزارة الشؤون الإسلامية.
15. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.القحطاني، سعيد بن علي بن وهف(بنصه) أركان الإسلام./ سعيد بن علي بن وهف القحطاني – القصب، 1431هـ.
16. العلامة ابن باز [فتاوى الدعوة : ابن باز عدد 979] ، العلامة ابن عثيمين [فتاوى أركان الإسلام ص 475 – فتاوى نور على الدرب – اللقاء الشهري رقم 41 – لقاء الباب المفتوح] ، العلامة ابن جبرين [فتاوى علماء البلد الحرام – الطبعة الأولى – 299–298}.
17. الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري ج1ص420ط دار الحديث القاهرة2004م
18. منهاج المسلم؛للشيخ أبي بكر الجزائري ص232ط دار الخلفاء الراشدين 2013م
19. الفواكه الدانية على رسالة ابن ابي زيد القيرواني ج1ص442ط.دار الرشاد الحديثة المغرب 2013م
20. الجامع لاحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي .ط د الحديث القاهرة2007م
21. النسوي (المتوفى سنة 303هـ) " الأربعين ".
22. الموقع الذي يشرف عليه د.عادل المطيرات http://ftawa.ws/fw/thread14426.html] ، د. حسام الدين عفانة ، أ.د. سليمان بن فهد العيسى أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
23. موقع حياتكhttp://hayatouki.com/pregnancy/content/191118
24. الموطأ للإمام مالك، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، 1985م.
25. مجموع فتاوى شيخ الإسلام 25/233 ، 25/245 .
26. المدونة، عن الإمام مالك، دار صادر، بيروت.
27. مسند لامام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني .دار احياء التراث العربي .بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1414ه
28. الدرر الثمين والمورد المعين للعلامة الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي على المرشد المعين لابن عاشر.ط دار الحديث القاهرة2008م
29. لسان العرب لابن منظور ط.دار الكتب العلمية بدون تاريخ
30. مختار الصحاح محمج بن ابي بكر الرازي .بدون تارخ

تقنيات التكثيف في القصة القصيرة جدًا في القرآن الكريم
"جزء عم أنموذجًا"

إعداد:
د. علي محمد عيسى عبد الرحيم الشاظوف د. رحاب محمد عيسى عبد الرحيم الشاظوف
أ. نسيبة سعد الفيتوري عبد الرحمن
قسم الأدبيات- كلية اللغة العربية/ جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

الاستلام: 18/ 9/ 2022 القبول: 26/ 10/ 2022

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن تقنيات التكثيف في القرآن الكريم في جزء عم، وتتبع مسارتها عن طريق دراسة عناصر السرد القصصي (الحدث ، الشخصية، الزمان، المكان)، متخذًا من المنهجين الاستقرائي والتحليلي وسيلة للدراسة؛ وذلك لقراءة وتحليل التقنية التكثيفية المستعملة في القصة القرآنية الذي بدوره يقودنا إلى نوع تقنية التكثيف الموظفة في القصة القرآنية، وقد تبين من خلال الدراسة أن هذه التقنيات تمثلت في: حذف أحد عناصر القصة حيث انقسم إلى عدة أنواع وهي: حذف المكان، حذف الحوار، حذف الحدث "المشاهد"، والتكثيف اللغوي الذي انقسم إلى التكثيف النحوي والتكثيف البياني، ثم تكثيف الشخصية من خلال السياق، ثم تقديم خاتمة القصة، بالإضافة إلى التكثيف الزمكاني.

Abstract

This research aims to reveal the techniques of condensation in the Noble Quran in "Juz Amma", and trace their paths by studying the elements of storytelling (event, personality, time, place), taking the inductive and analytical approaches as a means of study. In order to read and analyze the intensification technique used in The Quranic story, which in turn leads us to the type of condensation technique employed in it. It was found through the study, these techniques consisted in deleting one of the elements of the story, as it was divided into several types, which are: deleting the place, deleting the dialogue, deleting the event "scenes," and linguistic condensation, which was divided into grammatical condensation and graphic conditioning, as well as condensing the character through context , then provide the conclusion of the story.In addition to space-time condensation.

الكلمات المفتاحية:

القصة القرآنية - التكثيفية – السياق- التكثيف اللغوي- التكثيف الزمكاني.

مقدمة:

يعد التكثيف من أهم مكونات القصة القصيرة جدًا، ورغم أن هذا الفن حديث العهد في الأدب إلاَّ أنه وجد بقوة في القرآن الكريم، فقد حوى العديد من القصص منها الطويل ومنها القصير، فالقارئ للقرآن الكريم يجد قصصًا طويلة، كقصة سيدنا يوسف عليه السلام، وقصة سيدنا موسى عليه السلام؛ حيث وردت فيهما جميع عناصر الفن القصصي من شخصيات وحوار وزمان ومكان وأحداث، أما القصص القصيرة تمثل في الإشارة أو التلميح لبعض القصص، كقصة البقرة في سورة البقرة، وقصة أصحاب الكهف، وصاحب الجنتين في سورة الكهف، وقصة وأد البنات في الجاهلية في سورة النحل وغيرها، وأحيانًا نجد القصة تُروى كمثل، كما في قصة النمرود في سورة البقرة ، وقصة قوم آل ياسين، فهذه قصص قصيرة جدًا اعتمدت على الاختزال والإيجاز حتى تكاد تختفي أغلب عناصر القصة، فقد لا تتعدى القصة ثلاثة أسطر في سورة طويلة، وفي القرآن المكي وخاصة الجزء الأخير منه " جزء عم" نجد السور فيه تتناول قصة كاملة في بضع أسطر لا تتجاوز السطر كما في سورة الكوثر، أو السطرين كما في سورة قريش، والفيل، وثلاثة أسطر كما في سورة المسد، وهذا لا يتأتى إلاّ في القصص القرآني الذي له أنظمة خاصة تختلف عن القصص العادي، باعتبار أن هذه القصص هي قصص حقيقية استخدمها القرآن الكريم بنسب متفاوتة لأغراض شريفة عُليا تختلف عن أغراض القصة العادية، وذلك نتيجة التكثيف الشديد الذي عرف به القرآن المكي عامة، وجزء عم خاصةً، حيث تكاد تختفي ملامح القصة الحقيقية؛ لأن التركيز القرآني في هذه المرحلة كان للاعتبار وضرب المثل بقصص القوم السابقين، وخاصة عاقبة هؤلاء الأقوام بسبب كفرهم وعنادهم، ولهذا سيخلص هذا البحث لدراسة تقنيات التكثيف القصصي القرآني في جزء عم.

ولا نزعم أننا سنبين في هذا البحث ملامح الإعجاز القرآني في هذا الموضوع؛ ولا ندعي الوصول إلى الحقيقة الكاملة في معرفة وجوه هذا الإعجاز في هذا التكثيف؛ لأن كلام الله سبحانه وتعالى المعجز هو فوق قدرة جميع البشر في فهم إعجازه وأغراضه وفنونه والأغراض التي جاء من أجلها، ولكننا نطمع أن يكون بحثنا بقعة ضوء، ومحاولة متواضعة من الباحثين لفهم بعض أسرار هذا القرآن المعجز من خلال محاولة استقراء لتقنية التكثيف القصصي في جزء منه.

وقد تناولت بعض الدراسات القصة القرآنية القصيرة جدًا، منها دراسة الدكتور جلال مرامي، مينا عربي دراسة القصة القرآنية القصيرة جدا وعناصرها، مجلة إضاءات نقدية فصلية محكمة، السنة السادسة، العدد 22، 2016م، وقد تناول الباحثان التكثيف كونه أحد عناصر القصة القصيرة جدًا. كما ورد في بعض الدراسات دراسة التكثيف في القصة وفي الشعر، منها دراسة الدكتورة سامية شاكر، عبد اللطيف سلامة التكثيف وعناصر بناء الفن الدرامي في " مهماني تلخ" لـ سيامك كليشري، مجلة بحوث كلية الآداب، ودراسة الدكتور

فادي نهار المواج، التكثيف في القصة القصيرة جدًا مجموعة" بين بكاءين" لحنان بيروتي نموذجًا، عمان، الأردن، 2020م.

ولكن هذه الدراسة تتخذ منحنىً آخر وهو دراسة أهم تقنيات التكثيف في جزء من أجزاء القرآن الكريم وهو "جزء عم" لمعرفة أنواع التقنيات، ومدى ارتباط هذه التقنيات بعناصر السرد القصصي، ومساهمتها في رسم الصورة الكلية أو الصورة العامة للقصة القرآنية، بحيث تظهر القصة كاملة دون خلل في عناصرها السردية، وبأسلوب يمتاز بالاختزال والإيجاز يعطي المراد بأقل عدد من الكلمات، وهذا ما نجده في أسلوب القرآن الكريم.

وقد اتخذت هذه الدراسة من المنهجين الاستقرائي والتحليلي وسيلة لها ومن خلالهما تم تقسيم البحث إلى عدة تقنيات وهي: حذف أحد عناصر القصة حيث انقسم إلى عدة أنواع وهي: حذف المكان، حذف الحوار، حذف الحدث "المشاهد"، ثانيًا: التكثيف اللغوي الذي انقسم إلى التكثيف النحوي والتكثيف البياني، ثم تكثيف الشخصية من خلال السياق، ثم تقديم خاتمة القصة، بالإضافة إلى التكثيف الزمكاني.

التمهيد:

إن القصة القصيرة جدا جنس أدبي حديث النشأة يمتاز بقصر الحجم واختزال الموضوع والإيجاز في الأسلوب، والتكثيف، فهذا الجنس الأدبي غربي المنشأ قام النقاد العرب بتطبيقه على القصص القصيرة جدًا في أدبهم، ومن ثم تم تطبيقه على نماذج قصصية من القرآن الكريم؛ حيث انطبقت هذه الشروط أو عناصر البناء القصصي القصير جدًا على قصص القرآن الكريم، فنلاحظ على القصص القرآني اهتمامه بمكونات وعناصر القصص القصيرة جدًا، والمتمثلة في قصر الحجم، والصراع، والحبكة، والشخصيات، والحدث، والزمان، والمكان، وبداية القصة، والنهاية، والحوار، والتكثيف.

وهذه الدراسة تتناول أحد عناصر القصة القصيرة جدا، وهو التكثيف لمعرفة تقنياته المتعددة التي استعملها القرآن الكريم من خلال دراسة تأثيره وارتباطه بعناصر السرد الأخرى، والتكثيف((مصطلح منقول من ميدان علم النفس إلى ميدان علم الأدب، ووظيفته إذابة مختلف العناصر والمكونات المتناقضة والمتباينة والمتشابهة، وجعلها في كلٍّ واحد أو بؤرة واحدة، تلمع كالبرق الخاطف)) [1] .

ويأتي التكثيف في القصص بشكل عام بعدة تقنيات تساهم في دراسة النص القصصي، كحذف عنصر من عناصره، أو اختزال جزء من أجزاء القصة كالأحداث والحوار، وتقديم الضمائر وتأخيرها، وحلول الضمائر محل الشخصيات؛ وذلك لأن هذا النوع من القصص يعمد دائمًا إلى اختزال الموضوع، والايجاز في عناصره،

(1) نعيم اليافي، أوهاج الحداثة في القصيدة العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1993م، ص203.

فقد تعتمد القصة على عنصر أو عنصرين فقط، والباحث بدوره يستشف بقية عناصرها من خلال استقرائه للقصة، وهذا الاقتصاد في عناصر السرد يعد من أهم عناصر التكثيف في القصص عامة، وفي القصص القرآني خاصة والذي يعمد دائمًا إلى الاختزال والاختصار بأقل عددٍ من الآيات القرآنية، لا بل بأقل عددٍ من الكلمات الموحية والأساليب الصور الفنية المؤثرة في نفس المتلقي، وهذا يعد من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم.

وتلمح هذا التكثيف القصصي خاصة في القرآن المكي الذي يعد "جزء عم" جزءًا منه؛ لأن هذا النوع من القرآن كان مهتمًا في أغلبه بقضية التوحيد، ولذلك سخر هذا النوع من التكثيف لخدمة هذه القضية، ولجأ إلى تقنيات غير معروفة في القصص العادي كانت خاصة بالقرآن الكريم، يمكن أن نستشفها من خلال هذا البحث.

تقنيات التكثيف القرآني في جزء عم

ونعني بها الوسائل التي اعتمدت في القصة القرآنية، وساهمت في تكثيف القصة، وربطها وتماسك عناصرها في جزء عم، ومن خلال استقرائنا لجزء عم في القرآن الكريم نجد أن هذه التقنيات تمثلت في الآتي:

حذف أحد عناصر القصة:

أ/ حذف المكان :

من أهم تقنيات التكثيف في جزء عم هو حذف أحد عناصر القصة، وهو المكان في قوله تعالى في سورة النبأ:﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [2] نجد أن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن قصة حدثت في الماضي وهذه القصة هي تشكيك بعض كفار قريش في يوم القيامة، واختلافهم في ذلك مع بعض المسلمين، فنجد أن الله سبحانه وتعالى لم يشر للقصة مباشرة، وإنما استخدم أسلوب الاستفهام؛ وذلك لتعظيم هذا الأمر وتفخيمه [3].

وإذا ما نظرنا إلى عناصر القصة نجد الشخصية متوفرة من خلال واو الجماعة التي تشير إلى كفار قريش في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[4] ، والزمن أيضًا موجود حيث عبر عنه الفعل المضارع الذي يدل على الماضي ((يتساءلون))، كما نجد الحدث أيضًا من خلال تساؤل الكافرين وتشكيكهم في وجود يوم القيامة، بينما لا وجود للمكان في هذه القصة؛ وذلك لأن الشخصية المتمثلة في كفار قريش تدل دلالة ضمنية على أن المكان الذي وقع فيه الحدث هو مكة ، فتقنية التكثيف في هذه الآيات تمثلت في حذف المكان في هذه القصة؛ لأن وجوده ليس بذي فائدة،

(2) سورة النبأ الآيات 1 .2. 3.

(3) ينظر: أبا القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرح وضبط ومراجعة يوسف الحمادي، مكتبة مصر، الفجالة، ط1، 2010م، ج4، ص584،585.

(4) سورة النبأ: الآية1.

ويُخل بالإيجاز والتكثيف الذي تميز به أغلب القرآن المكي وجزء عم خصوصًا.

ويمكن ملاحظة حذف المكان أيضًا في سورة النازعات في قوله تعالى ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ [5]؛ **حيث ذُكِرَ مكانٌ واحدٌ في بداية القصة، وهو الوادي المقدس الذي نادى فيه المولى عز وجل سيدنا موسى عليه السلام، والمكان الذي دعا فيه سيدنا موسى فرعون إلى الإيمان بالله تعالى غير مذكور؛ لأنه من المعروف بداهة أن فرعون هو حاكم مصر، كما يمكن أن يكون سبب إخفاء المكان هو إعطاء فرصة للقارئ للتدبر والتفكر من ناحية، ومن ناحية أخرى أن صراع الشخصيتين يُعرِّف بالمكان، باعتبار أن سيدنا موسى هو الأكثر ذكرًا في القرآن الكريم، وقد وردت قصته كاملة في سورة القصص؛ ولذلك اكتفى المولى عز وجل بذكر المكان في بداية مناجاته لسيدنا موسى في سورة النازعات، وهذا يمكن أن نعده ((تجسيد للمحذوف ببديل له هو الموجود، فيبدو القديم في شكل جديد، ويفهم المجهول من خلال هذا المعروف، وبذلك تتضح الصورة في ذهن المستمع))**[6] .

ويمكن ملاحظة أن تقنية التكثيف في سورة الشمس، ظهرت في المكان، ولا نقصد المكان الجغرافي لكن المكان المشهدي، وهو مكان قوم ثمود، وقد دلت آية ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾[7] **بمكان المشهد أو الحدث، فعن طريق هذه الآية استطعنا تحديد المكان، ويبدو أن سكوت القرآن عن ذكر مكان قوم ثمود هو أن ديارهم معروفة وموجودة في ديار العرب وجزيرتهم، وهي ما يعرف الآن بمدائن صالح، فآثار ديار ثمود ما زالت باقية حتى الآن، وذلك بعكس ديار قوم عاد التي اندثرت نهائيًا ولم يعد لها وجود، وذلك مصداقًا لقوله تعالى:** ﴿فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ﴾[8]، **كما أن وادي ثمود تمت الإشارة إليه في سورة أخرى في جزء عم وهي سورة الفجر من خلال قوله تعالى :** ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[9].

وفي سورة الفيل قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[10].

تم تكثيف عنصر المكان عن طريق الحدث، وهو هجوم أصحاب الفيل على لهدم الكعبة، فالمكان لم يذكر في المشهد لكن من خلال السياق القرآني

(5) سورة النازعات الآيات من 15إلى 26.

(6) سهام رابح: تحولات الاستعارة من البلاغة التقليدية إلى اللسانيات العرفانية. مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة ،الجزائر، مج 4، العدد 2، 2020م، ص1199م.

(7) سورة الشمس الآية11.

(8) سورة الحاقة الآية8.

(9) سورة الفجر الآية 9.

(10) سورة الفيل 1إلى5.

نستدل على أن المكان هو مكة المكرمة، فالحدث دل على المكان، فكلمة " كيدهم" دلت على أن الحدث هو محاولة هدم مكة المكرمة، وكأن في حذف المكان " مكة المكرمة" تنزيهًا لها عن الهدم والسوء الذي أراده بها أصحاب الفيل، كما أن هذا الحدث مشهور عند أهل مكة، ولما كان الخطاب لأهل مكة فقد تم حذف المكان لمعرفتهم بالقصة مسبقًا.

ب / حذف الحوار:

ومن تقنيات التكثيف والإيجاز التي لجأ إليها القرآن حذف الحوار؛ حيث يمكن ملاحظة غياب عنصر الحوار في قصة أصحاب الأخدود في سورة البروج، وبالتمعن في الآيات نلاحظ حوارًا محذوفًا يتضح من خلال قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[11]، فهذه الآية دلت على قوة وبشاعة الانتقام من المؤمنين كما دلت على أنه تم تخيير المؤمنين بين الكفر أو الموت بالحرق في الأخدود، فاختاروا الشهادة في سبيل الله تعالى، وهذا يقودنا إلى أن هناك حوارًا محذوفًا دار بينهم، وجاءت ردة الفعل من خصمهم بشعة ومؤلمة متماشية مع طغيان وهمجية مَنْ أمر بقتلهم.

((وهذا التكثيف هو ما يجعل القصة القصيرة جدًا تستحضر عند تحليلها أو قراءتها من فضاء المحذوف أو الغائب أو المحتمل، أكثر مما هو حاضر في لغتها ودلالاتها المباشرة الكائنة في لغتها الحاضرة ومتانتها، لا بمعنى الاقتصاد اللغوي فحسب، إنما في فاعليته المؤثرة في اختزال الموضوع وطريقة تناوله، وإيجازه في الحدث ومحاولة القبض على وحدته الكامنة في محتواه)) [12].

ويمكن ملاحظة حذف أجزاء من الحوار من خلال قوله تعالى في سورة الشمس :﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾[13]، فتكذيبهم لسيدنا صالح صادر عن حوار دار بينهم وبينه وهذا الحوار حذف للتكثيف وتقدير الحوار المحذوف: احذروا أن تؤذوا ناقة الله وتمنعوها من السقاء في يومها المخصص لها، كذلك يلاحظ تسارع الأحداث وتعاقبها عن طريق فاء التعقيب التي ساهمت في اختزال الزمن وتكثيفه لدرجة أن القارئ حين يقرأ السورة يشعر بسرعة الأحداث وتواليها تباعًا برغم قصر القصة واختزالها، إلاَّ أن أحداثها سارت بشكل متسلسل، بداية من دعوة سيدنا صالح لقومه للإيمان بالله تعالى وتحذيره لهم من أن يمسوا الناقة بسوء، إلى تكذيبهم له وعقرهم لها، ثم إلى ما انتهوا إليه من خلال العذاب الذي سلطه الله عليهم والذي جاء موافقًا للجرم الذي ارتكبوه.

بينما تناولت الآيات الأولى من سورة العلق بداية نزول الوحي، فالآيات الخمس الأولى منها هي أول ما أُنزِل من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ

(11) سورة البروج، الآية 8.

(12) عبد الحميد بوطي، نعيمة بوزيدي ،شعرية التكثيف في القصة القصيرة جداً مجموعة : الرسم بالرصاص لأحمد عكاش ص2639، المدونة، مج8، العدد3، سبتمبر 2021م.

(13) سورة الشمس، الآية 13 .

رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (14).

فالواضح من الآيات أن هناك تكثيف للحوار فقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ (15) **دل على حوار محذوف بين أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ورد في الحديث النبوي الحوار الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وسيدنا جبريل عليه السلام روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت ((أول ما بُدِئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاَّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه – وهو التعبد الليالي ذوات العدد- قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: " ما أنا بقارئ". قال " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من خلق، اقرأ وربك الأكرم"))**. (16) ، **فحذف الحوار دل على وجود شخصيات محذوفة، كما دل على مكان محذوف، وهو غار حراء في مكة، والذي كان يتعبد فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد استطعنا التعرف على المحذوفات من خلال عنصر الزمن الموجود في الآيات، وهو زمن الأمر الحالي للحوار، والحالي بالنسبة للحدث أو المشهد، والماضي بالنسبة لنا كمتلقين، وهذا الزمن الفعلي هو الذي ساهم في تكثيف عناصر السرد الأخرى، وهي الحوار والشخصية والحدث والمكان، كما جاء هذا الزمن إيذانًا بنزول الوحي وتبليغ الرسالة الربانية، ودل في الوقت ذاته على صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهو رسول من عند الله سبحانه وتعالى.**

والحوار لا يحذفُ كله في بعض الآيات، ولكن تحذفُ بعض أجزائه متمثلة في حذف المشاهد، ومن ذلك في قوله تعالى في سورة النازعات : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (17) ، **بدأت الآيات السابقة بمشهد حواري بين الله سبحانه وتعالى**

(14) سورة العلق، الآيات1 إلى 5.

(15) سورة العلق، الآية1.

(16) الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد أحمد عيسى، الناشر دار الرحاب، القاهرة، ط1، 2007م، ج1، ص25.

(17) سورة النازعات الآيات 15 إلى 26.

وسيدنا موسى عليه السلام، فالتكثيف في هذه الآيات تمثل في حذف المشاهد الحوارية التي دارت بين فرعون وسيدنا موسى عليه السلام، بداية من الحوار لذي دار في قصر فرعون، ودعوة سيدنا موسى عليه السلام لفرعون وإظهاره للآيات، كالعصا واليد البيضاء واتهام فرعون له بالسحر، ثم طلب حاشية فرعون أن يؤتى بالسحرة من جميع أقاليم البلاد ليتحدوا موسى عليه السلام في يوم معلوم، وانتصاره عليهم يوم الزينة، ثم المشهد الحواري بين موسى عليه السلام وفرعون ومؤمن آل فرعون، ثم هروب موسى عليه السلام ومن معه ولحاق فرعون وقومه به، وعقاب الله لهم بالغرق في البحر، وقبلها محاولة فرعون للتوبة بعد فوات الأوان، كل ذلك لخصته الآيات السابقة في تكثيف معجز لا يتجاوز أربعة أسطر من الآيات من خلال استخدام تقنية حذف الحوار.

وكذلك لخصت الآيات مشهد نهاية فرعون والتي وردت في سورة يونس قال تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[18] بل إن هذه الآية في سورة النازعات لم تتحدث عن العقوبة الدنيوية فقط، بل العقوبة الأخروية، والتي جاءت أيضًا في سورة غافر قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[19] ، وهذا العذاب في عالم البرزخ، وهذا كله لخصته أو أجملته آية سورة النازعات في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾[20].

2) التكثيف اللغوي : وينقسم إلى :

أ/ التكثيف النحوي . ب / التكثيف البياني.

أ/ التكثيف النحوي : وينقسم إلى :

1/ الاستعانة بالضمائر بدل الأسماء الظاهرة:" الفاعل والمفعول به":

فقد تمثلت التقنيات الأسلوبية في تقديم الفاعل والمفعول به، في قوله تعالى في سورة النازعات:﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾[21] ففاعل الفعل (طغى) جاء ضميرًا مستترًا لتقدم ذكر فرعون قبله، مما أغنى عن ظهور الفاعل اسمًا ظاهرًا، كما جاء فرعون ضميرًا متصلاً ظاهرًا اسمًا (إنَّ) بدل أن يكون اسمًا ظاهرًا لنفس السبب، كما أن تقديم الضمائر ساهم في تأخر الفاعل أو حذفه، وهي تقنية استلزمتها أيضًا الفاصلة القرآنية، وهي الألف المقصورة، وكذلك جعل الفعل (طغى) في آخر الآية دلالة على أهمية الحدث الذي يشكله الفعل، ولذلك حرص على إبرازه في آخر الآية محل الوقف؛ لأنها ليست ساحة للوقوف فقط، وإنما تعطي أيضًا فرصة للتدبر.

(18) سورة يونس، الآية 92.

(19) سورة غافر، الآية 46.

(20) سورة النازعات الآية 25.

(21)سورة النازعات، الآية 17.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [22] **التقنية هنا تختلف؛ حيث ورد فرعون ضميرًا متصلًا مرتين من خلال ضمير الكاف، مرة مفعول به (أهديك) ومرة مضاف إليه في ربك، وهذا الورود المتقدم لفرعون تارةً مفعولًا به، وتارةً مضافًا إليه، أغنى عن ظهوره فاعلًا لتخشى؛ لأن في تكراره إطنابًا.**

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾[23]**، فلم يظهر فرعون فاعلًا ظاهرًا، ولكن جاء ضميرًا مستترًا للفعلين ((كذب – عصى))، وذلك لمعرفته من سياق الكلام، وقد حذف الفاعل بداية في قوله تعالى:** ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾[24] **؛ حيث جاء الفاعل في (أراه) مستترًا تقديره هو، كما ساعد على التكثيف ربط الجمل بحروف العطف، وخاصةً فاء التعقيب التي أغنت عن غيرها من الروابط كما تُلقي بضلال تكثيفية نفسية على القارئ أو المتلقي تُوحي بسرعة وقوع الأحداث وهذه السرعة في حد ذاتها تكثيف.**

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى في سورة عبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[25] **؛ وقد استخدم نفس التقنية ولكن اختلف الأسلوب، فبدأها بفعلين ماضيين لدلالة على الحدث، فقد استتر الفاعل في كلا الفعلين تنزيهًا للنبي صلى الله عليه وسلم ومراعاة لشأنه؛ ولذلك جاء العتاب بصورة الغائب، ولم يوجه الله سبحانه وتعالى العتاب لرسوله مباشرة.**

ويظهر ذلك أيضًا من خلال استخدام أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[26] **، فالكاف ضمير ظاهر أغنى عن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تنزيهًا له، فالاستفهام خرج إلى معنى العتاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وعدم تهوين شأن أي إنسان وخاصةً الضعفاء والفقراء، ثم استخدمت أمَّا التفصيلية لبيان ما حدث من النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس قريش وحرصه على دعوة كبار القوم وإعراضه عن الضعفاء منهم، ونلاحظ أن أفعال (استغنى – تصدى يزكى – يسعى – تلهى)، استتر فيها الفاعل جميعًا وهو جزء من التكثيف.**

وفي سورة العلق ذكرت حادثة تهديد أبي جهل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونهيه عن الصلاة في مكة، فقال: ((لئن رأيت محمدًا يصلي في الكعبة لأطأن على عنقه)) [27] ، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى

(22) – سورة النازعات، الآية 19.

(23) – سورة النازعات، الآية 21 .

(24) سورة النازعات، الآية 20.

(25) سورة عبس، الآيات 1إلى 10.

(26) سورة عبس، الآية3.

(27) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج30/ ص 446.

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّه يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[28] .

وإذا ما نظرنا في الآيات السابقة التي كان فيها الفاعل أبو جهل لا نجد له اسمًا ظاهرًا، وإنما ورد الفاعل "أبو جهل" ضميرًا مستترًا تقديره هو، وذلك في الأفعال " ينهى، أمر، كذب، تولى، يعلم، ينته، فليدع، تطعه"، ففي هذه الأفعال جميعًا ورد الفاعل "أبو جهل" ضميرًا مستترًا تقديره هو، مما أدى إلى تكثيف السرد القصصي، فتكرار الاسم سيؤدي إلى تكرار مقيت يُخِل بالسرد، كما أن حذف اسم أبي جهل يؤدي غرضًا بلاغيًا آخر، وهو استحقار أبي جهل، وتنزيه القرآن الكريم عن ذكر اسمه وحرمانه من هذا الشرف، والدليل على ذلك أن أبا جهل تم حذفه أيضًا مفعولًا به في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّه يَرَى﴾ [29] ؛ لأن أصل الكلام ألم يعلم بأن الله يراه.

ومن وسائل التكثيف النحوي أيضًا استخدام الصفة بدل الاسم كما في قوله تعالى في سورة البروج:﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ [30] وفي قوله تعالى في سورة المسد: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [31] ، فأصحاب الأخدود، وحمالة الحطب، صفتان احتوتا على أجزاء من الحدث سواء أكان الحدث أصحاب الأخدود، أم حمل الحطب، فقد منحتا خصائص تكثيفية للنص لا يمنحها له الاسم العادي.

ب/ التكثيف البياني:

إن الصورة البيانية سواء أكانت تشبيهية أم استعارية أم كنائية هي صور تلخص المعنى وتكثفه في ذهن المتلقي، فهي أشد تأثيرًا في الذهن؛ لأنها تعلق في عقله وقتًا أكثر يحاول فيه المتلقي فهم هذه الصورة، بعكس الكلام الحقيقي المباشر، وتغني الصور البيانية بروعة معانيها وكثافتها التعبيرية عن الكثير من الكلام الحقيقي المباشر في الأسلوب الحقيقي العادي، وهذا ما نجده بكثرة في القرآن الكريم، ومثال ذلك في قوله تعالى في سورة الفجر:﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ، [32] فكلمة "صب" استعارة لنزول العذاب بسرعة كما يصب الماء على المغتسل دفعة واحدة من كل جانب، وكذلك العذاب أحاط بالمشركين من كل مكان فلا ملجأ إلاَّ من رحم الله، كما يمكن أن نلاحظ الصورة التشبيهية في لفظة:﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾[33] ؛ حيث توحي بسرعة نزول العذاب المفاجئ والخاطف في

(28) سورة العلق، الآيات 9 إلى 19.

(29) سورة العلق الآية 14.

(30) سورة البروج، الآية 4.

(31) سورة المسد الآية 4.

(32) سورة الفجر الآية 13 .

(33) سورة الفجر، الآية 13 .

سرعة الإصابة ودقتها، [34] ، كما تعني ((نهاية كل ما يعذب به وأشده)) [35] .

ويمكن ملاحظة التكثيف البياني من خلال الصورة التشبيهية التي شبه بها المولى عز وجل أصحاب الفيل قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [36] ، وهي نهايتهم التي آلوا إليها حين أصبحوا كالعصف المأكول وهو العشب أو الزرع الذي تأكله الدواب ثم تلقيه روثًا فيجف وتتفرق أجزاؤه [37] ، تمامًا كما تفرق أصحاب الفيل بعد قوتهم، فهذه الصورة عبرت بدقة على حالتهم، واختزلت ما حدث لهم لأجسادهم من دمار يزرع الخوف في نفس المتلقي، ولأداة التشبيه(الكاف) دور كبير في تكثيف هذه الصورة فهي التي قربت درجة التشابه بين طرفي الصورة التشبيهية؛ أي بين المشبه (أصحاب الفيل) والمشبه به (العصف المأكول) فظهور أداة التشبيه بين حالة أجساد أصحاب الفيل بعد عقاب الله لهم، وإذًا ((فحضور الأداة أو غيابها يتصل بمفهوم المسافة بين طرفي التشبيه حيث يُبقِي حضور الأداة على البعد أو الفضاء الفاصل بين الطرفين في تصنيف الموجودات)) [38] .

ويظهر التكثيف البياني في سورة العلق في قوله تعالى:﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[39] وهي كناية عن أخذ أبي جهل يوم القيامة من مقدمة رأسه، وذلك لغرض إهانته وإذلاله، فبعد أن كان ذا عز وجاه في الدنيا، سيصبح ذليلاً في الآخرة جزاء كفره وعناده واستعلائه على المؤمنين واستكباره في الأرض بغير الحق.

كما يمكن ملاحظة صورة بيانية مجازية من خلال ذكر الصفات المعنوية لأبي جهل، وهي الكذب والخطأ؛ حيث أطلقها المولى جل شأنه على الناصية والمقصود بها أبي جهل، فهي هنا صورة مجازية علاقتها الكلية حين ذكر الجزء وهي الصفات وأراد الكل وهي الشخصية،((ووصف بالكذب والخطيئة مجاز والكذب والخاطئ في الحقيقة صاحبها، والخاطئ الذي يفعل الذنب متعمدًا، والمخطئ الذي يفعله بدون قصد)) [40] .

وفي قوله تعالى:﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ [41] يلاحظ التكثيف البياني في هذه الآية، وهو تعبير مجازي وهو أن النادي لا يدعى بل يدعى الناس الذين في النادي من أنصار أبي جهل، وفي كل الصور السابقة نلاحظ تكثيفًا بيانيًا اختصر كثير من المعاني

(34) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ ص 322.

(35) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1967، ج 20/149.

(36) سورة الفيل، الآية 5 .

(37) ينظر: ابن عاشور التحرير والتنوير ج30/ ص 98.

(38) الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية(نحو رؤية جديدة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992م، ص 23.

(39) سورة العلق، الآيات 15، 16 .

(40) الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1973م،ج4، ص 209.

(41) سورة العلق، الآية 17 .

في ألفاظ قليلة مثلتها هذه الصور.

تكثيف الشخصية : وينقسم إلى عدة أنواع وهي:

أ/ تكثيف الشخصية من خلال السياق:

وتتجسد هذه التقنية من خلال تكثيف شخصية فرعون في قوله تعالى في سورة النازعات : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (42) ، فمن خلال سياق الآيات ظهرت صفات شخصية لفرعون وهي الكذب، والعصيان، والاستعلاء والاستكبار، والقيادة من خلال قدرته على تجميع الناس وخطابه فيهم، إلى أن وصل إلى ادِّعاء الربوبية، وهذه الشخصية يمكن أن نطلق عليها شخصية طموحة كاذبة تمتاز بتضخم الأنا حتى وصلت إلى حد ادعاء الربوبية والألوهية، فصورة الشخصية بدأت بالكذب الذي وصفها به الله سبحانه وتعالى، وانتهت بالادعاء بأنه إله حتى يبرر جميع أفعاله. ويمكن ملاحظة أن فاء التعقيب أفادت التسلسل في تطور شخصية فرعون حتى وصلت بنا إلى الشخصية المؤلهة، وهو ما يمكن أن نطلق عليه في علم النفس الأنا المضخمة، إن هذه الصفات والملامح لشخصية فرعون كلها ظهرت من خلال السياق التكثيفي للقصة.

ب/ تكثيف الشخصية من خلال الحدث:

فمن الملاحظ على قصة أصحاب الأخدود التي وردت في سورة البروج في قوله تعالى:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (43) عدم ذكر الشخصيات، فنحن لا نعرف الشخصيات الواردة في القصة، ولا نعرف أصحابها إلاَّ من خلال رجوعنا إلى كتب التفسير؛ ويرجع ذلك إلى تكثيف المشهد وقسوته (الحرق في الأخدود) وسيطرته تمامًا على أحداث القصة وعناصرها، ومن خلال تقنية تكثيف الحدث اكتشفنا سلوك الشخصية التي قامت بفعل الحرق، وهو ما يمكن نطلق على صاحبه شخصية سادية طاغية انتقامية تتلذذ بتعذيب الآخرين.

وفي سورة الشمس دارت أحداث القصة حول قوم ثمود الذين كذبوا رسول الله إليهم، وهو سيدنا صالح عليه السلام، قال تعالى :﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (44) ، وبعد تكذيبهم أرسل الله تبارك وتعالى إليهم آية وهي الناقة، التي لها يوم تشرب فيه الماء ولهم يوم يشربون فيه،

(42) سورة النازعات، الآيات 15 إلى 26 .

(43) سورة البروج، الآيات 1 إلى 8 .

(44) سورة الشمس، الآيات 11 إلى 15 .

قال تعالى: ﴿قَالَ هَـٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾[45] **، فتدل هذه الآية على أن القوم كانوا رعاة إبل، وهذا بدوره يشير إلى أنهم كانوا يعيشون في الصحراء، وأنهم أصروا على عنادهم وكفرهم وتكذيبهم، فخرج من بينهم جاهل أحمق نحر الناقة تحديًا لإرادة الله تعالى، واستهزاءً برسوله عليه الصلاة والسلام، فحق عليهم عذاب الله تعالى بأن أرسل إليهم العذاب فدمرتهم تدميرا، قال تعالى :** ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾ [46] .

ج/ تكثيف الشخصية من خلال المكان:

ففي قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[47] **، نتبين أن المولى عز وجل ذكر حال الأمم السابقة والنعم التي من بها عليهم، ثم ذكر حالهم بعد طغيانهم واستكبارهم وفسادهم في الأرض، وكأن ذلك تجسيد لحالهم في ماضيهم وفي حاضرهم؛ بمعني كيف كانوا وكيف أصبحوا، وقد ركز على تكثيف المكان من خلال الحضارة التي أنشأها كل قوم، فقوم عاد عرفت حضارتهم بمدينة إرم ذات العماد التي علا شأنها في ذلك الزمن، فمن خلال ذكر القوم، وذكر أهم ما يميزهم نعرف صفاتهم، فتكثيف الحضارة دل على صفات القوم، فامتاز قوم عاد بالبناء الشاهق الذي يدل على قوتهم وثرائهم وتقدمهم في الهندسة والمعمار، أما قوم ثمود امتازوا بالقوة والشدة،؛ لأنهم بنوا بيوتهم من خلال النحت في الجبال، وهذا يدل على فن النحت في الأحجار، فصنعوا بيوتهم من الحجارة الكبيرة، أما قوم فرعون فقد امتازوا بالبناء الضخم وحمله لمسافات عالية، وهذا أيضا يدل على قوتهم، وتقدمهم العلمي، ووصف " ذي الأوتاد" يراد به تقريب لصورة الوتد المدقوق في الأرض بصورة ثبات فرعون، أي أن فرعون كان متعنتًا في موقفه من رسالة سيدنا موسى- عليه السلام-، وثابتًا في عداوته له، كثبات الوتد في الأرض** [48] **، كما يمكن أن تعني أيضًا القوة والطغيان، ((سمي ذو الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا))** [49] **، ومنهم من قال أن الأوتاد كانت وسيلة تعذيب يستعملها فرعون ضد خصومه، فـ((كان يعذب الناس ويشدهم بها إلى أن يموتوا))** [50] **، من خلال ما سبق**

(45) سورة الشعراء الآية 155 .

(46) سورة هود، الآيات 67، 68 .

(47) سورة الفجر، الآيات 6 إلى 14 .

(48) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30/ 321.

(49) أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981م، ج31، ص 169 .

(50) المصدر السابق، ج31، ص 169.

يتضح أن القوة بين الأقوام جاءت متشابهة أو متقاربة، كما أنهم اتفقوا على الظلم والطغيان والفساد، ولكنهم اختلفوا في فن العمارة فكل بناء جاء بشكل مختلف عن الآخر.

د/ تكثيف الشخصية من خلال الصفة:

وهو ما نجده في سورة الشمس فقد تم اختزال القصة فيها حيث نجد تقنيات التكثيف في الشخصية التي نحرت الناقة فمن خلال السياق القرآني في قوله تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [51] نتبين أن هذه الشخصية لم يذكر اسمها، ولكن ذكرت صفته وهي الشقاوة، فمن خلال صفته تعرفنا على شخصيته العدائية والجاهلة، والقوية حيث امتاز بالقوة الجسمانية، بالإضافة إلى شخصيته المتسرعة التي ارتكبت فعل النحر دون التفكير في سوء العاقبة؛ لأن الفعل (عقر الناقة) دفع ثمنه قومه جميعا وليس هو فقط، كذلك يمكن ملاحظة أن القوم أنفسهم يؤيدون فعل هذا الشخص الحاقد، فكأن شخصيته هي إسقاط على شخصية قوم ثمود، فهو ((الذي باشر الجريمة وإن كان على ملأ منهم وإغراء)) [52].

وفي سورة العلق ذكرت حادثة أو تهديد أبي جهل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونهيه عن الصلاة في مكة، فقال: ((لئن رأيت محمدًا يصلي في الكعبة لأطأن على عنقه))[53] ، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[54]، فالحدث في الآيات بدأ بأسلوب الاستفهام الذي خرج إلى معنى التعجب، فقد كشف لنا هذا الأسلوب عن شخصية أبي جهل الذي طغى بسبب ماله ومكانته بين قومه، وكأنه استغل مكانته بينهم لينتقم من الرسول عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا، فهذا الفعل المستغرب من أبي جهل تقابله صفات لهذه الشخصية الناقمة، والتي تمثلت في الحقد والكره والبغض للرسول عليه الصلاة والسلام، وهو المعروف بصدقه وأمانته بين العرب، وهو في كل هذا لم يرتكب ذنبًا أو فعلاً يسيء إليهم، إنما قام بالصلاة والدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فأبو جهل لم يذكر ولكن تكثيف شخصيته تبينت لنا من خلال صفات أطلقها عليه الله سبحانه وتعالى من خلال سياق الآيات، وهذه الصفات هي النهي عن الحق، والكذب، والتولي، والوقوع في الخطأ الجسيم، وهذه الأخيرة تبلورت من خلال وصف الله تعالى لناصيته بقوله:﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ

(51) سورة الشمس، الآية 12 .

(52) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج30/ ص 373.

(53) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/ ص 446.

(54) سورة العلق، الآيات 9 إلى 19.

خَاطِئَـةٍ ﴾[55] ، كل هـذه الصفـات ألقـت أضـواءً عـلى شـخصية أبـي جهـل، جعلتهـا أكثـر وضوحًـا مـن لـو أن الآيـات ذكـرت اسـمه فقـط.

وتكثيـف شـخصية الفيـل بجعلـه عنوانًـا للسـورة يـدل عـلى القـوة، وهـو الوسـيلة التـي أُرِّيـد بهـا هـدم الكعبـة، قـال تعـالى في سـورة الفيـل: ﴿أَلَـمْ تَـرَ كَيْـفَ فَعَـلَ رَبُّـكَ بِأَصْحَـابِ الْفِيـلِ أَلَـمْ يَجْعَـلْ كَيْدَهُـمْ فِي تَضْلِيـلٍ وَأَرْسَـلَ عَلَيْهِـمْ طَيْـرًا أَبَابِيـلَ تَرْمِيهِـمْ بِحِجَـارَةٍ مِـنْ سِـجِّيلٍ فَجَعَلَهُـمْ كَعَصْـفٍ مَأْكُـولٍ﴾ [56] ، فصفـة أصحـاب الفيـل تـدل عـلى أن القوم أو قادتهـم عـلى الأقـل كانـوا مـن الأحبـاش؛ لأن العـرب لا يعرفـون الأفيـال، وهذه إشـارة أيضًـا إلى زعيـم القـوم وهـو أبرهـة الحبـشي، كمـا أن الفيـل حيـوان كبـير ضخـم فعنـد السـماع بـه أو رؤيتـه يـزرع الرعـب في الخصـوم، وهـذا المعتقـد عنـد أصحـاب الفيـل الذيـن أرادوا تدمـير وهـدم كل شيء أمامهـم خاصـة مكـة المكرمـة، ولكـن إرادة اللـه هـي القاهـرة؛ فبرغـم قوتهـم وعتادهـم هزمتهـم طيـور صغـيرة تحمـل حجـارة أصغـر منهـا، وفي هـذا دلالـة وعـبرة عـن أن كـبر الحجـم وكثـرة عتـاد الجيـش لا يعنـي القـوة التـي تجلـب النـصر، وفي هـذا أيضًـا دلالـة عـلى قـدرة اللـه سـبحانه وتعـالى، وذكـر لفـظ الفيـل ليكـون صفـة لأصحابـه ويـدل عـلى القـادة والجيـش، ويوضـح أيضًـا صفـات هـؤلاء القـوم الذيـن لا يختلفـون عـن الفيـل في ((عـدم الفهـم والعقـل))[57].

ففـي سـورة المسـد في قولـه تعـالى: ﴿تَبَّـتْ يَـدَا أَبِـي لَهَـبٍ وَتَـبَّ مَـا أَغْنَـى عَنْـهُ مَالُـهُ وَمَـا كَسَـبَ سَـيَصْلَى نَـارًا ذَاتَ لَهَـبٍ وَامْرَأَتُـهُ حَمَّالَـةَ الْحَطَـبِ فِي جِيدِهَـا حَبْـلٌ مِـنْ مَسَـدٍ﴾ [58] ، نجـد تقنيـة تكثيـف الشـخصية مـن خـلال الصفـة مـن خـلال وعيـد اللـه سـبحانه وتعـالى لأبـي لهـب وزوجتـه بمـا سـينالونه في الآخـرة مـن عـذاب في نـار جهنـم، تناولـت هـذه السـورة توبيـخ ووعيـد لشـخصيتين قامتـا بإيـذاء النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، وهاتـان الشـخصيتان همـا: أبـو لهـب وكنيتـه أبـو عتبـة وهـو عـم النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، وزوجتـه حمالـة الحطـب وكنيتهـا أم جميـل، ويلاحـظ مـن خلال السـورة أن المـولى عـز وجـل اكتفـى بذكـر كنيـة إحـدى الشـخصيتين (أبـو لهـب)؛ والتـي تـدل عـلى مظهـره الخارجـي حيـث اكتسـب هـذه الكنيـة مـن وجهـه الحسـن فمـن شـدة جمالـه شُـبه باللهـب، وأتـى ذكـر هـذه الصفـة في السـورة بـدل الاسـم للتعريـض بأبـي لهـب، وبيـان أن عاقبتـه سـتكون المعانـاة في لهيـب نـار جهنـم، بينمـا ذكـر صفـة الشـخصية الأخـرى (حمالـة الحطـب)؛ حيـث كانـت تحمـل الحطـب والشـوك وترميـه في طريـق الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم[59]، ومـن خـلال تسـمية اللـه سـبحانه وتعالى لامـرأة أبـي لهـب " حمالـة الحطـب" نجـد تقنيـة التكثيـف تتبلـور في عـدة أشـياء منهـا: الأول: أن اللـه سـبحانه وتعـالى نـزه قرآنـه الكريـم مـن ذكـر اسـمها. والثانـي: أن

(55) سورة العلق، الآية 16.

(56) سورة الفيل.

(57) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج 30/ ص98.

(58) سورة المسد، الآيات 1 إلى 5.

(59) ينظر: ابن عاشور التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج605/30.

الله سبحانه وتعالى من خلال اللقب الذي منحه لها بين الفعل الذي من أجله استوجب دخولها في النار دون أن يروي لنا أحداث القصة، فاللقب الذي أطلقه الله تعالى عليها أغنى عن ذكر القصة.

كما بين المولى عز وجل الجزاء الذي ستناله هاتان الشخصيتان يوم القيامة، فأبو لهب أعد الله له عذابًا مناسبًا لكنيته، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[60] ، بينما يلاحظ أن عذاب حمالة الحطب مناسبًا لفعلها في الدنيا تجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالحبل الذي كانت تحمل به الحطب الذي توقده لإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم سيتحول إلى حبل من نار جهنم، وهنا تعطينا لمحة تكثيفية أخرى بأن الجزاء من جنس العمل.

ونستطيع أن نستشف الصورة النفسية في هذه السورة القرآنية، وهي صورة التعذيب النفسي مع التعذيب الجسدي الذي ستناله الشخصيتين جزاء ما اكتسبا، فحمالة الحطب ستقوم بحمل الحطب في نار جهنم حتى يتعذب به زوجها(أبو لهب) أعز الناس عليها، وهي من ناصرته في الدنيا ووقفت بجانبه في عدائه لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهذه الصورة تحمل عذابًا نفسيًا لهاتين الشخصيتين حين تتحول حمالة الحطب إلى مصدر العذاب والتعذيب لزوجها أبي لهب بعد أن كانت عونًا له في دنياه، فتتعذب بذلك مرتين؛ المرة الأولى في نار جهنم جزاء ما اقترفته تجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمرة الثانية بتعذيبها لزوجها حين تصبح وسيلة العذاب له بعد أن كانت في الدنيا مصدر أمن وأمان، انقلبت في الآخرة إلى جلاد يسقي من يحب أبشع العذاب رغما عنه، والزوج يناله العذاب هو الآخر مرتين مرة لما جنت يداه في الدنيا فاستحق نار جهنم، والثانية عندما تتحول زوجته مصدر أمنه وأمانه في الدنيا إلى وسيلة تجرعه العذاب في الآخر[61].

تقديم خاتمة القصة :

يلجأ القرآن إلى أسلوب تقديم خاتمة قصص الأمم السابقة وما تعرضوا لهم من عقاب إلهي، وذلك لأن الغرض الرئيس كان الاعتبار بما حدث للأمم السابقة من عقاب بعد تكذيبها، وتنبيه كفار قريش وتحذيرهم من أن يحل عليهم غضب الله وانتقامه ففي سورة الفجر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [62] بدأت هذه الآيات بأسلوب استفهامي غرضه الاعتبار بما حدث للأمم السابقة، وهم قوم عاد وثمود وقوم فرعون من عذاب، ثم يذكر السبب في تعرضهم للعقاب، وهو فسادهم وكفرهم الذي أوجب العقوبة

(60) سورة المسد، الآية 3.

(61) ينظر: ابن عاشور، مصدر سابق، ج30/605.

(62) سورة الفجر، الآيات 6 إلى 14 .

عليهم، وهذا نسق غريب في السرد القصصي، فمن المعروف أن القصة تنمو نموًا طبيعيًا من بداية أحداثها حتى وصولها إلى الخاتمة، ولكن القرآن يستخدم تقنية جديدة، وهي تقنية تقديم الخاتمة؛ لأن الغرض من السرد والقصص ليس لمجرد القصص العادي، ولكنه لأخذ العبرة والتحذير من أن يكون مصير الكافرين هو ما حدث للأمم السابقة.

ومثال آخر لاستخدام هذه التقنية نجده في سورة البروج، في قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[63]، ففي هذه القصة نجد أن أصحاب الأخدود هم أولئك المسيحيون من أهل نجران الذين تم حرقهم نتيجة ثباتهم على دينهم، ولكن هذه القصة تتبنى تقنية جديدة في التكثيف والإيجاز لهذه القصة من خلال تقديم خاتمة القصة ونهايتها على بداية أحداثها، فنجد أن الله سبحانه وتعالى في بداية السورة يقسم على أنه قد لُعِن أصحاب الأخدود، ثم يأتي بصورة مشهدية للحدث تمثلت في نار هائلة متقدة ،ومؤمنين يتعذبون فيها، وكفار قائمين على تعذيبهم، ويشهدون على هذا العذاب، ثم يأتي على ذكر أسباب هذا الحرق والتعذيب، والذي يقول بأنه بسبب إيمانهم فقط بالله العزيز الحميد، ولو اتخذت القصة تسلسلاً طبيعيًا في الأحداث لبدأت بذكر أسباب العذاب، ولكنها أخذت مسارًا عكسيًا بدأ بالخاتمة ثم الحدث ثم السبب، وذلك دلالة على عظم هذا الجرم الكبير عند الله سبحانه وتعالى، ولذلك بادر إلى ذكر عقوبتهم وجرمهم ثم أسبابه.

وفي قوله تعالى في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[64]، تناولت هذه السورة الكريمة نهاية من أرادوا هدم الكعبة، وهي القصة المعروفة بأصحاب الفيل، فقد ركزت هذه السورة على أحداث نهاية القصة، ولذا نلاحظ سيطرة نهاية الحدث على القصة، وكيف تصدى الله سبحانه وتعالى لهم فأرسل عليهم العذاب المتمثل في الطيور التي تحمل الحجارة وترميها عليهم، حتى أهلكهم جميعًا، فجملة أصحاب الفيل كثفت واختصرت قصة أصحاب الفيل كلها كون القصة معروفة عند المتلقي وهم أهل مكة، والاهتمام في السورة كان منصبًا على عاقبة الكفار المحاربين لله ودينه وبيته الحرام.

وفي سورة الكوثر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾[65]، ابتدأت السورة بذكر جزاء النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة بأن أعطاه الله تعالى نهرًا في الجنة هو نهر الكوثر، ثم أمره بالصلاة والنُسك؛ لأن من عابه وشانه هو الأبتر فعلاً، وآخرته ستكون جهنم.

(63) سورة البروج، الآيات 1 إلى 8 .

(64) سورة الفيل.

(65) سورة الكوثر.

التكثيف الزمكاني:

ويقصد به تكثيف المكان والزمان معًا، وجاء هذا النمط من تقنيات التكثيف في سورة البروج في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[66]، **فالتكثيف في المكان جاء تكثيفًا لمكان الحرق (الأخدود)، وهو مكان مفتوح، أي أن المكان في هذه القصة تم تحديده بصفته المشهدية لا الجغرافية، فلم تحدد القصة مكان الأخدود أو زمانه، أو حجمه أو عمقه، ولكننا من خلال السياق القرآني ندرك أن مفردة الأخدود تعني شق مستطيل غائر في الأرض، وهذا يدل على سعة حجم المكان (الأخدود)، كما دلت لفظة أصحاب على أنهم جماعة تم رميهم في الأخدود، فيلاحظ أن كلا اللفظتين (الأخدود ـ أصحاب) دلتا على حجم المكان وسعته، وهذا في حد ذاته يعد تقنية لتكثيف المكان، وكما أدى تكثيف المكان إلى تكثيف المشهد؛ حيث أوحى الأخدود بصورة القتل الجماعي وبشاعة المشهد والنهاية المأساوية بالموت حرقًا، هذه النهاية التي لا ينجو منها أحد، فالموت محيط بالمؤمنين من كل جانب، والأخدود محاط بالكافرين من كل جانب، وهم قعود عليه ينظرون إلى من يخرج من المؤمنين ليعيدوه للحرق مرة أخرى، فهذه الصورة البشعة والمرعبة هي التي أوحى بها المكان وهو الأخدود، وهو الأثر النفسي العميق الذي يتركه في نفس المتلقي، أما التكثيف الزمني فزمن القصة غير معروف، وذلك ليتناسب مع جهلنا للمكان الجغرافي، ولم يحضر سوى الزمن العام وهو ورود الأفعال في الزمن الماضي كالفعل الماضي المبني للمجهول (قُتِل)، والفعل الماضي المبني للمعلوم (نقموا)، وكذلك الفعل المضارع الدال على الماضي، وهو (يفعلون)، فماضي القصة عام لا يتناول تحديد زمن أحداثها، وهذا أحد تقنيات التكثيف في القصص القرآني بصفة عامة، وكأن تقلب الأزمنة يوحي بحركة الشخصيات وردود أفعالها، فالفعل (يفعلون) يوحي بتحرك الشخصيات التي في الأخدود أثناء الحرق ومحاولتها للنجاة منه، كما يوحي بقسوة الطرف الآخر وإصراره على قتلهم بهذه الطريقة البشعة، وأما الفعل الماضي (نقموا) يوحي بحوار محذوف، وإصرار على الموقف وثبات الشخصيات على الإيمان، وعناد وردة فعل وإصرار من الطرف الآخر على الرفض والكفر، ومحاولة محو الإيمان بالله سبحانه وتعالى عن طريق إبادة المؤمنين.**

ونجد تقنية التكثيف الزمكاني أيضًا في قوله تعالى في سورة الفجر ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[67]، **فالتكثيف الزمني تمثل في ترتيب**

(66) سورة البروج، الآيات 1 إلى 8 .

(67) سورة الفجر، الآيات 6 إلى 14 .

الأقوام الثلاثة من الأقدم إلى الأحدث، وهذا الترتيب أغنى عن ذكر اختلافهم في المراحل الزمنية، وهذا التكثيف الزمني يوحي بقدرة الله سبحانه وتعالى على تغيير الحال من حال إلى حال.

أما المكان فقد تم تجاهله؛ لأن ذكر الحضارة يدل عليه، فاكتفى المولى عز وجل بذكر الحضارة والقوم واستغنى عن المكان الجغرافي، وهذا التجاهل يعد تكثيفًا، ويظهر التكثيف الأسلوبي في بداية القصة التي بدأها المولى جل شأنه بأسلوب الاستفهام التقريري موجهًا خطابه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والقصة في مجملها تثبيت من الله تبارك وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام، فسرد قصص الأقوام السابقة وذكر حالهم وأفعالهم التي ارتكبوها فنالوا عليها الجزاء، كما أن هذه الآيات فيها تعريض بالمشركين بأن مصيرهم لن يكون أقل من مصير الأقوام السابقة لهم، وفي القصة تحذير لأخذ العبرة والعظة لما حل بالأقوام السابقة، وبيان لقدرة البارئ عز وجل على تدمير المشركين، ولكنه يمهلهم إلى حين.

ويلاحظ التكثيف الزمكاني في سورة قريش التي تناولت تجارة قبيلة قريش والتي تمثلت في رحلتي الشتاء والصيف، رحلة الشتاء إلى بلاد اليمن ورحلة الصيف إلى بلاد الشام قال تعالى:﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [68]، وقد ورد في هذه السورة تكثيف زمكاني في قصة الرحلتين الكبيرتين لتجارة قريش، فالزمان اقترن بالمكان، فاللزمن ((في بناء القصة دور يشبه ذلك الذي يلعبه اللون في اللوحة الزيتية، فهو يعطي للحدث صيغة خاصة تشير للحين الذي وقع فيه، وتضفي على الجو العام له ظلالاً توحي بأبعاد دلالية تسمح بها حدود التأويل)) [69]، فكانت رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، فلفظتي الشتاء والصيف التي وردتا في السورة الكريمة تدلان على الزمان، ولكن هذه التسمية الزمنية دلت على مكان الرحلتين؛ لأن الخطاب كان لأهل مكة الذين يعرفون ضمنيًا إن رحلة الشتاء كانت لليمن، ورحلة الصيف كانت للشام، كما أننا ضمنيا استطعنا تحديد المكان من خلال انطلاق الرحلة ذاتها حيث بدأت الرحلة من مكة المكرمة واستدلينا على ذلك من خلال مكان قبيلة قريش التي كانت تقطن في مكة، أي أن الشخصية ذاتها هي من ساهمت في تكثيف المكان، وكذلك يمكن معرفة المكان من خلال قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾[70]، فالبيت هنا هو مكة المكرمة، كما يمكن ملاحظة أن الحدث هو الرحلة (الإيلاف)؛ أي السفر ارتبط بالزمكان ارتباطا وثيقًا، فالمكان مكة هو سبب السفر وهو سبب الرزق والتجارة لقبيلة قريش، وهذه النعمة توجب عليهم عبادة الله وحده ((البيت

(68) سورة قريش.

(69) محمد طول البنية السردية في القصص القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991م، ص34.

(70) سورة قريش، الآية 3.

هو أصل نعمة الإيلاف بأن أمر إبراهيم ببناء البيت الحرام، فكان سببًا لرفعة شأنهم بين العرب)) [71].

ويلاحظ أنه ليس هناك حوار؛ لأن السورة تناولت النعم التي أنعمها الله على قبيلة قريش منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى عهد نزول السورة المباركة، وتمثلت هذه النعم في الأمن والسلام، والمكانة الرفيعة التي نالتها قبيلة قريش دون باقي القبائل العربية الأخرى؛ حيث تأتي جميع العرب للحج لبيت الله الحرام؛ ولذلك وجبت العبادة لله وحده لا شريك له، وبذلك يتضح أن تقنية التكثيف شملت الزمكان والحدث لعلاقتهما المباشرة بقبيلة قريش.

الخاتمة:

التكثيف هو العنصر الأساسي في بناء القصة القصيرة جدًا من حيث الشكل والحجم وقوة المعنى؛ وذلك لإيصال المعنى إلى المتلقي في صورة موجزة رائعة، تغني عن الإطناب والإحالة في الكلام، ويسعى هذا التكثيف إلى تحقيق أهداف معينة ليحققها في ذهن المتلقي، من خلال استعمال تقنيات مختلفة يستعملها القاص، وفي القرآن الكريم كتاب الله المعجز نجد فيه صور كثيرة من التكثيف، حاولنا أن نلتمس بعض تقنياتها في قصص الجزء الأخير من القرآن الذي تميز بقصره وكثافته، ومن خلال استقرائنا لهذه التقنيات عبر عناصر القصة القصيرة جدًا وجدنا عدة تقنيات بعضها تميز بها القرآن الكريم، وهذه التقنيات هي:

حذف أحد عناصر القصة، وقد انقسم بدوره إلى تقنيتين هما: أ/ حذف المكان، ب/ حذف الحوار.

التكثيف اللغوي الذي انقسم إلى نوعين: التكثيف النحوي متمثلاً في الاستعانة بالضمائر، والصفات بدل الأسماء الظاهرة، والتكثيف البياني.

تكثيف الشخصية: وشمل عدة تقنيات هي: تكثيف الشخصية من خلال السياق، وتكثيف الشخصية من خلال الحدث، وتكثيف الشخصية من خلال المكان، وتكثيف الشخصية من خلال الصفة.

تقديم خاتمة القصة: وهو أسلوب لجأ إليه القرآن؛ لأن غرضه من هذا القصص القصير هو الاعتبار بما حدث للأمم السابقة.

التكثيف الزمكاني: وفيه يتم اللجوء إلى تكثيف الزمان والمكان معًا من خلال تقنيات جديدة.

(71) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج 30/560.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
أولاً: المصادر:
1) أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرح وضبط ومراجعة يوسف الحمادي، مكتبة مصر، الفجالة، ط1، 2010م.
2) الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1973م.
3) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1967.
4) الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد أحمد عيسى، الناشر دار الرحاب، القاهرة، ط1، 2007م.
5) محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981م.
ثانيًا: المراجع:
1) الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية(نحو رؤية جديدة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992م.
2) محمد طول البنية السردية في القصص القرآني ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991م.
3) نعيم اليافي، أوهاج الحداثة في القصيدة العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1993م.
ثالثًا: الدوريات:
سهام رابح: تحولات الاستعارة من البلاغة التقليدية إلى اللسانيات العرفانية. مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة ،الجزائر، مج 4، العدد 2، 2020م.
عبد الحميد بوطي، نعيمة بوزيدي ،شعرية التكثيف في القصة القصيرة جداً مجموعة : الرسم بالرصاص لأحمد عكاش، المدونة، مج8، العدد3، سبتمبر 2021م.

ظاهرة التوسع الدلالي في اللغة العربية الأبعاد والتجليات
مصطلح الأداء أنموذجا

إعداد :
إبراهيم الطاهري
باحث في سلك الدكتوراه الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة السلطان مولاي سليمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-بني ملال/ المغرب

الاستلام: 15/ 9/ 2022 القبول: 17/ 10/ 2022

المستخلص:

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى إبراز بعض من شجاعة اللغة العربية، المتمثل أساسا في موضوع التوسع الدلالي للمفردة المعجمية الذي يعتبر موضوعا هاما له أبعاده وحضوره الفعلي في ميدان التنمية اللغوية والتواصل الإنساني، كما نهدف أيضا إلى الكشف عن بعض خصائص هذه اللغة في علاقتها مع باقي اللغات الأخرى، وما تمتاز به من مرونة وحركية تسهم فيها عدد من الظواهر اللغوية من قبيل ظاهرة الاشتراك اللفظي-أنموذج مصطلح الأداء-وما يؤديه من وظائف وأبعاد هامة تكمن في إثراء الدلالة والانتقال بالألفاظ المعجمية من حقل معرفي وإنساني إلى آخر حسب ما يلائم سياق التوظيف، ومن ثمة جعل اللغة العربية في حركية دائمة؛ تلائم أولا: الميادين المعرفية والمجالات الإنسانية وكل أنواع الخطابات التي تختلف باختلاف الموضوع وأساليب البناء والاشتغال.

الكلمات المفتاحية: اللغة، المعجم، التواصل.

Abstract:

The phenomenon of semantic expansion in the Arabic language: dimensions and manifestations the term performance as model

Throughout this research paper, we seek to highlight some of the courage of the Arabic language, which is the basis for the issue of semantic expansion of the lexical vocabulary, which is an important topic with its dimensions and actual presence in the field of language development and human communication, and we also aim to reveal some characteristics of this language in its relationship with The rest of the other languages, and their flexibility and mobility in which a number of linguistic phenomena contribute, such as the phenomenon of verbal participation – the model of the term performance – and the important functions and dimensions it performs that lie in enriching the semantics and moving lexical words from one cognitive and human field to another according to what fits the employment context Hence, making the Arabic language in permanent motion; It fits first: the fields of knowledge, the human fields, and all kinds of discourses that differ according to the topic and methods of construction and operation.

Keywords: language, lexical, communication

مقدمة :

شكلت اللغة منذ القدم-وما تزال-قاطرة للتواصل والتعارف بين الشعوب والأمم على اختلاف بيئاتهم وتوجهاتهم الفكرية والسياسية والعقدية وغيرها، وشكلت كذلك آلية من آليات التعبير عن مختلف المشاعر والانفعالات والأغراض التي يمكن أن تكون في تباين تام على مستوى الطرائق والأساليب والوسائل المعتمدة في تحقيقها، أو تكون بينها قواسم مشتركة قوية لا تزيدها إلا قوة وتعبيد سبل أصحابها بغية الوصول إلى غاياتهم المتعددة.

وتزيد مرونة اللغة من تأثيرها وفاعليتها كلما كانت تمتلك سعة معجمية وتوسعا دلاليا يندمج بطواعية-دون تكلف-مع مختلف الحقول المعرفية والإنسانية، فاللغة عامة-واللغة العربية على وجه الخصوص شكلت منذ الحقب الغابرة خزانا للألفاظ والكلمات والتعابير والجمل التي لا تبقى قارة ولا ثابتة، حتى جعلت الباحثين في مختلف التخصصات يتهافتون إلى حقولها المعرفية الواسعة يوما بعد يوم.

تتجلى أهمية هذه الورقة البحثية إذن؛ في محاولة الكشف-أولا-عن سعة اللغة العربية ومرونة ألفاظها من خلال إبراز ما تمتاز به من ظواهر بلاغية وأخرى صرفية-كالاشتقاق والاشتراك اللفظي مثلا-تتولد منها الكلمات وتكثر معانيها تبعا لسياق إيرادها في كل خطاب، وثانيا: في محاولة تحديد بعض الدلالات التوسعية التي يحظى بها مصطلح الأداء في مختلف المجالات والحقول المعرفية والإنسانية.

ويمكن أن نصوغ إشكالية هذه الدراسة التي اخترنا لها عنوان "ظاهرة التوسع الدلالي في اللغة العربية الأبعاد والتجليات-مصطلح الأداء أنموذجا "ما المقصود بالتوسع الدلالي وما غاياته؟، ما المقصود بمصطلح الأداء وما تجلياته في الحقول المعرفية والإنسانية؟ وكيف أسهم هذا الحضور في توسيع دلالته خاصة وإبراز سعة اللغة العربية بشكل عام؟

ولكي نجيب عن هذه التساؤلات المطروحة كان لزاما علينا أن نتبنى منهجا وصفيا شاملا ومتكاملا: من حيث أولا: وصفه للظاهرة اللغوية والتقييد بحدودها التنظيمية، دون إغفال مظاهرها، أو الإغراق في تفاصيل تشكلها، وكون المنهج المتبع متكاملا لأنه يسعى إلى تناول الظاهرة اللغوية في عدد من الجوانب التي تختلف باختلاف سياق توظيفها العام الذي حتم علينا تتبع مسارها الدلالي والتداولي.

وتقع هذه الدراسة في مبحثين رئيسيين: مبحث نظري عبارة عن مدخل مفاهيمي؛ يضم ثلاثة مطالب هامة تمثل الدعامة التي تقوم عليها الدراسة، وقد حاولنا فيه تسليط الضوء على دلالات ومعاني مجموعة من المصطلحات المفاتيح ورسم بعض حدودها من زاوية اللغة والاصطلاح.

ويأتي المبحث الثاني ليكشف عن بعض تجليات مصطلح الأداء-باعتباره

الركن الشديد لهذه الورقة البحثية-في بعض المجالات المعرفية والإنسانية التي حاولنا حصرها-نظرا لتعددها-حسب سلم الأولويات في: الخطاب الشرعي بشكل عام، ثم الدرس اللساني، ثم: الحقل التربوي، ثم بعض الفنون الحركية المختلفة.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.

المطلب الأول: التوسع الدلالي المفهوم والحد.

يحمل مفهوم التوسع في اللغة العربية دلالات معجمية مختلفة تصب في قالب واحد؛ فهو يعني: الطاقة والقدرة، ويدل على الغنى والرفاهية، كما يدل- أيضا- الرحابة والفسحة؛ وهي الدلالة الأكثر دقة، يقول ابن فارس(ت395ه) إن التوسع: (كلمة تدل على خلاف الضيق والعسر. يقال وسع الشيء واتسع. والوسع: الغنى. والله الواسع أي الغني. والوسع: الجدة والطاقة. وهو ينفق على قدر وسعه. وقال تعالى في السعة: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سِعَةٍ مِنْ سِعَتِهِ﴾ (الطلاق: 7)، وأوسع الرجل: كان ذا سعة)[1].

وفي جهة الاصطلاح أقر محمد مبارك أن التوسع دال على (توسيع معنى اللفظ ومفهومه، ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشمل)[2]، ويأتي مفهوم التوسع الدلالي مبرزا شجاعة العربية، ومبينا الخيط المتين الجامع بينهما، وذلك لما تمتاز به هذه اللغة من مرونة وديناميه من حيث الشمول والسعة، فاللغة عموما والعربية على وجه الخصوص (في مرونتها وامتلائها بالظلال الدقيقة للمعاني؛ تصلح لاستعمالات مختلفة متشعبة، وتقف موقف الرابطة التي توحد أعضاء الجماعة؛ فتُكوِّن العلاقة التي بها يُعرفون والنسب الذي إليه ينتسبون)[3] .

ويشكل مفهوم التوسع الدلالي أحد أبرز الاختيارات التي يفرضها سياق التواصل الإنساني، فهو (ظاهرة استحوذت على اهتمام العلماء من لغويين وبلاغيين ونحويين وفقهاء وقد كان لكل منهم وجهة نظر وتعريف)([4]). فالدلالة عند المهتمين بشؤونها هي: (فرع من علم اللغة، يهتم أساسا بدراسة معاني الألفاظ والكلمات وتغيرها وتطورها والقوانين التي تحكم هذا التغير والتطور)[5].

ونظرا لاتساع مبحث التوسع اللغوي الدلالي تأتي هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على مبحث التوسع الدلالي لمفردات من الجذر الواحد، يقول سيبويه(ت180ه) في هذا الشأن: (اعلم أن من كلامهم [يقصد العرب] اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين

(1) ابن فارس أحمد أبو الحسين، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د ط)، 1979، ج6، ص109.

(2)مبارك محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، 1972.ص218.

(3)فندريس جوزيف، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ط)، 1950، ص240.

(4)عطية نايف عبد الله، الاتساع اللغوي بين القديم والحديث، دار البيروني، عمان، (د ط)، 2008، ص11.

(5) انظر: زمرد، فريدة، الدراسة المصطلحية وعلم الدلالية، مجلة دراسات مصطلحية، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية، ومعهد الدراسات المصطلحية، المغرب، ع12-11، 2012-2011، ص46.

واختلاف المعنين) [6] . وهي تقسيمات قد تعود إلى التوسع الجذري الاشتقاقي الذي يختص به كل لفظ.

ويندرج العنصر الأول المشار إليه في تقسيمات سيبويه لدلالات الألفاظ في إطار ما يسمى بظاهرة المشترك اللفظي وتعدد المعنى؛ أي أن اللفظ الواحد قد يدل على معنيين مختلفين أو أكثر، يقول ابن درستويه(ت347ه): (لو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل، فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنين مختلفين، وإن اتفق اللفظان..) [7] .

المطلب الثاني: حدود المصطلح في الدرس المصطلحي.

يهدف الدرس المصطلحي-بداية-إلى تناول المصطلح-على اختلاف مجالاته المعرفية-ودراسته دراسة فاحصة من خلال رؤية وتصور محددين، وذلك لا يكون إلا ب: (إعمال الذهن في نصوصه قصد الكشف عن واقعه الدلالي والاستعمالي، كشفا يجعله محدد المعاني والخصائص والعلاقات والضمائم، ومعالجة ما يتعلق به من قضايا ومسائل [8]

ويعرف المصطلح على أنه اتفاق حول تسمية شيء ما، يقول الشريف الجرجاني(ت816ه): (المصطلح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقله عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ منه، وقيل الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل الاصطلاح: إخراج الشيء من معنى لغوي آخر لبيان المراد..) [9] .

وورد تعريف آخر في معجم "روبير" يؤكد فيه صاحبه أن المصطلح (لفظ خاص يستعمل في حقل من المعرفة أو في حقل حرفي، أو هو مجموعة من الألفاظ التقنية المنتمية إلى علم ما أو فن ما) [10] ، وهو بذلك علامة لسانية تتشكل من لفظ ومفهوم أو دال ومدلول، الأول منهما يحدد الثاني ويبرزه، علما أن (لكل مصطلح خصوصيته النابغة من دلالته وحجم وروده في النصوص وقوة الاصطلاحية) [11] .

- دلالات مصطلح الأداء في اللغة والاصطلاح.

يأتي مصطلح الأداء فارضا نفسه-بالقوة والفعل-في مختلف الخطابات

(6) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988، ج1، ص49.

(7) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998، ج1، ص385.

(8) الدراسات المصطلحية وعلم الدلالة، مرجع سابق، ص45.

(9) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2003م.ص32.

(10) Paul Robert ,Dictionnaire alphabétique et analogique de langue Française ,Terminologie p11.

(11) زمرد فريدة، مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف، مطبعة أنفو برانت، فاس، الطبعة الأولى، 2001، ص53.

والحقول المعرفية والإنسانية، فقد جاء في المعجم العربي-بداية- أن كلمة (أداء) مأخوذة من الجذر اللغوي (أدا) و(أدَى)، وهي دالة على مجموعة من المعاني الإنجازية من قبيل: إيصال الشيء، وقضاء الحق وأداء الأمانة يقول الجوهري(ت393ه) في الصحاح: (أدّى الشيء: أوصله، والاسم الأداء، وهو آدى الأمانة منه بمد الألف(..) وأدى دينه تأدية أي قضاه(..) ويقال: تأدَّيْتُ إلى فلان من حقه إذا أديته وقضيته)[12].

ويورد ابن منظور(ت711ه): دلالات معجمية أخرى لهذا المصطلح يقول فيها: (أدى دينه تأدية، أي قضاه، والاسم الأداء، وهو آدى للأمانة منك بمد الألف، وتأدى إليه الخبر أي انتهى، ويقال: استأدَّاه مالا؛ إذا صادره واستخرجه منه)[13]، وهنا دل مصطلح الأداء على إيصال الخبر وانتهائه إلى شخص ما.

ويفضي مصطلح الأداء في كل المواضع التي ذكر فيها في النص القرآني إلى معاني لها قواسم مشتركة تجتمع عند إنجاز الفعل على وجه التحقيق؛ ففي الموضع الأول يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[14].

يقول الطاهر بن عاشور (ت1393ه): (والأداء: الدفع وإبلاغ الحق والمراد به إعطاء مال الصلح، وذكر متعلقه وهو قوله إليه المؤذن بالوصول إليه والانتهاء إليه للإشارة إلى إبلاغ مال الصلح إلى ولي المقتول، بأن يذهب به إليه ولا يكلفه الحضور بنفسه لقبضه أو إرسال من يقبضه) [15] .

ويأتي هذا المصطلح في أواخر سورة البقرة مرتبطا بتأدية الأمانة في قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[16]. ومثل ذلك ظاهر في الآية 75 من سورة آل عمران، والآية 58 من سورة النساء.

وجاء هذا المصطلح ليدل على التسليم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ۞ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [17] . وقد أورد صاحب اللسان رأيا آخر لأبي منصور بخصوص الوجه دلالات قول عيسى عليه السلام، وفيه يقول: (فأدوا إليَّ بمعنى استمعوا، كأنه يقول أدوا إليَّ سمعكم

(12) ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة (أدا)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ. ج1، ص101.

(13) الجوهري إسماعيل، الصحاح، مادة (أدا)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1987، ج6، ص.ص.2266-2265.

(14) سورة البقرة، الآية 178.

(15) ابن عاشور الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج2، ص143.

(16) سورة البقرة، الآية 283.

(17) سورة الدخان، الآيتان، 18-17.

أبلغكم رسالة ربكم..) [18] .

ولا تنأى دلالات مصطلح الأداء الواردة في المعاجم اللغوية، أو في النصوص القرآنية التي سقناها، عما ورد في نصوص الأحاديث النبوية الشريفة؛ ففي قوله ﷺ: (من أخذ أموال الناس يريد أدائها أدَّاها الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله عز وجل) [19] ، دل الأداء على العطاء والقيام بالشيء.

وتتوسع دلالات مفهوم الأداء في الشعر العربي القديم لتشمل معاني الشكر والوفاء ومعاني الوصول ومعاني التحية أيضا؛ أما عن المعنى الأول فيحضر في شعر أبي تمام (ت231ه) الذي يعتبر حسب الدراسات النقدية العربية زعيم الاتجاه التجديدي في الشعر، ومن تجليات ورود هذا المصطلح في شعره قوله: [من بحر الطويل] [20]

فَإِنْ ذَمَّتِ الأَعْدَاءُ سُوءَ صَبَاحِهَا فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرَهَا الذِئْبُ وَالنَّسْرُ

في حين المعنى الثاني فقد قال فيه ابن الرومي(ت283ه) متغزلا: [من بحر الطويل] [21]

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الاسْتِزَادَةَ فِي الهَوَى تُؤَدِّي إِلى طُولِ العَدَاوَةِ وَالحِقْدِ

أَلَا فَلْيُهَاجِرْ حُبُّ وَعَزِيزَهُ وَيَصبِرَ عَلَى بُعْدٍ يُؤَدِّي إِلَى قَصْدِ

أما دلالة الأداء على معنى التحية فيقول الشاعر البحتري(ت284ه) في مدحه لأبي الفتح بن خاقان: [من بحر الطويل] [22]

يُؤَدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ إِلَى قَمَرٍ مِنَ الإِيوَانِ بَادِ

وعُرِّف فعل الأداء في جهة الاصطلاح على أنه تنفيذ لأمر ما أو واجب ما بطريقة مخصوصة، فارتباطا بالجانب الكلامي الصوتي يقال إن الأداء هو: (إخراج الحروف من مخارجها أثناء الكلام، والأداء أيضا طريقة القيام بدور تمثيلي أو أسلوب عزف مقطوعة موسيقية، أو كيفية الغناء في أغنية ما) [23] .

ويذهب الباحثون في مجال الإدارة والتسيير إلى أن الأداء هو: (الأثر الصافي لجهود الفرد التي تبدأ بالقدرات، وإدراك الدور والمهام؛ وبالتالي يشير إلى درجة تحقيق وإتمام المهام الموكلة إلى لوظيفة الفرد) [24] ، وعلى غرار هذا؛ يؤكد الباحث الجزائري حسن راوية أن الفعل الأدائي (يشير إلى درجة تحقيق وإتمام

(18) لسان العرب، مصدر سابق، ج1، ص101.

(19) انظر: ابن بطال، علي أبو الحسن، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، 2003، ج6، ص513.

(20) الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1994، ج2، ص448.

(21) انظر ابن الرومي، أبو الحسن علي بن عباس، الديوان، شرح أحمد بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002، ج1، ص481.

(22) انظر: البحتري، الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، (د ت)، ج1، ص726.

(23) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، (د ط)، 1979، ص12.

(24) سلطان سعيد، السلوك التنظيمي، الدار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2003، ص219.

المهام المكونة لوظيفة الفرد، وهو يعكس الكيفية التي يحقق أو يشبع بها الفرد متطلبات الوظيفة) [25].

نفهم من هذه التعريفات-مجتمعة-أن للفعل الأدائي دلالات واسعة تتماشى والمجالات المعرفية والإنسانية المختلفة التي يستعمل فيها، فهو ذو طبيعة قد تكون مادية أو معنوية، تشترك جميعها في الغايات التي تسعى إلى تحقيق فعل ما أو إنجازه، سواء تعلق الأمر بما هو ديني وأدبي أو ما هو اجتماعي واقتصادي، أو ما هو سياسي وعسكري، أو ما هو فني ورياضي، أو نحوه، وبذلك يمكن القول إن الفعل الأدائي ليس فعلا ثابتا، إذ يمكنه أن يغتني دلاليا باستمرار، وذلك بحسب الأشكال الخطابية المتعددة من حيث الموضوعات وسياقات الاستعمال.

المبحث الثاني: التوسع الدلالي لمصطلح الأداء في بعض الأنساق المعرفية.

المطلب الأول: دلالة مصطلح الأداء في الخطاب الشرعي.

تتعدد الخطابات وتتنوع بحسب موضوعها ومجالاتها المعرفية، وتتباين-أيضا- بحسب مرسلها ومتلقيها إلى: دينية وأدبية وسياسية تاريخية وإعلامية وغيرها من تلك التي تخضع للحقل المعرفي الذي تنتمي إليه، فليس الخطاب الأدبي- شعره ونثره-مثلا هو نفسه الخطاب العلمي في كثير من المميزات والخصائص.

ويختلف الخطاب الشرعي عن غيره من الخطابات الأخرى بحكم طابعه الديني؛ فهو خطاب تصاغ بواسطته الآراء الشرعية المستمدة من المصادر التشريعية الأولى (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) أو من مصادر التشريع الأخرى كالقياس واجتهاد العلماء في مجالات شرعية مختلفة ك:(القراءات والتفسير والفقه والعبادات..) وغيرها، وذلك بغية تأدية توضيح فحوى الخطاب وبيان الرأي فيه وإنتاج ما يتضمنه من معاني وأحكام تقتضي الفعل أو الترك.

ويأتي علم القراءات كأول علم شرعي يعتمد-بالدرجة الأولى-على الفعل الأدائي، فهو علم يدخل ضمن علوم الرواية، ويرتبط-أساسا-بالقرآن الكريم من حيث القراءة والترتيل، يقول الراغب الأصفهاني (ت502ه) في تعريفه اللغوي لهذا العلم: (والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع، لا يقال: قرأت القوم) [26] .

وأكد شمس الدين الجزري(ت833ه) على أن القراءات: (علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله) [27] ، وعرفها الزرقاني (ت1367ه): أيضا على أنها (مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الرواية والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في

(25) راوية محمد حسن، إدارة القوى العاملة، دار النهضة، الجزائر، الطبعة الثانية، 2000، ص215.

(26) الراغب الحسين الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة قرأ، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، 1414هـ، ج1، ص402.

(27) الحفيان أحمد عبد السميع، أشهر المصطلحات في فن الأداء والقراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001، ص26.

نطـق الحـروف أم في نطـق هيئاتهـا) [28] .

ونفهـم مـن هـذه التعريفـات أن علـم القـراءات القرآنيـة مرتبـط باختـلاف ألفـاظ القـرآن مـن قبيـل كلمتـي: (فتبينـوا) و(فتثبتـوا) [29] بأفعـال إنجازيـة مـن قبيـل الأداء والتجويـد ومـا يدخـل تحتهمـا مـن نطـق ومخـارج وترديـد وترتيـل وغيرهـا؛ وهـي شروط صوتيـة متلازمـة تخضـع لضوابـط ومعايـير قـد يتحكـم فيهـا المقـرئ للقـرآن الكريـم، وقـد تختلـف مـن قـارئ لآخـر حسـب درجـة التحكـم فيهـا، والاختـلاف بـين القـراء قـد يكـون إمـا في المهـارات الصوتيـة أو فيمـا هـو لهجـي أو فيمـا هـو نحـوي أو غـير ذلـك مـن الضوابـط الأدائيـة اللازمـة أو العارضـة [30] .

يقـول ابـن كثير(ت774ه)-عـلى سـبيل المثـال-في شـأن قراءتهـم لقـول اللـه تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [31] : (وقـد اختلـف القـراء في أداء هـذا الحـرف [يقصـد لمـَّا] فمنهـم مـن قـرأه بالتخفيـف، فعنـده أنَّ وإنَّ للإثبـات، ومنهم من شـدد (لمـَّا) وجعـل أن نافيـة، ولمـَّا بمعنـى إلا، تقديـره ومـا كلٌّ إلا جميـع لدينـا محـضرون، ومعنـى القراءتـين واحـد، واللـه سـبحانه وتعـالى أعلـم) [32] .

وفي مثـال آخـر يـورد أبـو الـبركات الأنبـاري(ت577ه) قولـه: (ذهـب الكوفيـون إلى أنـه يجـوز العطـف عـلى الضمـير المخفـوض، وذلـك نحـو قولـك: "مـررت بـكَ وزيـدٍ"، وذهـب البصريـون إلى أنـه لا يجـوز، أمـا الكوفيـون فقـد احتجـوا بـأن قالـوا الدليـل عـلى أنـه يجـوز بأنـه قـد جـاء ذلـك في التنزيـل وكلام العـرب، قـال اللـه تعـالى: ﴿واتَّقُـوا اللهَ الـذِي تَسَّـاءَلُونَ بِـهِ وَالأَرْحَـامَ﴾ [النسـاء، الآيـة 1] بالخفـض، وهـي قـراءة أحـد القـراء السـبعة، وهـو حمـزة الزيـات) [33] .

ويشـير فقـه العبادات-بـدوره-إلى نفـس الـدلالات الملازمـة للفعـل الأدائـي؛

(28) الزرقانـي محمـد عبـد العظيـم، مناهـل العرفـان في علـوم القـرآن، تحقيـق بديـع السـيد اللحـام، دار قتيبـة، الطبعـة الأولى، 1998، ج1، ص405.

(29) قـال تعـالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا الذِيـنَ آمَنُـوا إِنْ جَاءَكُـمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـإٍ فَتَبَيَّنُـوا أَنْ تُصِيبُـوا قَوْمًـا بِجَهَالَـةٍ فَتُصْبِحُـوا عَـلَى مَـا فَعَلْتُـم نَادِمِـينَ﴾ سـورة الحجـرات، الآيـة 06. قـال الطـبري (ت310هـ): ((واختلـف القـرّاء في قـراءة قولـه (فَتَبَيَّنُـوا) فقـرأ ذلـك عامة قـراء أهـل المدينـة (فَتَثَبَّتُـوا) بالثـاء، وذُكـر أنهـا في مصحـف عبـد اللـه منقوطـة بالثـاء. وقـرأ ذلـك بعـض القـرّاء فتبيَّنـوا بالبـاء، بمعنـى: أمهلـوا حتـى تعرفـوا صحتـه، لا تعجلـوا بقبولـه، وكذلـك معنـى (فَتَثَبَّتُـوا)، والصـواب مـن القـول في ذلـك أنهمـا قراءتـان معروفتـان متقاربتـا المعنـى، فأيبتهمـا قـرأ القـارئ فمصيـب)) (انظـر: الطـبري أبـو جعفـر، جامـع البيـان في تأويـل القـرآن، تحقيـق أحمـد محمـد شـاكر، مؤسسـة الرسـالة، الطبعـة الأولى، 2000، ج22، ص286).

(30) تتعـدد ضوابـط الأداء وتختلـف؛ فمنهـا مـا هـو مرتبـط بالنظـام الصوتـي ك: (التفخيـم والترقيـق والإمالـة والفتـح ومـا بينهمـا، والإدغـام والفـك والتحقيـق في الهمـزة وتسـهيله(..) ومنهـا مـا تعلـق بالنظـام الـصرفي؛ كالصحـة والاعتـلال والتضعيـف والتخفيـف، والتذكـير والتأنيـث والجمـع، وسـوى ذلـك، ومنهـا مـا تعلـق بالنظـام التركيبي(النحـوي)؛ كالتقديـم والتأخـير والزيـادة والنقصـان، والإعـراب والبنـاء، والإعمـال والإهمـال) (انظـر: حسـيني أبـو بكـر، أداءات القـراء دراسـة في مسـتويات التحليـل اللغـوي، مكتبـة الآداب، القاهـرة، 2007م، ص117).

(31) سورة هود، الآية 111.

(32) ابـن كثـير أبـو الفـداء إسـماعيل، تفسـير القـرآن العظيـم، تحقيـق سـامي بـن محمـد السـلامة، دار طيبـة، الريـاض، الطبعـة الثانيـة، 1999، ج6، ص575.

(33) الأنباري كمال الدين، الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2003م، ج2، ص379.

فهو عنده ذو بعد إنجازي إذ أداء الشيء (إحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه)[34]، والعبادات بهذا المعنى وسيلة الإنسان للتقرب إلى الله من خلال فعل العبد ما هو مأمور به من إقامة عبادات مختلفة منها ما هو بدني: كالصلاة والصيام والحج ومنها ما هو قولي: كالحمد والتهليل وقراءة القرآن، ومنها ما هو مالي: كالزكاة والنفقات والصدقات ومنها ما هو قلبي كالاستعانة والاستغاثة والخضوع والخوف والتوكل ونحو ذلك [35] .

ويكمن الباعث على استخدام علماء الشرع لمصطلح الأداء في قول الباحث نور الدين دحماني: (أنهم [أي علماء الشرع] لمسوا فيه ما يفيد الجانب الإنجازي العلمي المرتبط بحقوق الله على البشر من جهة، وحقوق البشر بين بعضهم البعض من جهة أخرى، ومعنى آخر فإن الأداء يفيد ها هنا الفراغ والانتهاء من الاضطلاع بتلك الحقوق والقوة على القيام بها)[36] .

يمكن القول إذن إن للسياق وظيفة قوية في تحديد مقاصد الخطاب الشرعي، إلى جانب إزالة الغموض الذي قد يلف العلامة المتعددة الدلالات[37]، (نقول وقعت هذه [الكلمة] العبارة في سياق الكلام، أي جاءت متفقة مع مجمل النص، وللتقيد بسياق الكلام في تفسير النصوص وتأويلها فائدة منهجية؛ لأن معنى [الكلمة] العبارة يختلف باختلاف مجرى الكلام، فإذا شئت أن تفسر [كلمة] عبارة من نص وجب عليك أن تفسرها بحسب موقعها في سياق ذلك النص)[38] .

المطلب الثاني: دلالة مصطلح الأداء في الدرس اللساني.

يسعى الدرس اللساني إلى الكشف عن مختلف الأساليب والألفاظ التي يختارها المتكلم انسجاما مع سياق قولي أو مقامي معين، أي أنه يعنى بكل ما له علاقة بأسرار اللسان باعتباره ظاهرة إنسانية له بنية جوهرية تشمل عدد من السمات الصوتية والتركيبية والدلالية وغيرها.

يؤدي الدرس اللساني إذن دورا هاما في جعل التعبيرات اللغوية المختلفة مرآة يمكنها أن تعكس (صورا للحوادث الفكرية الخاصة بصاحب التعبير، وصورا عاكسة للحياة الروحية والواقعية، فالظاهرة الأسلوبية ليست انعكاسا للواقع الوجداني النفسي وحسب، بل إنها انعكاس للواقع الاجتماعي والثقافي أيضا..)[39].

(34) سعدي أبو حبيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1988، ص305.

(35) انظر: الجهني خالد بن محمود، 2018، أقسام العبادات، موقع الألوكة الإلكتروني، net.alukah.www (تاريخ الاطلاع: 03/06/2021).

(36) دحماني نور الدين، بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء (رسالة دكتوراه)، جامعة وهران، الجزائر، 2012م.ص24.

(37) أيت أوشان، علي، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2000، ص39.

(38) صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ج1، ص681.

(39) القطيشات وفاء، الجمالية الأسلوبية في الفن الأدبي الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، مجلة تكريت للعلوم، العراق، مج19/ ع8، 2012، ص568.

ويقترن البحث اللساني بالأداء الكلامي الذي يقصد به (الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين) [40] قد يختلف من موضوع لآخر، ومن فرد لآخر أيضا، ويحتاج هذا النوع من الأداء إلى مجموعة من الضوابط والآليات المرتبطة أولا: بقواعد اللغة ككل، وثانيا: بكل ما هو صوتي تلفظي.

ويرى مختار عمر في علاقة المتكلم بالضابط الصوتي الأدائي أنه على كل مرسل خطاب (أن يعرف كيف يتكلم، ويتكلم بطلاقة لكي يصل إلى جمهوره، ويحقق النفوذ الذي يبتغيه، وطريقة نطق الإنسان لم تعد أمرا خاصا بالمتكلم، وإنما هو أمر يتعلق بكل من يستمع، سواء المتكلم سياسيا أو عالما أو عالما أو فنانا أو ممثلا رسميا..) [41] .

نفهم من كلام مختار عمر أن الأداء الصوتي/النطقي الجيد، أو الاعتناء بمخارج الأصوات-على اختلافها [42] -يعد في الدرس اللساني: من أهم الضوابط التي تنجم عنها القراءة السليمة دون الوقوع في خطأ التلفظ أو التباس فهم المعاني أولا، وثانيا من أهم العوامل التأثيرية التي تكون رابطا تواصليا قويا يجمع بين المتكلم والمستمع.

نشير هنا إلى أن الباحثين "رنيه ويلك" و"أوسطن وارين" قد ميزا في كتابيهما "نظرية الأدب" بين عنصرين لسانيين هامين هما: الأداء وطراز الصوت، ولا غنى للثاني عن الأول، إذ به يمكن أن يكون بالقوة والفعل، أو يغيب بالقوة والفعل أيضا؛ فقراءة أي عمل أدبي رفيع بصوت مرتفع-في نظر الباحثين-هو الأداء نفسه، (وهو تحقيق لطراز يضيف شيئا فرديا وشخصيا، ويمكن له من جهة أخرى أن يشوه الطراز أو يتجاهله كليا) [43] .

يؤدي الفعل الأدائي إذن-إلى جانب ما أسلفنا فيه القول-وظائف جمة أفردت لها أبحاث في حقل اللسانيات الصوتية على وجه الخصوص، فللأداء علاقة وطيدة بالقراءة على اختلاف مجالاتها ومستوياتها، فهو حاضر حضور قوة في فن الخطابة وقول الشعر وغيرهما من الفنون التي سنأتي على ذكرها لاحقا.

تعد الخطابة أولا: فن مشافهة الجمهور، يقول أفلاطون: (الخطابة فن القول يجعل من يملك ناصيته بارعين في الكلام/الأداء، وما دام الكلام تعبيرا عن الفكر، فإنه يجعلهم أذكياء في شيء ما)([44])، وتابع أرسطو قائلا: إنها (الكشف

(40) مشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1986، ص7.

(41) أحمد مختار، عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1997، ص402.

(42) فكل بؤرة من الجهاز النطقي تصلح أن تكون مكان للنطق بصوت معين على نحو مختلف؛ فهناك الحنجرة والحلق والشفتان والأسنان واللثة وغيرها (انظر: دراسة الصوت اللغوي، المرجع السابق، ص113).

(43) رينيه ويلك وأسطن وارين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1981، ص165.

(44) أرسطو طاليس، فن الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية، (د ط)، 1986م.ص14.

عـن الطـرق الممكنـة للإقنـاع في أي موضـوع كان)[45].

ويجـب عـلى كل خطيـب يريـد لخطابـه أن يصـل إلى درجـة اسـتمالة وإقنـاع مـن بخاطـب بجعلـه يركـن للتسـليم، أن يخضع-بعـد وأثنـاء إلقـاء خطبته-لطـرق أدائيـة فنيـة، وشروط لغويـة وأخـرى سـيميائية لا بـد لـه منهـا، ويدخـل هنـا كل مـا هـو مرتبـط بالصفـات الجسـدية والمظاهـر الخارجيـة، وطبيعـة الصـوت وحسـن الإلقـاء ونحـو ذلـك، يقـول الجاحـظ(ت255ه) في جهـارة الصـوت خاصـة: (وكانـوا يمدحـون جهـير الصـوت، ويذمـون الضئيـل الصـوت، ولذلـك تشـدقوا في الـكلام، ومدحـوا سـعة الفـم، وذمـوا صغـر الفـم)[46].

ويخضـع الخطيب-كذلك-لـشرط البلاغـة في المقـام الأول، وشرط البلاغـة: فعـل الأداء الـذي قـد يتفـاوت بتفـاوت أغـراض الخطبـة والخطيـب؛ والأداء هـا هنـا: تأديـة الـكلام عـلى أحسـن وجـه وأحسـن صـورة [47]، يقـول السـكاكي(ت626ه): (البلاغـة بلـوغ المتكلـم [الخطيـب] في تأديـة المعنـى حـدا لـه اختصـاص بتوفيـة خـواص التراكيـب حقهـا وإيـراد أنـواع التشـبيه والمجـاز والكنايـة عـلى وجههـا) [48].

المطلب الثالث: دلالة مصطلح الأداء في الحقل التربوي.

يجمـع الحقـل التربـوي في طياتـه مجموعـة مـن العنـاصر الفكريـة واللغويـة والتاريخيـة والحضاريـة والسـلوكية والحقوقيـة التـي تمتـد بأشـكال مختلفـة عـبر الزمـن، يشـترك فيهـا مـا هـو أدائـي بمـا هـو إنجـازي، ويسـعى مجـال التربيـة إلى (تحقيـق نمـاء الكائـن الإنسـاني بأبعـاده العقلانيـة والحـرة) [49]، وذلـك عـن طريـق مجموعـة مـن الضوابـط المختلفـة مـن قبيـل: اسـتثمار المهـارات الأدائيـة الإبداعيـة، وقـدرات الأفـراد المنتمـين إلى جماعـة واحـدة أو جماعـات مختلفـة جغرافيـا ولغويـا وفكريـا.

يمكـن إذن تلمـس أو قيـاس الفعـل الأدائـي داخـل فعـل التربيـة؛ لأن معظـم معانيـه مرتبطـة بصـيرورة العمليـة التعليميـة التعلميـة التـي تحتـاج إلى زمـن طويـل المـدى، وأهـم تلـك الـدلالات نجدهـا مرتبطـة أولا: بالإنجـاز والإتقـان، والإبـداع، ثـم بـالأداء اللغـوي ثانيـا؛ وبـين هـذه العنـاصر قواسـم مشـتركة؛ فـالأداء اللغـوي في العمليـة التربويـة (هـو الإنجـاز في ضـوء الأهـداف المرسـومة لتعليـم اللغـة وتعلمهـا،

(45) المرجع نفسه، ص29.

(46) الجاحظ عمرو أبو عثمان، البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1، ص. ص118-117.

(47) كان الخطبـاء الأمويـون يعنـون بتجويـد خطبهـم وتحبيرهـا وتنميقهـا حتـى تأتـي في الصـورة التـي يرتضونهـا، ولـم يكونـوا يرسـلون الـكلام عفـوا عـلى البديهة-صنيـع الجاهلـين-وكان مـن ثمـرة هـذا التنقيـح أن جـاءت خطـب العـصر الأمـوي منسـقة الأفـكار، مرتبـة الأقسـام محكمـة التسلسـل.. [وهـي شروط وضوابـط اسـتفاد منهـا مـن جـاء بعدهـم]) (انظـر: فـن الخطابـة في ضـوء الحيـاة الاجتماعيـة في العـصر الأمـوي، الخطبـة البـتراء لزيـاد بـن أبيـه نموذجـا، جامعـة تربيـت مـدرس، طهـران، إيـران، (د ت)، ص6).

(48) السـكاكي أبـو يعقـوب، مفتـاح العلـوم، تحقيـق عبـد الحميـد هنـداوي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، الطبعـة الأولى، 2000، ص526.

(49) وطفـة عـلي أسـعد، التربيـة العربيـة بـين حداثتـين بحـث في إشـكالية الحداثـة التربويـة، مجلـة شـؤون عربيـة، الأمانـة العامـة لجامعـة الـدول العربيـة، 2001، ص179.

وقد يكون هذا الإنجاز ذا نوعية جيدة أو يكون غير ذلك)[50] .

وتتجلى علاقة الأداء بالمتعلم في قدرته على الاستعمال الآني للغة-بكل مستوياتها وأساليبها في شكلها المنطوق والمكتوب-في عملياته التواصلية، وممارسته لها في حياته العامة والخاصة باعتبارها أولا: (الناقل المميز للاتصال الدقيق، حيث يرتبط التواصل هنا بالتعبير (أي انتقال) المضمون التعبيري بين فاعل وقابل، حيث يكون القابل فاعلا آخر، وفي مستوى تخاطب الأنا مع الآخر تقوم علاقة مقبولة بين الطرفين، فكلما كان التعبير جديدا، غنيا عاديا؛ كان الاتصال سهلا)([51])، وباعتبارها ثانيا: الآلية التي تحقق له الكفايات التي يبغي الوصول إليها من قبيل إنتاج الجمل وتفهمها وفق معايير محددة، وداخل سياق تواصلي محدد يجمع بينه وبين الغير.

يرتبط الأداء اللغوي إذن بكل ما هو منطوق أو مكتوب، ففيما هو مكتوب: يمثل هذا النوع من الأداء في الحقل التربوي (فرصة لظهور المواهب التعليمية في المراحل المختلفة، ويظهر ذلك في المجالات الأدبية المتمثلة في المقال والقصة والشعر والخاطرة والخُطبة، وغيرها من مجالات الإبداع الأدبي) [52] .

وفي علاقة الفعل الأدائي بالمدرس-باعتباره أحد أعمدة النظام التعليمي-يشترط التعليم الحديث عدة ضوابط يمكنها أن تؤهل مدرس اليوم أولا: لمواكبة التغيرات المتلاحقة التي يشهدها العالم في مختلف المجالات الحياتية، وثانيا: لجعله منتجا وذا فاعلية وتأثير كبيرين، ولعل من بين هذه الضوابط نجد: التشبع بثقافة الإبداع والتجديد والإتقان، فالمدرسون وأصحاب الرسائل النبيلة في الحياة؛ هم جميعا (من يسيرون بعجلة التقدم إلى الأمام، فهم الذين يندرجون جميعا تحت من نسميهم العباقرة، أو الموهوبين، ومعنى ذلك أن النزوع إلى التغيير والأحلام والاكتشاف والابتكار وإنشاء صور الفن كل ذلك من صنع الرجال والأطفال، وإلى هذا يعزى ما يتصف به معظمهم من جرأة وعدم مبالاة بالموت واستعداد إلى تضحية النفس في سبيل الآخرين) [53] .

ويشترط في مدرس اليوم-أيضا-الطامح إلى تطوير أدائه المهني؛ الإلمام بالمعارف والطرائق التربوية منها والعلمية، والتقنيات التدريسية التي يمكنها أن تساعده على تأدية مهامه على أحسن وجه، من قبيل: الكشف عن مواهب المتعلمين و (استعداداتهم وتنمية قدراتهم وتوجيه ميولهم، ومساعدتهم في تطوير قدراتهم وعلى حل مشاكلهم، ويعزز جوانب القوة والتميز فيهم، ويساندهم للتخلص من الأخطاء وجوانب الضعف، خصوصا وأنه يتعامل مع فئات عمرية تمر في مرحلة

(50) أحمد السيد محمود، في الأداء اللغوي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2005.ص79.

(51) خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات الاجتماعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، (د ط)، 1995، ص10.

(52) أسامة محمد، عبد الحميد، المواهب اللغوية طرق التعرف عليها وتنميتها، مجلة المؤثر العلمي الإقليمي للموهبة، مؤسسة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 2006، ص89.

(53) حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص26.

اكتشـاف الـذات وتشـكيل الشـخصية)[54] .

المطلب الرابع: دلالة مصطلح الأداء في الخطاب الفني الحركي.

جـاء في المعاجـم العربيـة أن الفـن (واحـد فُنُـون وأَفْنَـانٌ، وهـو النـوع أو الـضرب مـن الـشيء يقـال افْتَـنَّ الرجـل في كلامـه وخصومتـه: إذا توسـع وتـصرف..) [55] معنـى هـذا أن في الفـن أداء وإنجـاز يقتـضي دُربـة متميـزة، وفي تعريفـه الاصطلاحـي الشـائع يقـول صاحـب كتـاب الأصـول الجماليـة: الفـن هـو: (التعبـير الـذي يتخـذ مـادة وسـيطة، كـي يعـبر الفنـان بواسـطتها عـن انفعالاتـه الجماليـة، سـواء لمـا يشـاهده في الطبيعـة أو يـراه في الخيـال بعـين الفكـر كـي ينقلـه إلى الآخريـن) [56] .

وظلـت الفنـون التعبيريـة الحركيـة ملازمـة للتاريـخ الإنسـاني؛ فهي متعـددة وذات قابليـة للتجـدد والتوسـع يومـا بعـد يـوم، كمـا إنهـا قـد تختلـف مـن مجـال إلى آخـر مـن حيـث الخصائـص وأسـاليب الإنجـاز، يقـول الدكتـور صالـح الغـزالي: (ثـم إن هـذه الفنـون إن عُـبر عنهـا بالكتابـة فهـي (شـعر)، وإن عُـبر عنهـا بالصـوت فهـي (غنـاء) و(عـزف) وإن عُـبر عنهـا بالحركـة فهـي (رقـص) و(تمثيـل)، وإن عُـبر عنهـا بالعمـل اليـدوي فهـي (زخرفـة) و(بنـاء) و(تصويـر) و(رسـم)..، وحقيقـة الـكل هـو التعبـير عـن شيء مسـتلذ للنفـوس غالبـاً..) [57] ، يقـول "كانـط": (الفـن نشـاط حُـر موجـه إلى الـذات، لإحـداث بهجـة جماليـة منزهـة عـن الهـوى والغايـة المحـددة) [58] .

ويبقـى الفعـل الأدائي-بمختلـف أشـكاله الصوتيـة والحركيـة- معيـار تقييـم وتقويـم وتجديـد أو إضافـة لـكل الفنـون الحركية-وهـي كثيرة-معنـى هـذا؛ أن الفعـل الأدائـي قبـل أن يكـون سـمة بـارزة، فهـو: آليـة للنقـد الـذي يميـز بـين القـوي مـن هـذه الفنـون والضعيـف منهـا.

ويؤثـر الفعـل الأدائـي بشـكل مبـاشر في بنـاء صيـغ فـن الغنـاء وإرسـاء ملامحـه، كمـا يعـبر عـن (مفهـوم الكلمـة والمعنـى المصـاغ لأجلهـا، وكذلـك بتأثـير مبـاشر مـن اللحـن والإيقـاع، لأن عنـصر الأداء ليـس منفـردا بذاتـه أو قائمـا بخصائصـه، وإنمـا مرتبـط بشـكل مبـاشر بالعنـاصر الغنائيـة والموسـيقية الأخـرى، حيـث يدخـل عليهـا ليغـير مـن جماليـات بنائهـا، ولا يمكنـه الظهـور إلا مـن خلالهـا) [59] .

ويربـط "آرون كوبلانـد" الأداء الغنائـي الموسـيقي بالطابـع الصوتـي المحض؛ حيث يلخـص مفهومـه في عمليـة التـذوق الموسـيقي، وذلـك بتوصيـف الجانـب الأدائـي مرتبطا

(54) انظـر: واقـع وأدوار معلـم التعليـم العـام، في المملكـة العربيـة السـعودية في ضـوء الـدورات التدريبيـة المقدمـة (دراسـة ميدانيـة)، ص705.

(55) الصحاح، ج6، مصدر سابق، ص2177.

(56) حسن محمد حسن، الأصول الجمالية للفن الحديث، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1998، ص. ص 145ـ 146.

(57) الغـزالي صالـح بـن أحمـد، 2011، مقاصـد الفـن في العـصر الحديـث، موقـع الإسـلام اليـوم، https://net.islamtoday (تاريـخ الاطـلاع: 11/ 06/ 2021).

(58) عدنان رشيد، دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص. ص 101، 103

(59) هرمز توما ميسم، عناصر تكوين الموسيقى والغناء، منظور بحثي، دار الفتح للطباعة، بغداد، 2018، ص90.

باللـون الصوتـي للآلـة الموسـيقية أو المصـدر المصـوت [60] ، يقـول سـعيد الريحانـي مقارنـا بـين المغنـي والمطـرب ومبـزرا علاقتهمـا بـالأداء: (إن المغنـي هـو مـن يعتمـد عـلى طاقتـه الصوتيـة في محـاكاة اللحـن وتعـوزه القـدرة عـلى الارتجـال داخـل النـص والتجَـارُب مـع حالـة الجمهـور؛ أي أنـه مجـرد صـوت يحفـظ أغنيـة عـن ظهـر قلـب، أمـا المطـرب فيبقـى أرفـع مرتبـة عـن المغنـي وأقـدر عـلى الأداء الغنائـي لجمعـه بـين الطاقـة الصوتيـة والقـدرة عـلى الإبـداع داخـل النـص) [61] .

ونجـد أيضـا الأداء الحركـي أو مـا يطلـق عليـه ب: "التكنيكـي"، وهـو أداء يرتبـط (بمهـارة اسـتخدام الآلـة أو الحنجـرة الصوتيـة وتسـخير كل إمكانيـات المصـدر المصـوت لاسـتعراض زخـارف لحنيـة وتحليـلات صوتيـة تُجَمِّـل اللحـن وتحسـنه دون أن تغـير مـن مسـاره النغمـي الأصـلي ممـا يجعلـه أكثـر استحسـانا لـدى المتلقـي) [62] ؛ وبالتـالي يتحقـق التألـق الأدائـي لـدى المرسـل.

وتكثـر الأمثلـة والشـواهد التـي تـبرز مصاهـرة الفعـل الأدائـي بالفنـون الحركية، ومـن ذلـك نجد-عـلى سـبيل المثال-فـن المسرح الـذي يعتـبر مـن أبـرز الفنـون الإبداعيـة المُركَّبَـة مركبـة تركيبـا منهجيـا ووظيفيـا، وتركيبـا لغويـا وأدائيـا أيضـا، آليـات يتحقق مـن خلالهـا المنظـور الوظيفـي لهـذا الفـن الحركـي الـذي يمثـل ثقافـة (تمـشي وتنطق وتحـاور النـاس في المـكان والزمـان الـذي يجتمـع فيـه النـاس، فالمـسرح ليـس كلامـا، وإنمـا هـو فعـل حيـوي نعيشـه ونحيـاه) [63] .

يسـعى إذن فـن المـسرح إلى التفاعـل مـع الواقـع وتحقيـق التواصـل معـه، عـن طريـق الأداء/ العـرض الـذي يعتـبر مـن أبـرز سـمات الفـن المسرحـي؛ فهـو يمثـل عمـلا فنيـا مسـتقلا ونقطـة وصـل بـين اللغـة والفعـل، بـل وإنجـاز فعـلي يسـهم في تحقيـق (كينونـة النـص الدرامـي ومنحـه وجـوده وضخـه دمـاء الحيـاة في شريانـه، بحيـث تتحـول الشـخصيات الورقيـة مـن الفضـاء النـصي إلى ممثلـين أحيـاء في الفضـاء الحركـي) [64] .

ويحمـل مصطلـح الأداء في الحقـل المسرحي-أيضا-معانـي توحـي عـلى الممارسـة والتشـخيص أو مـا يسـمى باللعـب الدرامـي للمثـل، يقـول "هويزينغـا": الأداء (فعـل حـر تشـعر بـه عـلى أنـه خيـالي وواقـع خـارج إطـار الحيـاة الحقيقيـة، غـير أنـه قـادر عـلى السـيطرة عـلى الممثـل بالكامـل، إنـه فعـل خـال مـن أي نافـذة ماديـة أو منفعـة، يحصـل في إطـار زمنـي ومكانـي محـدد بدقـة وبترتيـب، خاضـع لقواعـد معينـة،

(60) انظـر: كوبلانـد آرون، كيـف تتـذوق الموسـيقى، ترجمـة محمـد بـدران، مكتبـة الآداب للطباعـة والنـشر، الطبعـة الأولى، 1998، ص105.

(61) انظـر: الريحانـي، محمـد سـعيد، التعبـير الغنائـي مـن اسـتظهار النـص إلى التوحـد بـه، 2003، موقـع الحـوار المتمـدن https://m.ahewar.org/s.asp (تاريـخ الاطـلاع: 05/ 06/ 2021).

(62) عناصر تكوين الموسيقى والغناء، مرجع سابق، ص63.

(63) الذهبـي عزيـز، ثنائيـة النـص والعـرض في النقـد المسرحـي المغربـي، مجلـة طنجـة الأدبيـة، طنجـة، المغـرب، (د ت)، ع35، 2011، ص26.

(64) المرجع نفسه، ص26

ويسبب في الحياة علاقات بين المجموعات التي تحيط نفسها طوعا بتفاقم من خلال التنكر ومن خلال غرابته بالنسبة للعالم الاعتيادي) [65] .

يعد الأداء الدرامي من الصفات التي تمثل جوهر الدراما أولا، ومن المميزات التي تبرز حِرَفِيَّة الممثل ثانيا؛ فهو الذي يؤدي دور ترجمة أفكار المؤلف على خشبة المسرح، أي أن مهمته تكمن في التجسيد والمحاكاة (عن طريق التعبير القولي والجسمي والشعوري) [66] ، بل هو المتمركز في قلب الحدث المسرحي، فهو في الوقت ذاته (الوسيط الحي بين النص والمؤلف، وبين الإرشادية الإخراجية المقدمة من طرف المخرج وأمام مرأى المتفرج ومسمعه) [67] .

نفهم من هذا أن الفعل الأدائي في الفن المسرحي يتوق إلى التحقق فعليا عن طريق عرضه، ولا يرتبط بالممثل فقط، بل بمعظم العناصر المتدخلة في العمل المسرحي-نصا كان أو عرضا-من كاتب ومخرج وغيرهما، وبذلك يكون أداء الممثل مجرد إعادة إنتاج جديد لعمل سابق (انطلاقا من المواد الموضوعة بتصرفه(..) من أجل إظهار نوايا المؤلف أو المخرج) [68] .

نستطيع القول إذن؛ أن مصطلح الأداء يمكنه أن يحدث تكاملا بين الفنون وإن اختلفت طبيعتها الصوتية أو الحركية، كما أن قيمة تلك الفنون تنبع من قيمة أدائها الذي ينبغي أن يكون منسجما مع موضوعها، ومع ما يسعى الفنان إلى تحقيقه أولا، كما ينبغي أن يكون ذا فاعلية وتأثير قويين؛ من أجل استمالة المتلقي والتلاعب بإدراكه ثانيا.

خاتمة:

نختم هذه الورقة البحثية بالتأكيد على السعة التي تتفرد بها اللغة العربية؛ فهي تكتنز ملامح تاريخية وثقافية ودينية ولغوية وغيرها من الخصائص التي تؤهلها لتكون لغة فريدة من نوعها، مبنية على قواعد مدروسة تجعل منها آلية قوية للتعبير عن طريق مفرداتها المعجمية التي لا تعبر عن معانيها الحسية ودلالاتها التوسعية فقط، بل تعبر عن كل ما هو معرفي ونفسي وفني عن طريق أسلوب أدائي سلس قد يعتمد على ما هو مكتوب أو حركي أو صوتي وقد يعتمد على هذه العناصر مجتمعة تماشيا مع نوع الخطاب المعرفي الإنساني وموضوعه، وغايات صاحب هذا الخطاب، وعليه يمكن أن نلخص أهم نتائج هذه الدراسة في النقاط الآتية:

-أن الفعل اللغوي-بشكل عام- كائن حيٌّ حركي في عرضة دائمة للتوسع الدلالي، والانتقال به مما هو حالي إلى ما هو مستقبلي؛ الشيء الذي يجعل من اللغة انعكاس للفكر بكل أشكاله، ولكل التغيرات الحضارية والنفسية التي

(65)Huizinga.J.1938.homo lundens :essai sur la fonction sociale dajeu .trad .français : gallimard .Paris.1951 .

(66) حمادة، إبراهيم، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، دار المعارف، مصر، 1985م.ص80.

(67)Patrice parvis :Dictionnaire de théâtre ,édition sociale ,paris.1980 .p7.

(68) باني باتريس، المعجم المسرحي، ترجمة ميشال خطار، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2015، ص292.

قوامهـا التأثـير والتأثـر.

- أن للغـة العربية-عـلى وجـه الخصـوص- طاقـة هائلـة في التعبـير عـن عمليـة التفكـير الإنسـاني، والربـط بـين الأفـراد والجماعـات مـن خـلال إبـراز مـا يجمعهـم مـن قواسـم مشـتركة تقوم-أساسـا-على التبـادل والتفاعـل، لتكـون اللغـة بذلـك ذات وجـود حتمـي، فمـا دام الإنسـان العربي-وغـير العربـي أيضا-يسـعى إلى الاختيـار والتغيـير اللغويـين؛ فاللغـة العربيـة تسـاير وجـوده؛ اسـتجابة لمـا يناسـب مقاماتـه الكلاميـة: التعبيريـة منهـا والتواصليـة.

- أن التوسـع الـدلالي يسهم-وبشـكل كبـير-في الزيـادة اللفظيـة أولا، وتعميـق المعنـى وتوكيـده في النفـس الإنسـانية ثانيـا، وثالثـا: إبـراز بلاغـة المرسـل الـذي لـه المقـدرة عـلى بلـوغ قلـب السـامع والتأثـر فيـه، بصـورة مقبولـة ومعـرض أدائـي حسـن.

- أن المفـردة اللغويـة لا يمكـن أن تتنـاول إلا بنظـرة واعيـة دقيقـة وشـمولية أولا، وداخـل السـياق الـذي تنتمـي إليـه ثانيـا؛ فهـي تتطلـب إذن فهمـا لمعانيهـا واكتشـافا لدلالاتهـا العميقـة التـي لا تكـون في معـزل عـن سـياقها اللغـوي والتعبـيري، إذ يجمـع بينهمـا تكامـل لا فـكاك منـه، ممـا يسـهم في بيـان وظيفتهـا حسـب الحقـل المعـرفي أو الإنسـاني الـذي تنتمـي إليـه.

- أن الفعـل الأدائـي وسـيط لغـوي اتصـالي بـين المعـارف والمجـالات الإنسـانية عـن طريـق ترحالـه المتنـوع، وعـن طريـق مـا ينتجـه ويختزلـه مـن المعانـي والـدلالات التوسـعية التـي تختلـف باختـلاف سـياق التوظيـف وموضـوع المـادة المعرفيـة، التـي تثير-بدورها-ضجيجـا فكريـا وبحثيـا يسـتهوي الـدارس لهـا، والمتلقـي بشـكل عـام.

المصادر والمراجع المعتمدة:

* باللغة العربية.

1 – القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

2 – ابن بطال علي أبو الحسن: شرح صحيح البخاري: تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ج6، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، 2003م.

3 – ابن عاشور الطاهر: التحرير والتنوير، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

4 – ابن فارس أحمد أبو الحسين: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج6، دار الفكر، 1979م.

5 – ابن كثير أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، ج6، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، 1999م.

6 – ابن منظور محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة (أدا)، ج1، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ

7 – ابن الرومي أبو الحسن علي بن عباس: الديوان، شرح أحمد بسج، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002م.

8 – أحمد السيد محمود: في الأداء اللغوي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2005م.

9 – أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، 1997م.

10 – أرسطو طاليس: فن الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية، 1986م.

11 – أسامة محمد عبد الحميد: المواهب اللغوية طرق التعرف عليها وتنميتها، مجلة المؤثر العلمي الإقليمي للموهبة، مؤسسة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، 2006م.

12 – الأنباري كمال الدين: الإنصاف في مسائل الخلاف، ج2، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2003م.

13 – البحتري الديوان: تحقيق حسن كامل الصيرفي، ج1، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، (د ت).

14 – الجاحظ عمرو أبو عثمان: البيان والتبيين، ج1، دار الهلال، بيروت، 1423هـ

15 – الجرجاني علي بن محمد: التعريفات، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2003م.

16 – الجهني خالد بن محمود، أقسام العبادات، 2018، موقع الألوكة الإلكتروني،www.alukah.net (تاريخ الاطلاع: (03/06/2021).

17 – الجوهري إسماعيل: الصحاح، مادة (أدا)، ج6، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1987م.

18 – الحفيان أحمد عبد السميع: أشهر المصطلحات في فن الأداء والقراءات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

19 – الخطيب التبريزي: شرح ديوان أبي تمام، تحقيق راجي الأسمر، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1994م.

20 – الذهبي عزيز: ثنائية النص والعرض في النقد المسرحي المغربي، مجلة طنجة الأدبية، طنجة، المغرب، ع35، 2011م.

21 – الراغب الحسين الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مادة قرأ، ج1، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، 1414هـ

22 – الريحاني محمد سعيد: التعبير الغنائي من استظهار النص إلى التوحد به، 2003، موقع الحوار المتمدن https://m.ahewar.org/s.asp (تاريخ الاطلاع: 05/06/2021).

23 – الزرقاني محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق بديع السيد اللحام، ج1، دار قتيبة، الطبعة الأولى، 1998م.

24 – السكاكي أبو يعقوب، مفتاح العلوم: تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.

25 – السيوطي جلال الدين: المزهر في علوم اللغة، تحقيق فؤاد علي منصور، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
26 – الطبري أبو جعفر: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج22، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.
27 – الغزالي صالح بن أحمد: مقاصد الفن في العصر الحديث، 2011، موقع الإسلام اليوم، الغزالي https://islamtoday.net (تاريخ الاطلاع: 11/06/2021).
28 – القطيشات وفاء: الجمالية الأسلوبية في الفن الأدبي الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، مجلة تكريت للعلوم، العراق، مج19/ ع8، 2012م.
29 – أيت أوشان علي: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2000م.
30 – باتريس: المعجم المسرحي، ترجمة ميشال خطار، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2015م.
31 – حسن محمد حسن: الأصول الجمالية للفن الحديث، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1998م.
32 – حسين مؤنس: الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الكويت، 1978م.
33 – حسيني أبو بكر: أداءات القراء دراسة في مستويات التحليل اللغوي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م.
34 – حمادة إبراهيم: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، دار المعارف، مصر، 1985م.
35 – خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات الاجتماعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، (د ط)، 1995م.
36 – دحماني نور الدين: بلاغة الصورة الفنية في الخطاب القصصي القرآني مقاربة تحليلية في جماليات الأداء والإيحاء (رسالة دكتوراه)، جامعة وهران، الجزائر، 2012م.
37 – راوية محمد حسن: إدارة القوى العاملة، دار النهضة، الجزائر، الطبعة الثانية، 2000م.
38 – رينيه ويلك وأسطن واريـن: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م.
39 – زمرد فريدة: مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث الشريف، مطبعة أنفو برانت، فاس، الطبعة الأولى، 2001م.
40 – زمرد، فريدة: الدراسة المصطلحية وعلم الدلالية، مجلة دراسات مصطلحية، ع12–11، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية، ومعهد الدراسات المصطلحية، 2012–2011م.
41 – سعدي أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1988م.
42 – سلطان سعيد: السلوك التنظيمي، الدار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2003م.
43 – سيبويه عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1988م.
44 – صليبا جميل: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982م.
45 – عدنان رشيد: دراسات في علم الجمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.
46 – عطية نايف عبد الله: الاتساع اللغوي بين القديم والحديث، دار البيروني، عمان، 2008م.
47 – فندريس جوزيف: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.
48 – كوبلاند آرون: كيف تتذوق الموسيقى، ترجمة محمد بدران، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1998م.
49 – مبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، 1972م.
50 – متقه زاده عيسى وسجاد إسماعيل: فن الخطابة في ضوء الحياة الاجتماعية في العصر الأموي، الخطبة البتراء لزياد بن أبيه نموذجا، جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران، (د ت).

51 - مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1979م.
52 - مشال زكرياء: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1986م.
53 - هرمز توما ميسم: عناصر تكوين الموسيقى والغناء، منظور بحثي، دار الفتح للطباعة، بغداد، 2018م.
54 - وطفة علي أسعد: التربية العربية بين حداثتين بحث في إشكالية الحداثة التربوية، مجلة شؤون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، 2001م.

* باللغة الأجنبية.

55-Huizinga.J.1938.homo lundens: essai sur la fonction sociale dajeu. trad. français: gallimard. paris. 1951

56-Patrice parvis : Dictionnaire de théâtre, édition sociales, paris. 1980.

57- Paul Robert, Dictionnaire alphabétique et analogique de langue Francaise, Terminologie, p11.

حجاج النص، وتكوثر الدلالة في الخطاب الإنشائي
نص (أبا الهول) لأحمد شوقي أنموذجاً، وفق اللسانيات التداولية

إعداد:
د. تماضر زاهي العطروز/ أستاذ مساعد في جامعة جدارا- الأردن

الاستلام : 21/ 9/ 2022 القبول : 19/ 10/ 2022

المستخلص:

عني هذا البحث بالخطاب الإنشائي في نص (أبا الهول) لأحمد شوقي، من منحى تداولي؛ حيث دراسة اللغة حيز الاستعمال، وقد تناول الخطاب الإنشائي؛ كخطاب موجه من متكلم يحمل مقصدية إلى مخاطب قادر بعلمه وفهمه إدراكها، وهذا الخطاب ذو قوة إنجازية، وطاقة حجاجية، وقدرة فاعلة في تماسك عرى النص وانسجامه.

وقد اقتضت الدراسة تناوله في مقدمة، وثلاثة مطالب؛ كان الحديث في المطلب الأول عن الحجاجية اللغوية؛ متناولاً الأساليب الإنشائية التي لها دور مهم في العلمية الحجاجية بما تزخر به من توجيهات استفهامية وطلبية وتعجبية وغيرها، تعمل على إثارة المشاعر، وتشكل هذه الأساليب الإنشائية التوجيهية أفعالاً كلامية مقصدية ذات طبيعة حجاجية.

أما المطلب الثاني فقد عني بالحجاجية البلاغية؛ حيث تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج؛ لأنها تسعى إلى التأثير في المخاطب وإقناعه عن طريق استمالته لتقبل مسألة ما.

فيما جاء المطلب الثالث لدراسة الحجاجية المنطقية؛ حيث إن العلاقات النصية التي يقيمها سياق النص الحجاجي، هي علاقات الدعوة والنتيجة على أن يرتبط محتوى النتيجة بمحتوى المقدمات. ثم جاء نص (أبا الهول) أنموذجاً لتطبيق تلك المطالب وفق اللسانيات التداولية؛ إذ شكل فيه الخطاب الإنشائي فعلاً كلامياً إنجازياً سعى إلى التأثير في المخاطب، فإقناعه بالحجج المنطقية واللغوية والبلاغية، بل إن النص قد نجح في أن يتجاوز الوظيفة الجمالية والإفهامية إلى وظيفة تأثيرية فإقناعية.

وخلصت الباحثة إلى أن الخطاب الإنشائي تداولي بامتياز؛ حيث التخاطب بين طرفي حوار، يحمل المتكلم فيه مقصدية يسعى إلى إفهامها المخاطب عند تنبيهه واستدعائه ولفت انتباهه، والتأثير فيه، ومن ثم إقناعه، فقد تعانقت بنى النص المختلفة، وأساليبه الإنشائية؛ لتُبينَ عن معانٍ مضمرة، وتكشف عن أبعاد تداولية متعددة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، النص، الخطاب، الخطاب الإنشائي، الحجاج.

Textual Pilgrims, and the Significance of Structural Discourse
The text of "The Sphinx" by Ahmed Shawky as a model, according to deliberative linguistics

Dr. Tomadher Zahi Al-Atrouz / Assistant Professor at Jadara University

Abstract:

This research dealt with the structural discourse in the text (Abba al-Hol) by Ahmed Shawky, from a deliberative direction, where the study of language is in use, and has dealt with the structural discourse, as a speech addressed by a speaker who carries a purpose to a addressee who is able to know and understand its perception, and this discourse has an accomplishing power, pilgrimage energy, and an effective ability in the cohesion and harmony of the text.

The study necessitated addressing it in an introduction, and three demands; the first requirement was talking about linguistic argumentation, addressing the structural methods that have an important role in the scientific pilgrimage with its abundance of interrogative, demanding, exclamation and other directives, which work to provoke emotions, and these structural methods constitute intentional verbal actions of an argumentative nature.

The second requirement was rhetorical, where rhetoric is one of the mechanisms of pilgrims, because it seeks to influence the addressee and convince him by co-opting him to accept an issue.

The third requirement for the study of logical argumentation was that the textual relationships established by the context of the pilgrimage text are the relations of advocacy and result, provided that the content of the result is related to the content of the introductions. Then came the text of (The Sphinx) as a model for the application of these demands according to deliberative linguistics, where the structural discourse constituted an accomplishive verbal act that sought to influence the addressee, convincing him of logical, linguistic and rhetorical arguments, and even the text succeeded in transcending the aesthetic and conceptual function to an influential and persuasive function.

The researcher concluded that the structural discourse is deliberative par excellence; where the communication between the two parties to a dialogue, in which the speaker carries a purpose that seeks to understand the addressee when alerting, summoning and drawing his attention, influencing him, and then convincing him, the different structures of the text and its structural methods have embraced to show implicit meanings, and reveal multiple deliberative dimensions.

Keywords: deliberative, text, discourse, structural discourse, pilgrims.

المقدمة :

لا يخفى على الدارس والباحث في اللسانيات الحديثة مكانة التداولية، هذا العلم الجديد الذي يحلل الظواهر اللغوية، ويلوج في جزئياتها شكلاً ومعنىً خدمة للتواصل اللساني؛ إنه علم يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، ويهتم " بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحدثية والبشرية، ويدرس اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية"[1]، بين متخاطبين؛ لا تكون اللغة فيما بينهم وسيلة تفاعل فحسب، وإنما يتعاونون عليه. ويتكئ هذا العلم على مفاهيم إجرائية عدة هي: الفعل الكلامي، ومتضمنات القول، والإشاريات، والحجاج، ونظرية الملاءمة، والاستلزام الحواري.

ولما كان ارتكاز التداولية على هذه الرواسي، والسياق بنوعيه. وكانت نظرتها إلى الأساليب الإنشائية نظرة مغايرة، وأكثر وضوحاً من الدرس النحوي والبلاغي العربي، أو الدرس اللساني البنيوي أو التوليدي؛ حيث تعاملت مع تلك الأساليب على أنها أفعال كلامية ذات قدرة إنجازية ترنو إلى التأثير في المخاطب، بل قد يتجاوز الأمر من التأثر والتأثير إلى الإقناع، بما تحمله من طاقة حجاجية؛ وبذلك لم تعد العملية التخاطبية عملية إمتاعية إبلاغية فحسب، بل إنها تواصلية تأثيرية إقناعية، حيث استقطاب الآخر المخاطب نحو ما يرمي إليه المتكلم، إما لتغيير وجهة نظر أو زيادة في الإقناع .

والمتأمل أحاديث البشر وحواراتهم المسموعة أو المشاهدة في حياتنا اليومية، أو عبر وسائل الإعلام يجدها ممارسات كلامية مكونة من متتاليات تركيبية، وأقوال تنتظمها علائق متعددة، لتشكل خطاباً متماسكاً منسجماً بين طرفي حوار فأكثر، يسعى المتكلم في هذا الخطاب إلى التأثير في سلوك الطرف الآخر، حتى وإن كانت تلك الأقوال تعبر عن خلجات معينة، أو نظرة خاصة للحياة؛ إذ تحمل الكلمة قوة تأثيرية بذاتها، تكبر هذه القوة وتتنامى إذا ما كان السياق متناسقاً، فكل كلمة إذا ما جاءت في موقعها الصحيح كانت حجة لقائلها؛ بل إن خطاباً قد يبدو لنا خالياً من الغايات الحجاجية، قد ينكشف أمامنا على طاقات حجاجية متعددة، وذلك بتجاوز المتكلم غايته الإبلاغية إلى غايته الإقناعية؛ لتحقيق مقاصده وأغراضه مستعملاً الحجاج ركيزة أساسية.

والدارس المتعمق في مفهوم الخطاب الحجاجي يدرك أهميته، ومدى توغله في التاريخ عند اليونان، من خلال استعمالهم البرهان والحوار لغرض التأثير والإقناع. ولم تغب عن العرب تلك الأهمية، فنجده في شروحاتهم وتفاسيرهم ومناظراتهم وخطبهم، كلٌّ يستعمله بغية إقناع المخاطبينَ بوجهة نظر معينة، وهو ما ألفيناه نحن الدارسين في كتب العربية عند علمائنا، الذين استعملوا الحجاج في رؤاهم وأنظارهم محاولين الإقناع والتأثير وإثبات وجهة

(1) بلاشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط1، 2007م، ص 18. نقلاً عن: Universalis Encyclopaedia .

نظرهم، فشكل الحجاج عندهم بنية أساس في إبداعاتهم؛ لأنه يرمي إلى استمالة المخاطبين/ المتلقين للخطاب والتأثير في سلوكياتهم، ومن ثَمّ إقناعهم، وبذلك يعد الحجاج " خطاباً ذا إقناعية تروم دفع المتلقي إلى تغيير اعتقاداته وتبني ثقافة وسلوكات وتصرفات منشودة، انطلاقاً من حجج ملائمة لثقافة المتلقي المفترض وتمثلاته"[2]؛ حتى صار الحجاج في هذا العصر مجالًا من مجالات التداولية؛ لأن طابعه فكري مقامي اجتماعي يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية، وتوجهات ظريفة، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة علمية إنشاء موجهاً بقدر الحاجة.

لقد عالجت التداولية الحجاج باعتباره فعلاً لغوياً، وربطت مفهومه بالفعل " وهو بحث من أجل ترجيح خيار من خيارات قائمة وممكنة بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائماً"[3]؛ إنه" وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه واتجاهاته وانتقاداته وتوجهاته"[4]، وإقناعه بما يعرضه عليه أو يزيد في حجم الإقناع.

ويمكن القول إننا أمام سياق وطرفي خطاب متحاورين يعرض فيه المتكلم مقدمات وفرضيات إقناعية تهدف إلى التأثير في المخاطب؛ إما لتغيير رأي أو تدعيم موقف، أو تبني موقف جديد، وتشكل هذه الفرضيات والمقدمات " فعلاً لغوياً مركباً، وبنية نصية قد تشتمل الخطاب ككل، وتشتغل كاستراتيجية خطابية إقناعية"[5].

ولما كان الشعر خطاباً موجهاً من متكلم إلى مخاطب مقصود أو إلى المخاطبين عموماً، وأنه قادر على تحريك الوجدان وإحداث الانفعال والإمتاع وسلب عقل المخاطب بما يحويه من تخييل وسحر؛ إذ به" تُجلب العقول، وتُسحر الألباب، لما يشتمل عليه من دقيق اللفظ، ولطيف المعنى"[6]، الذي يأسر المخاطب، ويؤثر فيه، بل إن هذا التأثير الإمتاعي يصير وسيلة إقناعية تستقطبه وتوجهه نحو أغراض رسمها المتكلم في خطابه الشعري.

إن الخطاب الشعري هو فعل أو حدث شعري يحمل قوة إنجازية، يسعى إلى استمالة الآخر، مستعملاً الحجاج لغايات إقناعية، وهو ما أشار إليه

(2) عليمات، يوسف محمود، بلاغة الحجاج في النص الشعري دالية الراعي النميري نموذجاً، مجلة جامعة دمشق، مج 29، العدد 1+2، 2013م، ص 258. نقلاً عن: لحويدق، عبد العزيز، الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، ص 336. ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالات.

(3) بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص 105.

(4) تابتي، يمينة، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، منشورات مَخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، العدد 2، ماي 2007م، ص 284.

(5) بوخشة، خديجة، الوظيفة الحجاجية للشعر، مجلة النص، العدد 15، جوان 2014م، ص 85. نقلًا عن: طروس، محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 152.

(6) ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، شركة جلال للطباعة، ط 3، ص 121.

بعض علمائنا؛ فقد ربط أبو هلال العسكري الحجاج بالشعر، ورأى أن للشعر وظيفته الحجاجية؛ فهو" يملك ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الآبية المستعصية، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجية"[7]؛ فهو ليس أحادي الوظيفة حيث الشعرية، وإنما يتجاوزها إلى وظائف عدة كالانفعالية والإقناعية، إنه ينهض بوظيفة حجاجية يرومها المتكلم/ الشاعر؛ فهو عندما ينظم كلاماً فإنه ينظم مشاعره وأحاسيسه، مشكلاً نصاً يحمل مقاصده وأغراضه، التي يسعى إلى إيصالها للمخاطبين، موظفاً كل الإمكانيات التعبيرية التي توفرها اللغة في سياقات متعددة، ومن ثم إحداث التوجيه والتأثير والإنجاز الذي يعد فعلاً كلامياً حجاجياً.

إن الحديث عن الحجاج حديث ممتد امتداد شجون كل حديث، متشعب تشعب مسالكه وطرقه ومتناوليه؛ لذا فقد ارتأت الباحثة في هذا البحث الوقوف على وسائله وآلياته الاستراتيجية التي يعتمدها المتكلم/ الشاعر المحاجج في نص (أبا الهول) لأحمد شوقي، مدعماً بها حجاجه بهدف الإقناع؛ وهي:

* الحجاجية اللغوية:

يعنى هذا البحث بدراسة الوسائل اللغوية الحجاجية من تكرار وأفعال إنجازية، متجاوزة الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكوبير، متناولاً الأساليب الإنشائية التي لها دور مهم في العلمية الحجاجية بما تزخر به من توجيهات استفهامية وطلبية وتعجبية وغيرها، تعمل على إثارة المشاعر، وتشكل هذه الأساليب الإنشائية التوجيهية أفعالاً كلامية مقصدية ذات طبيعة حجاجية؛ فهي تلعب دوراً مهماً في إقناع المخاطبين نحو معتقد معين، أو معرفة ما، أو وجهة نظر خاصة عند المتكلم. فالاستفهام الحجاجي يعد " نمطاً يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية"[8]. أما الأمر؛ فإنه يحوي قوة إنجازية تسعى إلى التأثير في المخاطب وإقناعه؛ فهو" مجموعة من المعاني المتقاربة المتداخلة يثيرها الأسلوب في النفس المتلقية، وهي معان شعورية أو نفسية أو عقلية"[9]. فيما يشكل النهي فعلاً إنجازياً ضمنياً؛ وطاقة حجاجية فاعلة، فالمتكلم يتواصل مع المخاطب عبر" طاقة ترك الفعل المنهي عنه، وإنجاز فعل آخر نقيضه؛ إذ ثمة إنكار راسخة تستدعي الكف عنها عن طريق الحجاج بصيغة النهي"[10]. وأما النداء؛ فهو" بنية تنتج الإقبال حساً ومعنى، وله تأثير كبير في المتلقي؛ لأنه لا يؤتى به لمجرد الانتباه والإصغاء فحسب، وإنما يؤتى به لتنفيذ فعل إنجازي

(7) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1972م، ص 49.

(8) العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط 1، 2010م، ص 57.

(9) دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية، مطبعة الأمانة، مصر، ط 1، 1986م، ص 17.

(10) صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، دار ومكتبة عدنان، بيروت، ط 1، 2015م، ص 148.

ما عن طريقه، لذا دخل في باب الأفعال الكلامية"[11]. وكذا الأساليب الإنشائية الباقية، فهي تمثل فعلاً لغوياً ذا طاقة حجاجية تسعى إلى التأثير في المتلقي/ المخاطب، فإقناعه.

* الحجاجية البلاغية:

تعد البلاغة آلية من آليات الحجاج؛ لأنها تسعى إلى التأثير في المخاطب وإقناعه عن طريق استمالته لتقبل مسألة ما انطلاقاً من " أن البلاغة هي علم الخطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أو الإقناع أو هما معاً إيهاماً أو تصديقاً"[12]. حيث يتم عزل هذه الأساليب عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية؛ بل لتؤدي وظيفة إقناعية استدلالية؛ ذلك أن معظم هذه الأساليب البلاغية تحمل خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية، ولإنجاز مقاصد حجاجية، ولإفادة أبعاد تداولية [13]. ومن أهم هذه الأساليب (التفريع، والإستعارة، والتشبيه، والكناية، والإيجاز).

* الحجاجية المنطقية:

يؤكد محمد العبد أن العلاقات النصية التي يقيمها سياق النص الحجاجي، هي علاقات الدعوة والنتيجة على أن يرتبط محتوى النتيجة بمحتوى المقدمات [14]. ويعد القياس من أهم الآليات المنطقية الحجاجية، ويتكون من أركان عدة؛ هي: المقدمة الكبرى، والمقدمة الصغرى، والنتيجة؛ فإذا ما جاء القياس مكتمل الأركان كان قياساً كاملاً. أما إذا أضمر ركن من أركانه صار قياساً مضمراً.

وترى الباحثة ضرورة الوقوف على هذه الآلية، إضافة إلى بعض الآليات اللغوية والبلاغية التي سيوفرها النص المختار، وهو نص (أبا الهول) الذي نظمه شوقي على بحر المتقارب يقول شوقي:

أبا الهُول طال عليك العُصُرْ وبُلغتَ في الأرض أقصى العُمُرْ
فيا لِدَّةَ الدَّهر لا الدَّهرُ شَبّ ولا أنتَ جاوزتَ حدَّ الصِّغرْ
إلامَ ركوبكَ مَتنَ الرِّمالِ لِطيّ الأصيل وجوْب السَّحرْ؟
تُسافر مُنتقلاً في القُرونِ فأيّان تُلقي غُبار السّفرْ؟
أبا الهول ماذا وراء البقاء إذا ما تَطاول غيرُ الضَّجَرْ؟

تحلق الدلالة في فضاء النص لتشكل بنية نصية كبرى يحملها النص بين دفتي أبياته، تتوهج مع المطلع الأول الذي يسير في علاقة نسج متكاملة للأفكار، من عتبته الأولى التي تتسرب معها الدلالة، وتتخطى حدودها إلى الأبيات اللاحقة

(11) أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص 151 – 150.

(12)العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مكتبة الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2012، ص 6.

(13) ينظر، حباشة، صابر، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط 1، 2008م، ص 50.

(14) ينظر: العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، د ط، 2014م، ص 168.

التي تنتظمها علاقة الاقتضاء والافتقار، ليكتمل النص وتنكشف المقصدية التي أراد المتكلم/ الشاعر أن يفصح عنها، مستثمراً كل الطاقات والإمكانات الحجاجية المتاحة، التي تضمن فهم المخاطب لنيته؛ فعمد إلى عبارة النداء التي تتغيا تنبيه المخاطب فتحفيزه تجاه المتكلم، لتصير هذه العبارة فعلاً خطابياً حجاجياً في هذا التفاعل؛ فقد تعدت الوظيفة التنبيهية إلى وظائف سياقية، وخرجت معها إلى معانٍ إنشائية أخرى ذات قيمة حجاجية، وقوة كلامية قادرة على التأثير في المخاطبً فإقناعه.

يقف المتكلم/ الشاعر منادياً على الحكاية (أبا الهول) حاذفاً الأداة لقرب المنادى المكاني والنفسي، وما أبو الهول إلا تمثال أصم استعقله المتكلم/ الشاعر في مجريات نصه، الذي غلب عليه الحجاج القصصي، ثم أنطقه في نهايته؛ لأن حقيقة الخطاب ليست موجهة إلى هذا التمثال الرمز، وإنما هو خطاب موجه لأبناء مصر، الذين جنحوا إلى السلم عندما صور لهم أعداؤهم هذا السلام والاستسلام على غير حقيقته، فما برحوا أماكنهم، وما واكبوا ركب الحضارة ولتقدم. إن حالهم الذي كانوا عليه هو حال أبي الهول المنادى الذي طال عليه الدهر وهو في مكانه لا يتحرك.

والمتأمل في كلية هذا النص يجده خطاباً حجاجياً منطقياً ورد فيه المتكلم مقدمات حجاجية منطقية، سعى من ورائها إلى دفع المخاطب أبي الهول الرمز إلى فهم مقصديته، التي أرادها منه ، ومن ثم إقناعه بما يبتغيه من تحرك، ومضي في ركب المستقبل، لتأتي النتيجة في آخر النص عندما انشق عن هذا التمثال فتى وفتاة، وهما رمز يختصر فيه بناة المستقبل من أبناء مصر اللذان راحا ينشدان استجابة لأغراض المتكلم/ الشاعر من خطابه، ويكون النص بذلك بنية حجاجية منطقية مثل القياس الكامل فيه أهم آلياته؛ إذ عرض عدداً من المقدمات التي تمثلها عبارة النداء وما صحبها من وسائل حجاجية، وأفعال أخرى لتجيء النتيجة في نهايته.

إن القارئ المتتبع ثنايا هذا الخطاب وبنياته الصغرى، يجدها تتكشف عن وسائل حجاجية متعددة سواء أكانت لغوية أم بلاغية أم منطقية، تمثل عبارة النداء فيها فعلاً حجاجياً تأثيرياً إقناعياً، وتتشاطرها أفعال إنجازية أخرى، لأداء مهمة الإقناع فالاقتناع من لدن المخاطب (أبي الهول) الذي يبرز من بداية النص، يقول شوقي:

أبا الهُول طال عليك العُصُرْ وبُلغتَ في الأرض أقصى العُمُرْ

هنا تتجلى أول وسيلة بلاغية في النص تتمثل في التفريع " وهو أن يذكر المرسل حجة كلية في أول الأمر ثم يعود إلى تقييدها، وتعدد أجزائها إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه "[15]، وقد شكل هذا البيت قضية كبرى، وهي طول عمر أبي الهول، وكأنه نشأ

(15) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2004م، ص 494.

مـع الزمـن وامتـد امتـداده، ثـم يدعـم قضيتـه هـذه بمجموعـة مـن الحجـج، جـاءت عـلى النحـو الآتـي:

القضية الكبرى / طول عمر أبي الهول

ح١/ يـا لـدة الدهـر ح٢/ مـا زلـت والدهـر صغـار ح٣/ تطـوي الليـل والنهـار ح٤/ تسـافر في القـرون

والمتأمـل في هـذه القضيـة وحججهـا يلفيهـا مقدمـات منطقيـة صغـرى، هـي متممـات لسـؤال يعـد مقدمـة كـبرى، وهـو قولـه (مـاذا وراء البقـاء؟)؛ لتكـون النتيجـة (غـير الضجـر).

فالمتكلـم/ الشـاعر في خطابـه هـذا يحـاول إقنـاع المخاطـب والتأثـير فيـه، ليغـير مـن ذاتـه الثابتـة ومـن طبيعتـه المتحجـرة؛ فـإن كان محبـاً للخلـود فـإن الخلـود لا يأتـي إلا بالضجـر، وبخاصـة أنـه ثابـت في مكانـه، شـاهد عـلى تقلبـات زمانـه وتغـيرات أحداثـه وشـخوصه، حتـى كنـى عنـه بعبـارة النـداء (يـا لـدة الدهـر)، هـذه العبـارة التـي تمـارس الحجـاج مـن طرفـين؛ أحدهمـا لغـوي والأخـر بلاغـي؛ فاللغـوي في كونهـا عبـارة نـداء خرجـت مـن دلالـة التنبيـه إلى دلالـة التوكيـد. أمـا البلاغـي فكونهـا تكنيـة عـن اقترانـه بالدهـر؛ فالكنايـة وسـيلة بيانيـة أبلـغ مـن الإفصـاح يلجـأ إليهـا المتكلـم لإثبـات معانيـه، وهـو مـا أشـار إليـه الجرجانـي بقولـه: " المـراد بالكنايـة هاهنـا أن يريـد المتكلـم إثبـات معنـى مـن المعانـي فـلا يذكـره باللفـظ الموضـوع لـه في اللغـة؛ ولكـن يجـيء إلى معنـى هـو تاليـه وردِْفـه في الوجـود فيومـئ بـه إليـه، ويجعلـه دليـلاً عليـه "[16]؛ لإثبـات حجتـه وإقنـاع المخاطـب بمقصديتـه، لـذا لجـأ المتكلم/ الشـاعر بعد ذلـك إلى تضمـين واسـتحضار بعـض الأسـماء؛ كإحـالات تاريخيـة ذات أبعـاد حجاجيـة بلاغيـة مشـحونة بالأحـداث والإنجـازات، وقـد وظفهـا في خطابـه كشـكل مـن أشـكال الإيجـاز، فذكـر متعجبـاً مـن لقمـان ذي النسـور الـذي عـاش كمـا تـروي الأسـطورة العربيـة سـبع آلاف سـنة، وكان يرجـو المزيـد، ولبيـد الـذي كان يشـكو طـول عمـره، وقـد عـاش مئـة وأربعـين عامـاً، هـذه الحيـاة التـي يتمناهـا البعـض ويتضجـر منهـا البعـض الآخـر، لـو وجـدت في أبـي الهـول لـكان قـد مـات في زمانـه، يقـول شـوقي :

عَجبتُ للـقمـانَ فـي حِرْصِـهِ على لُـبـدٍ والنُّسور الأُخَـرْ
وشَكـوى لَبـيدٍ لِـطـول الحيـاة ولو لمْ تَـطل لَتَـشكـى القِصَرْ
ولو وجِـدتْ فيـك يـا ابنَ الصّـفـاةِ لَـحقْـتَ بصـانعـك المقتـدرْ
فـإنّ الحـيـاة تَفـلُّ الحـديـد إذا لَـبسَـته وتُبلي الحَجَـرْ

وهنـا وظـف المتكلـم/ الشـاعر عبـارة النـداء حجـة لغويـة جديـدة، ليؤكـد عدميـة الـروح فيـه وأنـه مـن الحجـر؛ إلا أن هـذا الحجـر قـد تحـدى العصـور بصمـوده، وظـل متماسـكاً ثابتـاً في مكانـه؛ لـذا أردف الاسـتفهام الاسـتنكاري الـذي يمثـل وسـيلة

(16) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، اعتنى به: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2005م. ص66.

حجاجيــة لغويــة بعــد عبــارة النــداء في قولــه:

أبــا الهُــول مــا أنت في المُــعضــلاتِ لقدْ ضَلّـت السّـبلَ فيـك الفِكـرْ

فالمتكلــم/ الشــاعر لا يطــرح ســؤالاً يرجــو جوابــه؛ وإنمــا اســتعمل الاســتفهام اســتثارة للمخاطــب ليســيطر عــلى ذهنــه ودفعــه لإعــلان موقفــه.

ويمــضي المتكلــم/ الشــاعر في خطابــه الــذي حــوى معــانٍ ضمنيــة موجهــة إلى المخاطــب أبــي الهــول، تدعــوه إلى التحــدي والثبــات أمــام تقلبــاتٍ الحيــاة، وهــو مــا يرجــوه المتكلــم/ الشــاعر مــن أبنــاء مــصر، ودعــوة إلى عــدم الاغــترار بالآخريــن، فليــس كل مــا يلمــع ذهبــاً، وذلــك في قولــه:

فيــا رُبَّ وجــهٍ كــصافــي النَّــمير تَشــابــهَ حــامِـلُــه والنَــمِـرْ

هــذا البيــت الــذي يمثــل حجــة لغويــة تتمثــل بعبــارة النــداء (فيــا رب)، التــي حملــت معنــى النصــح وتوخــي الحــذر. وحجــة بلاغيــة؛ إذ شــبه بعــض المخادعــين الذيــن يظهــرون خــلاف مــا يضمــرون، وكأن وجوههــم صافيــة كالمــاء العــذب، لكنهــم مفترســون في دواخلهــم كالنمــر، يقتنصــون الفرصــة للانقضــاض عــلى فرائســهم.

ثــم يعــود المتكلــم/ الشــاعر ليخاطــب أبــا الهــول عــبر عبــارة النــداء، التــي شــكلت وســيلة حجاجيــة لغويــة، مســتثيراً همتــه لافتــاً انتباهــه إلى هــؤلاء الأعــداء في قولــه:

أبــا الهُــول ويْــحكَ لا يُــستقلــ ـلُ مــع الدَّهــر شيء ولا يُحتقَــرْ

تَهَــزأْتَ دهــراً بِــديك الصّبــاح فَنَــقَــرَ عَينيــكَ فيــما نَقَــرْ

أســال البــياضَ وسَــلَّ السّــوَاد وأوغــلَ مِنقــاره في الحفــرْ

فــعُدْتَ كــأنــكَ ذو المَــحْبِــسيْــ ـن قطيــع القيام سَلــيب البَصــرْ

تمثــل هــذه الأبيــات حجــة بلاغيــة منطقيــة مهمــة؛ حيــث القيــاس المضمــر؛ إذ جــاء المتكلم/الشــاعر بمقدمــة كــبرى فقــط تمثلهــا جملــة (تهــزأت دهــراً بديــك الصبــاح)، وديــك الصبــاح هــو كنايــة عــن الزمــان الــذي عبــث بــأي الهــول، فكانــت النتيجــة أن شــوهه حتــى فقــد بــصره كأبــي العــلاء المعــري، وهــذا عــلى المســتوى الســطحي للنــص، لكــن المتعمــق في الدلالــة العميقــة، يلفيــه أراد الأعــداء المتربصــين لــه العابثــين بــه، وكيف أنــه قــد اســتهان بهــم فخــراً وتكــبراً منــه، فمــا كان منهــم إلا أن أفقــدوه بــصره، حتــى لا يبــصر المســتقبل ويمــضي نحــو التقــدم، فربمــا لــو أبــصر لتحــرك.

ثــم يمــضي المتكلــم/ الشــاعر في رصــف نصــه عــلى المســتويين الأفقــي والعمــودي، لخدمــة هــذه الدلالــة عارضــاً مجموعــة مــن الحجــج المنطقيــة، التــي تمثــل مقدمــات كــبرى وصغــرى وحججــاً بلاغيــة مــن اســتعارة " تهــدف إلى إحــداث تغيــير في الموقــف الفكــري أو العاطفــي للمتلقــي "[17]، يقــول شــوقي:

أبــا الهُــول أنت نــديــمُ الــزّمــانِ نَــجــيُّ الأوانِ سَميــرُ العصــرْ

بَــسطــتَ ذراعــيْك مــن آدم ووَلّــيت وجــهَــكَ شــطر الزُّمَرْ

تُطِــلُّ علــى عــالــمٍ يَستهِــ ـل وتُوفــي علــى عــالم يحتضرْ

(17) استراتيجيات الخطاب، ص 495.

فَـعَينٌ إلـى مَـن بـدا للـوجــو د وأُخـرى مُـشيـعةٌ مـن غَبَـرْ
فَـحدِّث فقـد يُـهتـدى بـالحـديـ ـثِ وخَبِّـرْ فقد يؤتَسَـى بالخبـرْ

يتحـدث حباشـة عـن الاسـتعارة ودورهـا الحجاجـي، قائـلاً: " إن محسـناً لهـو حجاجـي إذا كان اسـتعماله وهـو يـؤدي دوره في تغيـير زاويـة النظـر، يبـدو معتـاداً في علاقتـه بالحالـة الجديـدة المفترضـة، وعـلى العكـس مـن ذلـك؛ فـإذا لـم ينتـج عـن الخطـاب اسـتمالة المخاطـب فـإن المحسـن سـيتم اسـتدراكه باعتبـاره زخرفـة؛ أي باعتبـاره محسـن أسـلوب، ويعـود ذلـك إلى تقصـيره عـن أداء دور الإقنـاع"[18]؛ لـذا عمـد المتكلـم/ الشـاعر إلى سـوق حجـج بلاغيـة أخـرى مـن خـلال اسـتحضار الأسـماء البـارزة، التـي كان لهـا شـأنها ومكانتهـا في مـصر، وقـد شـهدت أحداثهـم وأزمنتهـم، ومـا آلـوا إليـه في نهايـة المطـاف حيـث الفنـاء والمـوت؛ مثـل: (فرعـون، والاسـكندر، وقيـصر)، والأنبيـاء مـن مثـل: (مـوسى عليـه السـلام، وعيـسى عليـه السـلام ومحمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم)، والصحابـي الجليـل عمـرو بـن العـاص، والمقوقـس، وغيرهـم.

هـذا الاسـتحضار هـو اسـتحضار ذهنـي للتاريـخ وأحداثـه وشـخوصه؛ وذلـك لتشـتد دعامتـه الحجاجيـة، فيؤثـر في المخاطـب ويقنعـه بمقصديتـه، بـل إن المتكلـم/ الشـاعر لـم يكتـف بـسرد هـذه الحجـج واسـتحضارها، بـل إن في تكـراره عبـارة النـداء (أبـا الهـول) سـت مـرات، ومـا كنـاه عنـه مرتـين (يـا لـدة الدهـر، ويـا ابـن الصفـاة)، " ليـس هـو ذلـك التكـرار المولـد للرتابـة والملـل أو التكـرار المولـد للخلـل والهلهلـة في البنـاء، ولكنـه التكـرار المبـدع الـذي يدخـل ضمـن عمليـة بنـاء النـص أو الـكلام بصفـة عامـة، إنـه التكـرار الـذي يسـمح لنـا بتوليـد بنيـات لغويـة جديـدة، باعتبـاره أحـد ميكانزمـات عمليـة إنتـاج الـكلام، وهـو أيضـاً التكـرار الـذي يضمـن انسـجام النـص وتوالـده وتناميـه"[19]؛ حيـث يسـتعمله المتكلـم لتثبيـت الحكـم في نفـس المخاطـب، وقـد أكثـر منـه شـوقي؛ لأنـه يريـد أن يقـرع أذنـي أبـي الهـول مـن أجـل لفـت انتباهـه، ونصحـه ثـم إقناعـه بمـراده ومقصديتـه. هـذه المقصديـة التـي تجلـت في قولـه:

تَـحرَّكْ أبـا الهُـول، هـذا الزمـانُ تَـحرَّكَ مـا فيـه حتّى الحَجَرْ

حيـث الأمـر الـذي يعـد فعـلاً لغويـاً توجيهيـاً إنجازيـاً، يوظفـه المتكلـم لأغـراض حجاجيـة إقناعيـة؛ فهـو " صيغـة يُطلـب بهـا عـلى وجـه التكليـف والإلـزام حصـول شيء لـم يكـن حاصـلاً وقـت الطلـب... ويـدل عـلى معـانٍ أخـرى يدركهـا السـامع مـن السـياق وقرائـن الأحـوال"[20].

ثـم أردف هـذا الفعـل فعـلاً إنجازيـاً آخـر، هـو عبـارة النـداء التـي خرجـت إلى معنـى النصـح والإرشـاد، وكأن لسـان حـال المتكلـم/ الشـاعر يقـول: (لقـد تحديـت الزمـان، ولكنـك لـم تغـير في حوادثـه، وأحداثـه، وآن لـك الآن أن تنهـض). ومـا نهضتـه إلا نهضـة للشـعب المـصري نحـو التغيـير.

(18) التداولية والحجاج، ص 51.

(19) الخطاب والحجاج، ص 49.

(20) الجارم، علي، أمين، مصطفى، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، د ط، د ت، ص 178. (بتصرف).

لقد قدم هذا الخطاب مقدمات حجاجية منطقية - قد ذكر بعضها سابقاً-، أثرت في المخاطب فأقنعته بمقصديته، لتكون النتيجة بأن ينشق صدر أبي الهول عن فتى وفتاة، مثلا أمامه وأنشدا هذا النشيد:

(المتدارك)

اليوم نسود بوادينا ونُعيدُ محاسنَ ماضينا
ويشيدُ العِزَّ بأيدينا وطنٌ نَفديه ويفدينا

إن المتأمل في هذا الخطاب يلفي المتكلم/ الشاعر زاوج بين الوسائل الحجاجية؛ حيث تضافرت مجموعة من الأساليب كالنداء والأمر والاستفهام، ثم المحسنات البلاغية الحجاجية كالاستعارة والتفريع والإيجاز عبر ذكر الأسماء والكناية، ثم القياس بمقدماته ونتائجه المنطقية. استدعاها المتكلم / الشاعر للتأثير في المخاطب، ومحاولة إقناعه، وهو ما حدث في آخر الأمر؛ إذ اقتنع المخاطب بعد تأثره بتلك الحجج الإثباتية؛ ليكون هذا الخطاب خطاباً حجاجياً ناجحاً، لعب فيه الخطاب الإنشائي دوراً مهماً في العملية الإقناعية، وهو فهم تداولي يخرج باللغة من شكلانية اللفظ والتراكيب إلى وجوديتها الاجتماعية في الاستعمال، وهو ما تسعى إليه التداولية التي تهتم بعناصر التحليل الثلاثة، وهي البنية التركيبية والبنية الدلالية، والبينة التداولية. هذه العناصر التي أبان عنها سعيد بحيري حول البنية النصية، واتفقت معه الباحثة؛ حيث يقول: " البنية النصية بنية معقدة ذات أبعاد أفقية، وتدرج هرمي تحتاج إلى ذلك الخليط المتكامل من علم النحو وعلم الدلالة وعلم التداولية الذي اختص علم لغة النص بالقدرة على استيعابه؛ إذ إنه علم يجمع شتات الجزئيات المبعثرة في فروع معرفية مختلفة في إطار نظرية متكاملة ويتفق الباحثون فيه بالخواص التركيبية والاتصالية التي تجمع بين نصوص معينة، وينصب اهتمامه على التحليل المضموني"[21]، الذي يحمل النص إلى تجليات دلالية تتجاوز المستوى السطحي وتهيم في بنيته العميقة، وتستثمر الطاقات الإنجازية التي يمكن للأساليب الإنشائية فرضها على النص عبر تأمل الدلالات المحتملة، التي يستطيع كل قارئ استنباطها بحسب رؤاه وأنظاره وقراءاته.

(21) البحيري، سعيد حسن، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1997م ، ص 125.

الخاتمة :

عنـي هـذا البحـث بالخطـاب الإنشـائي في نـص (أبـا الهـول) لأحمد شـوقي، وسـعى جاهـداً لتنـاول أهـم الوسـائل الحجاجيـة وتوظيفهـا في النـص، وقـد خلـص إلى نتائـج عـدة، جـاءت عـلى النحـو الآتـي:

شـكل الخطـاب الإنشـائي في نـص (أبـا الهـول) فعـلاً كلاميـاً إنجازيـاً سـعى إلى التأثـير في المخاطـب، فإقناعـه بالحجـج المنطقيـة واللغويـة والبلاغيـة، بـل إنـه نجـح في تجـاوز الوظيفـة النحويـة والإفهاميـة إلى الوظيفـة التأثيريـة فالإقناعيـة.

أبـان النمـوذج المختـار عـن دور السـياق في تحديـد معانـي الإنشـاء مـن عبـارات النـداء أو الاسـتفهام أو التعجـب، وإضفـاء قيمـة حضوريـة مؤقتـة عليهـا دون غيرهـا مـن الـدلالات المحتملـة، التـي قـد تختلـف باختـلاف السـياق.

ـ نجحـت عبـارة النـداء في النـص أن تكـون عنـصراً فاعـلاً مـن عنـاصر الترابـط والتماسـك النـصي، سـواء أكان هـذا الترابـط عـبر الأدوات أو التراكيـب أو عـبر التكـرار.

لعـب الخطـاب الإنشـائي دوراً مهمـاً في العمليـة الإقناعيـة، وهـو فهـم تـداولي يخـرج باللغـة مـن شـكلانية اللفـظ والتراكيـب إلى وجوديتهـا الاجتماعية في الاسـتعمال.

المصادر والمراجع :

البحيري، سعيد حسن، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط1، 1997م.
بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.
الجارم، علي، أمين، مصطفى، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، د ط، د ت، ص 178.
الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، اعتنى به: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2005م.
حباشة، صابر، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط 1، 2008م، ص 50.
دراز، صباح عبيد، الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية، مطبعة الأمانة، مصر، ط 1، 1986م، ص 17.
شوقي، أحمد، ديوان الشوقيات، تحقيق: عمر الطباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، د ت.
الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2004م، ص 494.
صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، دار ومكتبة عدنان، بيروت، ط 1، 2015م، ص 148.
ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، شركة جلال للطباعة، ط 3، ص 121.
العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، د ط، 2014م، ص 168.
العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1972م.
العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط 1، 2010م، ص 57.
العمري، محمد، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، مكتبة الأدب المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2012، ص 6.

المجلات والدوريات:
تابتي، يمينة، الحجاج في رسائل ابن عباد الرندي، منشورات مَخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، العدد 2، ماي 2007م.
بوخشة، خديجة، الوظيفة الحجاجية للشعر، مجلة النص، العدد 15، جوان 2014م.
عليمات، يوسف محمود، بلاغة الحجاج في النص الشعري دالية الراعي النميري نموذجاً، مجلة جامعة دمشق، مج 29، العدد 1+2، 2013م.

المراجع المترجمة:
بلاشيه، فيليب، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط1، 2007م.

الاتجاه الشكلاني
أسُسه ومفاهيمُه وجدليةُ اقترانه بثنائية الشكلِ والمضمون

إعـداد :
أ. طـــارق فـــرج عـــلي مـــحـــمـــد
كلية اللغة العربية -جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
أ. بـشرى مـــنـــعـــم أبـــوفـــراج اسبيق
كلية الآداب - القبة / جامعة درنة
أ. أبـــو القاسم عبـد العـزيز حـمودة
كلية الآداب والعلوم – الكفرة/ جامعة بنغازي

الاستلام : 29/ 9/ 2022 القبول : 5/ 11/ 2022

المستخلص:

يتنـاول البحـث منهجـا نقديـا يعـد مـن أهـم المناهـج التـي انتقلـت بالدراسـات النقديـة الحديثـة مـن مسـارها السـياقي إلى المسـار النسـقي، والبحـث محاولـة لتأطـير مفهـوم هـذا المنهـج والوقـوف عـلى بداياتـه ونشـأته وظهـوره، إلى النظـر في تفريعاتـه واتصالـه بالمذاهـب النقديـة الأخـرى، وتبيـان بعـض المفاهيـم التـي يختـص بهـا هـذا المنهـج، لوضـع الناقـد والباحـث في إطـار النظريـة الشـكلانية بشـكل عـام.

Abstract:

This research involves a critical approach which is considered one of the most important approaches that was passed by modern studies of criticism from its contextual focus to its central focus. The research attempts to frame the concept of this approach highlighting it's beginning, initiation, and revelation. As well as looking into what this approach branches into and the links it has with other critical approaches. The research also aims to clarify some of the central understandings of this approach, in aim to generally center this theory around the involvement of critics and researchers.

كلمات مفتاحية : الشكليون الروس، شكلوفسكي، الشكل، السياق

مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد :

ظلت المناهج السياقية (النفسية والاجتماعية والتاريخية) مهيمنة على حقل الدراسات النقدية للأدب إلى النصف الأول من القرن العشرين؛ حيث أدى التطور في فلسفة النقد إلى ميلاد تصور جديد في مقاربة الظاهرة الأدبية، يدعو إلى استبعاد المؤثرات الخارجية باعتبارها موضوعات خارجية، والانطلاق من داخل النص، وهذا ما بات يعرف في ميزان النقد الأدبي بالشكلانية التي ركزت على شكل الأدب، فالجديد في الحياة الثقافية لا يتوقف ولكنه لا يهدم القديم وإن حل محله، ومن الجديد هذا المذهب النقدي الحديث الذي يسمى بالمذهب الشكلاني والذي ظهر في النصف الأول من القرن العشرين [عصر النقد] ويرجع إلى عدد من النقاد والدارسين، الذين أحدثوا انعطافة جديدة في نظرية الأدب، وتحليل النص الأدبي.

والمعلوم أن النص الأدبي صنعة ماهر وله باطن وظاهر، والواقع أن الاهتمام بالشكل هو شيء قديم في النقد الأدبي، وقد كانت قضية الشكل والمضمون في جميع العصور من أبرز القضايا الأدبية التي اختلف حولها النقاد، فقوم يرون أن مهارة الأديب تكمن في أسلوبه لا في مضمون العمل الأدبي، ومن هنا تقريبا ظهر تصور هذه النظرية الأدبية الحديثة.

اقتضت طبيعة البحث تقسيمَه إلى أربعة مطالب تليها خاتمة وثبَت للمصادر والمراجع، وهي على النحو الآتي :

المطلب الأول : والنشأة والظهور

المطلب الثاني : الملامح العامة للاتجاه الشكلاني

المطلب الثالث: قضية الشكل والمضمون

المطلب الرابع : نقد المنهج الشكلاني

والخاتمة وبها أهم النتائج التي توصل إليها الباحثون وقائمة للمصادر والمراجع

منهجية البحث :

اعتمد الباحثون في دراستهم على المنهج الوصفي التاريخي الذي يتناول النظرية النقدية بالوصف والسرد التاريخي بدءا بالنشأة والظهور وذكر الملامح إلى غير ذلك، كما اعتمد الباحثون على (دليل شيكاغو) في طريقة كتابة الهوامش، وصيغتُه كتابة اسم المؤلف ثم اسم المرجع ويليه بقية معلومات النشر.

أهداف البحث :

- البحث هو محاولة لتأطير المفهوم العام للاتجاهات الشكلانية من نشأتها وظهورها إلى اندثارها بفعل المناهج الأخرى.
- محاولة تقريب المصطلحات النقدية المستعملة في وصف المنهج الشكلاني وتحديده.
- بيان منهجية الموازنة التي تقارب ما بين قضية الشكل والمضمون القديمة ومقاربتها بالاتجاهات الشكلانية الحديثة.

فرضيات البحث :

تدور أسئلة البحث حول مفهوم أو ماهية الاتجاه الشكلاني، والإرهاصات التي مهدت لظهور هذا الاتجاه وأهم منطلقاته وملامحه، وهل لهذا الاتجاه أصول في الآداب الأخرى غير البيئة الأدبية التي احتضنته ؟، وماهي مميزات وعيوب هذا الاتجاه ؟.

الدراسات السابقة :

- **تزافتان تودوروف، الشكلانية في الأدب (تج : المنجي الشملي، حوليات الجامعة التونسية، ع 31، يناير، 1979 م)**
- **فتوح أحمد، الشكلية ماذا يبقى منها ؟ (مجلة فصول، مج 1، ع 2، بيروت، دار الفتى العربي، 1981 م)**
- **لامية مراكشي، المدرسة الشكلية في النقد الأدبي (مجلة المصباح، دروب أدبية، 2018م)**

المطلب الأول : النشأة والظهور

إن وزن التعبير بالكلمة في النفس الإنسانية يبدو واضحا، حينما نجدها مهتمة بالطريقة التي يفسر بها نتاج البشرية الأدبي، إننا حقا أمام بحث حثيث امتد – وما يزال ممتدا عبر الزمن – عن أنسب مرآة يمكن لنا من خلالها أن نرى مناط الإبداع وأسبابه ودواعيه والمؤشرات الكامنة فيه، الراجعة لبيئته وعصره ومبدعيه، لكن هذا البحث حاد في بعض تحولاته عن مبتغاه، فنراه يعتكف زمنا على سياق الإبداع مهملا الإبداع ذاته، وإننا حين نقول أهمل لا نقصد أنه ترك النظر في الإبداع تركا كليا ؛ بل نقصد أنه صبّ اهتمامه خارج النص، بغية فهم النص وتأويله والأقسى في حق الأدب هو ما كان من أوزار ألقيت فوق ظهر الكاتب حينما تطلب منه (الواقعية الاشتراكية) مثلا : " أن يصف الواقع وصفا أمينا وأن يكون واقعيا بمعنى : أن يصف المجتمع المعاصر وصفا يبين فهمه العميق لبنيته"[1] وهذا بالضبط ما جعل المنهج الشكلاني في الأدب يظهر على الساحة النقدية، رافضا أن توجه أدوات النقد لغير النص في ذاته، وألا يحمّل الأدب فوق طاقته، وألا تعلوه أصوات المنظرين، " وإنما يكون الأدب أدبا لأجل أدبيته ".[2]

" يرجع المنهج الشكلاني... لعدد من النقاد والدارسين الروس، الذين أحدثوا انعطافة جديدة في نظرية الأدب، وتحليل النص الأدبي... كان الأدب الروسي في أثنائها يخضع لهيمنة نقد سوسيولوجي ذي بعد أيديولوجي وتوجه سياسي، جعل العلاقة بين الأدب والحياة تبدو أشبه شيء بالعقيدة المغلقة، وهو ماعكس حالة من الاغتراب عن النص الأدبي، فكان بذلك واحدا من أبرز حوافز ازدهار هذا المنهج النقدي. "[3]

(1) رينيه ويليك ، مفاهيم نقدية ، (تج : جابر عصفور، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1987 م) ص 391.

(2) إلرود إبش وآخرون ، نظرية الأدب في القرن العشرين (تج : محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، 1996 م) ص 107.

(3) صالح هويدي ، المناهج النقدية الحديثة ، أسئلة ومقاربات ، (دار نينوى ، ط 1 ، 2015 م) ص 106 ، 107.

وقد تأسست الشكلانية نتاجا لتجمعين :

" حلقة موسكو اللغوية التي تأسست عام 1915 م، والتي من أعضائها بيتر بوجاتيرف، وورومان جاكبسون، وجريجوري فينوكور، وجماعة (الأوبوجاز) في بطرسبورج (جماعة دراسة اللغة الشعرية، وتأسست عام 1916 م، من دارسين مثل : بوريس إيخنباوم، وفيكتور شكلوفسكي "[4]وقد كانت هذه الجماعة الأخيرة (الأبوجاز) " مهتمة بالدرجة الأولى بمشكلة اللغة الشعرية التي رأى فيها أعضاء الجمعية لغة خاصة، تتصف بتشويه مقصود للغة العادية عن طريق (العنف المنظم) الذي يرتكب ضدها ووجهوا جلّ عنايتهم للطبقة الصوتية من اللغة... القافية، إيقاع النثر والأوزان وأكثروا من الاستعانة بمفهوم الفونيم (أصغر وحدة صوتية ذات معنى) الذي كان قد ظهر على أيدي دي سوسير وأعضاء مدرسة جنيف" [5] وهنا يبدو لنا الارتباط بين وظيفة الدرس اللساني في خدمة اللغة بوجه عام، وبين ما يطمح الشكلاني لتقديمه للغة الشعرية على وجه الخصوص، إنه الاعتكاف على اللغة وحدها بوصفها نظاما منغلقا على نفسه مكتفيا بذاته، والشعرية التي صبّ الشكلانيون اهتمامهم عليها، هي المتمثلة في الشعر والنثر على حد سواء فهم يقصدون منها اللغة الإبداعية التي فرقوا في درسهم بينها وبين لغة الخطاب العادي، وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى وظائف اللغة التي وسعها جاكبسون بعد (بوهلر) وجعلها في ست وظائف بدل ثلاث، وخصّ وظيفة منها " بالوظيفة الشعرية كما في النصوص الفنية اللغوية "[6].

ومن الدعائم التي أسهمت في تطور الاتجاه الشكلاني في الأدب، وظهوره مستقلا على الساحة النقدية في النصف الأول من القرن العشرين، هي تلك المحاولات التأليفية الممزوجة بين الاهتمام بالشكل والسياق معا، ونضرب على ذلك مثالا كتاب ريجاردز : (مبادئ النقد الأدبي) 1920 م، الذي قام فيه " بتحليل العلاقة بين الشعر الجمهور الذي زاد من قوة زخم المعالجات النفسانية، وكذلك اشتراكه مع أوكدن في (معنى المعنى) 1933 م، قد وضعا عددا من المفردات لاستخدامها في مناقشة وتحليل أنواع المعاني، التي ترد على البال استجابة للمحفز اللفظي، فأقام بذلك أسس المعالجة اللفظية في النقد الأدبي ".[7]

إن أصل النزعة الشكلية عائد إلى تحولات في اتجاهات التصوير والنحت التي نشأت منها هذه النظرية الشكلية، بعبارة أوضح إن النظرية الشكلية تُعد " نقيضا لنظرية المحاكاة... فهي تحاول أن تبين أن ما يعده الرأي المعتاد فنا، ليس في حقيقته فنا على الإطلاق، وأن معظم الناس يأتون إلى الفن من غير

(4) رامان سلدن ، من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية ، (المجلس الأعلى للثقافة ، 2006 م) ص 33.

(5) مفاهيم نقدية ، ص 394.

(6) فاطمة الطبال بركة ،النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (تج : المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 193 م) ص 161.

(7) ويلريز سكوت ، خمسة مداخل إلى النقد الأدبي ، (تج : عنان عزوان إسماعيل وجعفر الخليل ، دار الرشيد ، العراق ، 1981 م) ص 194.

طريقــه الصحيــح، وبالتــالي تفوتهــم قيمتــه، غــير أن نظريــة المحــاكاة تؤكــد العلاقــة الوثيقــة بــين الفــن وبــين التجربــة الإنســانية خــارج مجــال الفــن "[8]

هــذا تمامــا مــا أتــت النزعــة الشــكلية في الفــن لتنقضــه نقضــا كليّــا " فهــي تــرى أن الفــن الصحيــح منفصــل تمامــا عــن الأفعــال والموضوعــات، التــي تتألــف منهــا التجربــة المعتــادة، فالفــن عالــم قائــم بذاتــه، وهــو ليــس مكلفــا بترديــد الحيــاة والاقتبــاس منهــا " [9]

ولا عجــب أن يأخــذ الوعــي الجمعــي وقتــا ليتقبــل أن يكــون الفــن صــورة ليســت حرفيــة عــن الحيــاة، وأن يتحــرر مــن قيودهــا – إن شــاء ذلــك – وأن يمــارس الإبــداع خــارج بوتقتهــا، عــلى الأقــل ألا تُفــرَض عليــه أعباؤهــا خصوصــا وأن نظريــة المحــاكاة في الفــن كانــت هــي المثــل الأعــلى، إذ صــار المتلقــي لا يقبــل أن يكــون الفــن إلا صــورة عــن الحيــاة، ويمكــن لنــا أن نتصــور ذلــك في القطعــة الفنيــة " طائــر في الفضــاء، لبرانكــوزي، موضوعــا لقضيــة مشــهورة في العشرينيــات مــن هــذا القــرن، ولمــا كانــت القطعــة عــلى حــد تعبــير أحــد قضــاة المحكمــة، لا تحمــل شــبها لطائــر، لقــد قــرر موظفــو الجمــارك أنهــا ليســت عمــلا فنيــا، وبالتــالي لا يمكــن أن تدخــل الولايــات المتحــدة الأمريكيــة بغــير رســوم جمركيــة، وفي المحكمــة التــي جــرت اعتراضــا عــلى هــذا القــرار، طــرح ممثــل الحكومــة هــذا الســؤال : إن الســيد برانكــوزي يدعــي أن هــذا الــشيء يمثــل طائــرا فهــل لــو صادفــت طائــرا محلقــا كهــذا وأنــت تصطــاد أكنــت تطلــق عليــه النــار ؟ ". [10]

وإن كان هــذا المدخــل فلســفيا قليــلا بالنســبة للاتجــاه الشــكلاني في الأدب، إلا أنــه يمثــل خطّــا فنيــا ينطبــق عــلى الإبــداع بالكلمــة، مــن حيــث الثــورة عــلى ارتبــاط الفــن بالحيــاة، وهــذا مــا ينعكــس في تجريــد الأدب مــن ســياقه الحيــاتي، ســواء حيــاة الفــرد أو المجتمــع أو الحيــاة برمتهــا في ســياقها التاريخــي، أثنــاء إدخالــه في التجربــة النقديــة، وأيضــا مــا نجــده مــن رفــض تــام أن يكــون الأدب مقيــدا بهــذا التعبــير عــن الحيــاة، في التجربــة الكتابيــة ذاتهــا، بمعنــى أدق، يرفــض الناقــد الشــكلاني أن يــدرس الأدب دراســة ســياقية، ويطمــح ألا يكــون الأدب صــورة عــن هــذا الســياق، والأعمــق مــن ذلــك هــو، مــا يخــص لغــة الأدب، و (التشــويه) الــذي ورد آنفــا، ونقصــد به مــا قصده الشــكلانيون : بأنــه هــو فــض العلاقــة المعهــودة بــين الــدال والمدلــول، وتفجــير دلالات تدهــش المتلقي، هــذا بالضبــط أســاس مــن الأســس التــي خــرج الاتجــاه الشــكلاني في الأدب للتركيــز عليهــا، فإننــا حــين أوردنــا قصــة الفنــان برانكــوزي كنّــا نقــارب – فلســفيا – بــين هــذا وذاك مــن تفجــير للطاقــة الإبداعيــة.

يمكــن لنــا بعــد هــذا العــرض لنشــأة هــذا الاتجــاه النقــدي الــذي ظهــر على الســاحة النقديــة الأدبيــة أوائــل القــرن العشريــن أن نلتمــس أن هــذا الاتجــاه " وسّــع مجــال

(8) جــيروم ســتولنيتز ، النقــد الفنــي دراســة جماليــة وفلســفية ، (تــج : فــؤاد زكريــا ، دار الوفــاء لدنيــا الطباعــة والنــشر ، ط 1 ، 2007 م) 197.

(9) المرجع نفسه ، ص 197.

(10) النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية ، ص 199.

دراسته، وتجاوز حدود ما يسمى عموما المنهجية هذه إلى علم مستقل يضع الأدب كموضوع له... إن مناهج كثيرة يمكن أن تجد لها مكانا في إطار هذا العلم، بشرط أن يتركز الاهتمام على جوهر المادة المدروسة تلك كانت رغبة الشكلانيين من البداية " [11] وهذا ما نجده ملموسا على الساحة النقدية من مناهج تولدت من الاتجاه الشكلاني في الأدب ولا يخفى ذلك على الناظر في البنيوية والأسلوبية مثلا وهذا ما ذهب إليه (تودوروف) في عام 1979 م في قوله: إن هناك خطّا غير مقطوع بين الألسنية السويسرية مرورا بالشكلانية، فالبنيوية الحديثة، يعتمد في الأساس على الطرائق التي اعتمدتها هذه الاتجاهات في تحقيق أغراضها " [12] وإنه وإن كانت أسلوبية الشكلانيين تقوم على إقصاء التاريخ... كذلك قامت الأسلوبية على إقصاء علم النفس من حيث أن التلقي هنا يستند على شيء واحد هو البناء ".[13]

المطلب الثاني : الملامح العامة للاتجاه الشكلاني

يتسمُ الاتجاه الشكلاني بعدة سمات تُميزه عن غيره من الاتجاهات النقدية الحديثة، ونحن نعلم جليّا أن الاتجاه الشكلاني يتفرع لعدة اتجاهات أخرى تتفق في الرؤية والمنظور والنظرية والتطبيق، وقد تختلف تلك الاتجاهات في بعض السمات العامة، لكنها تتفق في أن النص تجبُ دراسته بصفته كيانًا لغويًا مستقلا منفصلا عن كل المؤثرات الخارجية، ويتضح هذا إذا دُرس كل تلك الاتجاهات لنتبين معالمها وخصائصَها الكُلية.

" إن الاتجاه الشكلاني يرمي إلى أن الاعتبارات الجمالية تُفضل على الاعتبارات الفكرية والأخلاقية[14]، أي إن العمل الأدبي محصور – كما هو ظاهر – في الشكل الفني وحده، فهو يستمد قيمه الجمالية من الأسلوب، ولا تتدخل العناصر الأخرى في صياغة هذه الجمالية ". [15]

" النظر إلى النص الأدبي على أنه بنية لغوية جمالية، أو تشكيل أسلوبي متميز، أكثر مما هو تمثيل للواقع، أو انعكاس للحياة، أو محاكاة للطبيعة، أو تعبير عن شخصية قائلة، أو ما شاكل ذلك من أفكار قديمة " [16]

يتبين للباحث أن الأدبَ الشّكلاني محصورٌ على الشكل دون غيره فهو يستمد جماله منه، وتركيزُه يكون على البِنية اللّغوية فهو أسلوب فقط وليس انعكاسا للحَياة كما هُو المَنهَج الاجْتماعي ولا تمثيلا للواقع كمَا هو المنهجُ الواقعي أو منهج الفن للحياة.

(11) إبراهيم الخطيب ، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس (مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1982 م) ص 31.

(12) يوسف عوض ، نظرية النقد الأدبي الحديث (دار الأمين ، القاهرة، ط1، 1998) ص16

(13) إبراهيم خليل ، في النقد الأدبي والألسني ، (أمانة عمان الكبرى ، 2002 م) ص 77.

(14) مجدي وهبة ، كامل المهندس ، معجم المصطلحات في الأدب واللغة (مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1984 م) ص 280.

(15) وليد قصاب ، مناهج النقد الأدبي الحديث (دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط 2 ، 2009 م) ص 89.

(16) المرجع نفسه ، ص 90.

يتغاضى الشكليون عن تحليل المحتوى الأدبي، فلا يتعرضون لغواية علم النفس وعلم الاجتماع، وينصرفون إلى دراسة الشكل الأدبي بعيدا عن رؤيته تعبيرا للمضمون فالمحتوى مجرد تحفيز للشكل. (17)

ماذا يقصد بقوله إن المضمون مجرد تحفيز للشكل؟ كأنهم يقولون إن المضامين مجرد تمرينات رياضية لتحفيز إنتاجية الشكل فهذا الأدب الشكلاني يُصنع من الألفاظ ويَصرِفُ النظر عن الأفكار.

كتب أودن مرة : (إذا حَضَر إليّ شاب يطمع في أن يكتب وقال : لدي أمر جليل أود أن أكتب عنه، فهو ليس بشاعر ولكنه إذا اعترف وقال : أريد أن أقف طويلا مع الألفاظ سأستمع لحديثه، فهو حينئذ قد يصبح شاعرًا) . (18)

يحدد أودن هنا شعريّة الشاعر بوقوفه مع الألفاظ وانحيازه للشكل فقط ؛ بل يصير الشاعر شاعرا إذا كان مهتما بالبناءات اللغوية والتراكيب الشكلانية.

" لقد اهتمت الدراسات الشكلية بدراسة الشكل الأدبي باعتباره في ذاته ظاهرة فنية، كما اهتمت بدراسة الأشكال الصوتية وبدراسة البنيات اللغوية، أي دراسة الشكل الأدبي بعد تفريغه من محتواه فأصبح موضوع هذه الدراسات هو صورة العلاقات الأدبية الفارغة." (19)

" يرنو الاتجاه الشكلاني دائما إلى تحقيق نوع من الصورية لعالم الأثر، وأن يعتبر العلاقة الأدبية علاقة قائمة على البنيات الصوتية والتركيبة، ومن البدهي أن تلك العلاقة تتغير بتغير المضمون ".(20)

" غاية الأدب عند الشكلانيين هي الأدب ذاته، وهي غاية جمالية، لا نفعية ؛ فالأدب لا يخدم غرضا تعليميا، ولا خلقيا ولا سياسيا، وإنما غاية إستيطيقية (جمالية)، تقوم على الإدهاش والإغراب " (21)

" إن بعض الشكليين لا يهتمون بالسياق التاريخي ولا بالقيمة الجمالية للعمل الذي يحللونه، وهم لا يستبعدون التاريخ وإنما يعدونه معروفا، فالأنواع تنشأ عن تقليد، والقصائد وليدة أسباب، والكلمات يتغير معناها، فهم يطلبون من التاريخ كل المعلومات التي يحتاجونها، ولكنهم بعد ذلك يلصقون أبصارهم بالنص." (22)

(17) ينظر : تيري إيغلتون ، (نظرية الأدب ، تج : ثائر ديب ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سورية ، 1995 م) ص 13

(18) ينظر : إليزابث درو ، (الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، تج : د، محمد إبراهيم الشاوش ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، نيويورك ، 1961 م) ص 23.

(19) سمير حجازي ، مناهج النقد الأدبي المعاصر ، (دار التوفيق للطباعة والنشر ، دمشق ، سورية ، ط 1 ، 2004 م) ص 75.

(20) المرجع نفسه ، ص 76.

(21) مناهج النقد الأدبي الحديث ، 92.

(22) إنريك أندرسون ، مناهج النقد الأدبي ، (تج : الطاهر أحمد مكي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1991 م) ص 173

المطلب الثالث: قضية الشكل والمضمون

" من القضايا التي أثارها النقاد قديما وحديثا مشكلة الصورة والمضمون في الأدب أو مشكلة الشكل والمحتوى أو بعبارة أوضح مشكلة اللفظ والمعنى، ولعل الجاحظ هو أقدم من أثارها بين نقاد العرب إثارة واسعة، فقد تحدث عنها كثيرا في كتبه " [23] (والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ... فإنما الشعرُ صناعةٌ وضربٌ من النسجِ وجنسٌ من التصوير) [24] فهو في كل جانب يرفع من شأن اللفظ ويغض منَ شأن المعنى، بل إنه يسقطه إسقاطا، فليس له فضل ولا مزية ولا قيمة فنية ". [25]

" لقد عادت مشكلة الشكل والمضمون إلى الظهور في مجال الأدب والنقد وبخاصة الأدب والنقد المسرحيين، ومسألة الشكل والمضمون لها تاريخ قديم – كما ذكرنا – في الأدب، بل في جميع الآداب، وذلك إذا فهمنا معنى الشكل بمدلوله الواسع من حيث إنه يشمل القالب الفني العام أي هندسة بناء العمل الأدبي من جهة وأسلوب التعبير من جهة أخرى. [26]

" إن هذه القضية في حقيقتها هي كبرى القضايا النقدية، لأنها تعالج أساس البناء في الفن الأدبي [27] ، بل هي قاعدة البناء في كل لون من ألوان التعبير اللغوي، مهما يكن موضوعه، ومهما يكن غرضه والمقصود به وأيا كان مرسله أو متلقيه. [28]

" والإطار هو الشكل، أو الوعاء، أو القالب الذي تصب فيه المادة وهي الموضوع الأدبي بكل مقوماته المعنوية، وبكل ما يحتشد فيه من الطاقات الفكرية أو العاطفية، وعلى ذلك يشمل الإطار كل العناصر الخارجية، أو عوامل التوصيل التي يتم إدراكها عن طريق حاستي السمع أو البصر ؛ لأن الأعمال الأدبية إنما هي أقوال ينطقها السان، أو تخطها الأقلام، وتلك العناصر الخارجية تتمثل في الألفاظ المفردة والألفاظ المركبة وفي الفصول المؤلفة في أية صورة من صور التأليف المنثور بأشكاله المتعددة وفقراته المسجوعة " [29]

" إن قضية الشكل والمضمون لا تعدو أن تكون مسألة جمالية، وإذا كان النقاد القدامى قد اختلفوا حول القضية، فرأينا أنصارا للشكل وأنصارا للمضمون، فإن هذا الخلاف لا يجب أن يكون في هذا العصر، خاصة بعد أن تطورت الدراسات في علم الجمال، ووضحت أسسه التي بني عليها". [30]

---

(23) شوقي ضيف ، في النقد الأدبي ، (دار المعارف ، القاهرة ، ط 9) ص 161.

(24) الجاحظ ، الحيوان ، (تح : عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1996 م) ج 3 ، ص 131 ، 132.

(25) في النقد الأدبي ،) ص 161

(26) محمد مندور ، معارك أدبية ، (دار نهضة مصر للطباعة والنشر) ص 62.

(27) بدوي طبانة ، قضايا النقد الأدبي ، (دار المريخ للنشر ، 1984 م) ص 145.

(28) المرجع نفسه ، ص 145.

(29) قضايا النقد الأدبي ، ص 145.

(30) محمد صايل حمدان ، قضايا النقد الحديث ، (دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد ، الأردن ، ط 1 ، 1991 م) ص 16.

ربما يحمل هذ الرأي قضية طالما تحدث فيها الباحثون وهي قضية ربط مشكلة الشكل والمضمون أو اللفظ والمعنى التي وردت في الآداب القديمة بقضية الأطر والتركيبات البنائية التي تفضل على المحتوى في العصر الحديث، والموجودة في كثير من المناهج النقدية، التي تتعامل مع النص بصفته كيانا لغويا مستقلا، وهذا من وجهة نظر الباحثِين أمر شاق، فلا حاجة لربط القديم بالمعاصر في كل قضية ترد على الأسماع، وأن تناقش القضايا مستقلة، ويكون الربط لأجل الإيضاح أحيانا فقط.

موقف الشكلانيين من المضمون :

تأكيدا لما ذكره الباحثون سالفا أن قضية ربط الشكل بالمضمون هي مشكلة لا تقرن بالدراسات النقدية المعاصرة، فالثنائية المتقابلة مبدأ رفضه الشكلانيون، لا نقول قطعا، ولكن بدايات الشكلانية في الأدب كانت مبنية على هذا المبدأ.

بعد القول إن الشكلانيين تجاوزوا كل مشكلٍ يربط الأدب بالوظيفة أو الفكرية، نستطيع – بدايةً – أن نحدد الآراء الشكلانية عامةً في مبدأين :

" المبدأ الأول : وقد لخصه جاكبسون قائلا (إن موضوع علم الأدب ليس هو الأدب وإنما الأدبية، وبذلك حصروا اهتمامهم في نطاق النص ". (31)

" المبدأ الثاني : ويتعلق بمفهوم الشكل، فقد رفضوا رفضا باتا ما كانت تذهب إليه النظرية النقدية التقليدية من أن لكل أثر أدبي ثنائية متقابلة الطرفين، هي الشكل والمضمون، وأكدوا أن الخطاب الأدبي يختلف عن غيره ببروز شكله. " (32)

" لقد غدا الشكل شعارا بلغ من شموليته أنه أخذ كل ما يُكوّن العمل الفني والشكلانيون يتناولون الموضوع في سياق من التمرد ضد النقد الفكري السائد من حولهم، غير أنهم أدركوا أنه لا يكفي أن نجعل الشكل يستوعب المضمون، ولذلك فقد أحلوا محل الثنائية القديمة، ثنائية جديدة قوامها المقابلة بين العناصر غير الجمالية التي تقع خارج إطار الفن وبين مجموع الوسائل الفنية، ولذا غدت الوسيلة بالنسبة لهم الموضوع الذي يصح أن يكون موضوعا للدراسة الأدبية (33)، ومن كل هذه التحليلات لا يمكن إغفال أن الشكلانية قد ساهمت في ظهور نظريات نقدية جديدة، أو كانت لها علاقات بشكل أو بآخر بنظريات نقدية أخرى " (34)

ربما نستطيع القول إن الشكلانيين قد رفضوا كل أمر يتعلق بشيء خارج النص، بل إنهم رفضوا الخلط بين العلوم والمناهج وهذا ما عهدناه في المناهج

(31) إبراهيم الخطيب ، نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس) ، ص10

(32) المرجع نفسه ، ص 10.

(33) مفاهيم نقدية ،ص 60 ، 61.

(34) روبرت هولب ، نظرية التلقي ، (تج : عزالدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ط1 ، 2000 م) ص 50.

النقدية التقليدية وغيرها، إنما ينصب اهتمامهم على الشكل فقط وهذا ما أقره غالبية الشكلانيين، غير أن رؤاهم اختلفت بعض الأحيان وهذا أمر وارد، فالنظريات تبدأ مستقلة على رأي، ثم يحدث أن تتوسع الآراء والنظريات والرؤى، ويمكن أن نلخص نظرة الشكلانيين للشكل والمضمون في عدة نقاط :

" رأي يهتم بالشكل وحده، ويرى أن فنية العمل الأدبي تتحدد به وحده، ولا يُعطِي للمضمون أي قيمة في تحديد منزلة الأدب أو الأديب، فللأديب أن يقول ما شاء من المعاني والأفكار، ولا عبرة لذلك في سمو الأدب أو ضعفه، بل المعول على الشكل وحده ". [35]

" رأي يهتم بالشكل، ويرى أن الأدب لا يتحقق إلا به، وهو وحده الذي يدخل نصا ما في حيّز الأدب، ولكن هذا الرأي يذهب إلى أن عظمة الأدب وخلوده تتحدان بالأفكار ". [36]

" رأي يذهب إلى أن الشكل هو كل شيء، والأدب هدف في حد ذاته، ولا ينبغي أن يحمل أية أفكار ذات معنى، وأن يستبعد منه أي مغزى خلقي " [37]

" وتعد سنة 1930م هي بداية نهاية الشكلانية، فقد حاول أحد النقاد الروس، أن يطعم المنهج الشكلي بالتحليل الاجتماعي، فكان ذلك إيذانا بنهاية الشكلانية ". [38]

نخلص إلى أن الشكلانية بدأت باستبعاد العرف الذي يقضي بوجوب ثنائية الشكل والمضمون، فهما ليسا لصيقين كل منها يكتمل بالآخر كما كانت النظرة في النقد القديم، فالشكلانيون يرون كلا منهما إطارا مستقلا بنفسه وبعد هذا بدأت الدراسات الشكلانية تتوسع والرؤى تتغير، لتنظر نظرة خجولة إلى المضامين، خاليةً من الأفكار والمعايير الأخلاقية.

المطلب الرابع : نقد المنهج الشكلاني

أولا : مميزاته

تتمثل فنية الأدب في أسلوبه وصياغته وهو المراد بالشكل في هذا المنهج، ومن هنا كانت انطلاقته من النص إلى النص، أي إنه عكف على النص في ذاته دون الخروج للسياقات التي حين جعلها النقد نصب عينيه، أفقدته رؤيته الموضوعية في النظر إلى الإبداع الأدبي، من خلال مادته الرئيسة وهي اللغة، فيتتبع المنهج الشكلاني ما يرد في النصوص من خروج الألفاظ عن معانيها إلى معانٍ أخرى من خلال تراكيبها، في ضوء مصطلح الانزياح، وهو انبثاق معانٍ جديدةً غريبة

(35) مناهج النقد الأدبي الحديث ، ص 94.

(36) المرجع نفسه ، ص 94.

(37) المرجع نفسه ، ص 94.

(38) نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس) ص 9.

تدهش القارئ وتبهره، باحثة عن التمايز الذي به يتفوق نص على نص آخر.

تفرّق الشكلانية بين لغة والتخاطب، ولغة الأدب من حيث الوظيفة إذ إن لغة العلم لابد أن تنص على حقائق وفوائد، ولغة التخاطب من البدهي أن تنص على أفكار ورسائل، بينما ليس منوطا بلغة الأدب أن تحمل في جوفها شيئا غير فنيّة لغتها في جمال تراكيبها، وتناغم أصواتها.

لم ينجُ هذا المنهج " من قوارص النقد الرسمي الحاد... كما لم تنجُ من اهتراءات داخلية مبعثها عدم وحدة الرأي بين دعاتها، ولم يكن هذا أو ذاك يمضي دون نتيجة فما يكاد العقد الثالث – من القرن العشرين – ينصرم حتى تبدأ موجة من المراجعات الذاتية والاستدراكات على بعض مفاهيم المنهج " [39]، وهذه تعدّ من محاسنه لأنه طور نفسه وارتد عن أخطائه، وراجع قوانينه، وإن من أبرز المفاهيم التي تم النظر فيها من قبل الشكلانيين، والارتداد عنها، هو مفهوم (العزلة) للنص الأدبي عن كل ما فيه من أبعاد اجتماعية ونفسية وتاريخية، ينطوي عليها وهي أصيلة فيه، إذ إن تحليل النص بعيدا عن هذه السياقات، جعله في غربة حقيقية، بدا فيها أجوفا جامدا لا حياة فيه.

ثانيا : عيوبه :

" تجريد الأدب من الغاية، والزعم أن وظيفته هي وظيفة جمالية فحسب، ولا غاية نفعية له، فليس للأدب دور في إصلاح أو تهذيب أو تغيير، وهو لا يخدم أي غرض إلا غرض الإمتاع والإدهاش والانبهار. " [40]

عاش النص الأدبي في ظل المنهج الشكلاني منعزلا عن سياقاته ورسائله ومعانيه، فالأدب عند الشكلانيين لا يرتبط " بالظروف الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو سيرة المؤلف، أو ما شاكل ذلك، مما هو عندهم عوامل خارجية غير مهمة، وهذا خطأ فادح وقصور في التصور، فالنص الأدبي لا ينشأ من الفراغ، وهو ليس نبتة منعزلة في صحراء، إنه كيان لغوي اجتماعي فردي. " [41]

يُعدّ الاتجاه الشكلاني في الأدب اتجاها صُوريا " خاصة حين يحاول الباحث أو الناقد النظر إلى الأدب نظرة شكلية محضة، فيدرس عناصره الداخلية بعيدا عن مؤثراته الخارجية، ولا يربطها بسياقها الكلي العام فيرصد علاقاته ويحاول الكشف عن قوانينها ومسارها عن طريق الاهتمام بلغة الأثر بوجه عام، والشكل بوجه خاص... دون الاهتمام بدلالة تلك الأنسقة... ولعلّ ذلك يمثل نقطة ضعف شديدة في الاتجاه الشكلي " [42].

" لقد اهتمت الدراسات الشكلية بدراسة الشكل الأدبي باعتباره في ذاته

(39) فتوح أحمد ، الشكلية ماذا يبقى منها ، (مجلة فصول ، مج 1 ، ع 2 ، بيروت ، لبنان ، دار الفتى العربي ، 1981 م) ، ص 160.

(40) مناهج النقد الأدبي الحديث ، ص 98.

(41) المرجع نفسه ، 99.

(42) مناهج النقد الأدبي المعاصر ص 121.

ظاهـرة فنيـة، كمـا اهتمـت بدراسـة الأشـكال الصوتيـة وبدراسـة البنيـات اللغويـة، أي دراسـة الشـكل الأدبـي بعـد تفريغـه مـن محتـواه، فأصبـح موضـوع هـذه الدراسـات هـو صـورة العلاقـات الأدبيـة الفارغـة ". (43)

" وجـود طابـع شـائع في أحاديـث نقـاد وباحثـي الاتجـاه، يتمثـل في الميـل دائمـا نحو الجنـوح إلى اسـتخدام التعابـير النقديـة المغلقـة، التـي يصعـب فهمها بسـهولة"(44)

الـخـاتـمـة

نشـأ الاتجـاه الشـكلاني في الأدب في روسـيا مـن تجمعـين مهمـين همـا : حلقـة موسـكو اللغويـة التـي تأسسـت عـام 1915م، وجماعـة الأوبوجـاز التـي تأسسـت عـام 1916م.

انطلـق الاتجـاه الشـكلاني في الأدب في ظـل الـدرس اللسـاني الـذي ظهـر عـلى يـد (دي سوسـير)، فـكان الأول يخـدم اللغـة الشـعرية بينمـا كان الثانـي متجهـا نحـو دراسـة اللغـة بشـكل عـام.

ظهـر المنهـج الشـكلاني في ثـوب (ثـوري) ضـد المناهـج التـي اهتمـت بسـياق الأدب كالمنهـج (التاريخـي والنفسـي والاجتماعـي) وغيرهـا، مهملـة أدبيتـه المتمثلـة في لغتـه وحدهـا، ومـن هنـا كانـت أدواتهـم متجهـة نحـو الصياغـة الفنيـة التـي أطلـق عليهـا الشـكل.

يربـط بعضهـم الثنائيـة المعهـودة قضيـة (الشـكل والمضمـون) بالاتجـاه الشـكلاني وهـذا مـا رفضـه بعضهـم، وأشـاروا أنـه ليـس لزامـا دراسـة الشـكل مـع ضديـة المضمـون، إنمـا يـدرس الشـكل في عالمـه المسـتقل بذاتـه.

لا يـصرف جـل الشـكلانيين النظـر عـن المضمـون، بـل يرونـه تحفيـزا للشـكل وداعمـا لـه، غـير أن مضامينهـم خاليـة مـن الأفـكار والمثـل الأخلاقيـة، فهـم يـرون بعـدم وظيفيـة الأدب كمـا في مذهـب (الفـن للفـن).

التوصيات

يـوصي الباحثـون بدراسـة الشـكلانية ومناهجهـا بمعـزل – ولـو جزئيـا – عـن القضايـا النقديـة القديمـة، كربطهـا بالثنائيـة المعهـودة، المعروفـة بقضيـة الشـكل والمضمـون ؛ لأن فكـرة ربطهـا بقضايـا في آداب أخـرى تفقـد المنهـج الجديـد حيويتـه، وبعـض رواد الشـكلانية لا يلقـون بـالا للقضايـا القديمـة فالشـكلانية لهـا خصائصهـا ومصطلحاتهـا ومزاياهـا التـي تختلـف عـن القضايـا النقديـة الأخـرى، وروادهـا يعدون المنهـج وليـد القـرن العشريـن جـدة وابتـكارا.

لابـد مـن التسـليم أن المناهـج النقديـة الحداثيـة أو مـا بعـد الحداثيـة مرتبطـة

(43) المرجع نفسه ، ص 122.

(44) مناهج النقد الأدبي المعاصر ، ص 124.

ببعضها أو هي فروع من مناهج أخرى، ففي الدراسات التطبيقية مثلا لا يُستغرب من الباحث الاستعانة بخصائصَ أو أدوات لمناهج نقدية أخرى، فهي ذات قالب واحد في خصائصها التحليلية، وإن اختلفت في بعض الجزئيات، وهذا ما يوصي به الباحثون لأخذه بعين الاعتبار عند استعمال المناهج النقدية الحداثية.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم الخطيب، نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس) (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، ط 1، 1982 م) .
2. إبراهيم خليل، في النقد الأدبي والألسني، (أمانة عمان الكبرى، 2002 م).
3. إلرود إبش وآخرون، نظرية الأدب في القرن العشرين (تج : محمد العمري، إفريقيا الشرق، 1996 م).
4. إليزابث درو، (الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، تج : د، محمد إبراهيم الشاوش، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، 1961 م).
5. إنريك أندرسون، مناهج النقد الأدبي، (تج : الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1991 م).
6. بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، (دار المريخ للنشر، 1984 م).
7. تيري إيغلتون، (نظرية الأدب، تج : ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 1995 م).
8. الجاحظ، الحيوان، (تح : عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1996 م)..
9. جيروم ستولنيتز، النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، (تج : فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 1، 2007 م).
10. رامان سلدن، من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، (المجلس الأعلى للثقافة، 2006 م).
11. روبرت هولب، نظرية التلقي، (تج : عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2000 م).
12. رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، (تج : جابر عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1987 م).
13. سمير حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر، (دار التوفيق للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط 1، 2004 م).
14. شوقي ضيف، في النقد الأدبي، (دار المعارف، القاهرة، ط 9).
15. صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة ، أسئلة ومقاربات، (دار نينوى، ط 1، 2015 م).
16. فاطمة الطبال بركة،النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (تج : المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 193 م).
17. فتوح أحمد، الشكلية ماذا يبقى منها، (مجلة فصول، مج 1، ع 2، بيروت، لبنان، دار الفتى العربي، 1981 م).
18. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات في الأدب واللغة (مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان، ط 2، 1984 م).
19. محمد صايل حمدان ، قضايا النقد الحديث، (دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط 1، 1991 م).
20. محمد مندور، معارك أدبية، (دار نهضة مصر للطباعة والنشر).
21. ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، (دار صادر، بيروت لبنان، ط 1،)
22. وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث (دار الفكر، دمشق سورية، ط 2، 2009 م).
23. ويلريز سكوت، خمسة مداخل إلى النقد الأدبي، (تج : عنان عزوان إسماعيل وجعفر الخليل، دار الرشيد، العراق، 1981 م).

التّكرار وأنماطه في شعر أحمد قنابة

إعداد: عائشة عبد الله أحمد
قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة اجدابيا.

الاستلام : 25/ 9/ 2022 القبول : 26/ 10/ 2022

المستَخلص :
يُعَدُّ التِّكرارُ أحدَ الظَّواهرِ الأسلوبيَّة والفنيَّة، التي امتاز بها الشِّعرُ العربي قديماً وحديثاً؛ وذلك لما يحقِّقه من قيمة إبداعيَّة وجماليَّة في الخطابِ الأدبي، ويكشفُ عمَّا يتضمَّنه الخطابُ من مضامين كامنة وراءه، ويهدف هذا البحث إلى رصد أنواع التِّكرار في شعر أحمد قنابة، حيث بدت سمةً غالبةً ظهرت بوضوح في شعره، فتمثَّلت في تكرار الحرف، والكلمة، والجملة والعبارة، كما يسعى البحث كذلك إلى بيان أثر ذلك التَّكرار في تشكيل قصائده، و تحليل دلالاته المختلفة، ودوره في بناء الجملة، وتكوين سياقات شعريَّة جديدة، كان لها الأثر البارز في إكساب بعض قصائده بعداً إيقاعياً، وجِرْسَاً موسيقياً، أسهم في رفد البنية الإيقاعية بشكل عام، وحقَّق دلالات مثيرة، جذبت المتلقِّي، وشدَّته ليعيش الحدث الشِّعري بكامل تفاصيله.

الكلمات المفتاحية: التِّكرار – أحمد قنابة – الأسلوب – الشِّعر .

Abstract:

Repetition is one of the stylistic and artistic phenomena in both ancient and modern Arabic poetry since it achieves a creative and aesthetic value in literary discourse .

This research aims to monitor the typology of repetition in poetry of Ahmad Qunaba and investigating its impact on the structure of his poems as it seemed a dominant feature appeared clearly in his poems. These were represented in the repetition of the letter, the word, the sentence, and the phrase, the analysis of this repetition, its role in sentence structure, and creating new poetry contexts.

Therefore, they had a prominent impact in giving his poems a rhythmic and musical effect that contributed to supplementing the rhythmic structure in general and achieved exciting connotations attracted the receptor to live the full details of the poetry event.

Key Words:
Repetition. Ahmad Qunaba, Style. Poetry.

المقدّمة:

يُعَـدُّ التِّكـرارُ أحـدَ الظَّواهـرِ الأسـلوبيَّة والفنيَّـة، التـي امتـاز بهـا الشِّـعرُ العربـي قديمـاً وحديثـاً؛ لمـا يحقِّقـه مـن قيمـة إبداعيَّـة وجماليَّـة في الخطـابِ الأدبـي، و لِمَـا يحملـهُ مـن طاقـات تعبيريَّـة وإيقاعيَّـة، مـن شـأنها أنْ تُغْنِـي القصيـدة، وترفـع مـن مكانتهـا الفنيَّـة.

وقـد حظيـت ظاهـرة التِّكـرار باهتمـام النُّقَّـاد والباحثـين، بوصفهـا ظاهـرة موسـيقيَّة، وسـمة مـن سـمات الشِّـعر الأساسـيَّة ؛ وذلـك لأجـل أن للتِّكـرار جماليـات فنيَّـة، ينفـرد بهـا عـن غـيره مـن الظواهـر الأسـلوبيَّة، إضافـة إلى مـا يمتـاز بـه مـن إيقـاع موسـيقي وتأثـير نفـسي، لا يخفـى أثرهمـا في نفـس المتلقـي.

ولقـد أدرك النُّقـاد والبلاغيـون هـذه القيمـة للتكـرار، وهـذه الأهميـة في الأدب عمومـا، وفي الشـعر عـلى وجـه الخصـوص، فالتِّكـرار ظاهـرة أسـلوبيَّة لا يـكاد يهملهـا أي شـاعر .

ويعالـج هـذا البحـث ظاهـرة التِّكـرار في شـعر الشَّـاعر أحمـد قنابـة، وهـو مـن أبـرز الشُّـعراء الليبيـين، ويُعـدُّ ثالـث أقطـاب المدرسـة الكلاسـيكية في الشِّـعر الليبـي، وعلـم مـن أعلامهـا الكبـار [1] ، وقـد عايـش كثـيراً مـن القضايـا الوطنيـة والعربيـة في عـصره .

وقـد بـدت تلـك السِّـمة متجليِّـة في شـعره بشـكل لافـت للنَّظـر، حيـث حـرص الشَّـاعر عـلى توظيف عـدة أنـواع للتِّكـرار في شعـره، تمثلـت في تكـرار الحرف، والكلمـة، والجملـة والعبـارة، و التـي كان لهـا أبلـغ الأثـر في إكسـاب قصائـده بعـداً إيقاعيـاً وجرسـاً موسـيقيا، أسـهمت في رفـد البنيـة الإيقاعيـة، وحقَّقـت بعضـاً مـن الدِّلالـة التـي حـاول الشَّـاعر التَّعبـير عنهـا، وإيصالهـا إلى المتلقِّـي، ولـذا تحـاول هـذه الدِّراسـة تتبُّـع هـذه الظَّاهـرة؛ للتَّعـرف عـلى كيفيـة بنائهـا وصياغـة تراكيبهـا، ثـمَّ إلى أي مـدى اسـتطاع الشَّـاعر أنْ يُوفِّـق في بنائهـا داخـل نصِّـه الشِّـعري، ومـدى قـدرة تلـك التَّراكيـب عـلى تكويـن سـياقات شـعريَّة جديـدة، ذات دلالات مؤثِّـرة، كونهـا أداة إيقاعيَّـة، تكشـف عـن نفسـيَّة الشَّـاعر، ومـا تتركـه مـن أثـر انفعـالي، يعمـل عـلى جذب انتبـاه المتلقِّـي، وشَـدِّه ليعيـشَ الحـدث الشِّـعري الـذّي يصـوِّره الشَّـاعر.

وقـد اعتمـد البحـث عـلى المنهـج الوصفـي التَّحليـلي في معالجـة التِّكرار وشـواهده؛ كونـه الأنسـب لتحليـل الأبيـات، ،وتسـليط الضـوء عـلى دور التكـرار في صياغـة النّـصِّ الشِّـعري .

وحَـرِيٌّ بالذكـر أن النَّمـاذج الشِّـعرية المدروسـة، مـا هـي إلاَّ عيِّنـة تمثليَّـة قليلـة مـن جملـة قصائـده، فـلا تـكاد تخلـو قصيـدة مـن نـوع للتِّكـرار، فلـم يـأتِ البحـث عـلى كلِّ شـواهد التِّكـرار عنـد الشَّـاعر، وإنّمـا هـي شـذرات متفرقـة، قـادرة عـلى الكشـف عـن طبيعـة هـذه الظَّاهـرة، وكيفيَّـة توظيفهـا، يضيـق المقـام هنـا عـن سردهـا جملـةً وتفصيـلاً .

(1) ينظر أحمد قنابة ، الدِّيوان ، جمع وتحقيق: الصيد محمد أبو ذيب، الطبعة الأولى، 1968، ص : 13 .

وقد جاءت هذه الدِّراسة في مبحثين: الأول: يتناول مفهوم التِّكرار في الشِّعر، وأمَّا المبحث الثَّاني فقد خُصِّصَ لدراسة أنماط التِّكرار في الدِّيوان: وهي 1 - تكرار الحرف، 2 - وتكرار الضّمير، 3 - تكرار الكلمة وتشمل: أ- تكرار الاسم، ب- تكرار الفعل، ج- الجمع بين الاسم والفعل ، -4 تكرار الجملة والعبارة .

المبحث الأول : مفهوم التكرار في الشعر:

إنَّ الحديث عن الخطاب الأدبي في خصائصه الأسلوبية والجماليَّة ، كان محط اهتمام بالغ في مختلف الأزمنة، ولعلَّ من أهمِّ ظواهر الخطاب الأدبي ظاهرة التِّكرار، التَّي تُعدُّ من أبرز الصُّور الجميلة والأساليب الفنيَّة، التَّي عرفها الشِّعر العربيُّ منذ القدم، فقد زخر الشِّعر العربيِّ على مدى فتراته بهذا العنصر المهمّ، الَّذي رافقه منذ بواكيره الأولى، حيث أقبل كبار الشُّعراء على توظيف التِّكرار في أشعارهم؛ للتَّعبير عن أفكارهم ومقاصدهم.

فالتِّكرار هو أحد الظواهر الفنيَّة و الأُسس الأسلوبيَّة للنَّصِّ؛ لما له من قيمة إبداعيَّة، ترتبط بعلاقة ما مع صاحب النَّص، فهو من خلاله يحاول تأكيد فكرة معينَّة، تسيطر على خياله وشعوره، وتكشف عن الأبعاد الدِّلاليَّة التَّي يرمي إليها، مما يزيد من جماليّة الخطاب الأدبي، ويحفِّز المتلقِّي للبحث، وإمعان النَّظر في دلالات القصيدة ومآلاتها.

وقد حظيت ظاهرة التِّكرار باهتمام النُّقَّاد والبلاغيين العرب القدامى، وكانت موضع عنايتهم، والتِّكرار في اللُّغة هو من الكرِّ بمعنى الرُّجوع ، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف، يقول ابن منظور: ((الكرُّ: الرُّجوع، والكرُّ: مصدر كرَّ عليه يكُرُّ كرَّاً وكُروراً وتكراراً: عطف، وكرَّ عنه: رَجَعَ... وكرَّر الشَّيءَ وكَرْكَرَهُ: أعاده مرَّة بعد أخرى، والكرُّ: الرُّجوع على الشّيء، ومنه التِّكرار))[2].

وقد أورد اللُّغويون العرب تعريفات لمصطلح التِّكرار، فابن الأثير يُعرفِّهُ بأنّه :((دلالة اللَّفظ على المعنى مُرَدَّداً)) [3]

كما كان الجاحظ من أوائل العلماء الذين تناولوا أسلوب التِّكرار، - أو التِّرداد كما يسميه في القرآن[4]-، وأشاروا إلى أهميته، وبيَّنوا محاسنه ومساوئه، يقول:)) ليس التِّكرار عيَّاً، مادام لحكمة كتقرير المعنى، أو خطاب الغبي أو السَّاهي، كما أن ترداد الألفاظ ليس بعيٍ ما لم يجاوز مقدار الحاجة، ويخرج إلى العبث))[5].

ويُفهم من ذلك أن العرب قد تداولوا هذا الأسلوب ، ولكن بضوابط معينة، وحسب ما تقتضيه طبيعة المقام.

ولم يُغْفِل الباحثون المعاصرون ظاهرة التِّكرار في دراساتهم، بل يعتبرونها

(2) جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، م 3 ، مادة (ك رر)

(3) ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983، ص: 37.

(4) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، 1998، ص: 79 .

(5) المصدر السابق، ص : 80.

إحدى الأدوات الفنيَّة والأساسيَّة للنَّصِّ الشِّعري، حيث احتلت لديهم مكانة كبيرة، إلى الحدّ الذي عدَّ فيه بعض الشّعراء هذا الأسلوب لوناً من ألوان التجديد في الشِّعر.

وقد أشارت نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشِّعر المعاصر) إلى هذه الظاهرة في الشِّعر العربي، حيث ذهبت إلى أن أسلوب التِّكرار كان معروفاً للعرب منذ الجاهلية الأولى، ولكنّه لم يتخذ شكله الواضح إلا في عصرنا الحديث، حيث جاءت على أبناء هذا القرن فترة زمنية، عدّوا فيها التِّكرار في بعض صوره من ألوان التجديد في الشِّعر [6] .

ويرتبط التِّكرار - كما ذُكر آنفاً - بالحالة النَّفسيَّة للشاعر بشكل مباشر، وما يود أن يوصله من رسائل ومضامين فكرية، تحمله القصيدة على وفق رؤيته الشعرية، وهو بهذا المعنى كما تراه الناقدة نازك الملائكة : ((إلحاح على جهة هامَّة من العبارة، يُعنى بها الشَّاعر أكثر من عنايته بسواها ... فالتِّكرار يُسلِّط الضَّوء على نقطة حسَّاسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلِّم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسيَّة قيِّمة تفيد النَّاقد الأدبي ، الذَّي يدرس الأثر، ويُحلِّلُ نفسيَّة كاتبه)) [7] .

ولذا فإن التِّكرار من الأساليب التَّعبيريَّة، التَّي تُقوِّي المعاني، وتعمِّق الدلالات، وترفع من قيمة النُّصوص الفنية؛ لما تضفيه عليها من أبعاد موسيقية ودلالية مميزة، لأن الصورة المكرَّرة لا تحمل الدِّلالة السَّابقة ، بل تحمل دلالات جديدة بمجرد خضوعها لظاهرة التِّكرار، الذي يؤدي رسالة دلالية خفية، عبر التَّراكم الفنِّي للحرف/ الكلمة/ الجملة، ومن خلال هذا التَّراكم الكمِّي يلفت نظر المتلقي إلى غاية دلاليَّة أرادها الشاعر، كما أنَّ ظاهرة التِّكرار تُحقِّق في النَّصِّ جانبين مهمين، هما: الجانب اللَّفظي والمعنوي، فيخلق التِّكرار في الجانب اللفظي، جوّاً موسيقياً متناسقاً، كما يؤدي في الجانب المعنوي إلى التَّوكيد في المعنى، وإبرازه في معرض الوضوح والبيان [8] .

ويقوم التِّكرار بوصفه ظاهرة بيانية، بوظيفة الرَّبط في مستوى البنية السطحيَّة، التي تحيل إلى الانسجام الكلِّي للنُّصوص [9] ، وتكمن أهميته في كونه وسيلة مهمَّة في اكتشاف أبعاد الواقعة الأدبية، في التَّداوليات الأدبية ، ويمكن أن يتمظهر العنصر المكرَّر في أشكال مختلفة، فإما أن يُكرَّر الدَّال مع مدلول واحد، وإمَّا أن يُكرَّر مع مدلول، يتحقَّق من جديد في كلِّ مرَّة ، أو يتكرَّر المدلول مع دلالات مختلفة ، ممَّا يؤكد السِّمة البنيويَّة للتكرار في النصوص، إلاَّ أنَّ دراسة

(6) ينظر نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط 6، 1981، ص: 242 .

(7) ينظر نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر، ص: 276 .

(8) ينظر كريمة مكي ، جماليات التكرار في القصيدة العربية المعاصرة، رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي بو نعامة، الجزائر، 2018، ص: 10 .

(9) ينظر المرجع السابق، ص : 14.

الظَّاهـرة، لا تتوقـف عنـد حـد رصـد تواترهـا الخطابـي، بـل يُعنـى المحلِّـل بإبـراز أدبيَّـة الظَّاهـرة ووظيفتهـا الخطابيـة، مـن حيـث كونهـا وسـيلة الإفهـام والإفصـاح، والكشـف والتأكيـد، والتقريـر والإثبـات [10] .

وبنـاءً عـلى مـا سـبق يمكـن القـول بـأن التِّكـرار لـدى شـعراء الحداثـة يـؤدي دوراً مهمـاً، مـن حيـث تكاثفـه واندماجـه مـع العنـاصر الشـعرية الأخـرى، ممـا يسـهم في الرقـي بالتَّجربـة الشِّـعرية ، ويغنـي شـموليتها ورؤيتهـا، لا سـيّما إذا اسـتثمره شـاعر موهـوب، يسـتطيع بـكل براعـة أن يخـرج بالتِّكـرارات مـن دائرتهـا النَّمطيَّـة ، إلى دائرتهـا الفنِّيَّـة والأسـلوبيَّة .

المبحث الثاني : أنماط التِّكرار في شعر قنابة:

التِّكـرار هـو أحـد الظَّواهـر اللُّغويَّـة الَّتـي يتَّسـمُ بهـا النَّـصُّ الشِّـعري، وهـي تتشـكل فيـه بأشـكال متنوِّعـة ، تبـدأ مـن الحـرف، وتمتـد إلى الكلمـة، و إلى العبـارة، وإلى بيـت الشِّـعر، وكلُّ شـكل منهـا يعمـل عـلى إبـراز جانـب تأثـيري خـاص بـه، فهـو لا يقـوم بمجـرد تكـرار اللَّفظـة في السِّـياق الشِّـعري، وإنمـا تتعـداه إلى الأثـر الانفعـالي، الـذي تتركـه في نفـس المتلقِّـي.

وقـد اهتمـت نـازك الملائكـة بهـذه الظاهـرة وتجلياتهـا في نصـوص مـن الشِّـعر المعـاصر، فذهبـت ((إلى أنـواع التِّكـرار: تكـرار الكلمـة الواحـدة، وتكـرار العبـارة، وتكرار المقطـع كامـلاً، وتكـرار الحـرف، وأشـارت كذلـك إلى أن((أسـلوب التكـرار يحتـوي عـلى مـا يتضمنـه أسـلوب آخـر مـن إمكانيـة تعبيريـة، إنـه في الشـعر مثلـه في لغـة الـكلام ،يسـتطيع أن يغنـي المعنـى، ويرفعـه إلى مرتبـة الأصالـة، ذلـك إن اسـتطاع الشـاعر أن يسـيطر عليـه سـيطرة كاملـة ويسـتخدمه في موضعـه))[11] .

والقـارئ لشِّـعر أحمـد قنابـة، يلحـظ مـن أول وهلـة ورود ظاهـرة التِّكرار في شـعره بصـورة لافتـة للنظـر، موزَّعـة في قصائـد عـدَّة، ضمـن محـاور متنوِّعـة، وقعـت في الحـرف وفي الكلمـة والعبـارة والمقطـع، حيـث جعلـت المتلقِّـي يعيـش الحـدث الشِّـعري المكـرَّر ، ونقلتـه بـكلِّ عفويـة إلى أجـواء الشَّـاعر النَّفسـيَّة والذَّاتيَّـة، وفيمـا يأتـي دراسـة لأبـرز أنمـاط التكِّـرار في ديـوان الشَّـاعر:

أولاً : تكرار الحروف :

يلجـأ بعـض الشُّـعراء في قصائدهـم إلى الحـروف؛ لِتَشُـدَّ مـن تماسـك النَّـصِّ وترابطـه، فالتِّكـرار الَّـذي هـو أقـرب مـا يكـون إلى المـادَّة الصَّوتيَّـة المسـموعة، لا يمكـن أن يثـير في نفـس المـرء حسَّـاً عظيمـاً، وأن يوقـظ انفعالـه، كمـا لـو كان مكتوبـاً، فالأصـوات لا يُمكـن أن تُـرى، ولكنَّهـا تُسـمع،

وسماعها ما يثير الاستجابة في النَّفس.

ويُعَـدُّ تكـرار الحـروف لـدى شـعراء الحداثـة ظاهـرة فنِّيَّـة، تبعـث عـلى التَّأمُّـل والاسـتقصاء، فتكـراره ينطـوي عـلى دلالات نفسـيَّة معيَّنـة، كالتَّعبـير عـن الانفعـال

(10) ينظر نعمان بو قرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008، ص : 83 .

(11) ينظر نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر، ص: 263- 264. .

والقلق والتوتر، ممَّا يُدلِّلُ على الحالة الشُّعوريَّة لدى الشَّاعر، ومنعرجاتها النَّغميَّة ضمن النَّسق الشِّعري الَّذي يتضمنه[12]، وأبرز ما يحدثه من أثر في نفس السَّامع أنَّه: ((يُحدِثُ نغمة موسيقيَّة لافتة للنَّظر، لكن وقعها في النَّفس لا يكون كوقع تكرار الكلمات، وأنصاف الأبيات، أو الأبيات عامة، وعلى الرّغم من ذلك فإنَّ تكرار الصوت يُسهمُ في تهيئة السَّامع للدُّخول في أعماق الكلمة الشِّعريَّة))[13].

ويعتبر تكرار الحرف منطلقاً أساسياً في الإيقاع الداخلي، الذي يتكون منه النص الشعري، فالشاعر حين يكرر صوتاً بعينه، أو مجموعة ، فإنه يريد أن يؤكد حالة إيقاعية، أو يبرز منطقة من مناطق النص، بنسيج إيقاعي يوفر إمتاعاً لأذن المتلقي، كما يحيلهم إلى دلالات الحالة العاطفية التي نبع منها القول الشعري[14] .

ولذلك اعتمد الشَّاعر تكرار الحرف، بوصفه قيمة إيقاعيَّة صوتيَّة، تُغذِّي النَّاحية النَّغمية في القصيدة، وقد تدخل في صلب الدّلالة أو تفخيم الرؤية الشِّعرية، ومن أبرز المقاطع الشِّعرية الدَّالة على ذلك عند الشَّاعر أحمد قنابة قوله :

كيفَ يُرْجَى الخيرُ من مستعمِرٍ ... يحسبُ النَّاسَ عبِيْدَاً وهُو حُرّ
ليسَ الاستِعمَارُ إلاَّ ظَالِماً ... حاولَ الدَّهْرَ أَذَانَا فَانْدَحر
سَوْفَ نَحْمِي السِّلمَ وَالأَمْنَ إِلَى ... يَوْمِ تَقْرِيْرِ المَصِيْرِ المُنْتَظَر
حيْثُ الاستِعْمَارُ يَلْقَى حَتْفَهُ ... أَوْ نُلاَقِي مَا سَيَلْقَى مَنْ صَبَر [15]

كرَّر الشَّاعر حرف السِّين تسع مرات، وهو حرف عالي الصَّفير، حاد الجرس، ينبئ بالموسيقا، وبتناغم إيقاعي ترنمي، ترتاح له الأذن موسيقياً، ويبدو منسجماً مع النَّغمة الانفعاليَّة، الَّتي تُوحي بنفس قلقة، تُعاني الألم والحُرقة، فبدا تكرار هذا الحرف الصَّفيري ، مُنسجِماً مع رؤية الشَّاعر لما يحيط به من ظلم واستبداد، وكاشفاً عن حالته النَّفسيَّة، الّتي يشوبها الأسى والحزن جراء الاستعمار والاحتلال، ويتصاعد هذا العلو الصَّوتي ليشحذ همة شعبه، ويحثَّ أبناء وطنه على مواجهة المستعمر الظَّالم، والتَّخلُّص منه والصَّبر؛ لأجل تحقيق مبتغاه، وقد تعانقت هذه الدّلالة مع دلالة الاستفهام التَّعجبُّي: كيف يرجى الخير من مستعمر؟!، فازدادت الدَّهشة عنده من مجيء الخير من مستعمر، لا يكون إلاَّ ظالماً ومغتصباً لحقٍّ ليس له .

وتستمرُّ نغمة شعر قنابة المتميِّزة، النَّاتجة عن تماثل الأصوات وتجانسها وتكرارها، فتتضافر مع دلالة تكراراته، كما يبدو ذلك في تكرار حرف الفاء والقاف معاً في قوله :

(12) ينظر عصام شرتح ، فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين ، مجلة رسائل الشعر، العدد 9، كانون الثاني 2017، ص: 68 .

(13)موسى ربايعة، التكرار في الشعر الجاهلي ، دراسة أسلوبية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، العدد 1 ، 1990 ، المجلد 5، ص: 70 .

(14)عسَّاس إكرام، وظيفة التكرار في الشعر الحر، رسالة ماجستير ، جامعة دكتور مولاي طاهر، الجزائر، 2019، ص: 47.

(15) الديوان، ص: 80.

قِفُوا واسْمَعُوا الطَّيْرَ إنْ غرَّدا فَقَدْ فَارَقَ الإلْفَ والمَعْهَدا
وقُوْلُوا لِمَنْ رَامَ تَعْنِيفَـــــهُ علَيْكَ بِمَنْ يأْلَفُ المَرْقَدَا
إذَا ما السّلـــــوُّ قَضَى نَحْبَهُ فَلَيْسَ يَعِي القلْب مَنْ فَنَّدَا
وَقَدْ كَانَ مِـــــنْ دَهْرِهِ آمِناً قَرُورَاً بِمَا اسْتَعْذبِ المَورِدَا
فَهَيْهَاتَ يُجْـــــدِيْكَ تَعْنِيْفُهُ وهَيْهَات بِالعُنْفِ أَنْ يسْعَدَا
وَقَدْ شَاهَـــــدَ العِزَّ فِي قَومِهِ فَمَاذا عَسَى اليومَ أَنْ يَشْهَدَا
فَلَولاَ صِحـــــَابٌ بِوَادِي النُّقَى لَمَا حُرِمَ الصَّبُّ أنْ يرْقُدَا
ولاَ جـــــابَ شَرْقَاً وَغَوْرَ الْفَلاَ ولاَ حَالَفَ السّهْدَ وَ الفَرْقَدَا [16]

كـرَّر الشَّـاعر حـرف الفـاء(أربـع عـشرة) مـرَّة، وهـو صـوت رخـو احتكاكـي يحمـل دلالـة القـوَّة والجـبروت والقمـع ، بينمـا كـرّر حـرف القـاف (خمـس عـشرة) مـرَّة، وهـو حرف لهـوي شـديد مهموس مسـتفتح، يـدلُّ عـلى الاصطـدام والانفصـال[17] ، فـكأن الشَّـاعر يسـتند عليهمـا؛ ليـبرز زفـرات صـدره وخلجـات نفسـه، ، فتكـراره لـم يكـن عبثـاً، بـل عـبَّر عـن الجـوِّ النَّفـسيِّ المشـحون بـالأسى والحـزن، لفـراق الوطـن والأحبـاب، بعـد أن كان ينعـم بالأمـان، وقـد أدَّى هـذا التِّكـرار أيضـاً إلى تفخيم الموسـيقا، حيـث إنَّ وحـدة الموضـوع والانفعـال (الفقـد والتَّوجُّـع والغربـة والحنـين) أسـهمت في إحـداث هـذا التَّناغـم الصَّوتـي، الَّـذي ميّـز هـذه الأبيـات بجرسـها أكثـر مـن تميزهـا بدلالتهـا.

ونجـد الشَّـاعر يتكـئ عـلى بعـض الحـروف مُكـرِّراً لهـا، حيـث يظهـر هـذا التِّكـرار مـدى التَّنويـع في بنـاء الأصـوات، بمـا يُحقِّـق وحـدة صوتيَّـة متناغمـة، تُكسـب الكلمـات قيمـة جماليَّـة متنوِّعـة، وذلـك مـن خـلال جرسـها المميَّـز، وانسـجامها وتناسـقها، ففـي الأبيـات أدنـاه يوظِّـف الشَّـاعر صوتـين متميِّزيـن همـا (الـرَّاء والَّـلام) حيـث تكـرّرا مجتمعـين في قولـه :

رَوِّحْ فُـــؤَادَكَ إنَّ سَعْـــدَكَ رَافِلُ ومـــرَامُ قَصْدِكَ لِلأَنَامِ دَلاَئِلُ
وَاقْمَعْ بِسَيْفِ الحقِّ كُلَّ صُعُوْبَةٍ وَاكْرَعْ مِنَ الآدَابِ فَهْيَ مَنَاهِلُ
وَارْكَبْ جِيَادَ العَزْمِ واعْتَنِقِ العُلاَ فالمُوجِفُونَ مـــن الأَنَامِ ثَوَاكِلُ
واخْشَى الأَرَاذِلَ فِي الرِّجَالِ أَمَا تَرَى أَنْصَارَ الاستعبادِ كَيْفَ تُجَادِلُ
واصْبِرْ على مَضَضِ النَّوائبِ بُرْهَةً فَلِتِلْكَ ظِلٌّ فِي الحقيقةِ زائـــلُ
ولعلَّ مَنْ يَسْعَى لأمرٍ هَـــــالَهُ بِالصَّبْرِ يَبْلُغُ مَا إِلَيْهِ يُـــــزَاوِلُ[18]

تـوزَّع الصَّوتـان في الأبيـات توزيعـاً هندسـيًّا، فقـد اسـتخدم حـرف الـرَّاء (ثـلاث عـشرة) مـرَّة، وحـرف الَّـلام (خمـس عـشرة) مـرَّة، ممَّـا أحـدث إيقاعـاً نغميًّـا، وبالتَّـالي فقـد الصَّوتـان حرفيتهمـا ((بالانصهـار الـكُلِّي في النِّظـام التَّأليفـي، الَّـذي

(16) الديوان، ص: 96 .

(17) ينظـر د. صالـح سـليم الفاخـري، الدلالـة الصوتيـة في اللغـة العربيـة، منشـورات جامعـة سـبها، مطابـع الثـورة العربيـة ، طرابلـس ليبيـا، د.ط، 1988، ص: 109/ 115.

(18) الديوان، ص: 108 .

يُفْضِي إلى الدَّيمومة النَّغميَّة)) [19]

لقد اختار الشَّاعر هذين الصّوتين؛ لوجه الشَّبه بينهما، -كما يراه المحدثون- وهو ((قرب المخرج، والاشتراك في الوضوح الصَّوتي)) [20]؛ ولكونهما من أوضح الأصوات السَّاكنة في السَّمع ، فقد أحدثا قَرْعَاً صوتيَّاً ، فكان لهما وقع ممَّيز في النَّفس.

وقد اعتمد الشاعر في بعض الأحيان على تكرار حروف المعاني، بحيث وظَّف التِّكرار الصَّوتي؛ لإبراز حالته النَّفسيَّة، فَلَعِبَتْ تلك الأصوات دوراً مهمَّا في إبراز مقصده، وأسهمت في الإيحاء بإخراج المعاني الضِّمنيَّة إلى السطح، من خلال تشكيل إيقاع صوتي متناغم مع تلك الحالة، وحسب الإيقاع المنبعث منها في زمنها، كما في تكرار حرف الشَّرط الجازم (مَنْ) في قوله:

وَمَنْ يَزْرَعْ بْذُوْرَ الخَيْرِ يَجْنِي ثِمَارَ الفَضْلِ من حُسْنِ الثَّنَاءِ
وَمَنْ يُحْرَمْهُ يُحْرَمْ خَيْرَ فَضْلٍ يُرغِّبُ فيهِ أَرْبَابُ الثَّرَاءِ
وَمَنْ يَعْهَدْ إِلَيْهِ مَكانُ قَوْمٍ تَحَتَّمَ أَنْ يَكُوْنَ عَلى ارْتِياءِ
وَمَنْ يَأْبَ اتِّبَاعَ سبيْلِ قَوْمٍ سَيَعْلَمُ قُبْحَ عَاقِبَةِ الإباءِ
وَمَنْ يَرْكَنْ لِمَنْ ظَلَمُوا مُحِقَّاً تَجَرَّعَ مِنْهُمُ مَضَضَ الإسَاءِ
فَمَنْ لَمْ يَنْتَبِهْ لِطَوِيْلِ نَوْمٍ أَتَاهُ الخَطْبُ من قبْلِ المَسَاءِ [21]

يقوم التِّكرار هنا بدور علائقي رابط ، (ربط السَّبب بالنَّتيجة) عبر الرَّابط اللُّغوي المتكرِّر، الذي تبدَّى في تكرار الحرف (مَنْ) سبع مرَّات متتاليَّة، وقد ولَّد هذا التِّكرار ((تماسكاً في الأنساق والجمل الشِّعرية، من بداية النَّسق حتى نهايته، إذ استمرَّ المتلقِّي في حالة تحفُّز وتيقُّظ)) [22]، لِمَا يُسْدِيْه الشَّاعر من نصائح، وبيان نتائجها، حتَّى وصل بالمتلقِّي إلى الرَّابط الأخير، الَّذي حذَّر فيه من الرُّكون إلى الظُّلم ، وضرورة الاستيقاظ من الغفلة، وعدم الخلود إلى الرَّاحة والنَّوم؛ لإنَّ خطوب الدَّهر تأتي من قبل المساء.

وفي مواضع أخرى من قصائد قنابة، تشيع ظاهرة تكرار حرف المعنى كما في قوله:

فَيَا أَسَفِي وَ يَا حُزْنِي عَلَى مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِيْنَ مِنَ الرَّزَاء
فَأَيْنَ الرَّاحِمُونَ لِنَوحِ ثَكْلَى ثَوَى أَبْنَاؤهَا وَسْطَ العَفَاءِ
وَأَيْنَ المُحْسِنُونَ لِذِي جُرُوحٍ وَذِي جُرْحٍ وَمُلْتَزِمِ الرَّجَاءِ [23]

دلَّلت تلك التِّكرارات المتَّعاقبة (تكرار حرف النِّداء، وحرف الاستفهام)، على الغصَّة الخانقة، التي تَعْتَصِرُ كيان الشَّاعر، بما تحمله من حسرات شعوريَّة

(19) عبد الرحيم كنوان، من جماليات إيقاع الشعر العربي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 2002، ص: 324.

(20) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 6، 1981، ص: 63 .

(21) الديوان، ص : 101 .

(22) عصام شرتح ، فنيَّة التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين ، ص : 70 .

(23) الديوان، ص: 100 .

منكسرة لحال المسلمين، وما أصابهم من ويلات الاستعمار وحروبه، فكأنَّ هذا التِّكرار جاء ليظهر الحالة الشُّعوريَّة، بكل دفقها العاطفي، وتوتُّرها الدَّاخلي.

لقد استطاع الشَّاعر من خلال تكرار الحروف، أن يُغنِي نصوصه بهندسة تكراريَّة إيقاعيَّة، ألقت في الوقت ذاته بظِلالها التَّعبيريَّة، فكان لها وقعها الخاصّ، والمتميِّز في بعض قصائده، ممَّا شدَّ انتباه القارئ، ونقله إلى أجواء الشَّاعر النَّفسيَّة.

ثانياً - تكرار الضَّمير :

يُشكِّل تكرار الضَّمير ظاهرة بارزة في شعر قنابة، وبخاصَّة في ((الاستهلال السَّطري أو الفاتحة النَّصيَّة ، بوصفه تكراراً يُحدِثُ هزَّةً أو قشعريرة شعوريَّة لدى المتلقِّي؛ للتَّنبيه على حالة شعوريَّة معيَّنة، أو لتوكيد الذَّات وتضخيمها في سياق الفخر، أو بعض السِّياقات الحماسيَّة التَّقريعيَّة، ...، فبروز الضَّمائر وتكرارها، دليل على تأزم الحالة، ومَا تِكرارُها في الغالب إلاَّ لإبراز الجانب الاصطراعي، الَّذي تعانيه ذات الشَّاعر)) [24] .

ومن بعض أمثلة تكرار الضَّمير في شعر قنابة قوله:

فَإِنَّا اللاجِئونَ بِكُلِّ بَأْسٍ إِلَى إِقْمَاعِ شِرْذِمَةِ الضَّلاَلِ
وَإِنَّا الكَاشِفُونَ لِكُلِّ خَطْبٍ وَإِنّا الْبَاذِلُونَ لِكُلِّ غَالِ
وَإِنّا المُنْصِفُونَ إِذَا حَكَمْنَا وإِنَّا مِنْ جَهَابِذَةِ الرِّجالِ[25]

كرَّر الشَّاعر الضمير (نا) مرات متتالية؛ وذك بُغية الإشادة بقومه، والفخر ببطولاتهم، والنَّبرة الخطابيَّة العالية تغلب على فخر الشَّاعر؛ لاستخدامه الضَّمائر المنفصلة والمتَّصلة، الَّتي تدلُّ على التَّعظيم، وتكرار ضمير المتكلِّم خمس مرات عن طريق العطف، فيه دلالة واضحة على عِظَم ما يتمتَّعون به من القوة والبأس، والعطاء والبذل، والعدل والإنصاف، فكلُّ هذه سجايا وخصال عُرفت عنهم، وتأصَّلت فيهم، فلا يعرف الغدر إليهم سبيلاً، وإنَّما عُرفوا بالوفاء، فكانوا من جهابذة الرِّجال، ويبدو بوضوح في تكرار تعبيره بضمير المتكلِّم المُعظِّم نفسه، أنَّ الشَّاعر لم يخرج عن سياق الفخر المتعارف عليه قديماً، فلم يكن فخره ذاتياً يخصُّ به ذات نفسه، وإنَّما كان فخراً عامَّاً أو جماعيَّاً التمس فيه طريقة عمرو بن كلثوم في معلَّقته الشَّهيرة.

ثالثاً- تكرار الكلمة :

ويقصد به تكرار الشَّاعر كلمة شعريَّة، سواء أكانت اسما أو فعلاً، تكراراً فنِّيَّاً موقظاً، يستثير من خلال الدِّلالات ويُقوِّي المعنى .

وممَّا لا شك فيه أن الكلمة إذا تكرَّرت في البيت، فلا بدُّ أن يكون هذا التِّكرار لمقصد، كالخروج بمشهد درامي، أو بصورة فنِّيَّة رائعة، فتكرار الكلمة لا يعني فصلها عن سياقها الشِّعري؛ لأنَّ الدِّلالة تنتج من العلاقة القائمة بين هذه

(24) عصام شرتح ، فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين ، ص: 70.

(25) الديوان، ص: 104 .

الكلمـات، حيـث يتحـدد مجالهـا الـدِّلالي بمـا قبلهـا وبمـا بعدهـا ، حتـى تتجـدَّد العلاقـات، وينمـو البنـاء الشِّـعري[26].

حيـث يتَّخـذ الشـاعر لفظـة معينَّـة بشـكل متواتـر أو متباعـد تكـون محـوراً تـدور حولهـا الصَّـور، تحمـل في طيَّاتهـا دلالـة معينـة لتضـع في ((أيدينـا مفتاحـاً للفكـرة المتسـلِّطة عـلى الشّـاعر)) [27]

وقد اتَّخذ تكرار الكلمة لدى الشَّاعر ثلاثة أشكال :

-1تكـرار الاسـم : وهـو أن يكـرِّرَ الشَّـاعر الاسـم تكـراراً بنائيـاً مؤثـراً؛ لِتُشـكِّلَ الكلمـة محـور ارتـكاز القصيـدة، ومنبـع ثقلهـا الفنِّـي، ويذكـر ابـن رشـيق((أَنَّـه لا يجـب للشَّـاعر أنْ يُكَـرِّرَ اسـماً إلاَّ عـلى جهـة التَّشـوُّق والاسـتعذاب، إذا كان في تغـزُّل أو نسـيب، أو عـلى سـبيل التَّنويـه والإشـارة بذكـر إن كان في مـدح ...)) [28].

ولعـلَّ ذلـك مـا نلمحـه بكثـرة في شـعر قنابـة ، مـن تكـراره لاسـم الأمـير محمـد السُّـنوسي، حيـث قـصر مدائحـه عليـه، فهـو يـرى فيـه القائـد والزَّعيـم والأمـير، الَّـذي عَقـدَ عليـه أبنـاء وطنـه الآمـال الجِسـام، وقـد تنوَّعـت صـور التِّكـرار التـي تلوَّنـتْ بهـا مقاطـع كثـيرة مـن قصائـده، فهـو يُكـرِّرهُ في أكثـر مـن موضـع، تـارةً عـن طريـق التَّصريـح باسـمه، كمـا في قولـه:

قُلْ لِلشَّبَابِ وقُلْ لِلشَّعْبِ مُغْتَبِطَاً غيرِ الأَمِيْرِ السُنوسِي مَنْ سَنَخْتَارُ
غيرِ الأَمِيْرِ السُنوسِي مَنْ بِرَغْبَتِنَا شِئْنَاهُ نَحْنُ كَمَا شَاءَتْهُ أَقْدَارُ[29]

وتارةً عن طريق التَّلميح، كقوله :

مولاي أنْتَ مَلِيْكُنَا فِي رَأْيِنَا وَالرَّأْي تَأْتِي بعْدَهُ الشّجعانُ
إنّا رَضِيْنَا أَنْ تَكُونَ مَلِيْكَنَا فَأَقْبَلْ يُؤَيِّدْ عرْشَكَ الرَّحمانُ[30]

وقوله:

عِشْتَ للشَّعْبِ أَمِيْرَاً وأَبَاً وأَمِيْرُ الشَّعْبِ بالشَّعْبِ أَبَرّ
سيِّدي مولاي هذا شَعْبُكُم بيْنَ يَأْسٍ وَرَجَاءٍ في ضَجَر
سيِّدِي مولاي هَذِي أَرْضُكُم إنَّما تَحْيَا بِكُم أَوْ بِالْمَطَر [31]

إذ أسـبغ عليـه عـدة ألقـاب: مليكُنـا، أمير الشّـعب، سـيدي مـولاي، ولاشـكَّ في أنَّ هذه التكـرارات لـم تـأْتِ عشـوائيَّة، وإنَّمـا جـاءت مشـحونة بطاقـة فنِّيَّـة ودِلاليَّـة عاليـة، تَـشِي بدواخـل الشّـاعر ومكنوناتـه، ومـا يُضْمِـرهُ في نفسـه مـن مشـاعر متدفِّقـة تجـاه الأمـير، الـذي لا يبتغـي عنـه بـدلاً، ولا يريـد عنـه عوضـاً، فـيرى فيـه الأمـل المنشـود، الَّـذي يرجـوه ؛ لِيُخَلِّـصَ بـلاده مـن الاسـتعمار، ويحفـظ لهـا اسـتقلالها.

(26) ينظـر د. مدحـت سـعيد الجيّـار ، الصـورة الشـعرية عنـد أبـي القاسـم الشـابي ، الـدار العربيـة للكتـاب، طرابلـس ليبيـا ،1984 ، ص: 37 .

(27) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر ، ص : 24 .

(28) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجيل، بيروت، ج2/ ص 74..

(29) الديوان، ص: 87 .

(30) الديوان، ص: 85.

(31) الديوان، ص: 81 ..

وليس ببعيد عن تلك العاطفة المتَّقدة، يطالعنا قنابة في مواضع عدة من ديوانه، بتكرار اسم بلده ليبيا، يقول في إحدى قصائده :

أَنْتَ الجَدِيْرُ بِهَا فَلِيْبِيا دولَةً فِيْهَا جُنُودُكَ كُلُّهمْ شُبَّانُ
ليبيا إذا ظَلَّتْ بِأَمْرِكَ وحْدَة لاَ ضَيْرَ يَلْحَقُهَا وَ لاَ خُسرانُ
ليبيَا مُوَحَّدَةٌ وَتَاجُ واحِـدٌ للمسلِمِيْنَ سَلاَمَةٌ وَأَمَانُ
إِيْمَانُنَا فِي أَنَّ ليبيا وحدةٌ إِيْمَانُ شَعْبٍ رُوْحُهُ الإِيمَانُ[32]

كرَّر الشَّاعر (ليبيا) في أبياته أربع مرَّات، وفي هذا التِّكرار ملمح دلالي، يشير إلى عظيم حُبِّ الشَّاعر لبلده، الَّتي يأنسُ بذكرها مرَّات ومرَّات، هذا الاسم المُحبَّب إلى نفسه، والعزيز على قلبه، ويبدو في اقتران تكرار (ليبيا) بتكرار كلمة (وحدة) دلالة تضاف إلى السِّياق، الأمر الذي يُفصح عن دواخل الشَّاعر، الَّذي غدا شغله الشَّاغل العناية بقضايا وطنه، فهو يودُّ أن يرى ليبيا في عداد الدّول، الَّتي تنعم بالرَّخاء والأمان، وتتمتَّع بالحريَّة والاستقلال، مُلَّحاً على أنَّ مبلغ ذلك لن يكون إلا باتِّحاد أبناء الوطن أولاً ، وباتِّحادهم مع غيرهم من الدُّول العربيَّة ثانياً.

إنَّ الشَّاعر إِثْرَ التِّكرار المتتابع للأسماء، يبعث في قصائده إيقاعاً لافتاً موقظاً للقاريء؛ لتركيز دائرة انتباهه إلى الشَّيء المكرَّر، وما له من صلة تنعكس على رؤية القصيدة وتشكيلها الفنِّي .

-2 تكرار الفعل : وهو من المؤشِّرات الدَّالَّة على حِدَّة الموقف الشُّعوري في عمق الذَّات الشَّاعرة[33] ، فأحيانا ((يتجاوز استخدام الشَّاعر للفعل مهمة نقل الحدث المرتبط بزمن معين، وذلك حين يتحوَّل الفعل إلى لَبِنَة أساسيَّة في بنية النَّصِّ الشِّعري ، حيث يُولِّد طاقات تعبيرية هائلة، وانبثاقات دلاليَّة مدهشة))[34]

وهذا يعني أنَّ لتكرار الفعل أثره الخاصَّ، لا سيما عندما يتحوَّل إلى طاقة حيويَّة خصبة، تسهم في رفد الدِّلالات وتحريكها، ويشيع تكرار الفعل عند الشَّاعر، في مواضع كثيرة، نكتفي منها بمثال واحد للتَّدليل على ذلك؛ لأنَّ أغلب تكرارات الفعل طلبيَّة أمريّة، تنصهر في بوتقة حثِّ شباب الوطن، وشحذ عزيمته؛ لمواصلة الجهاد، وتحرير الوطن.

يقول الشَّاعر :

حَيُّوا الشَّبَابَ النّاهِضَ الصِّنْدِيْدا فالحَقُّ أَصْبَحَ عدَّةً وعَدِيْدَا
حَيُّوا المُدَافِعَ عنْ سَنَاءِ بِلاَدِهِ مِثْلَ الجُنُودِ مُنَظَّمَاً وَشَدِيْدَا
حَيُّوهُ شَهْمَاً ثَابِتاً مُسْتَأْسِداً واجْفوهُ خبَّاً طائشاً عِرْبيداً
حَيُّوهُ توَّاقاً إلى المجدِ الأُلى لم يرهبُوا موتاً ولاَ تهْدِيْدا
حَيُّوهُ ما رام الحياةَ مُجَدِّداً واحْنُوا عليهِ وحَبِّذُوا التّجدِيدَا
حَيُّوهُ كهفاً للعُلى مُستوفزاً يأبى الخُنُوعَ ويَمْقُتُ التّقْلِيدَا

(32) الديوان، ص:84.

(33) ينظر عصام شرتح ، فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين ، ص: 74 .

(34) خلود محمد ترمانيني ، الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث ،رسالة دكتوراة، جامعة حلب سوريا ، 2004 ، ص: 121 .

حَيُّوهُ طمّاحاً إلى نيلِ العُـــــلى والمجْدِ والمُلْكِ الكَبِيْرِ وَحِيْدَا
حَيُّوهُ وهو المُسْتفِيْدُ بعزمـــهِ علماً به عادَ الشَّقيُّ سعيْدَا
حَيُّوهُ مَنْ يَسْعَى لينظِمَ ذكْرَكُم بالحَزْمِ كَالدُّرِّ اليَتِيْمِ فَرِيْدَا[35]

لقـد كشـف تكـرار الفعـل(حيُّـوا) سـبع مـرَّات متتاليِّـة، عـن إيقـاع داخـلي يلتمسـه القـارئ، مـن خـلال النَّغـم المتواتـر في بدايـة كلِّ سـطر شـعريٍّ، وهـذا بـدوره يمنـح الأسْـطُرَ نغمـاً انسـيابيَّاً آسراً، يمتـدُّ إلى نهايـة القصيـدة.

ناهيـك عمَّـا أُشْـبِعَ بـه ذلـك التِّكـرار، مـن دِلالات معـبِّرة عـن عاطفـة قنابـة المتَّقدة، وقـد أردفَـهُ بصفـات غايـة في القُـوَّة والبسـالة والإقـدام؛ لأنَّ الشَّـباب هـم الَّذيـن تنعقـد عليهـم الآمـال في تحريـر الوطـن، وفي تكـراره لهـذه التَّحيـة مَـا يَـشِي بـأنَّ الشَّـباب اللِّيبي قـد أدّى واجبـه المنـوط بـه نحـو بـلاده، بـكل شـجاعة وإيمـان، وأمانـة وعـزم؛ لأجـل نيـل الاسـتقلال، فَدافَـعَ وبـذلَ لأجلـه النَّفـسَ والنَّفيـس، فـكان حَرِيَّـاً بهـذه التَّحيَّـة، الَّتـي كشـفت للقـارئ عـن عميـق فـرح الشَّـاعر وسروره؛ لوجـود مثـل هـذا الشَّـباب، الطَّامـح إلى نيـل المعـالي والمجـد.

ج- الجمع بين الاسم والفعل: وذلك كما في قوله:

إذْ نَصْرُنَا قَابَ قَوْسَيْنِ يُحَقِّقُهُ إذْرِيْسُنَا الْقَائِدُ الأَعْلَى وَقَادَتُنَا
إنَّا نُنَاصِرُهُ وَاللهُ يَنْصُرُنَـــا وَالنَّصْرُ بِالحَقِّ مَعْنَاهُ سِيَادَتُنَا [36]

جمـع الشـاعر في البيـت بـين تكـرار الاسـم (نَصْرُنَـا، النَّـصْرُ)، وتكـرار الفعـل (نُنَـاصِرُهُ، يَنْصُرُنَـا)، وفي هـذا التَّكـرار مـا يُفْصِـحُ عـن النَّغمـة الوطنيَّـة البـارزة المتمثِّلـة في إذكاء الـرُّوح الوطنيَّـة، والمُنَـاداة بالوحـدة ولـمِّ الشَّـمل، وبـذل النُّفـوس؛ حتَّـى يتحقَّـق النَّـصر المنشـود.

رابعاً : تكرار الجملة أو العبارة :

و يُقصـد بهـذا النَّـوع مـن التِّكـرار ألاَّ يكـون بتكـرار لفظـة واحـدة مـرّات عـدَّة، وإنَّمـا يكـون بتكـرار جملـة، أو صـدر بيـت أو عجـزه، أو بتكـرار بيـت كامـل مـن القصيـدة، ويأتـي بنـاءً عـلى رغبـة الشَّـاعر المُلِّحـة، وقناعتـه التَّامَّـة بالـدَّور الَّـذي يُؤَدِيـهِ في بنـاء القصيـدة ورصانتهـا[37].

ويُعَـدَّ هـذا النَـوع أكثـر أنـواع التِّكـرار شـيوعاً في شـعر قنابـة، وقـد اسـتخدمه الشَّـاعر بشـكل مكثَّـف؛ لِيُـؤَدِّي إلى إحـداث نـوع مـن الإيقـاع، ((فالعبـارة المكـرَّرة تُكسـبُ النَّـصَّ طاقـة إيقاعيَّـة، بفعـل اتِّسـاع رقعتهـا الصَّوتيَّـة ، إضافـة إلى دورهـا الوظيفـي، المتمثِّـل في إضـاءَة اللَّفظـة أو العبـارة المقترنـة بهـا))[38]، والمتغـيرَّة في كلِّ مـرَّة ((فالشَّـاعر قديمـاً كان يتَّخـذ مـن العبـارة المكـرَّرة في الشَّـطر الواحـد مـن البيـت

(35) الديوان، ص:90.

(36) الديوان، ص82 .

(37) ينظر سليمان زيدان، قضايا الإنسان في الشِّعر العربي الليبي المعاصر ، مجلس الثقافة ، 2006 ، ص : 115 ، 116 . .

(38) معتـز قـصي ياسـين ، جماليـة التكـرار في شـعر أحمـد مطـر ، مجلـة الخليـج العربـي ، جامعـة البـصرة ، المجلـد 46 ، 2018 ، العـدد 1، 2 ، ص227 .

مرتكـزاً؛ لإضافـة معنـى جديـد يدعـم بـه فكرتـه الأساسـية، عـلى حـين أنَّ الشـاعر الحديـث يُكـرِّر العبـارة في صـدر البيـت أحيانـا؛ لينطلـقَ منهـا إلى تتبـع جوانـب المعنـى الواحـد، واسـتقصاء مظاهـر التَّعـدد كمـا يراهـا بعـين خيالـه))[39]

ومـن نمـاذج هـذا التِّكـرار عنـد قنابـة ، الـذَي جـاء في أغلبـه متتابعـاً في شـكل عمـودي، قولـه :

شَتَّتَ اللَّهُ شَمْلَهُمْ فَـرَّقُـونَـا إِنَّهُمْ ظَـالِمُونَا مُسْتَعْمِرُونَـا
أَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّنَا فِي انْقِسَامٍ لمْ نَكُنْ وَحْدَةً وَهُمْ وَحَّدُوْنَا
أَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّنَا فِي شَقَـاءٍ فَأَتَوا أَرْضَنَا لِكي يُسْعِدُونَا
أَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّنَا فِي أسّـارٍ واضطهاد وأَنَّهم أَنْقَذُونَا
أَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّنَا فِي اعْتِلاَلٍ وَسِقَام يَا لَيْتَهُم عَالَجُونَا
أَوْهَمُوا النَّاسَ أَنَّنَا فِي احْتِيَاجٍ ولَهُم ثَـــــــرْوَةٌ بِهَا زَوَّدُونَا [40]

تـوالى تكـرار الجملـة (أوهمـوا النَّـاس أنَّنَـا فِي...) خمـس مـرَّات متتاليـة في أبيـات الشَّـاعر؛ لِيـدلَّ عـلى التَّوبيـخ والتَّقريـع[41]، ويكشـف المزاعـم الباطلـة، الَّتـي يدَّعِيْهَـا المسـتعمر، وحِيَلِـهِ وخداعـه الدَّنـيء، كاشـفاً عـن أوهـام المسـتعمرين التـي أدخلوهـا إلى عقـول النَّـاس، وفي بنيـة الفعـل المـاضي (أوهمـوا) دلالـة أكيـدة عمَّـا قـام بـه هـؤلاء المسـتعمرون لخـداع شـعبه، فلـم يدَّخِـرُوا وسـعاً في سـبيل هـذا الإيهـام ، وإقناعهـم بهـذا الوهـم، حتَّـى ظـنَّ هـؤلاء أنَّ هـذا الوهـم قـد غـدا حقيقـة ماثلـة.

وينطلق الشَّاعر في ذات القصيدة مكرِّراً جملة (عَاهَدُونَا بِالذَّوذِ عن كُلِّ ...) في قوله:

عَاهَدُونَا بالذَّوذِ عن كُلِّ شعْبٍ حالَ دُونَ اسْتِقْلاَلِه المُعْتَدُونَا
عَاهَدُونَا بِالذَّوذِ عن كُلِّ حـَقٍّ مَا لَهُمْ لمْ يَفُوا بِمَا عَاهَدُونَا[42]

موضحـاً للمـرَّة الثَّانيـة خـداع المسـتعمر وكثـرة حيلـه، واسـتمالته للنُّفـوس الضَّعيفـة، وفي إسـناد الفعـل (عاهـد) إلى ضمـير الفاعلـين (نَـا)، مـا يُـبرزُ مـدى تحقيق هـذه الاسـتمالة لهـذه النفـوس الضَّعيفـة، الَّتـي لـم تُفَكِّـر في أنَّ المسـتعمر يعمـل عـلى الكيـد لهـا ومحاربتهـا بـكلِّ الوسـائل.

وأمَّا في قوله:

كَيْفَ سُدْنَا واتَّحَـــدْنَا أُسْرَةً كَيْفَ فُزْنَا يَوْمَ عَقْدِ المُؤْتَمر
يَوْمَ هَبَّ الشَّعْبُ صَفّاً واحِداً وَبَشِيْرُ السَّعْدِ فِيْنَا كَعُمَر
يَوْمَ هَبَّ الشَّعْبُ رُكْناً شَامِخَاً لمْ يَجِدْ عنّا عنِ الحقِّ نَفَر
يَوْمَ هَبَّ الشَّعْبُ رُوحاً واحِداً في انْسِجَام بينَ بدْوٍ وحَضَر
يَوْمَ هَبَّ الشَّعْبُ بَحْراً زَاخِرَاً وَقَّعَ المِيْثَاقَ فِي لَمْحِ البَصر[43]

(39) محمـد صابـر عبيـد، القصيـدة العربيـة الحديثـة مـن البنيـة الدلاليـة إلى البنيـة الإيقاعيـة ، ،منشـورات اتحـاد الكتـاب العـرب عـلى الإنترنت،دمشـق، 2001، ص: 18 – 19 .

(40) الديوان، ص77.

(41) العمدة ، ابن رشيق ، ج2، ص: 75 .

(42) الديوان، ص77.

(43) الديوان، ص79 .

فنرى الشاعر يُكرِّرُ نصف الشَّطر أربع مرَّات متتابعة، في قوله: (يوم هَبَّ الشَّعب)، مبيِّناً الهيئات الَّتي اجتمع عليها الشَّعب، ومؤكِّداً على أهميَّة الوحدة على المستويين الوطني والقومي.

ويقترن هذا التِّكرار مع تكرار نوع آخر، وهو تكرار اسم الاستفهام (كيف)، الذي كان يخاطب فيه الأمير محمد السنوسي، الَّذي سافر لعرض قضية بلاده في المحافل الدَّوليَّة، فالشَّاعر يُهلِّل لهذه الوحدة، الَّتي تمثَّلت في أبناء شعبه قادة وأفراداً، وقد أفلح الشَّاعر من خلال هذا التِّكرار في تحريك الصُّورة الشِّعرية، وبعث توتُّرها العاطفي، وإضفاء لمسة جماليَّة ودلاليَّة عليها.

ويفصح التِّكرار الآتي في قصيدة ردَّ بها قنابة على صديقة الشَّاعر عبدالله الغنَّاي، عن موقف الشَّاعر من قضية الشِّعر الحُرِّ يقول:

هَلْ يَكُونُ الشِّعْرُ حـرَّاً مـَا تَـرَاهُ عَبْدَ رَبَّه؟
غَيْرُ حُرٍّ فِي اعْتِقَـادِي مَنْ بِحُرِّ الشِّعْر يأبه
لاَ نُرِيْدُ الشِّعـــرَ إلاَّ أَنْ يَكُونَ الضَّـادُ لُبَّه
لاَ نُرِيْدُ الشِّعْـــرَ إلاَّ أَنْ يَكُونَ الوزنُ طبّه
لاَ نُرِيْدُ الشِّعْـــرَ إلاَّ مِنْ فَتَىً يَهْضِمُ صَعْبَه[44]

ويعلِّل موقفه ذلك في باقي القصيدة يقول:

كُلُّ شِعْرٍ دُوْنَ وِزْنٍ كَـــانَ بالمِنْثُورِ أشْبـَه
كُلُّ شِعْرٍ جَاءَنَـــا مُسْتَورَداً فَلْيَقْضِ نَحْبَه[45]

في هذه الأبيات تكرَّر شطر البيت كاملاً ثلاث مرات، فألمح هذا التِّكرار إلى موقف الشَّاعر من قضيَّة الشِّعر الحرِّ، الَّذي يراهُ غريباً، قد اسْتَوْرَدَهُ بعض الشُّعراء المُجَدِّدين، الَّذين تتلمذوا على يد شعراء الغرب، وحاكوهم في أدبهم، ونسجوا على منوالهم، فنراه يُكرِّر تلك العبارة، مُنْكِراً من خلالها كون الشِّعر خالياً من الوزن والقافية، كما يُلمَحُ في تكراره ذلك الإصرار على أنَّ الشِّعر لابُدَّ أنْ يكون بالصُّورة، الَّتي عُرِفَتْ عند القدماء، لُغَتُهُ الضَّاد، وثَوبهُ الوزن والقافية، مُوضِحاً أنَّ اللَّون الجديد هو أشبه في حُلَّتِهِ الخالية من الوزن والقافية بالنَّثر، الَّذي لا يستحقُّ أنْ نُطلقَ عليه لفظة الشِّعر؛ لأنَّ الشِّعر من أخصِّ صفاتهِ أنْ يكونَ مَوزُوناً مقفَّى.

وتتسع دائرة التكرار هذه، وتشيع في أبيات الشَّاعر في عدة مواضع من قصائده، حتى غدت سمة أسلوبيَّة بارزة من سمات شعره ، كقوله :

وَمَا نَحْنُ إلاَّ الأوَّلُونَ بَسَالَـــةً ومَا نَحْنُ إلاَّ الآخرون لِحكْمَةٍ
وَمَا نَحْنُ إلاَّ خِيْرَةُ الخَلْقِ صَفْوَةً ومَا نَحْنُ إلاَّ منْ كِرَامٍ أَجِلَّةٍ[46]

(44) الديوان، ص: 194 .
(45) الديوان، ص:195 .
(46) الديوان ، ص: 102 .

وقوله :

أَلَسْنَا من بني الإسلامِ لَمَّا كَسَونَا العَارَ قَوماً معْتَدِينَا
أَلَسْنَا من بني قومٍ كرامٍ تَدرَّبْنَا الوغَى حِيْناً فَحِيْنَا
أَلَسْنَا أُمَّةً خاضتْ غُبَاراً وَقَدَّتْ فِيْهِ كَيْدَ المُفْسِدِيْنَا[47]

في الأبيات الأولى استطاع الشّاعر من خلال تكرار جملة الاستثناء المفرّغ أربع مرَّات في شطري البيتين، أن يُجسِّد الحالة النَّفسيَّة الَّتي يموج بها عالمه الشِّعري، ويخلق نغماً موسيقيّاً متواصلاً، يوحي بتنامي صورة الفخر من خلال استعمال ضمير الجمع المتكلِّم، والاعتزاز ببني وطنه، وإثبات تلك الصِّفات العظيمة لهم، ونفيها عمَّن سواهم.

وأمَّا في الأبيات الثَّانية، فلم تَخْبُ نغمة الفخر المتصاعدة، وإنّما تُوِّج ذلك الفخر، من خلال تكرار الاستفهامات المتتالية، الَّتي صدَّرها قنابة بحرف الهمزة، فكان هذا التِّكرار أشبه بالمحرِّك العاطفي، القادر على اجتذاب المشاعر المختلفة، فبدا نصُّهُ الشِّعري متلوِّناً بآفاق روح الإنسانيَّة، الَّتي تسمو مع سمو صفات الممدوحين، فاستطاع بواسطة ذلك التِّكرار المتتابع، أنْ يُسهم في إرساء نغمة القصيدة، باستخدام نغمة إشراك الآخر، وجذب الأطر الأخرى، من خلال إسبار العاطفة في عمق الاستفهام، الطَّالب للتَّأمل، والوقوف على حدث له من الأهمية ما له عند الشَّاعر.

الخاتمة :

من خلال دراسة التَّكرار في شعر أحمد قنابة، يمكن أن نَخْلُصَ إلى القول بانَّ الشَّاعر كانَ يُوظِّف أسلوب التِّكرار، ويستخدمه كفكرة؛ لإيصال المعاني إلى المتلقِّي ، والتَّعبير عن خلجات نفسه، فبدت النّزعة الوطنيَّة بارزة في أُفقِ قصائده، الَّتي توشَّحت في جُلِّها بمظاهر الإلحاح والتَّوكيد، والحثِّ والإصرار؛ لتحرير الوطن من المستعمر، وقد استطاع قنابة من خلال أنماط التِّكرار التي تنوَّعت في شعره، أنْ يجعل منها أداة جمالية، تخدم النَّصَّ، وتؤدِّي وظيفة أسلوبيَّة، فلم تقتصر دواعي التِّكرار عنده على الجانب الإيقاعي والصَّوتي فحسب، وإنَّما تجاوزتها إلى جوانب دلاليَّة؛ لذلك تنوَّعتْ أنماط التِّكرار عنده، بدءاً من تكرار الحرف، وتكرار الضَّمير، وتكرار الكلمة، وصولا إلى أعلى مستوى، وهو تكرار العبارة والجملة، فتشكَّلت تكراراته في قوالب مختلفة، قادت في النِّهاية إلى معنى واحد، هو قوميَّة الشاعر، وحُبّه العظيم لِوَطنهِ، وهُتَافاتِهِ المُتَعَالِيَة؛ لنبذ الظُّلم والاستعباد، ونيل الحريَّة، وهذا- لاشَكَّ- يُعزِّز من قوة التِّكرار التَّوليديَّة، الَّتي يتحوَّل معها اللَّفظُ المُكرَّرُ إلى صرخة مُدوِّية، يُطلقُهَا الشَّاعر، لِتَسْتَقِرَّ بِكُلِّ وضوح في أعماق المتلقِّي .

(47) الديوان، ص:118 .

المصادر والمراجع

1 – إبراهيم أنيس، الأصوات اللُّغويَّة، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، ط 6، 1981

2 – أحمد قنابة ، الدِّيوان ، جمع وتحقيق: الصيد محمد أبو ذيب، الطبعة الأولى، 1968.

3 – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت.

4 – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، 1998.

5 – جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى .

6 – خلود محمد ترمانيني، الإيقاع اللُّغوي في الشِّعر العربي الحديث ،رسالة دكتوراة، جامعة حلب سوريا ، 2004 .

7 – سليمان زيدان، قضايا الإنسان في الشِّعر العربي اللِّيبي المعاصر، مجلس الثقافة، 2006 .

8 – صالح سليم الفاخري، الدِّلالة الصَّوتيَّة في اللُّغة العربيَّة، منشورات جامعة سبها، مطابع الثورة العربية، طرابلس ليبيا، د.ط، 1988.

9 – ضياء الدين بن الأثير، المثل السَّائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983.

10 – عبد الرحيم كنوان، من جماليات إيقاع الشِّعر العربي، دار أبي رقراق للطِّباعة والنَّشر، المغرب، ط1، 2002.

11 – عسّاس إكرام، وظيفة التكرار في الشعر الحرِّ، رسالة ماجستير ، جامعة مولاي طاهر، الجزائر، 2019.

12 – عصام شرتح ، فنية التكرار عند شعراء الحداثة المعاصرين ، مجلة رسائل الشعر، العدد 9، كانون الثاني 2017.

13 – كريمة مكي، جماليات التكرار في القصيدة العربية المعاصرة، رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي بو نعامة، الجزائر، 2018.

14 – محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة من البنية الدلالية إلى البنية الإيقاعية، منشورات اتِّحاد الكتاب العرب على الإنترنت، دمشق، 2001.

15 – مدحت سعيد الجيّار، الصورة الشِّعرية عند أبي القاسم الشَّابي ، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا ،1984 .

16 – معتز قصي ياسين ، جمالية التكرار في شعر أحمد مطر ، مجلة الخليج العربي ، جامعة البصرة ، المجلد 46 ، العدد 1، 2 ، 2018 .

17 – موسى ربابعة، التِّكرار في الشِّعر الجاهلي، دراسة أسلوبية، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، العدد الأول، المجلد الخامس 1990.

18 – نازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط 6، 1981.

19 – نعمان بو قرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008.

الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في ضوء بعض المتغيرات

إعداد :
أ. خالد الناجي عمر محاضر كلية التربية – جامعة بنغازي
أ.دارين ونيس القطعاني محاضر بكلية الآداب- جامعة اجدابيا
أ. غالية محمد عبدالسلام مساعد محاضر بكلية الآداب – جامعة اجدابيا

الاستلام : 6/ 9/ 2022 القبول : 10/ 10/ 2022

المستخلص :

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في مراكز التربية الخاصة بمدينة المرج وهل هناك فروق في مستوى الاحتراق النفسي لدى أفراد العينة تعزى لمتغيرات الدراسة (النوع - الخبرة التدريسية للمعلم – التخصص العلمي)، وتكونت عينة الدراسة من (47) معلماً يعملون في مراكز التربية الخاصة بمدينة المرج خلال الفصل الدراسي الأول 2021 م، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة حيث يمثلون ما نسبته (40 %) من أفراد المجتمع الأصلي، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحثين مقياس ماسلاش الاحتراق النفسي 1981 م، الذي يتكون من (22) فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة لا يرقى إلى مستوى الدلالة ما يعني أن أفراد العينة يتمتعون بمستوى منخفض من الاحتراق النفسي، كما بينت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى أفراد العينة وفقاً لمتغير النوع لصالح الذكور، و تشير النتائج أيضاً إلى عدم وجود فروق دال إحصائيا في مستوى الاحتراق النفسي لدى أفراد العينة وفقاً لمتغير الخبرة التدريسية، في حين أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.5) في متغير التخصص العلمي لصالح (تخصص التربية الخاصة).

الكلمات المفتاحية : الاحتراق النفسي، معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة، مراكز التربية الخاصة.

Psychological burnout for teachers with special needs in the light of some variables

Summary :

The current study aimed to identify the level of psychological burnout among teachers with special needs in special education centers in the city of Al-Marj, and are there differences in the level of psychological burnout among the sample members due to the variables of the study (type - teacher's teaching experience - scientific specialization) and the study sample consisted of (47) A teacher working in special education centers in Al-Marg city during the first semester of 2021 AD, they were chosen in a simple random way, as they represent (40%) of the original community members. To achieve the objectives of the study, the researcher used the Maslash Scale of Psychological Burnout 1981 AD, which consists of (22) A paragraph divided into three dimensions. The results of the study indicated that the level of psychological burnout among teachers with special needs does not rise to the level of significance, which means that the sample members enjoy a low level of psychological burnout. The results also showed that there are statistically significant differences in the level of psychological burnout among the sample members according to For the gender variable in favor of males, the results of the study also indicated that there were no statistically significant differences in the level of psychological burnout among the sample members according to the variable of teaching experience, while the results showed that there were statistically significant differences at the level of significance (.05.) in the variable of scientific specialization in favor of (specialization Special Education)

Keywords: burnout - teachers of special needs

مقدمة :

تعد رسالة التعليم رسالة سامية ؛ لما لها من دور بارز في حياة الأفراد والمجتمعات، مما ينبغي تدارس الأوضاع التي تواجه المعلم وتحديدها بغية السيطرة عليها ومعالجتها بما يضمن للمعلم حسن قيامه بواجباته عن رغبة وقناعة وبهدوء وراحة نفسية، حيث يعد المعلم الركيزة الأساسية في العملية التعليمية، وأهم عناصرها ؛ لما لدوره من أثر بارز في تعلم التلاميذ، وإكسابهم المهارات والسلوكيات، ونموهم معرفيا ونفسيا واجتماعيا، وهذا التأثير يمتد ليشمل جميع المراحل التعليمية التي يمر بها التلميذ، والدور الذي يقوم به المعلم يكاد لا يضاهيه أي دور لأي مختص أو مهني، في أي مجال من مجالات الحياة لأنه يتعامل مع أفراد لهم خصائصهم الفردية التي يتميزون بها في مجالات النمو المختلفة.

وإذا كان المجتمع المدرسي صورة مصغرة عن المجتمع الإنساني فإن المعلمين إضافة إلى المشكلات النفسية والاجتماعية التي يعاني منها الأفراد بصفة عامة لديهم مشكلاتهم الخاصة بطبيعة عملهم، حيث وصفت مهنة التدريس بأنها من أكثر المهن الخدمية معاناةً من الضغوط التي إذا ما استمرت إلى جانب العوامل الأخرى وقد تؤدي إلى حدوث ما يُعرف بالاحتراق النفسي، كاستجابة سالبة لضغوط المهنة وللظروف الصعبة المحيطة.[1] ويعد موضوع الاحتراق النفسي لدى المعلمين من الموضوعات المهمة في المجال التربوي. وقد كانت بدايات الموضوع في السبعينيات من القرن العشرين، حيث اهتم به نتيجة لكتابات علماء النفس والاجتماع، وطرحهم له في المؤتمرات العلمية، وفي الندوات وفي وسائل الإعلام المختلفة، حيث إن البحث في أسباب الاحتراق النفسي لا يختلف كثيراً عن البحث في أسباب الضغوط المهنية ؛ نظراً لتشابه الظروف والخلفية التي ينمو فيها كل منهما، علماً بأن شعور الفرد بالضغوط النفسية في مجال العمل لا يعني بالضرورة إصابته بالاحتراق النفسي، ولكن إصابة الفرد بالاحتراق النفسي هو حتماً نتيجة لمعاناته من الضغوط النفسية الناجمة عن ظروف العمل [2]، ويعرف الاحتراق النفسي بأنه : "حالة نفسية تؤرق الأفراد الذين يعملون في مهن تتطلب تقديم خدمات اجتماعية وإنسانية للآخرين"، [3] وعرفه عبد الرحمن 1992 : بأنه "حالة نفسية أو عقلية تؤرق الأفراد الذين يمارسون مهن طبيعتها التفاعل مع الآخرين"، وعرفته ماسلاش masach (1986)بأنه : "مجموعة من أعراض تتمثل في الإجهاد العصبي واستنفاذ الطاقة الانفعالية والتجرد من النواحي الشخصية

(1)يوسف ذياب عواد، (2010)،الاحتراق النفسي لمعلمي المدارس الأساسية الحكومية الناتج عن دمج الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في الصفوف العادية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، مج (24)،ع(9)، ص2497.

(2) يوسف ذياب عواد،ص2498.

(3) هند حرتاوي، (1991)، مستويات الاحتراق النفسي لدى المرشدين التربويين في المدارس الحكومية في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، أربد، ص 123-122

والإحساس بعدم الرضا عن الإنجاز في المجال المهني " [4]. وينظر باردو (1979) إلى ظاهرة الفرد المحترق من خلال خدمته الطويلة فالعامل الأكثر تفاعلاً في عمله وأكثر إخلاصاً هو الذي يعرف بحماسه، والتحكم برغباته ومرونة تعامله مع ضغوط العمل، ولكن بعد سنوات من الوظيفة قد يفقد حماسه وطموحه وعدم اهتمامه بالمهنة وبذلك يتفق بارود مع ساراسون (1972) الذي أوضح أن العامل كلما طال عهده بممارسة مهنته كلما أصبح أقل تأثيراً وحيوية واستجابة لما يحيط به من مؤثرات فيما يتعلق بالدور الذي يقوم به، وقد ارجع ذلك إلى أن زيادة الخبرة ربما تؤدي إلى الإحساس بالسأم و بالتالي انخفاض الدافعية للعمل ما يؤدي لزيادة مستوى الضغط لديه [5]. ويتطور الاحتراق النفسي الذي يصيب المعلم إلى أعراض مرضية تبدأ بحالة عدم الاتزان والاستقرار وعدم القدرة على مواجهة العمل وضعف القدرة على تنفيذه، والانزعاج من التدريس وعدم الرغبة في مواكبة ما هو جديد في مجال عمله وعدم الرغبة في مناقشة أي اقتراحات إيجابية سواء في تعامله مع التلاميذ أو المادة التعليمية، وقد تتطور هذه الأعراض لدى المعلم حيث يصاب بالتعب والإرهاق وعدم الراحة وعدم الرغبة في العمل والقلق والندم على اختياره لمهنة التدريس والميل للأعمال الإدارية هروباً من التفاعل ومواجهة التلاميذ، ولا تقف الحالة عند هذا الحد بل تتطور أكثر بحيث تتغير اتجاهاته نحو نفسه ويميل إلى الهروب من المواقف الاجتماعية والتغيب المستمر عن العمل[6].

بالإضافة إلى مضاعفات الاحتراق النفسي السلبية على المعلمين وانعكاس تأثيراته الخطيرة على الطلاب والزملاء من المعلمين والإداريين والعاملين في المدرسة تنعكس كذلك علي العملية التعليمية بأكملها، لهذا فإن الاحتراق النفسي يمثل مشكلة باهظة التكاليف على المعلم والمدرسة، وتتمثل في تدني معدلات الإنتاجية والغياب لفترات طويلة أوترك المهنة.[7] ويرى بعض الباحثين أن الضغوط النفسية تعد بشكلً عام سمة من سمات الحياة فهي في بعض مستوياتها قد تكون مطلوبة إن لم تكن ضرورية ؛ وذلك لحفز الفرد ودفعه إلى الإنجاز وتحقيق النجاح، غير أن زيادتها عن الحد المناسب قد تفضي إلى مشاكل يصعب حلها ؛ لما لها من آثار سلبية على الصحة العقلية والبدنية.[8] ولكي يكون المعلم قادراً على إحداث تغيير في سلوك المتعلم، وعلى التعامل مع

(4) إبراهيم القريوتي، وسعيد الظفيري،(2010)،" الاحتراق النفسي لدى معلمات صعوبات التعلم في سلطنة عمان"، المجلة الأردنية في العلوم التربوية مج(6)، عدد(3)، ص ص175- 190.

(5) يار كندي، هانم حامد،(1993)، "مستوى ضغط المعلم وعلاقته بالطمائنية النفسية وبعض المتغيرات الديموغرافية"، المجلة المصرية للدراسات النفسية، مج (4)،ع (24)، ص ص32-28.

(6)رنا حامد،(1999)، "الاحتراق النفسي لدى معلمي الطلبة المعاقين عقليا في اليمن"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الارنية، عمان، ص 67- 72.

(7) زيد محمد البتال، (2000)،"الاحتراق النفسي لدى معلم التربية الخاصة"، مكتبة الملك فهد، الرياض ص100.

(8) زيد محمد البتال ، الاحتراق النفسي لدى معلم التربية الخاصة،ص 125-132.

جميع التلاميذ بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية وقدراتهم وأعراقهم ؛ من أجل تحقيق أهداف العملية التعليمية والوصول إلى مخرجات تعليمية يرضى عنها، ويرضى عنها المجتمع الذي أسند إليه هذا الدور ؛ يتطلب هذا الأمر أن يتمتع مربي الأجيال بتوازن نفسي ودافعية وحب وإخلاص لمهنته وللمتعلمين، ويؤمن بالرسالة التي يحملها، ويشعر بالراحة والرضا أثناء ممارسته لعمله، إلا أن المعلم قد يتعرض لمشكلات عديدة إذا كان يعاني من ضغوط نفسية وإنهاك، وشعور بعدم القدرة على العطاء، والقيام بدوره داخل المدرسة تقوده في النهاية إلى الاحتراق النفسي. [9] ويعد العمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة من أكثر المهن التعليمية إثقالا بضغوط العمل ؛ إذ يعاني المعلمون من مشاعر الإحباط والقلق والاكتئاب ومنهم من يواجه مشكلات صحية معينة ؛ لما تقتضيه هذه المهنة من متطلبات وأعباء إضافية متنوعة من الأفراد غير العاديين الذين يعانون من الإعاقات المختلفة، إذا يعد كل طالب حالة خاصة تتطلب إعداد الخطط التربوية الفردية واختيار أساليب التدريس المناسبة له، كذلك يحتاج هؤلاء الطلبة إلى التدريب والخدمات المساندة مثل الخدمات الطبية والإرشادية، كما أن تدني القدرات العقلية و وانخفاض مستوى التحصيل لدى هؤلاء الطلبة من شأنه أن يولد لدى بعض المعلمين الشعور بالإحباط وعدم الإنجاز، كما أن بعض المعلمين الذين يحملون مؤهلات أكاديمية غير تخصصية وليس لديهم التأهيل الكافي في التربية الخاصة، كما ينقصهم التدريب اللازم للتعامل مع التحديات التي تواجههم عند تعاملهم مع هؤلاء الطلبة، فأن هذا الأمر الذي قد يولد لديهم الشعور بالضغوط النفسية ومنهم من قد يصل إلى درجة الاحتراق النفسي.[10] وقد تنبه العاملون في ميدان التربية الخاصة والإدارة التربوية والإرشاد النفسي إلى أهمية الاحتراق النفسي كونه ينعكس على سلوك المحترق وأداءه ونفسيته، ولذلك لابد من الاهتمام بدراسته سعياً لمعالجته كي يكون الفرد متزناً نفسياً وبعيداً عن التوتر والقلق، بالتالي يقبل على عمله بهمة عالية ونشاط.[11] ونظراً للمتطلبات والاحتياجات المتكررة سواء على الجانب النفسي أو الجانب الصحي أو المعرفي، وكل الجوانب المتعلقة بالحياة اليومية التي يعيشها الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة التي تستند بصفة مباشرة إلى المعلمين في مراكز ومدارس التربية الخاصة، إضافة إلى زيادة المهام الملقاة على عاتق المعلمين في تحقيق أفضل مستوى مطلوب من تقديم الخدمات والتعليم المناسب للطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة ومع استمرارية التعامل اليومي مع هؤلاء الطلبة، أصبح كل ذلك يشكل نوعاً من الضغوط على المعلمين، بالتالي يؤدي إلى استنزاف جهودهم المبذولة مع هذه

(9) إبراهيم القريوتي ، الاحتراق النفسي لدى عينة من معلمي الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة"، ص131 – 145.

(10) الزيودي، محمد حمزة، (2007)، مصادر الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة جامعة دمشق، مج(18)، ع(6)، ص189- 219.

(11) إبراهيم القريوتي ، الاحتراق النفسي لدى معلمات صعوبات التعلم في سلطنة عمان"، ص175- 190.

الفئة. [12] وينشأ الاحتراق النفسي نتيجة لمجموعة من عوامل تؤثر على المعلم بشكل العام ومعلم ذوي الاحتياجات الخاصة بشكل خاص، ومن هذه العوامل ما يتعلق بطبيعة الفئة التي يقوم بتعليمها، فالمعلم يتعامل مع مجموعة متباينة من التلاميذ منهم من يعاني من المشكلات أكاديمية ومنهم من يعاني من اضطرابات سلوكية أو إعاقات مختلفة، مما يعقد المسألة على المعلم خاصة عند تفكيره في تلبية احتياجات التلاميذ، ويعد هذا التباين الواسع في الخصائص التلاميذ مصدر قلق وتوتر لدى المعلمين بخاصة أولئك الذين يلتحقون في هذا الميدان بمؤهلات أكاديمية غير متخصصة وليس لديهم التأهيل والتدريب المناسب قبل الخدمة للتعامل مع التحديات التي تواجههم، [13] ومنها ما يتعلق بالدعم الذي يتلقاه المعلم، فمعلم ذوي الاحتياجات الخاصة لا يعمل بمعزل عن الكادر المدرسي ولا عن المجتمع الذي يعيش فيه بل يقوم بعمله في بيئة تفاعلية يؤثر ويتأثر بها فلابد من التعامل مع زملائه من معلمين ومتخصصين، كذلك يجب أن يتفاعل مع إدارة المدرسة والكادر الإداري فيها، بالإضافة إلى تعامله مع أولياء أمور التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة وهذه الشبكة من التفاعلات لها أثرها على المعلم، فإذا تفهمت إدارة المدرسة والزملاء دوره وقدموا له الدعم والمساندة الكافية فهذا يشجعه ويحفزه إلى القيام بأداء أفضل، أما أذا فقد هذا الدعم وأوكلت له مهمات إدارية أخرى فإن ذلك يشكل ضغطاً عليه ؛ مما يخلق جوانب عدم ارتياح والشعور بالإنهاك بالإضافة إلى ضغط أولياء الأمور وعدم تعاونهم يزيد من توتره، [14] كذلك العوامل الشخصية التي تشمل مؤهلات المعلم وتخصصه والدورات التدريبية أثناء الخدمة والرغبة في العمل في هذا المجال ودخله الشهري هي جميعها عوامل ذات أثر في تحقيق المعلم لذاته وشعوره بالتميز والتقدير والاحترام لكن غياب بعضها مثل تدني مستوى الدخل مقابل الجهد الذي يبذله يجعله يفكر في القيام بأعمال أخرى لسد متطلباته الأساسية وهذا يشعره بعدم الرضا الوظيفي يؤدي في النهاية إلى احتراقه نفسياً وترك العمل. [15]

مشكلة الدراسة :

يظهر الاحتراق النفسي لدى العاملين في المجال المهني ذي الطابع الإنساني، بخاصة الذين يتعاملون بشكل مباشر مع الأفراد، وقد يظهر ذلك لدى الأطباء والممرضين والممرضات بالإضافة إلى الاختصاصيين في المجالات الإنسانية والاجتماعية،

(12) سفيان الربدي، (2013)، مستويات الاحتراق النفسي لدى المرشدين والمرشدات القصيم في ضوء بعض المتغيرات"، مجلة العلوم الإدارية والإنسانية في جامعة المجمعة، المجلد(3)،ع(3)، ص283-281.

(13) قحطان، والظاهر، (2004)،"صعوبات التعلم "، دار وائل،عمان،ص 221.

(14) زيد محمد البتال، الاحتراق النفسي لدى معلم التربية الخاصة، ص86-58.

(15) بطرس، بطرس، (2009)، " تدريس الأطفال ذوي صعوبات التعلم "، دار المسيرة، عمان، ص 256.

وأشـار القرتوتـي،[16] إلى أن الاختصاصيـين الاجتماعيـين يتعرضـون للاحـتراق النفـسي جـراء عملهـم مـع الأطفـال، ويعـزو ذلـك لعـدم الاعـتراف بجهودهـم، وطـول سـاعات عملهـم، وتدنـي رواتبهـم، وصعوبـة وكثـرة عـدد الحـالات التـي يتعاملـون معهـا، " كما يمكـن أن يظهـر الاحـتراق النفـسي لـدى العاملـين في البنـوك ودور الحضانـة، ومراكـز الاتصـال، والمستشـفيات، ومـن العوامـل المؤديـة لذلـك ظـروف العمـل وضغوطاتـه، والضغـوط الاجتماعيـة وتدنـي مسـتوى الإنجـاز ولعـل المعلـم مـن أكثـر الفئـات تعرضاً للضغـوط والاحـتراق النفـسي ؛ نظـراً للـدور المهـم الـذي يسـنده لـه المجتمـع، وتوقعاتـه منـه في تحقيـق الأهـداف التربويـة، وإيصـال الرسـالة بـكل أمانـة وإتقـان، كونـه الركيـزة الأساسـية في العمليـة التعليميـة في جميـع المجتمعـات، وعـلى الرغـم مـن التطور والتغـير الـذي حـدث في المجتمعـات ؛ فلـم يقلـل ذلـك مـن دوره الكبـير، وتزيـد هـذه الضغـوط والمؤثـرات لـدى معلمـي ذوي الاحتياجـات الخاصـة لكونهـم يتعاملـون مـع فئـة متباينـة في قدراتهـا وصعوباتهـا ؛ فقـد تجـد بعـض التلاميـذ يعانـون من مشـكلات محـددة في مجـال القـراءة، في حـين البعـض الآخـر يعانـي مـن مشـكلات في الكتابـة أو الحسـاب، ولا تقـف المسـألة عنـد هـذا الحـد مـن المشـكلات، بـل نجـد أيضـاً بعـض جوانـب الضعـف لـدى هـؤلاء التلاميـذ تتمثـل في عمليـات الإدراك البـصري والسـمعي، وعمليـات التمييـز السـمعي والبـصري، كمـا يعانـي بعـض التلاميـذ مـن مشـكلات قـصر فـترة الانتبـاه، والتشـتت السريـع في مواقـف التعلـم، وكل هـذه المشـكلات تحتـاج مـن المعلـم القيـام بنفسـه لتصميـم خطـط علاجيـة متعـددة لمواجهـة مشـكلات كل تلميـذ، وهـذا الأمـر يتطلـب منـه بـذل جهـود مضاعفـة مقارنـة بغـيره مـن معلمـي التلاميـذ العاديـين، ممـا يـؤدي إلى زيـادة التحديـات التـي تواجهـه، حيـث يترتـب عليـه مسـؤوليات مضاعفـة تجـاه تلاميـذه سـواء في الإعـداد والتحضـير، أو تجهيـز وتصميـم الوسـائل لمواجهـة احتياجاتهـم، وهـذا يزيـد مسـتوى توتـره واحتراقـه النفـسي ؛ ممـا يؤثـر سـلباً عـلى مخرجـات العمـل التربـوي، ويفاقـم المشـكلة أو الصعوبـة التعليميـة لـدى التلاميـذ، وبالتحديـد فـإن هـذه الدراسـة تهـدف إلى الكشـف عـن مسـتوى الاحـتراق النفـسي لـدى معلمـي ذوي الاحتياجـات الخاصـة وذلـك مـن خـلال الإجابـة عـن الأسـئلة التاليـة :

1. ما مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة؟
2. هـل توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة في مسـتوى الاحـتراق النفـسي بـين معلمـي ذوي الاحتياجـات الخاصـة تعـزي لمتغـير النـوع (ذكـور- إنـاث)؟
3. هـل توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة في مسـتوى الاحـتراق النفـسي بـين معلمـي ذوي الاحتياجـات الخاصـة تعـزي لمتغـير سـنوات الخبرة التدريسـية (1 – 5 سـنوات) (أكثـر مـن 5 سـنوات)؟
4. هـل توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائيـة في مسـتوى للاحـتراق النفـسي بـين معلمـي

(16) ابراهيـم القريوتـي، وعبـد الفتـاح فيصـل، (1998)، " الاحـتراق النفـسي لـدى عينـة مـن معلمـي التلاميـذ العاديـين وذوي الاحتياجـات الخاصـة بالإمـارات "، مجلـة كليـة التربيـة، جامعـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، مـج(13)،ع (15)، ص ص 95 – 131.

ذوي الاحتياجات الخاصة تعزى لمتغير التخصص العلمي (تخصص تربية خاصة - تخصص آخر)؟

أهداف الدراسة:

1. الكشف عن مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة كما يدركها المعلمون أنفسهم.
2. التعرف على الفروق في مستويات الاحتراق النفسي تبعاً لمتغيري النوع - الخبرة التدريسية - التخصص العلمي.

أهمية الدراسة :

1. التعرف على أبرز المشكلات التي تواجه المعلم في هذا المجال ؛ مما يعمل على توفير معلومات تساعد أصحاب القرار في التعرف على أوضاع المعلمين، من أجل اتخاذ التدابير اللازمة في حال ظهور مشكلات عدم التكيف لديهم، والتفكير في وضع الحلول المناسبة لأكثر العوامل أهمية، والتي تعمل على زيادة الاحتراق النفسي.
2. كما يمكن الاستفادة من نتائج الدراسة في المساعدة في تطوير برامج إرشادية مناسبة يمكن أن تساعد هذه الفئة من المعلمين المحترقين نفسياً على تحقيق تكيف مهني أفضل، وهو أمر ينعكس بشكل إيجابي على تقدم أداء التلاميذ وتحسنه، سواء في النواحي الأكاديمية أو النمائية.

مصطلحات الدراسة :

1 - الاحتراق النفسي: يعرفه نسرين عبد الاله، بأنه : "حالة نفسية تنتج بسبب الأوضاع المتصلة بالأفراد مباشرة، ولا سيما معلمي الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة ويظهر فيها الإنهاك والتعب وعدم الاهتمام، والشعور، بعدم الكفاءة، والرغبة في ترك المهنة "[17].

معلم التربية : يعرفه بطاينة، الجوارنة(2014) بأنه : " هو معلم يكون على رأس العمل من خريجي الأقسام المتخصصة في مجال التربية الخاصة بكليات التربية أو كليات المعلمين الحاصل على درجة ليسانس والدبلوم أو المؤهل خصيصا للعمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، ولديه خبرة في مجال الكشف والتعرف والتأهيل لفئات ذوي الاحتياجات الخاصة".[18]

تعريف الاحتراق النفسي إجرائياً: هو الدرجة التي يتحصل عليها المفحوص في مقياس الاحتراق النفسي بأبعاده الثلاثة (الإجهاد الانفعالي , تبلد المشاعر , نقص الشعور بالإنجاز الشخصي).

(17) نسرين عبد الاله ، (2019)، " معوقات استخدام تقنيات التعليم في تنمية المهارات المختلفة لدى الأطفال ذوي اضطراب التوحد من وجهة نظر معلمي التربية الخاصة في المملكة العربية السعودية " مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة المدينة العلمية، مج(3)ع(13)، ص 85- 109.

(18)، أسامة بطاينة، والمعتصم بالله الجوارنة، (2004)، "مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة ومعلماتها في محافظة أربد وعلاقتها ببعض المتغيرات"، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، ع (2)، ص:77-48.

حدود الدراسة :

1. **الحدود البشرية : اقتصرت الدراسة الحالية على المعلمين العاملين في مراكز التربية الخاصة بمدينة المرج.**
2. **الحدود المكانية : أجريت الدراسة في مراكز التربية الخاصة بمدينة المرج.**
3. **الحدود الزمانية : أجريت الدراسة خلال الفصل الدراسي الأول 2021.**

الدراسات السابقة ومناقشتها :

1 – دراسة السرطاوي (1997) بعنوان : الاحتراق النفسي مصادره لدى معلمي التربية الخاصة هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الاحتراق النفسي لديهم وتكونت عينة الدراسة من (180) معلماً ومعلمةً بمدينة الرياض، وأشارت النتائج إلى تعرض معلمي التربية الخاصة للاحتراق النفسي بدرجة متوسطة على بعد الإجهاد النفسي ونقص الشعور بالإنجاز، بدرجة منخفضة على بعد تبلد المشاعر، كما أظهرت الدراسة وجود فروق دالة إحصائياً لدى معلمي المعوقين عقليا على بعد الإجهاد الانفعالي مقارنة بمعلمي المعوقين سمعياً وبصرياً وصعوبات التعلم كما أظهرت أيضا وجود فروق دالة إحصائياً لدى معلمي المعوقين عقلياً على بعد الشعور بالإنجاز مقارنة بمعلمي المعوقين سمعياً وبصرياً وصعوبات التعلم.(19)

2 – دراسة القريوتي وعبد الفتاح (1998) بعنوان: الاحتراق النفسي لدى عينة من معلمي التلاميذ العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة بالإمارات، اشتملت عينة الدراسة على (244) معلماً ومعلمة، وأشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين معلمي التلاميذ العاديين و ذوي الاحتياجات الخاصة لصالح الفئة الأولى، أما بالنسبة لمعلمي التربية الخاصة فأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائيا تعزى لسنوات الخبرة ولصالح المعلمين ذوي الخبرات الأقل من خمس سنوات، مقارنة بالمعلمين ذوي الخبرات من (5 – 10) سنوات و من (-11 20) سنة، كما أظهرت الدراسة ارتفاع في مستوى الاحتراق النفسي عند معلمي فئة الإعاقة البصرية والحركية مقارنة بمعلمي التلاميذ فئة الإعاقة العقلية والسمعية. (20)

3 – دراسة الجمالي (2003) بعنوان : مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة واحتياجاتهم التدريبية أثناء الخدمة بسلطنة عُمان وتكونت عينة الدراسة من (133) معلماً ومعلمة، وأظهرت النتائج إلى أن معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة يعانون من الاحتراق النفسي بدرجة معتدلة، كما أظهرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيري الجنس وسنوات الخبرة على أبعاد المقياس في حين أظهرت الدراسة أن معلمين العمانيون أكثر تعرضا للاحتراق النفسي على بعدي المشاعر وتدني مستوى الإنجاز مقارنة بغير

(19) زيدان السرطاوي، (1997)،"بعنوان الاحتراق النفسي مصادره لدى معلمي التربية الخاصة"، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، مج (21)، ع(1)، ص 96-57.

(20) ابراهيم القريوتي، عبد الفتاح فيصل، (1998)، " الاحتراق النفسي لدى عينة من معلمي التلاميذ العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة بالإمارات" ص 131-95.

العمانيين، والمعلمين الذين يعلمون مع ذوي الإعاقات المختلفة من كبار السن أكثر تعرضا للاحتراق النفسي على بعد الإجهاد النفسي مقارنة بمعلمي الأفراد ذوي الإعاقات العقلية والسمعية والبصرية والإعاقات الأخرى. (21)

4 - دراسة الخرابشة (2005) بعنوان : الاحتراق النفسي لدى العاملين مع الطلبة ذوي صعوبات التعلم وغرفة المصادر وتكونت عينة الدراسة من (166) معلماً ومعلمة بالأردن وأشارت نتائج الدراسة إلى وجود الاحتراق النفسي لدى المعلمين بدرجة متوسطة على بعدي الإجهاد الانفعالي، وتبلد المشاعر، وبدرجة عالية على بعد نقص الشعور بالإنجاز ووجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس لصالح الإناث على بعد نقص الشعور الإنجاز، كما أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية على جميع أبعاد المقياس تعزي لمتغير سنوات الخبرة لصالح ذوي الخبرة من خمس سنوات وأكثر. (22)

5 - دراسة الزيودي (2007) بعنوان : الاحتراق النفسي لدى عينة من معلمي التربية الخاصة، بلغ عددها (115) معلما ومعلمة، هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الاحتراق النفسي لدى المعلمين وأظهرت نتائج الدراسة وجود احتراق نفسي لدى المعلمين والمعلمات بدرجة متوسطة، كما أظهرت النتائج ارتفاع مستوى الاحتراق لدي المعلمين مقارنة بالمعلمات كما أظهرت النتائج عدم وجود أثر لمتغير المؤهل العلمي على مستوى الاحتراق النفسي، أما بالنسبة لمتغير الخبرة فقد أظهرت النتائج أن المعلمين ذوي مستويات الخبرة القليلة يتعرضون لمستوى أعلى من الاحتراق النفسي. (23)

دراسة الظفري والقرتوتي (2010) بعنوان : الاحتراق النفسي لدى معلمات التلاميذ ذوي صعوبات التعلم في سلطنة عُمان، وهدفت إلى التعرف على مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمات التلاميذ ذوي صعوبات التعلم بسلطنة عُمان مدى اختلاف هذه المستويات بناء على التخصص والمؤهل العلمي والحالة الاجتماعية للمعلمات بالإضافة إلى الكشف عن العلاقة بين الاحتراق النفسي وكل من الخبرة التدريسية والدورات التدريبية والمستويات الاقتصادية لطلاب المدرسة وتكونت عينة الدراسة من (200) معلمةٍ من معلمات الحلقة الأولى من التعليم الأساسي بسلطنة عُمان واستخدم الباحثين

مقياس ماسلاش الاحتراق النفسي بأبعاده الثلاثة، أشارت النتائج إلى وجود مستوى منخفض من الاحتراق النفسي لدى العينة، وأن مستويات الاحتراق اختلفت باختلاف التخصص لصالح التخصصات العلمية والمؤهل العلمي لصالح

(21)فوزية حسن الجمالي، (2003)،"مستويات الاحتراق النفسي لدي معلمي لدي معلمي ذوى الاحتياجات الخاصة"، دراسات عربية في علم نفس، مج(2)،ع(1)،ص 211-151.

(22)عمر الخرابشة ، أحمد عربيات،(2005)،"الاحتراق النفسي لدى العاملين مع الطلبة وذوي صعوبات التعلم وغرف المصادر"، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مج(17)،ع (2)،ص 301-293.

(23)محمد الزيودي، (2007)،"مصادر الضغوط النفسية لدى معلمي التربية الخاصة في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات "، مجلة جامعة دمشق، مج(18)،ع(6)، ص ص219-189.

البكالوريس مقارنة بحملة الدبلوم العالي بينما لم توجد فروق دال إحصائية تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية للمعلمة، كما دلت النتائج على أن جميع أبعاد الاحتراق لدى المعلمات ترتفع كلما انخفض المستوى الاقتصادي لطلاب المدرسة بينما لم توجد علاقة بين لمعظم أبعاد المقياس بالخبرة التدريسية والدورات التدريبية. (24)

7 – دراسة زياد اللا (2014) بعنوان : الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في منطقة القصيم في ضوء بعض المتغيرات هدفت الدراسة التعرف على مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة الذين يتعاملون مع طلاب (الإعاقة العقلية، الإعاقة السمعية، والإعاقة البصرية (في منطقة القصيم، ومدى اختلاف هذه المستويات بناءً على متغيرات تخصص المعلم العقلية، السمعية، البصرية، ومتغير المؤهل العلمي للمعلم (بكالوريوس، أقل من البكالوريوس)، ومتغير الخبرة المهنية للمعلم (أقل من خمس سنوات و خمس سنوات فأكثر)، وتكونت عينة الدراسة من (144) معلم موزعين على الإعاقة العقلية (46) معلماً والإعاقة السمعية (54) معلماً، والإعاقة البصرية (44) معلماً، الذين يعملون في مدارس منطقة القصيم في السعودية، واستخدم الباحثين مقياس ماسلاش للاحتراق النفسي وأشارت النتائج إلى وجود مستوى مرتفع للاحتراق النفسي في بُعدي نقص الشعور بالإنجاز وتبلد المشاعر، ومستوى متوسط في بُعد الإجهاد الانفعالي لدى عينة الدراسة، والى عدم وجود فروق بين تخصص المعلم وبُعد الإجهاد الانفعالي، ووجود فروق بين تخصص المعلم وبُعدي نقص الشعور بالإنجاز، وتبلد المشاعر لدى معلمي الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة، وأظهرت الدراسة وجود فروق بين متغير المؤهل العلمي للمعلم وبُعد الإجهاد الانفعالي لفئة المعلمين الحاصلين على بكالوريوس، كما أظهرت النتائج أنه ولا توجد فروق بين متغير المؤهل العلمي للمعلم وبُعدي نقص الشعور بالإنجاز وتبلد المشاعر، وأشارت النتائج إلى وجود فروق بين متغير الخبرة المهنية للمعلم وبُعدي الإجهاد الانفعالي، وتبلد المشاعر لفئة المعلمين الذين خبرتهم (أقل من خمس سنوات)، كما أظهرت النتائج أنه لا توجد فروق بين متغير الخبرة المهنية للمعلم وبُعد نقص الشعور بالإنجاز. (25)

دراسة العرايضة (2016) بعنوان : مستوى الاحتراق النفسي لمعلمي التربية الخاصة وهدفت الدراسة إلى الكشف عن مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة في المدارس الحكومية بمحافظة الرس في المملكة العربية السعودية وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية، كخبرة المعلم، ونوع التخصص، والمرحلة التعليمية وعدد الطلاب في القاعة التدريسية، واشتملت عينة الدراسة على (32)

(24) ابراهيم القرتوتي ،وسعيد الظفري، (2010)،"الاحتراق النفسي لدى معلمات التلاميذ ذوي صعوبات التعلم في سلنطة عُمان، ص 175– 190.

(25) زياد اللا، وآخرون، (2014)، " الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في منطقة القصيم في ضوء بعض المتغيرات"، المجلة الدولية التربوية المتخصصة كلية التربية، جامعة القصيم،مج(3)،ع(8) ص ص 160.

معلماً، تم اختيارهم بالطريقة الشاملة من المدارس الحكومية خلال الفصل الدراسي 2016 م، واستخدم أداة من إعداده ويتكون من (22) فقرة وأشارت نتائج الدراسة إلى أن معلمي التربية الخاصة في المدارس الحكومية يعانون من الاحتراق النفسي بمستوى متوسط ، كما أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيرات الخبرة التدريسية و التخصص والمرحلة التعليمية، وعدد الطلاب في الفصل. (26)

9 – دراسة خليل، فارس الشمالي (2020) بعنوان : مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة مقارنة بالمعلمين العاملين في المدارس النظامية في محافظة إربد وعلاقته ببعض المتغيرات هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة كما حاولت فحص ما إذا كان مستوى الاحتراق النفسي يختلف تبعاً لكل من المتغيرات الجنس، والعمر، والمؤهل الأكاديمي، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم المنهج الوصفي وتكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي التربية الخاصة العاملين بمراكز التربية في محافظة إربد والمعلمين الذين يعملون في التعليم الابتدائي، وتم اختيار العينة بالطريقة العشوائية، وتكونت العينة من (500) وأما أداة قياس مستوى الاحتراق النفسي فكانت عبارة عن استبانة من إعداد الباحثين تكونت من جزأين، خصص الأول للمتغيرات الديموغرافية بينما تضمن الجزء الثاني في صورته النهائية (30) فقرة حول الاحتراق النفسي، أشارت أهم نتائج الدراسة إلى أن مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة والمعلمين العاملين بالمدارس النظامية في محافظة مدينة إربد كان متوسطًا، ودلت النتائج على وجود فروق في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة مقارنة بالمعلمين العاملين بالمدارس النظامية، وإن مستواه عند المعلمين العاملين بالمدارس النظامية أعلى (عكس المتوقع)، وعدم وجود فروق بين المستويين في الاحتراق النفسي يمكن أن تعزى لأي من متغيرات الدراسة. (27)

مناقشة الدراسات السابقة :

يظهر من خلال استعراض الدراسات السابقة فمن حيث الأهداف نجد أنها ركزت على الكشف على مستوى الاحتراق النفسي لمعلمي ذوي الاحتياجات الخاصة كدراسة السرطاوي (1997) ودراسة الخرابشة (2005) ودراسة القرتوتي (1998) ودراسة الزيودي (2007) ودراسةالقرتوتي والظفيري (2010) ودراسة زياد اللا (2014) وخليل الشمالي (2020) والعرايضة (2016) في حين ركزت دراسة الجمالي وحسن (2003) على الكشف على مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي

(26)، عماد صالح العرايضة،(2015)،" مستوى الاحتراق النفسي لمعلمي التربية الخاصة"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة القصيم، مج (2)،ع(1)،ص 227-197.

(27)، فارس خليل، صباح الشمالي،(2020)، " مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة مقارنة بالمعلمين العاملين في المدارس النظامية في محافظة إربد وعلاقته ببعض المتغيرات"، المجلة التربوية- جامعة الكويت، مج (34)، ع (135)، ص ص228-191.

ذوي الاحتياجات الخاصة واحتياجاتهم التدريبية، تتفق الدراسة الحالية مع هذه الدراسات في أن أهدافها كانت الكشف عن مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة كما يدركها المعلمون أنفسهم، التعرف على الفروق في مستويات الاحتراق النفسي تبعاً لمتغيري النوع : (الخبرة التدريسية - التخصص العلمي).

ومن حيث عينات الدراسة : ففي دراسة الجمالي وحسن (2003) و الزيودى (2007) والعرايضة (2016) والخراشة (2005) والسرطاوي (1997) القرتوتي والظفيري (2010) ودراسة زياد اللا (2014) كانت مجتمعات الدراسة معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في حين أن دراسة القرتوتي وعبد الفتاح (1998) وخليل الشمالي (2020) شملت مجتمع المعلمين لطلبة العاديين وطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة، أما الدراسة الحالية تألف مجتمع فيها من معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في مراكز التربية الخاصة بمدينة المرج والبالغ عددهم (120) منهم (50) معلماً و (70) معلمة تم اختيار من (47) معلم ويمثلون ما نسبته (40%) من مجتمع الدراسة.

ومن حيث الأدوات المستخدمة : بعض الدراسات استخدمت مقياس ماسلاش للاحتراق النفسي كدراسة الزيودي(2007) ودراسة الخرابشة (2005) دراسة الظفيري والقرتوتي(2010) ودراسة زياد للا(2014) ودراسة القرتوتي وعبدالفتاح (1998) والبعض الآخر استخدم أدوات من تصميه كدراسة خليل (2020) ودراسة العرايضة (2016)، أما الدراسة فقد استخدم الباحثين مقياس الاحتراق النفسي الذي أعده ماسلاش عام 1981 م وتم تصميمه ليقيس ثلاثة أبعاد ويعد هذا المقياس من أكثر المقاييس استخداما على نطاق عالمي في قياس الاحتراق النفسي كما تم تعريبه وتطبيقه في البيئة العربية، ويتكون من (22) فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد.

من حيث النتائج : توصلت الدراسات السابقة إلى نتائج متباينة،منها ما وجد أن معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة تعرضوا لمستوى مرتفع من الاحتراق النفسي كدراسة القرتوتي وعبدالفتاح (1998م) في حين أن دراسة الظفيري والقرتوتي (2010) و ودراسة زياد للا (2014) أظهرتا وجود مستوى منخفض من الاحتراق النفسي بينما دراسة العرايضة (2016) ودراسة الجمالي، حسن (2003) أظهرتا مستوى متوسط من الاحتراق النفسي لدى عينة الدراسة كما أظهرت نتائج الدراسات السابقة عدم وجود فروق دالة إحصائيا تعزى لمتغيري الجنس وسنوات الخبرة كدراسة الجمال، حسن (2003) في حين أن دراسة الخرابشة (2005) وجدت فروقاً في مستوى الاحتراق النفسي لصالح الإناث.

ومن حيث المتغيرات بحثت بعضها في تأثير الجنس والمؤهل العلمي وسنوات الخبرة كدراسة القرتوتي (1998) ودارسة الجمالي، حسن(2003) والبعض بحث تأثير الدورات التدريبية والمستويات الاقتصادية للطلاب كدراسة الظفيري و القرتوتي (2010).

منهج الدراسة :

تم تطبيق المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة لملاءمته لموضوع وأهداف الدراسة ولطبيعة المتغيرات.

مجتمع الدراسة :

تألف مجتمع الدراسة من معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في مراكز التربية الخاصة بمدينة المرج والبالغ عددهم (120) منهم (50) معلماً و (70) معلمة.

عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة من (47) ويمثلون ما نسبته (40 %) من مجتمع الدراسة والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (1) يوضح توزيع أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة

المتغير	العدد	النسبة
النوع	الذكور	22	% 46
	إناث	25	% 54
الخبرة المهنية	خمس سنوات فما فوق	15	% 31
	أكثر من خمس سنوات	32	% 89
التخصص العلمي	تربية خاصة	17	% 36
	تخصص أخر	30	% 64

أداة الدراسة :

لتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحثين مقياس الاحتراق النفسي الذي أعده ماسلاش عام (1981)م وتم تصميمه ليقيس ثلاثة أبعاد ويعد هذا المقياس من أكثر المقاييس استخداماً على نطاق عالمي في قياس الاحتراق النفسي كما تم تعريبه وتطبيقه في البيئة العربية، ويتكون من (22) فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد :

1 - الإجهاد الانفعالي : يتصف هذا البعد بالإرهاق والضعف واستنزاف المصادر الانفعالية لدى المعلم إلي المستوى الذي يعجز به عن العطاء، ويعد هذا البعد العنصر الأساسي للاحتراق النفسي ويظهر علي شكل أعراض جسمية، أو نفسية، أو جمع بينها، وفقراته (20-16-14-13-8-6-3-2-1).

2 - تبلد المشاعر : يتضمن هذا البعد تغيراً سلبياً في الاتجاهات والاستجابات نحو الآخرين، وخصوصاً التلاميذ الذين يتلقون الخدمات التي يقدمها المعلم، وغالباً ما يكون مصحوباً بسرعة الغضب والانفعال، وفقدان التقدير للعمل، وكذلك الاتجاهات الساخرة نحو التلاميذ، وفقراته (22-15-11-10-5).

3 – نقص الشعور بالإنجاز الشخصي : ميل المعلم إلي تقييم انجازاته الشخصية بطريقة سلبية، ويتمثل بمشاعر الاكتئاب، والانسحاب، وقلة الإنتاجية، وعدم القدرة علي التكيف مع الضغوط، والشعور بالفشل، وضعف تقدير الذات، وفقراته(21-19-18-17-12-9-7-4).

طريقة الإجابة :

ويقوم المفحوص بالاستجابة لمدى تكرار الشعور بالاحتراق من خلال تدرج سباعي

- (صفر= أبداً).
- (1 = بضع مرات في السنة).
- (2 = مرة في الشهر أو أقل).
- (3 = بضع مرات في الشهر أو أقل).
- (4 = مرة كل الأسبوع).
- (5 = بضع مرات في الأسبوع).
- (6 = كل يوم تقريباً).

صدق المقياس :

أشارت الدراسات السابقة إلى تمتع المقياس بمستويات عالية من الصدق والثبات، في الدراسة الحالية تم التوصل إلى معاملات ارتباط عالية في الاتساق الداخلي لكل من بعد مع الدرجة الكلية (0،70)، (0،88)، و (0،69) الإجهاد الانفعالي، و تبلد المشاعر، وتدني الشعور بالإنجاز.

ثبات المقياس:

يتمتع المقياس بمعدلات ثبات عالية وفي البيئة العربية، حيث وجد الجمالي وحسن (2003)معاملات ثبات جيدة باستخدام معادلة ألفا لكرونباخ ؛ حيث بلغت(0،84) و(71) و (0،69) و (0،81) لكل من: بعد الإجهاد الانفعالي، وتبلد الشعور، وتدني الشعور بالإنجاز وفي الدراسة الحالية، بلغت معاملات الثبات بطريقة إعادة التطبيق (85 %).

الوسائل الإحصائية :

من أجل معالجة البيانات الإحصائية استخدم الباحثين البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية spss وتم استخدام الإحصائيات التالية :

- معامل الفا كرونباخ.
- معامل ارتباط بيرسون.
- اختبارtالعينة واحدة.
- اختبار tالعينتين مستقلتين .

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها :

الإجابة على السؤال الأول الذي ينص على ما مستوى باحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة تم حساب متوسط

الحسابي لدرجات على مقياس الشعور بالاحتراق النفسي للعينة البحث (47) وحساب المتوسط الفرضي للمقياس استخدام الاختبار t لعينة واحدة لإيجاد دلالة الفروق بين المتوسطين والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (2) يبين نتائج اختبار "ت" بين المتوسط الحسابي لعينة الدراسة والمتوسط الفرضي

متوسط العينة	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	قيمة اختبار t	مستوى الدلالة
93.38	8.51	96	- 2.11	0.5

يتضح من الجدول السابق أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة بين المتوسط الفرضي (96) المتوسط الحسابي للعينة (93.38) عند مستوى دلالة (0.5) لصالح المتوسط الفرضي، وهذا يشير إلى أن مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة لا يرقى إلى مستوى الدلالة مما يعني أن افراد العينة يتمتعون بمستوى منخفض من الاحتراق النفسي تتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة كل من دراسة السرطاوي (1997) ودراسة القريوتي (1998) ودراسة الخرابشة (2005) ودراسة الزيودي (2007) ودراسة الطفري والقرتوتي (2010) ودارسة العرايضة (2016) ودراسة خليل (2020) التي أظهرت نتائجها أن معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة يتمتعون بمستوى معتدل ومنخفض أحيانا من الاحتراق النفسي ، ويعتقد الباحثين أن تفسير ذلك يعود ربما إلى اتجاه المعلم نحو مهنة التعليم الذي يعد المحدد الأساسي لمدى تحملها للمهنة وضغوطها النفسية والجسمية، أو أنهم يتعاملون مع فئات إعاقة بسيطة وغير شديدة وبالتالي انخفاض مستوى للاحتراق النفسي الذي لديهم، ولعلنا هنا نستشهد لما يقال حول أن السر لنجاح المعلم في عمله هو اتجاهاته الإيجابية نحو مهنته، لأن الاتجاهات الايجابية نحو العملية التدريسية هي مفتاح التنبؤ بنموذج الجو الاجتماعي الذي سوف يؤكده المعلم في حجرة الدارسة، وأنها ركيزة معظم النشاطات التربوية.

للإجابة على التساؤل الثاني الذي ينص على هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لمعلمي ذوي الاحتياجات الخاصة تعزى لمتغير النوع قام الباحثين باستخدام اختبار" ت " لعينتين مستقلتين لإيجاد دلالة الفروق بين المتوسطات لمستوى الاحتراق النفسي لمعلمي ذوي الاحتياجات الخاصة تبعاً لمتغير النوع والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (3) يبين المتوسطات الحسابية الانحرافات المعيارية وقيمة اختبار"ت" لعينتين مستقلتين تبعاً لمتغير النوع (ذكر- أنثى)

متغير النوع	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى الدلالة
ذكور	25	95	12.2	672	0.5
إناث	22	91.5	19.74		

يتضح من الجدول السابق أن الوسط الحسابي للذكور بلغ (95) بانحراف معياري (12.2) والمتوسط الحسابي للإناث بلغ (91.5) بانحراف معياري (19.74) ؛ مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى أفراد العينة وفقاً لمتغير النوع لصالح الذكور، واتفقت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة الزيودي (2007) التي أظهرت نتائجها وجود فروق في مستوى الاحتراق النفسي لصالح الذكور، واختلفت الدراسة الحالية مع نتائج دراسة الخرابشة (2005) التي نتائجها وجود فروق في مستوى الاحتراق النفسي لصالح الإناث.

يعزى الباحثين ذلك إلى أن طبيعة الضغوط والالتزامات المترتبة على المعلمين الذكور هي أكثر من تلك المترتبة على المعلمات، حيث تقع على كاهل الذكور مسئولية أكبر والتزامات أسرية واجتماعية عليه القيام بها، كما أن المعلم يتعرض لبعض الصعوبات مثل تدني المستوى الاقتصادي وتدني العاد المادي وعدم وجود حوافز وامتيازات بمقارنة بحجم الجهد والمعاناة التي يتعرض لها الأمر الذي يشعر معه المعلم بالاحتراق النفسي.

للإجابة على السؤال الثالث الذي ينص على هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لمعلمي ذوي الاحتياجات الخاصة تعزي لمتغير الخبرة التدريسية قام الباحثين باستخدام اختبار "ت" لعينتين مستقلتين وذلك لإيجاد دلالة الفروق في المتوسطات والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (4) يبين المتوسطات الحسابية الانحرافات المعيارية وقيمة اختبار"ت" لعينتين مستقلتين تبعاً لمتغير الخبرة التدريسية (1 – 5 سنوات) و (أكثر من 5 سنوات)

متغير الخبرة التدريسية	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى الدلالة
1 – 5 سنوات	23	92.90	20.82	1.87	غير دال
أكثر من 5 سنوات	24	93.83	10.38		

يتضح من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي لمتغير الخبرة التدريسية (1-5 سنوات) قد بلغ (92.90) بانحراف معياري (20.82) والمتوسط الحسابي

لمتغير الخبرة التدريسية (أكثر من 5 سنوات) قد بلغ(93.83) بانحراف معياري (10.38) مما يشير إلى عدم وجود فروق دال إحصائية بين أفراد العينة وفق لمتغير الخبرة التدريسية، واتفقت الدراسة مع دراسة القرتوتي والظفيري (2010) ودراسة العرايضة (2016) التي أظهرت عدم وجود فروق في مستوى الاحتراق النفسي تعزى لمتغير الخبرة التدريسية، واختلفت نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة القرتوتي (1998) دراسة الزيودي (2007) ودراسة زياد (2014) اللواتي التي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة تبعا لمتغير الخبرة التدريسية لصالح سنوات الخبرة أقل من (5 سنوات)، ودراسة الخرابشة (2005) التي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة تبعا لمتغير الخبرة التدريسية لصالح سنوات الخبرة أكثر من (5 سنوات)، يعزي الباحثين ذلك إلى أن المعلمين الذين يقومون بالتدريس في مجال التربية الخاصة هم عادةً معلمون عاديون قضوا سنوات في تدريس الطلبة العاديين وعندهم خبرة تدريسية في مجال تدريس التلاميذ واكتسبوا خبرة في مجال التدريس بالتالي قد تسهم هذه الخبرة الطويلة في المساعدة في التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة.

للإجابة على السؤال الرابع الذي ينص على هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة تعزى لمتغير تخصص المعلم قام الباحثين باستخدام اختبار "ت" لعنيتين مستقلتين وذلك لإيجاد دلالة الفروق في المتوسطات والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (5) يبين المتوسطات الحسابية الانحرافات المعيارية وقيمة اختبار"ت" لعينتين مستقلتين تعبأ لمتغير التخصص العلمي(تخصص تربية خاصة – آخر)

متغير التخصص	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t	مستوى الدلالة
تخصص تربية خاصة	25	95	12.2	.672	0.5
تخصص آخر	22	91.6	19.73		

يتضح من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي لمتغير التخصص العلمي (التربية الخاصة) بلغ (95) بانحراف معياري (12.2) والمتوسط الحسابي لمتغير التخصص العلمي (تخصص آخر) بلغ (91.6) بانحراف معياري (19.73) مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.5) في متغير التخصص العلمي لصالح تخصص التربية الخاصة يفسر الباحثين بأن التخصص غير التربية خاصة من شأنه أن يحسن قدرات المعلمين التعليمية ويطور مهاراتهم

داخل الصف دون أن يكون لذلك أثر في مستويات الاحتراق النفسي لديهم، كما أن ظروف العمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة غير متشابهة فهناك من يعمل مع الطلاب أنفسهم وهنالك المعلم المكلف بتقديم الخدمات الإرشادية والتواصل مع الآسر وبناء خطة تربوية تعليمية لكل طالب.

التوصيات :

1. تدريب المعلمين العاملين مع ذوي الاحتياجات الخاصة على كيفية التعامل مع ضغوط العمل.
2. الاهتمام بإعداد معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة بمختلف تخصصاتهم.
3. العمل على تحسين أوضاع المعلمين المهنية والاجتماعية والاقتصادية وتحسين ظروف العمل حتى يستطيع القيام بدوره على أكمل وجه.
4. القيام بدراسة حول دور المسئولين وأولياء الأمور في مساعدة معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في التغلب على الاحتراق النفسي.

المراجع

1 - إبراهيم القرتوتي،،(2008)،" الاحتراق النفسي لدى عينة من معلمي الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة"، مجلة كلية التربية الأمارات العربية المتحدة، مجلد (2)،العدد (23).

2 - إبراهيم القريوتي سعيد الظفيري،(2010)،" الاحتراق النفسي لدى معلمات صعوبات التعلم في سلطنة عمان"، المجلة الأردنية في العلوم التربوية مجلد(6)، العدد (3).

3 - ابراهيم القريوتي، وفيصل عبد الفتاح (1998)،" الاحتراق النفسي لدى عينة من معلمي التلاميذ العاديين وذوي الاحتياجات الخاصة بالإمارات"، مجلة كلية التربية، جامعة الإمارات العربية المتحدة،(13)،ع(15).

4 - أسامة بطاينة، والمعتصم بالله الجوارنة، (2004)، "مستويات الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة ومعلماتها في محافظة أربد وعلاقتها ببعض المتغيرات" ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، ع(2).

5 - الظاهر، وقحطان،(2004)، "صعوبات التعلم "،دار وائل، عمان.

6 - بطرس بطرس،(2009)، "تدريس الأطفال ذوي صعوبات التعلم "،دار المسيرة، عمان.

7 - رنا حامد، (1999)،"الاحتراق النفسي لدى معلمي الطلبة المعاقين عقليا في اليمن"، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الارنية، عمان.

8 - زيد محمد البتال،(2000)، "الاحتراق النفسي لدى معلم التربية الخاصة"، مكتبة الملك فهد، الرياض.

9 - زياد اللا، وآخرون،(2014)،" الاحتراق النفسي لدى معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة في منطقة القصيم في ضوء بعض المتغيرات"، المجلة الدولية التربوية المتخصصة كلية التربية، جامعة القصيم، مج(3)،ع(8).

10 - زيدان السرطاوي،(1997)، " الاحتراق النفسي مصادره لدى معلمي التربية الخاصة"، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، مج (21)،ع(1).

11 - سفيان الربدي، (2013)، "مستويات الاحتراق النفسي لدى المرشدين والمرشدات القصيم في ضوء بعض المتغيرات"، مجلة العلوم الإدارية والإنسانية في جامعة المجمعة، المجلد(3)،ع(3).

12 - عماد صالح العرايضة،(2015)،" مستوى الاحتراق النفسي لمعلمي التربية الخاصة"،مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة القصيم، مج (2)،ع(1).

13 - عمر الخرابشة، وأحمد عربيات،(2005)، "الاحتراق النفسي لدى العاملين مع الطلبة وذوي صعوبات التعلم وغرف المصادر"، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مج(17)،ع (2).

14 - فارس خليل، وصباح الشمالي،(2020)،" مستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة مقارنة بالمعلمين العاملين في المدارس النظامية في محافظة إربد وعلاقته ببعض المتغيرات" المجلة التربوية-جامعة الكويت، مج (34)، ع (135).

15 - فوزية حسن الجمالي،(2003)،"مستويات الاحتراق النفسي لدي معلمي ذوى الاحتياجات الخاصة"، دراسات عربية في علم نفس، مج(2)،ع(1).

16 - محمد حمزة الزيودي،(2007)، "مصادر الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة وعلاقتها ببعض المتغيرات"، مجلة جامعة دمشق،مج(18)،ع(6).
17 - نسرين عبد الاله،(2019)،" معوقات استخدام تقنيات التعليم في تنمية المهارات المختلفة لدى الأطفال ذوي اضطراب التوحد من وجهة نظر معلمي التربية الخاصة في المملكة العربية السعودية" مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة المدينة العلمية، مج(3)ع(13)
18 - هند حرتاوي،(1991)، "مستويات الاحتراق النفسي لدى المرشدين التربويين في المدارس الحكومية في الأردن"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، أربد.
19 - يار كندي، هانم حامد،(1993)،"مستوى ضغط المعلم وعلاقته بالطمأنينة النفسية وبعض المتغيرات الديموغرافية"، المجلة المصرية للدراسات النفسية، مج(4)،ع(24).
20 - يوسف ذياب عواد، (2010)، "الاحتراق النفسي لمعلمي المدارس الأساسية الحكومية الناتج عن دمج الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في الصفوف العادية"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، مج (24)،ع(9).

تجليات البناء القصصي عند أحمد يوسف عقيلة
"دراسة نقدية تحليلية"

إعداد :
د. عماد خالد عبد النبي
أستاذ مساعد في النقد الأدبي الحديث
بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار.

الاستلام : 20/ 8/ 2022 القبول : 28/ 9/ 2022

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة النقدية أعمال الكاتب أحمد يوسف عقيلة القصصية، محاولةً تسليط الضوء على بعض الظواهر الأسلوبية، مثل أنماط السرد وصيغه التي جاءت وفق ثلاثة أنماط (المتسلسل، المتقطع، التناوبي) كما تناولت هذه الدراسة جماليات بعض تقنيات السرد لدى الكاتب، منها: الحدث القصصي، والزمن السردي، والفضاء المكاني. هذا على مستوى تحليل الخطاب القصصي.

أما على مستوى التفاعل النصي فقد تناولت الدراسة التناص القرآني باعتباره من أكثر أنواع التفاعل النصي حضورًا وتوظيفًا في أعمال الكاتب القصصية، وقد انتهت هذه الدراسة إلى خاتمة لُخصت فيها بعض النتائج والتوصيات.

كلمات مفتاحية: القصة- الحدث- المكان- الزمن- التناص.

Abstract

This study deals with the fictional works of the writer Ahmed Youssef Aqeela, in an attempt to shed tge light on some stylistic phenomena, such as narration patterns and formulas that came according to three styles (sequential, intermittent, alternating). , narrative time, and spatial space. This is at the level of narrative discourse analysis. As for the level of textual interaction, the study dealt with the Qur'anic intertextuality as one of the most present and employed types of textual interaction in the writer's fictional works.

The writer's uniqueness in writing the story without other literary genres gave him a creative ability that distinguished him from other writers in style and construction, and the writer employed his capabilities to weave his texts tightly. Despite the clarity of the writer's style, and his distance from verbal and moral complexity; However, it contains a lot of expressive energies, symbolic signs, and a bit of a philosophical dimension. Through his stories, the writer has been able to express his environment to which he belongs in all its moments and details, and he has employed its vocabulary, phrases and colloquial methods, such as proverbs, popular literature, and aphorisms. The writer's texts are distinguished by their openness, and their connection through the intertextuality mechanism with the major textual structure in all its contexts, especially the Qur'anic text.

The researcher recommends in the field of narrative studies to study the levels of textual cohesion in the writer's texts in all their contexts: religious, historical, and mythical.

Key words: the story- the event- the place- time- intertextuality.

المقدمة :

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم مقاربة نقدية لأعمال القاص أحمد يوسف عقيلة، الذي تفرَّد بكتابة القصة دون الرواية، وهو أمر نادر بين الكتّاب الذين تكون أعمالهم في الأغلب قسمةً بين الجنسين الأدبيين، وهذا في اعتقادي هو السبب الرئيس وراء تمكنه من فن القصة، وإجادتها، ورسوخ قلمه فيها، وامتلاك زمامها، ومما يميز الكاتب -أيضًا- اهتمامه بإعادة تدوين التراث، والوقوف على أدق تفاصيل بيئته البدوية، ووصف مكوناتها بكل براعة وإبداع، واستدعاء ذاكرتها التراثية، واستنطاق دوابها العجماوات، وأشيائها الجامدات (التكلم على ألسنتها) وإعادة بناء تلك العوالم والفضاءات في نصوص قصصية ماتعة، بأسلوب شائق، ولغة راقية، سهلة، منسابة يفهمها الجميع، دون تقعير أو تعقيد، بعيدًا عن المفردات المعجمية المهجورة.

عندما تطالع نصوص أحمد يوسف عقيلة القصصية لا بد أن يلفت نظرك مساران فنيان يهيمنان على سرده، هما:

مسار البناء الفني: والمتمثل في مكونات الخطاب السردي من زمان، ومكان وشخصيات، والمتمثل أيضًا في الجانب اللغوي أو الأسلوبي، وهو الإطار البنيوي الذي يحوي المضمون القصصي.

مسار التفاعل النصي: المتمثل في مساحات التعالق بين نصوص الكاتب القصصية من جهة، والبنية النصية الكبرى من جهة أخرى، والمقصود بالبنية النصية الكبرى هي الموروث النصي السابق في شتى مجالاته: سواءً أكانت النصوص المتعَالَق معها دينية، أم تاريخية، أم أسطورية، أم تراثًا شعبيًا.

إن أية دراسة نقدية تروم تحليل نصوص أحمد يوسف عقيلة القصصية لا بد لها – في نظري- من أن تنطلق من هذين المسارين، باعتبارهما قد شملا الإطار البنيوي، و المحتوى المضموني على حد سواء، فقد وظَّف الكاتب في قصصه إمكاناته الفنية والأسلوبية، واللغوية؛ لتشييد الأطر البنيوية لقصصه، ومن جانب آخر وظف كل ما يملك من دراية، ومعرفة بالمكون التاريخي، والتراثي الليبي، وما يشتمل عليه فضاء الريف من إنسان، وحيوان، وأشياء.

إن أهمية هذه الدراسة تكمن في الكشف عن هذا التوظيف وبراعته، وقبل ذلك بيان أدواته الفنية، وأساليبه اللغوية، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية أتخذ الباحث المنهج التحليلي باعتباره أنسب المناهج البحثية للدراسات النقدية القائمة على تشريح النص بنيةً، ومضمونًا، كما استأنس الباحث في دراسته هذه بمنهجين نقديين يراهما الأنسب لدراسة النصوص السردية عمومًا والقصصية خصوصًا، وهما المنهج الأسلوبي، والمنهج البنيوي.

إن هذين المسارين هما المدخل الرئيس لقراءة نصوص الكاتب، والوقوف على جمالياتها، وتحليل بنيتها، وتفسير رموزها.

لقد استطاع الكاتب عبر نصوصه جرَّ متلقيه بدهاءٍ محمود إلى هذه

الفضاءات من خلال توظيف مجموعة من التقنيات الكتابية، ابتداءً من اختيار عناوين قصصه (العتبات النصية) التي تمهد ذهن المتلقي للولوج إلى عوالم النص، وتمنحه الانطباع الأول عن مضمونه، والثيمة أو الموضوعة المهيمنة عليه، ومرورًا بأسلوب الكاتب ولغته، ومعجمه اللغوي، وتقنياته السردية، وانتهاءً – وهذا الأهم- إلى العوالم، والفضاءات القصصية، والشخوص- بشرًا أو حيوانًا- سردًا، وصفًا، وعرضًا.

انطلاقًا مما سبق، وتحقيقًا للغاية التي من أجلها وضعت هذه الدراسة؛ يرى الباحث تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:

الأول جماليات البناء القصصي: يتناول بعض الأطر البنيوية من أسلوب، وبناء فني، وتقنيات سردية.

الثاني التفاعل النصي: ويتناول مساحة التَّعالق بين نصوص الكاتب القصصية، والبنية النصية الكبرى التي كُتِبت في سياقها المعرفي هذه النصوص، وفي هذا المبحث سنكتفي بتناول أحد مظاهر هذا التفاعل وهو التناص القرآني باعتباره أكثر أشكال التناص حضورًا في أعمال الكاتب

الخاتمة: وتتضمن ما وصل إليه البحث من نتائج، وتوصيات.

الدراسات السابقة:

لقد حظيت نصوص أحمد يوسف عقيلة باهتمام بعض النقاد الذين تناولها في مقارباتهم النقدية، غير أن هذه المقاربات جاءت في صورة مقالات مقتضبة، أو دراسات تناول مكونًا واحد دون بقية المكونات السردية الأخرى على نحو جزئي، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أعمال الكاتب مازالت بحاجة إلى دراسات نقدية معمقة، وموسعة، تليق بأدب الكاتب من نتاج قصصي.

ومن ضمن هذه الدراسات السابقة ما يأتي:

مقال بعنوان: (جدل المكان والذاكرة عند القاص أحمد يوسف عقيلة) نشر في مدونة الكاتب أحمد يوسف عقيلة، المسماة بـ(الخروبة) بتاريخ 2 أكتوبر 2009، بقلم الكاتب سالم العوكلي.

مقال بعنوان: (سلطة الميثولوجيا في الخيول البيض) كتبه وديع العبيدي، ونُشر في موقع ديوان العرب، بتاريخ 23 يونيو 2015.

دراسة بعنوان (تجليات المكان في قصص أحمد يوسف عقيلة) لأسامة عزت شحادة، نُشرت في مجلة كلية التربية بجامعة الأقصى، غزة، فلسطين، العدد الثاني، مارس 2016.

ويجب أن نشير هنا إلى أن هذه الدراسة جاءت مقتضبة في صفحات معدودة،

وكل ما يُذكر فيها من قضايا، ومسائل أدبية هو على سبيل المثال لا الحصر؛ لهذا - بطبيعة الحال- لن تتطرق إلى كل الظواهر الإبداعية في أعمال الكاتب، وستكتفي بذكر بعض الشواهد القصصية، وتحليلها تحليلًا نقديًا، والوقوف على ما اختاره الباحث من مكونات أو أساليب قصصية، التي خلالها يمكن أن نعمم بعض الأحكام النقدية على تجربة أحمد يوسف عقيلة القصصية

المبحث الأول/ جماليات البناء القصصي:

إن بسط الحديث عن لغة القاص أحمد يوسف عقيلة، وأسلوبه القصصي يحتاجان إلى دراسة منفردة، مسهبة، تتناول كل المستويات الأسلوبية بتوسع، غير أنني في هذه الدراسة - ذات الصفحات المعدودة- سأكتفي ببعض الإشارات، والوقوف عند بعض الشواهد من قصصه لبيان تلك الظواهر الأسلوبية التي أصبحت علامةً بارزة في أعماله القصصية، وتحليلها تحليلًا نقديًا؛ للخروج بأحكام يمكن تعميمها على تجربته القصصية كافة.

لقد ملك الكاتب زمام لغته السردية، وشكّل مفرداتها وعباراتها لتتلاءم مع ما يطرحه من مضامين قصصية، فهو باللغة والأسلوب يرسم لوحاته القصصية، ويصور فضاءاتها، وشخوصها بكل دقة وبراعة، فاللغة تستحيل معه من أداة تعبيرٍ يتلقاها المتلقي قراءةً، أو سماعًا، إلى أداة تصوير يتحول السمع فيها إلى بصر، فتراه يصور تصويرًا بارعًا، بلغة منسابة، وبأسلوب سلس فـ"الحكي تجلٍ خطابيّ سواء كان هذا الخطاب يوظف اللغة أو غيرها، يمكن أن يقوم بواسطة اللغة أو الحركة أو الصورة منفردة أو مجتمعة بحسب نوعية الخطاب الحكائي"[1] من خلال توظيف مجموعة من الأساليب الكتابية تميزت كتابات أحمد يوسف عقيلة عن بقية الكُتاب، لدرجة أن المتلقي قد يعرف أن هذه القصة أو تلك لأحمد يوسف عقيلة من خلال أسلوبه، ولغته دون الحاجة إلى مطالعة اسم الكاتب على غلاف المجموعة القصصية، فهناك مجموعة من اللوازم الأسلوبية، والمفردات التي شكلت معجمه اللغوي فغدت علامات فارقة تميزه عن غيره من القصاصين.

من خلال هذا المبحث يسعى الباحث إلى إلقاء بعض الإضاءات النقدية على مكامن الجمال الأسلوبي واللغوي لدى الكاتب من خلال بعض المختارات السردية من قصصه، وسنسلط الضوء على ظاهرة واحدة وهي أنماط السرد، وصيغه.

أنماط السرد وصيغه:

لعل مما يميز أسلوب كاتبنا هو تلك الأنماط والصيغ السردية التي أسس عليها قصصه، فلقد بنى أغلب قصصه وفق ثلاثة أنماط أو صيغ سردية، مرتبطة ارتباطًا بنيويًا مع حركة الزمن السردي، فهو المعيار الذي من خلاله

(1) سعيد يقطين، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 1997، ص46.

تتمايز هذه الأنماط؛ فالزمن يعدّ " شبحًا وهميًا متسلطًا على كل مكونات العمل السردي في سرد الحكاية أو المغامرة؛ فإن الزمن لا بد من أن يتمثل فيه"[2].

أهم أنماط السرد عند الكاتب - إجمالًا- هي على النحو الآتي:

متسلسل، متقطع، متناوب.

السرد المتسلسل:

ويكون بسرد الأحداث على نحو تعاقبي، بحيث يُذكر الحدث الأسبق ثم الذي يليه، وهكذا إلى أن تنتهي الأحداث دون انقطاعٍ استرجاعي، أو قفزٍ استباقي، فيأتي السرد متسلسلًا، سائرًا قدمًا إلى الأمام، وهو أقرب الأنماط السردية للحدث الواقعي، وأقربها – أيضًا – للبناء التقليدي للقصة التي تُستفتح أحداثها بالبداية، ثم تستمر صعودًا إلى العقدة ((plot من ثم تنفرج الأحداث؛ لتصل إلى نهايتها، ويصلح هذا النمط - في الأغلب- لسرد الأحداث التاريخية، والسير الذاتية، واليوميات، ومن أمثلة هذا النمط السردي لدى أحمد يوسف عقيلة هذا المستقطع القصصي من قصة (انبعاث) من مجموعة (الخيول البيض) حيث يصور فيه الكاتب نمو نبات الحنطة، من زراعته إلى حصاده، هو النمط الأنسب لتتبع رحلة النمو وفق سير الزمن الطبيعي:

" تندفع الغيوم .. تحجب الشمس.. تنسكب.. تتغلغل المياه بين خطوط الحرث في شوقٍ إلى دفء الأرض.

يهتزُّ التراب.. يربو.. يتشقق.. تتفتح الحبة في الأحشاء.. تنتأ البراعم.. تبرز.. تنبعث.. طرية.. تستغلظ.. تستوي على سوقها.

تطلع السنابل رؤوسها.. ترتفع.. تتمايل.. تنحني مثقلة.. مثقلة"[3]

إن تعاقب الأفعال المضارعة في هذا المستقطع السردي يدل على نمو الأحداث، وسيرها إلى الأمام، في حركيَّة تضفي حياةً على المشهد القصصي، دون انقطاع استرجاعي أو استباقي، وذلك يتجسد في دلالة العنوان (انبعاث) فمن خلاله تتجلى حركة الأرض، واهتزازها بعد استقبالها لزخات الغيث المنهمر، حيث تأتي هذه الصورة السردية عبر أحداث متتالية، وتسلسلية، متطابقة، وملائمة لسير الزمن واقعيًا، تربطها علاقة سببية، ولا يمكن تقديم أحدها على الآخر، والشواهد على هذا النمط السردي في قصص الكاتب كثيرة؛ لأنها أكثر تناسبًا لوصف الواقع، والبيئة المحيطة اللذين يشكلان الفضاء القصصي المهيمن على قصصه، ومن ذلك النمط السردي – أيضًا – هذا المستقطع السردي من قصة (العقد) من مجموعة (غراب الصباح):

" الغروب يضفي على سكينة المقبرة رهبةً.. تجثو.. تحتوي شاهد قبر الزوج بيديها.. تنهض.. ينفرط عقدها.. تتناثر الحبات في ثنايا العشب الذابل.. تلف

(2) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 240، ص181.

(3) أحمد يوسف عقيلة، الخيول البيض (مجموعة قصصية) الدار الحوار للنشر والتوزيع، ص87.

الخيـط المقطـوع.. تجمـع الحبـات عـلى عجـل.
عنـد السـياج.. تلقـي نظـرة مـن فـوق كتفهـا عـلى شـاهد القـبر المنتصـب في العتمـة.. بـاب المقـبرة الصـدئ يـصرخ وهـو يـدور عـلى مفصلـه.
في سريرهـا الواسـع المـزدوج.. وعـلى ضـوء الشـمعة.. تُحـصي الأرملـة حبـات عقدها المنفـرط.. وتبحـث عن خيـطٍ جديـد".[4]

بالإضافـة إلى دلالـة هـذا المسـتقطع الـسردي عـلى تسلسـلية الأحداث، وسـيرها دون انقطـاع، نـرى توظيفًـا واضحًـا للفواعـل السرديـة لخلـق حالـة مـن المزاوجـة بـين هـذه الفواعـل مـن جهـة، والحالـة الوجدانيـة للشـخصية الرئيسـة في هـذه القصـة مـن جهـة أخـرى، حيـث أسـقط الـراوي حالتهـا الوجدانيـة عـلى هـذه الفواعـل عـلى نحـو إيحائـي، ويُفهـم ذلـك مـن خـلال بنـاء الصـورة القصصيـة، وذلـك باتخـاذ هـذه الفواعـل رمـوزًا لمـا تفكـر فيـه، وتشـعر بـه هـذه الشـخصية دون التصريـح بذلـك، فقـد زاوج بـين مـوت الـزوج وانفـراط العقـد، وزاوج بـين الحـزن العميـق الكامـن في أعمـاق الشـخصية وصراخ بـاب المقـبرة، وزاوج بـين حالـة الفـراغ العاطفـي الـذي تعانيـه الشـخصية بعـد مـوت الـزوج واتسـاع السرير الـذي يعـبر عـن رغبـة مكبوتـة للبحـث عـن شريـك آخـر، وزاوج بـين الإحسـاس بتـصرَّم سـني العمـر الضائعـة، وإحصـاء الأرملـة لحبـات عقدهـا المنفـرط، وعبـارة:" وتبحـث عـن خيـطٍ جديـد" هـي تأكيـد لبحثهـا عـن شريـك جديـد تنظـم مـن خلالـه مـا تبقـى مـن سـنوات عمرهـا المنفـرط.

السرد المتقطع:

وفيـه تفقـد الأحـداث تسلسـلها وتواليهـا، وتُسرد متقطعـة، ويحـدث هـذا التقطيـع عـبر توظيـف بعـض التقنيـات السرديـة، كالحـذف أو الاسـترجاع، أو الاسـتباق، وكذلـك المشـاهد الوصفيـة والحواريـة، وقـد تفقـد الأحـداث في هـذا النمـط مـن الـسرد ترتيبهـا الزمنـي؛ فتُسرد الأحـداث المتأخـرة نسـبيًا في زمـن القصـة، وتُوضـع في صـدارة زمـن الخطـاب، أو العكـس، وهنـا تقـع المفارقـات الزمنيـة بـين زمـن القصـة وزمـن الخطاب، فتُجـبر هـذه المفارقـات عـبر تقنيتـي المفارقـة الزمنيـة (الاسـترجاع والاسـتباق) ومـن ذلـك هـذا المسـتقطع الـسردي مـن قصـة (دروب) مـن مجموعـة (الخيـول البيـض):

" يالطيف.. رأسه جمرة!
هـذا مـا قالتـه جدتـي بعـد أن تحسسـت جبهتـي (...) وضعـوا أيديهـم جميعًـا – بـلا اسـتثناء – عـلى رأسي حتـى إننـي شـعرت بالحـرارة فعـلًا.
جـدي وجدتـي همـا أبـرز شـخصين في عائلتنـا.. الجـد مـن مواليـد القـرن المـاضي..

(4) أحمد يوسف عقيلة، غراب الصباح (مجموعة قصصية) ، دار الحوار للنشر والتوزيع، ص 6.

يقترب من المائة.. أو ربما تجاوزها.

.. على أية حال هو قرن من الزمن يأكل الطعام ويمشي في الأسواق! وهو سجل تاريخي لا يستهان به.. إلا إن في الأعوام الأخيرة أخذ ينسى بعض الأشياء..."[5]

نرى الراوي هنا يترك حاضر السرد، ويقطع تسلسله؛ ليذهب في مسارٍ استرجاعي عن الجد، وذلك العمر الطويل الذي عاشه، ويستمر هذا الاسترجاع لصفحات عديدة من خلالها يتطرق الراوي إلى معرفة الجد بالموروث الشعبي، وسيرة بني هلال، ومعرفته بتاريخ الجهاد ضد الطليان، كما يسترجع الراوي شيئًا من حياة الجدة، وعاداتها كنشاطها زمن شبابها، وحبها للحُلي... وكل هذه المساحة الاسترجاعية كانت فسحة شاسعة فصلت بين أجزاء حاضر السرد، وقطعت تواليه، وتسلسله، وترك الراوي حكاية الطفل المريض (حاضر السرد) إلى مساحات من ماضي الجد والجدة، وكان محفز هذا الاسترجاع هو التدليل على خبرة الجدة في شؤون الحياة، ومعرفة أنواع الأمراض وتشخيصها بدقة " مادامت الجدة قالت ذلك فالأمر صحيح"[6]

السرد التناوبي:

نجد هذا النمط من السرد عادةً في الروايات أو القصص التي تحوي مسارات سردية متوازية، أي حكايات تسرد تناوبيًا في الوقت نفسه، بحيث يسرد الراوي جزءًا من إحدى الحكايات، ثم يتركها منتقلًا إلى الأخرى، ويبدأ من حيث انتهى، أو ينتقل إلى حكاية ثالثة -إن وجدت- فـ" نسق التناوب – على اختلاف تعدد الأنساق – الذي يجمع قولين أو حكايتين أو حتى ثلاث تتناوب السردَ في إطار حكاية كبرى، وأخرى صغرى (...) ومن الطبيعي في التناوب أن يبتدئ النص بالقصة الكبرى كونها إطارًا أصليًا، وتأتي الحكاية الصغرى المتناوبة لتعطي دلالة إضافية أو تنويرية تغني الحدث الأصل (...) حيث لم يعد الزمن التعاقبي مغريًا في الإبداع الحكائي"[7]

ومن أمثلة السرد التناوبي عند أحمد يوسف عقيلة قصة (العجين) التي تحوي ثلاثة مسارات سردية، وثلاث شخصيات تتناوب الحدث، ولكن ما يجمع هذه المسارات أنها تقع في إطار زمني واحد، وكل مسار سردي يحوي شخصية تقوم بأحداث متسلسلة غير أن الراوي يتناول سرد هذه المسارات على نحو متناوب، يسرد جزءًا من الحكاية الأولى إلى نقطة ما منها، ثم ينتقل إلى الحكاية الثانية يسرد جزءًا منها، ثم ينتقل إلى الثالثة، ثم ليعود بعدها إلى الأولى ...دواليك إلى أن ينتهي من سرد الحكايات الثلاثة في وقت واحد تقريبًا، ومن ذلك مثلًا المسارات

(5) الخيول البيض، مصدر سابق، ص47.

(6) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(7) سلمان كاصد، تعالقات في البنى السردية والواقع والشخصيات، مقال منشور بموقع الاتحاد أبوظبي، 14-5-2009 (articleamp/ae.alittihad.www)

الثلاث في قصة العجين: (عزيزة/ الجُعل/ العنكبوت) فيبدأ السرد بحكاية عزيزة:
" تصحو صباحًا، وتوقد النار" (المسار الأول).
ثم حكاية الجعل:
" دوران الجعل حول روث البقر، ويبدأ فيصنع كرته" (المسار الثاني).
ثم حكاية العنكبوت:
" في زاوية البراكة العليا ثمة عنكبوت ينسج شبكته" (المسار الثالث).
حيث تنسج أحداث قصة العجين على هذا المنوال بتظافر ثلاث حكايات؛ مشكلة بتظافرها الثلاثي جسد القصة الكلي، ومن خلال حركية السرد في هذه الحكايات يبث الكاتب الحياة في أحداثها، كأننا نشاهد أحداث القصة لا نقرأها مكتوبةً على الورق، فسرد ثلاث حكايات في مشهد واحد يكون نقلًا أكثر واقعية، فكأن الأحداث تقع أمام أبصارنا ونشاهدها كلها متزامنة، وبذلك استطاع الكاتب أن يضع المشاهد كلها في إطار واحد نشاهده في الوقت نفسه، والتكنيك نفسه نشاهده في الكثير من قصص الكاتب، فكأنه يميل إلى هذا النمط من السرد المتناوب أكثر من النمطين الآخرين.

جماليات توظيف تقنيات السرد:
من خلال قراءة أعمال أحمد يوسف عقيلة القصصية نراه يحشد كل قدراته التعبيرية، وإمكاناته الإبداعية لبناء فضاءات تلك القصص، وما تحويه من أحداث وشخوص، وأمكنة، الأمر الذي يأسر المتلقي؛ فنرى هذا الأخير إذا ما بدأ قراءة القصة الأولى من أية مجموعة من مجموعات الكاتب لا يتركها إلا إذا أتم آخر قصة فيها، فقد برع الكاتب في نسج هذه القصص، واستجمع جماليات الكتابة وأساليبها، وتقنياتها، من شخصيات، وأزمنة، وأمكنة، ووسع مدلول حكاياته، ومساحاتها الإحالية عبر التناص، واستدعاء الموروث الشعبي بحكاياته، وشخوصه، وبرع في توظيف الرمز والأسطورة، والإسقاطات الإيحائية، وغيرها، كل ذلك تحقيقًا لجمالية البناء القصصي، وانزياح لغته عن التعبيرات المباشرة، لتصل لغة النص إلى أدبية الأدب.
سنكتفي في هذا الموضع بذكر بعض التقنيات السردية التي عبر تظافرها تتحقق الجمالية القصصية، لتكون شواهد على تجربة الكاتب القصصية:
الحدث القصصي:
يشكل الحدث مدار القصة، ومحورها، وركنها الركين الذي يستوعب الزمان والمكان، وعبره تتجسد الثيمة الأساسية للقصة، فهو من أهم عناصر القصة، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، فالقصة خلاف الرواية التي تقوم على تعددية الأحداث، والأشخاص والأزمنة، والأمكنة، غير أن القصة قائمة في أغلبها على مبدأ الوحدة، وحدة الحدث ومشهديته، فهي لوحة رُسمت بالكلمات والجُمل، لغتها مكثفة، عباراتها مُرمَّزة، ومشحونة بالطاقات التعبيرية، هي جنسٌ نثري غير

أنه يقع على تخوم النثر المطلّة على فضاءات الشعر يكاد أن يقع فيها، أو هو في منزلةٍ بين المنزلتين، فالقصة حتى وإن تكونت من عدة أحداث، إلا أنها تتواشج لتنصهر في مشهدية واحدة لحظة التنوير، وانفراج العقدة بعد سردٍ تصاعدي من البداية إلى ذروة التأزم، فالحدث يعني -ضرورةً- ثمة شخصية قامت به في إطار زمني، وفضاء مكاني مؤطِّرين.

كل ذلك نجده ماثلًا، ومتحققًا ببراعة في كتابات أحمد يوسف عقيلة، فالأحداث عنده قائمة على مبدأ السببية، فوقوع بعضها يجر البعض الآخر، لتنساب متسلسلة، مترابطة، متصاعدة نحو النهاية، ففي قصة (الصقيع) مثلًا نرى حالة من الانسياق التسلسلي للأحداث، ومطابقتها للواقع الموصوف لذلك اليوم البارد الذي يريد الكاتب وصفه في هذه القصة، وتجسيده في ذهن متلقيه، وتماهي الراوي -في الوقت نفسه- مع الأحداث التي يسردها، والأشياء التي يصفها:

" صقيع.. صقيع.. صقيع..

الأبواب موصدة.. والنوافذ.. المعاطف مُزررة إلى الرقاب.. الأيادي في الجيوب.. أو تحت الآباط.. أسلاك الكهرباء تعوي.. الجليد يتكوم أسفل الجدران فيشكل إطارًا أبيض.

... ينفتح باب.. يُحدث صريرًا مكتومًا.. تطل جارتنا.. تنظر ناحيتي.. تغضن وجهها بفعل البرد.."[8]

وهكذا تتلاحق الأحداث والصور في حيوية، وحركية تتجسد عبرهما مشهدية اللوحة القصصية، فالأفعال المضارعة المتلاحقة، والمتناسلة هي التي تمنح هذا المشهد حيويته، ونرى الكاتب في أغلب قصصه يسرد الأحداث بصيغة المضارع، رغم أن هذه القصة لا تسير وفق المنحنى المتصاعد من الأحداث، فلا ذروة/عقدة لأحداثها؛ لأنها تسير سيرًا أفقيًا، كما أن بناء الأحداث فيها قائمٌ على تمازج حركية السرد مع مشهدية الوصف، وبذلك ابتعدت عن البناء التقليدي المعروف للقصة عمومًا، فقد تشكلت القصة من لوحات متجاورة تكوّن في مجموعها مشهدًا بانوراميًا شاملًا، يجسد اليوم الموصوف بكل تفاصيله، وأحداثه العادية، بلغة غير عادية:

اللوحة الأولى: وصف الناس والأشياء في مواجهة الصقيع:

" المعاطف مزررة ... الأيادي في الجيوب... أسلاك الكهرباء تعوي... الجليد يتكوم أسفل الجدران فيشكل إطارً أبيَضَ..."[9]

اللوحة الثانية: رصد حركة الجارة، وردود أفعالها، تجاه الصقيع:

" ينفتح باب.. يحدث صريرًا مكتومًا.. تطل جارتنا.. تنظر ناحيتي .. تُغضن وجهها بفعل البرد.."[10]

من خلال تتبع سير الأحداث، وتمازج السرد فيها بالوصف نجد الكاتب يبني

(8) أحمد يوسف عقيلة، عناكب الزوايا العليا(مجموعة قصصية) الناشر دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ص6.

(9) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

مشاهده، وفضاءاته، فهو يؤطر هذه المشاهد، والفضاءات وفق أسلوب اللوحات القصصية التي عبرها يوظف الراوي أغلب الحواس لرصد هذه المشاهد؛ لهذا نلمس فيها حيوية الحياة، ولا نكاد نميز بينها وبين الواقع المعيش.

الزمن القصصي:

يمثل الزمن عنصرًا أساسيًا من العناصر التي يقوم عليها فن القص، فهو ينظم الأحداث، ويساهم في بنائها، فإذا كان الأدب يعتبر فنًا زمنيًا-إذا صنفنا الفنون إلى زمنية ومكانية- فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقًا بالزمن.[11]

فالزمن وعاء يحوي الأحداث القصصية، سواءً أكانت مرتبة وفق تسلسلية متعاقبة، أم رُويت عبر مفارقات زمنية بين زمن القصة وزمن الخطاب، فلا حدث بدون زمن، وإن كان الزمن في القصة يختلف بنيويًا عن الزمن في الرواية، فهو في القصة أكثر وقوفًا عند اللحظة القصصية، عبر تقنية الوصف باعتبار أن الأحداث في القصة قليلة مقارنة بالرواية، وقد تقتصر القصة على حدثٍ واحدٍ، أو لحظةٍ قصصيةٍ واحدةٍ تُروى بكل دقائقها، وتفاصيلها، فالزمن في القصة -إذن- يسير ببطءٍ ولكنه مستمر، هذا في الأغلب، أما إذا تعددت الأحداث فسيسري على القصة ما يسري على الرواية من توظيف تقنيتي تسريع السرد (الحذف والتلخيص) ليتجاوز المساحات القصصية التي لا قيمة لها بنيويًا.

لا أريد بسط الحديث في هذا الموضع عن كل التقنيات الزمنية، فالمقام لا يتسع، ولكن سأسلط الضوء على أهم تقنية زمنية وظفها الكاتب حتى غدت ريشته التي يرسم بها لوحاته القصصية، وفضاءاته المكانية -في نظري- والتي برع فيها، وأظهرت إمكاناته الأسلوبية، ودرايته بكل تفاصيل واقعه، وهي أكثر مناسبةً لخطِّه السردي القائم على تأطير الواقع وتجسيده، فالحديث سيكون حول توظيف تقنية الوصف التي من خلالها تؤسَّس الأمكنة، وتؤثَّث، وتُرسم ملامح الشخصيات، وهو في الوقت نفسه – أعني الوصف- إبطاءٌ للسرد، أو إيقافٌ له، واستراحة ينتقل فيها السارد من حركية السرد وتعاقبها عبر الزمن ، إلى جمود الوصف وتشبثه بالمكان "أما الاستراحة فتكون في مسار السرد توقفات معينة، يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي عادةً انقطاع السيرورة ويعطل حركتها"[12]

ومن المقاطع الوصفية في قصص أحمد يوسف عقيلة وصفه لإحدى الشخصيات الحاذقة الانتهازية في قصة (غناء الصراصير) تلك الشخصية التي تجيد التقلب والتلون، والمُداهنة، والمناورة، وقد اختار لها اسم (حمد المنجل) وهو اسم يتناسب مع صفات هذه الشخصية البرجماتية الحريصة على حصد المكاسب بكل الوسائل، دون وازعٍ أو رادع:

(11) سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية للكتاب، 2004، ص37.

(12) حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2000، ص76.

" (حمد المنجل) تقلَّب في عدة وظائف حكومية.. بطنًا وظهرًا.. ابتداءً من محاسب صغير قابع في ركن مكتب معتم رطب.. مرورًا بتاجر شنطة بين ليبيا وشرق آسيا .. وانتهاءً بمدير شركةٍ لها فُروعها في كل أنحاء بلادنا الشاسعة.

(يعرف من أين تؤكل الكتف).. ويأكل (ناقة الله وسقياها).. باختصار هو من أولئك القادرين على (أكل الداعي والمدعي).. والأهم من ذلك أن (البقرة السوداء تُدرُّ حليبًا أبيض).. يقال بأنه لم يخرج من رحم أمه بالرأس.. صارخًا كسائر الأطفال.. بل وُلِد برجليه مُتلفتًا مبتسمًا.. مزودًا بالكثير من الخبرات.. وكان يتباهى بأنه (مزقزق في الدحية)".[13]

لقد أوقف الراوي مسار السرد والأحداث المتوالية، ووقف أمام إحدى الشخصيات اللافتة للنظر، ووصفها بكل دقة من ميلادها إلى حاضرها، والملاحظ في هذا المستقطع الوصفي أن الراوي عبّر عن بعض صفات هذه الشخصية بقوالب نصية سائرة مسار الأمثال؛ لتغني عن الكثير من العبارات، وتُجمل الكثير من المعاني، وجاءت هذه العبارات على صورة مُناصات داخلية، تعالق عبرها نصُ هذه القصة مع نصوص سابقة، منها ما هو آية قرآنية، أو أمثلة شعبية تعكس ارتباط الكاتب ببيئته البدوية، وتأثره بها.

لقد جاء هذا الوصف توطئةً لهذه القصة؛ لرسم صورة ذهنية في مخيلة المتلقي عن هذه الشخصية؛ ليكون ذلك مبررًا لتقبّل ما ستقوم به هذه الشخصية من أفعال وفق هذا الجذر الماضوي لها، ويستوعب المتلقي هذه الأفعال؛ لأنها تتناسب مع سمات هذه الشخصية فـ" الوصف لا يأتي بلا مبرر، بل إن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية، وله أثرٌ مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث، وهكذا تلتحم كل العناصر المكونة للنص، وتكتمل الوحدة العضوية للعمل، وتصبح الأجزاء المختلفة مرايا تعكس بعضها بعضًا لتقديم الصورة المجسمة".[14]

الفضاء المكاني

يمثل الفضاء الروائي عنصرًا بنيويًا له أهميته وأبعاده الدلالية، ولا يمكن تصور عمل سردي دون فضاء مكاني، بل لا يمكن ان يقع حدثٌ ما سواءً كان واقعيًا أم متخيلًا دون فضاء يحتويه، ووجود المكان يستدعي -ضرورةً- حضور الزمن، فكلاهما وعاءان لا يقع أي حدث خارجهما. إن أغلب الأعمال السردية تبدأ بتأطير المكان قبل الأشخاص والأحداث؛ لأن المكان يمثل خشبة المسرح التي ستقع عليها الأحداث، وتتحرك في فضائها الشخصيات.

والجدير بالذكر أن الفضاء الأساسي عند أحمد يوسف عقيلة هو فضاء القرية التي عاش فيها جل حياته، ولم يغادرها إلا ليعود إليها، فهو لم يعانِ ثنائية الواقع والمتخيل، ولم يعش حالة الاغتراب المكاني، فالمكان الذي يحاكيه

(13) أحمد يوسف عقيلة، غناء الصراصير(مجموعة قصصية) دار البيان، بنغازي، 2003، ص60.

(14) سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، مرجع سابق، ص82.

في نصوصه القصصية هو ذلك المكان الذي يحيا تفاصيله كل يوم واقعًا معيشًا، فحكاياته وأشخاصه مستمدة بكل مكوناتها من فضاء قريته، وقد حظي المكان في أعماله القصصية باهتمام بالغ، ووقع موقع الصدارة، فاهتمامه بالمكان وتصويره يفوق اهتمامه بأي مكون من المكونات السردية الأخرى، فنرى الكاتب أكثر تشبثًا بالمكان، وأكثر تصويرًا له.

وإذا نظرنا إلى الفضاء المكاني في قصص الكاتب عبر الرؤية التقاطبية المعهودة في الدراسات النقدية حول المكان؛ فإننا نجده يقع بين ثنائية المكان المفتوح والمكان المغلق، وإن كان الأول أكثر هيمنةً على سرده، ففضاء القرية المفتوح بأوديته، وسهوله، وجباله، وغاباته هو الفضاء الرئيس، والأمكنة المغلقة تُذكر ضمن هذا الفضاء الكلي، ومن هذه الأماكن المغلقة مثلًا كوخ الصفيح (البراكة) والكهف (الحقفة) والبيوت وغيرها من أماكن السكنة.

ومن المقاطع الوصفية التي تصور الفضاء المكاني هذا المقطع الذي يرسم فيه الراوي تفاصيل الريف بأوديته وجباله وأشجاره وقت انهمار المطر:

"أحد الأماسي الأربعينية الباردة كانت تمطر بلا صوت.. في الحنايا والسفوح تُسمع شهقات الأرض الخافتة حيث الأودية تصبُّ في أودية. وفي الأفق الشرقي ترتسم (الندوة) قوسًا زاهيًا يتلاشى أسفله خلف ذوائب الأشجار..."[15]

المبحث الثاني/ التفاعل النصي في قصص أحمد يوسف عقيلة:

إن ما يميز السرد عمومًا هو قدرته على استيعاب النصوص الأخرى، والتفاعل معها، وتوظيفها في نسيجه، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه إلى توظيف كل ما يتعلق بالموروث الإنساني، من تاريخ، ونصوص دينية، وأسطورة، مما يجعل النص السردي نصًا غنيًا، ومنفتحًا، وأكثر اتساعًا على مستوى التأويل.[16]

فالنص القصصي -إذن- هو فضاء نصي مفتوح عبر تعالقه مع ما سبقه أو عاصره من نصوص بمختلف مضامينها، إن هذا الفضاء النصي أو البنية النصية الكبرى المحيطة بالنص وقت كتابته سيتسرب الكثير منها عبر ذهن الكاتب إلى نصه، وتصبح جزءًا منه، بل وتؤثر في أبعاده الدلالية " فإذا كان النص بنية دلالية تنتجها ذاتٌ ضمن بنية نصية منتجة، فإن هذه البنية النصية المُنتجة سابقةٌ على النص الذي أُدخلت في بنائه، سواءً كان هذا السبق بعيدًا أم قريبًا، أو حتى معاصرًا"[17]

إذا كانت جمالية القصة مرتبطة على نحو ما بهذا الانفتاح النصي، والتداخل بين متنها ونصوص ذات أزمنة وأبعاد مختلفة، فيجب على المتلقي في المقابل أن

(15) الخيول البيض، مصدر سابق، ص27.

(16) عماد خالد ماضي، التفاعل النصي في الرواية العربية المعاصرة، دار الدار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016، ص13.

(17) سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط3، 2006، ص92.

يملك من الثقافة، والمعرفة ما يؤهله إلى فك شفرات النص، وإعادة إنتاجه، واستيعاب مراميه، والوقوف على دلالاته المتنوعة عبر عملية القراءة الواعية والمدركة للأبعاد الكامنة في نسيجه، وعلى الكاتب – بالمقابل- أن يوسع مداركه الثقافية؛ لينتج نصًا يتناسب ومكانة هذا الجنس الأدبي من جهة، ويرضي ما لدى المتلقي من شغف إلى النصوص القصصية ذات الغنى الدلالي، والرمزي، المليئة بالأبعاد التاريخية، والتراثية، والأسطورية من جهة أخرى.

فالتفاعل النصي "إذن هو وسيلة لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونها، وإذ يكون هناك مرسِلٌ بغير متلقٍ، متصلٍ، مستوعبٍ، مدركٍ لمراميه. وعلى هذا فإن وجود ميثاقٍ وقسطًا مشتركًا بينهما من التقاليد الأدبية، والمعاني ضرورة لنجاح العملية التواصلية".[18]

ولبيان ماهية مصطلح التفاعل النصي نورد تعريفين لناقدين يعدَّان الأكثر اهتمامًا بهذا المصطلح، وهما:

الناقدة (جوليا كريستيفا) التي تسمي هذا المصطلح في الكثير من الأحيان بـ(الإنتاجية) انطلاقًا من انتمائها الماركسي، وتعرفه بأنه " ترحال النصوص، وتداخلٌ نصيٌ، ففي فضاء نصٍ معينٍ تتقاطع، وتتنافى ملفوظاتٌ عديدةٌ مقتطعةٌ من نصوصٍ أخرى"[19]

الناقد الثاني هو (جيرار جينيت) الذي يسمي المصطلح نفسه بـ(التعالي النصي) وهو في نظره معرفة كل ما يجعل النص في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص.[20]

وهو إجمالًا عند جيرالد برنس يعني " العلاقة القائمة بين نصٍ ما والنصوص التي يتضمنها أو يعيد كتابتها أو يستوعبها أو يبسطها، أو بعامةٍ يحولها، والتي وفقًا لها يصبح مفهومًا.[21]

لكي لا نستغرق الحديث حول مفهوم المصطلح وأبعاده النظرية التي ليست من شواغل هذه الدراسة، سننتقل إلى البحث في تجليات نوعٍ مهم من أنواع التفاعل النصي في قصص أحمد يوسف عقيلة، وهو التناص القرآني، باعتباره أكثر أنواع التناص حضورًا وتمثّلًا في أعمال الكاتب القصصية إذا ما قُورن بغيره من أنواع التناص الأخرى، وهذا لا يعني – بطبيعة الحال – أن أعمال الكاتب لم تتعالق مع بقية تلك الأنواع، ففي أعماله القصصية تداخلت شتى المتفاعلات نصية، كالمتفاعلات التاريخية، والأدبية، والتراثية الشعبية.

التناص القرآني:

(18) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط3، 1992، ص135-134.

(19) جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد زاهي، دار تبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص21.

(20) جيرار جينيت، مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمن أيوبأ دار الشؤون الثقافية، بغداد، بدون تاريخ نشر، ص90.

(21) جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة عابد خزندار، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص117.

يمكن تعريف هذا النوع من التناص على أنه توظيف للنص القرآني في النصوص الأدبية؛ لتحقيق غاية دلالية، جمالية، فغاية التناص توسيع دلالة النص الأدبي، ومنحه مسارات تأويلة أرحب، فالنص القرآني يأتي محملًا بالكثير من المضامين الدلالية التي من شأنها أن تضاف إلى النص اللاحق بعد هذا التعالق النصي، ومن شواهد هذا النوع من التناص في أعمال الكاتب ما ورد في قصة (الطوفان) من مجموعته (غناء الصراصير):

" من أعلى الوادي يجيء الطوفان.. هادرًا.. جارفًا.. يكتسح كل شيء

. كل من في الوادي أراد أن ينجو بنفسه.. أن يأوي إلى جبل يعصمه من الماء"[22]

في هذا المستقطع تناص جلي مع الآية الكريمة 43 من سورة هود، وقد وردت هذه الآية في سياقها الأصلي وفق دلالة مختلفة عن السياق الجديد الذي وُظِّفت فيه، فكان هذا الخطاب القرآني على لسان ابن نوع عليه السلام في محاججةٍ لأبيه الذي طلب منه الركوب في سفينته لكي ينجو، فرد عليه بأنه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء، وقد جاء التناص في هذا النص القصصي بالمعنى نفسه، ولكن في سياق جديد، غايته وصف السيول الهادرة التي تجتاح كل شيء في ذلك الوادي إلا من سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء، وتوجيه ذهن المتلقي إلى مساحة من التماهي والتعالق بين النص القرآني الذي يتحدث عن الطوفان زمن نوح عليه السلام، وقصة السيول التي تعم الوادي، وفي هذا السياق، وتحقيقًا لهذا التماهي وظف الكاتب عتبة نصية أو عنوانًا فرعيًا لتوجيه ذهن المتلقي إلى هذه الوجهة الدلالية ابتداءً، فقد عنون هذه القصة بـ(الطوفان) وبذلك قد توافقت العتبة النصية مع المتن القصصي لأداء بعد دلالي واحد، هذا التظافر بين العنوان والمتن القصصي هو الخيط الرفيع المتين الذي يمثل الوحدة الموضوعية في أي عمل سردي، وإلا سيصبح العمل مفككًا، لا يرتبط فيه العنوان بعمقه الحكائي.

ومن التناص القرآني كذلك ما أورده الكاتب في قصة (سارق التبن) من مجموعة (عناكب الزوايا العليا) مبينًا في سياق سردي أحوال بعض الناس الذين يرتدون أثواب الإيمان في شهر رمضان فقط؛ زيفًا ورياءً، بعدما كانوا قبل رمضان بيوم على حال من الفسق والتفلت تخالف الحال التي أصبحوا عليها، وقد جاء هذا التناص في إطار اللمز وبيان المثالب، وهذا توظيف يتضاد مع دلالة الآية في سياقها القرآني الذي أخذت منه، فقد جاءت في سياقها الأول لإفادة المدح والثناء:

"أهل رمضان.. الذين لم يكونوا في عداد المؤمنين بالأمس اصبحوا مؤمنين في أول يوم.. وازداد ضعاف الإيمان إيمانًا (...) يتحلّقون حول الموائد العامرة.. يأكلون قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم!.."[23]

ومن هذه التناصات القرآنية أيضًا ما أورده الكاتب في مجموعته (الخيول

(22) غناء الصراصير، مصدر سابق ص122.

(23) عناكب الزوايا العليا، مصدر سابق، ص 53.

البيـض) في سـياق الحديـث عـن الجـد المعمـر الـذي قـارب عمـره القـرن:
" على كل حال هو قرنٌ من الزمن يأكل الطعام ويمشي في الأسواق..."[24]

وهنـا التنـاص القرآنـي – كذلـك- واضـح جـدًا، ولا يحتـاج إلى كبـير جهـد لإدراك الآيـة الكريمـة المتعالـق معهـا، فأغلـب كلمـات الآيـة موجـودة في هـذا المسـتقطع، ولـم تفقـد شـيئًا مـن مبناهـا أو معناهـا، وهـي الآيـة 7 مـن سـورة الفرقـان:
" وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق..."[25]

عـلى الرغـم مـن التوافـق بـين الآيـة الكريمـة والمسـتقطع القصـصي عـلى مسـتوى المعنـى، إلا أنهمـا يختلفـان عـلى مسـتوى السـياق والتوظيـف، فقـد جـاء هـذا التنـاص القرآنـي ضمـن السـياق القصـصي الجديـد الـذي وُضـع فيـه، للإشـارة إلى الحيـاة الطبيعيـة التـي يحياهـا الجـد، وأنـه يقـوم بمـا يقـوم بـه أي إنسـان مـن أكل، وشرب، وتجـول في الأسـواق عـلى الرغـم مـن أنـه قـد بلـغ مـن العمـر عتيًـا، أمـا الآيـة الكريمـة في سـياقها القرآنـي قـد جـاءت للدلالـة عـلى الاسـتغراب والاسـتهجان الواضـح الـذي سـاقه الكفـار تجـاه الحيـاة الطبيعيـة التـي يعيشـها الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم، فهـو لا ينبغـي لـه ذلـك مـن وجهـة نظرهـم، ويجـب أن يحيـط نفسـه بهالـة مـن القداسـة، والرهبانيـة، وأتـت هـذه الآيـة لدحـض مزاعمهـم الباطلـة هـذه.

إن الشـواهد عـلى التنـاص القرآنـي في أعمـال الكاتـب أحمـد يوسـف عقيلـة كثـيرة، ومـا ذُكـر هنـا جـاء عـلى سـبيل المثـال لا الحـصر، وقـد تُفـرد لـه دراسـة نقديـة مسـتقلة عـلى حـدة، تتنـاول كل تجليـات التنـاص القرآنـي عـلى نحـو أكثـر إسـهابًا.

تجـدر الإشـارة إلى أن توظيـف الكاتـب للتنـاص القرآنـي في الكثـير مـن المواضـع مـن قصصـه، واسـتدعاء الآيـات الكريمـة التـي تناسـب تلـك المواضـع، وتتـلاءم مـع دلالتهـا وسـياقها، هـو دليـل عـلى اتسـاع ثقافـة الكاتـب، ومعرفتـه بالنـص القرآنـي وسـياقاته، ومراميـه الدلاليـة، وقـد أضافـت كل هـذه التناصـات القرآنيـة مـا أريـد لهـا أن تضيـف مـن دلالات، وتأويـلات، سـواءً أكانـت دلالات لإثبـات المعنـى وإقـراره، أو لنفيـه والتضـاد معـه، وفي النهايـة أعطـت مسـاحة تأويليـة للنـص اللاحـق الـذي لـم يكـن لينالهـا لـولا هـذا التعالـق النـصي.

(24) الخيول البيض، مصدر سابق، ص47.

(25) سورة الفرقان، الآية 7.

الخاتمة

بعد هذا العرض والتحليل المقتضبين لبعض جماليات البناء القصصي، ومستويات التفاعل النصي، يمكن أن نُجمل بعض النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها هذه الدراسة فيما يأتي:

إن تفرد القاص أحمد يوسف عقيلة بكتابة القصة دون غيرها من الأجناس الأدبية منحه قدرة إبداعية على مستوى الأسلوب، والبناء تميزه في هذا النوع الأدبي عن غيره من الكتاب الذين كتبوا في أكثر من جنس أدبي.

استطاع الكاتب نسج نصوصه القصصية نسجًا محكمًا، ووظف لتحقيق هذه الغاية كل إمكاناته الأسلوبية، وقدراته الفنية، وما يمتلك من دراية في التراث الشعبي.

إن لغة الكاتب رغم وضوحها وبعدها عن التعقيد المعنوي، إلا أنها تحمل الكثير من الطاقات التعبيرية، والإشارات الرمزية، ولكن - في الوقت نفسه- تعبر عن البيئة التي ينتمي إليها الكاتب، وتستخدم عباراتها، ومفرداتها، وصورها، لهذا نجد الكاتب يلجأ إلى اللهجة العامية في بعض الأحيان.

إن ما يميز نصوص الكاتب القصصية هو انفتاحها على البنية النصية الكبرى التي أنتجت في سياقها هذه النصوص عبر آلية التناص، فقد ضمن الكاتب نصوصه العديد من المتفاعلات النصية بشتى سياقاتها، سواءً منها الدينية (القرآن الكريم) أو التاريخية والتراثية، وقد تناولت هذه الدراسة النوع الأول فقط من هذا المتفاعلات النصية؛ لعدم اتساع المقام.

أوصي الباحثين بأن يخصصوا دراسة نقدية تتناول مستويات التفاعل النصي في أعمال الكاتب القصصية؛ فقصصه ثرية بتداخل النصوص وتمازجها مع نسيجها، عبر أشكال التناص المختلفة.

هذا وبالله التوفيق

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا/ المصادر:

القرآن الكريم.

الخيول البيض (مجموعة قصصية) الناشر دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، 1999.

عناكب الزوايا العليا (مجموعة قصصية) الناشر دار الحوار، اللاذقية، سوريا، 2010.

غراب الصباح (مجموعة قصصية) الناشر دار الحوار، اللاذقية، سوريا، 2010.

غناء الصراصير (مجموعة قصصية) الناشر دار البيان للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، 2003.

ثانيًا/ المراجع:

جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فريد زاهي، دار تبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 1997.

جيرار جينيت، مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمن أيوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، بدون تاريخ نشر.

جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة عابد خزندار، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.

حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2000

سعيد يقطين، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط1، 1997.

سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط3، 2006.

سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط4، 2005.

سليمان كاصد، تعالقات في البنى السردية والواقع والشخصيات، مقال منشور بموقع الاتحاد أبوظبي، (www.alittihad.ae/articleamp) 2009-5-14

سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية للكتاب، 2004.

عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (240) ستة 1998.

عماد خالد ماضي، التفاعل النصي في الرواية العربية المعاصرة، دار الدار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.

محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط3، 1992.

الثقافة التنظيمية القوية وعلاقتها بتحسين الأداء
"دراسة ميدانية على الموظفين في صندوق الضمان الاجتماعي فرع اجدابيا "

إعداد :
علي إدريس محمد دخيل - حسن صالح حسين سعد - سعد إبراهيم عيسى منصور
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة اجدابيا

الاستلام : 11/ 9/ 2022 القبول : 21/ 10/ 2022

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين الثقافة التنظيمية القوية وتحسين الأداء ، وقد أجريت هذه الدراسة على موظفين صندوق الضمان الاجتماعي فرع اجدابيا. حيث استخدم أسلوب الإحصاء الوصفي في تحليل البيانات التي تم تجميعها بواسطة الاستبيان ، وفي ضوء ذلك جرى تحليل البيانات باستخدام الحزمة الإحصائية(spss)، واستخدم أسلوب المسح الشامل، و بلغ عدد مجتمع الدراسة (132) تم توزيع الاستبيان عليهم جميعاً، واستعيدت منها (127) بفاقد (5) استبيانات.

ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة هي وجود علاقة بين الثقافة التنظيمية القوية باختلاف أبعادها وتحسين الأداء بصندوق الضمان الاجتماعي كما توصلت إلى أن الموظفين يتشاركون في إدارة الفرع في اتخاذ القرارات وهذا يساعد في تحسين أدائهم، و من اهم ما أوصت به الدراسة ضرورة زيادة الكادر الوظيفي لفرع صندوق الضمان الاجتماعي كما أوصت الموظفين بالعمل على زيادة التعاون في حل المشكلات المختلفة، وكذلك ضرورة ربط منظومة مكتب الضمان الاجتماعي البريقة مع منظومة السجل المدني وذلك لتسهيل إجراءات الموظفين.

الكلمات المفتاحية: التماسك- المشاركة- التعاون.

Abstract

The study aimed to identify the relationship between strong organizational culture and performance improvement, and this study was conducted on the employees of the Social Security Fund of Ajdabiya through the comprehensive survey method, where the number of the study population was (132), and (127) were recovered from them and missing (5) questionnaires. the descriptive statistics method to collect the data by the questionnaire, and analyzed using the statistical package (SPSS).

Among the most important findings of the study is that there is a relationship between the strong organizational culture with its various dimensions and the improvement of performance in the Social Security Fund. It also found that the employees participate with top management in making decisions, and this helps in improving their performance. On the other hand, the most important recommendation of the study is the need to increase the staff For the Social Security Fund of Ajdabiya, also recommended the employees work on increasing cooperation in solving various problems, as well as the necessity of linking the Brega Social Security Office system with the civil registry system in order to facilitate the employees' procedures.

Keywords: cohesion, participation, cooperation.

1 - الإطار العام:

1.1 - المقدمـــــــــة:

يعــدُّ الأداء مــن المفاهيــم التــي حظيــت بنصيــب كبــير مــن الاهتمــام والبحــث في الدراســات الإداريــة بشــكل عــام، ومــع التقــدم التكنولوجــي وتزايــد أهميــة المعلومــات في تحســين طــرق أداء العمــل وجودتــه، وفي اختصــار الوقــت المســتغرق للإنجــاز، وتقليــل كلفــة العمــل، ورفــع جــودة الأداء أصبحــت المنظمــات تتفاعــل مــع هــذه التغــيرات المتســارعة وتعمــل عــلى تقييــم أوضاعهــا وأداء كوادرهــا وســد أي خلــل أو نقــص في مهــارات العاملــين بهــا.[1]

كمــا تعــد الثقافــة التنظيميــة القويــة مــن المفاهيــم المهمــة في الإدارة المعــاصرة، إذ يؤكــد الكثــير مــن الباحثــين ومــدراء الــشركات أن نجــاح وفشــل المنظمــات يتأثــر بشــكل كبــير بثقافــة ونمــط التفكــير الســائد فيهــا، وحيــث لــكل منظمــة ثقافتهــا الخاصــة بهــا التــي تتكــون مــن القيــم والافتراضــات والمعتقــدات التــي يكتســبها الأفــراد العاملــون مــن منظماتهــم وبيئتهــم لخارجيــة المحيطــة بهــم التــي تعمــل عــلى تشكيــل ســلوك العاملــين واتجاهاتهــم وتصرفاتهــم والتــي ربمــا تنعكــس ســلبياً أو إيجابــاً عــلى جميــع عمليــات وأنشــطة المنظمــة. [2]

إن منظمات الأعمال تسعى دوما لتحقيق الكفاءة والفاعلية الإدارية و ذلك من أجل تحقيق أهدافها، وتولي منظمات الأعمال المتقدمة اهتماما بالغاً في تنمية وتطوير الأداء، وذلك من خلال اتباع أساليب الإدارة الحديثة، ومن الاتجاهات الحديثة لهذه المنظمات هو الاهتمام البالغ بالثقافة التنظيمية لاسيما القوية منها ويعتبر أهم ملامح الإدارة الحديثة، كما تعتبر عنصراً هاماً في تكوين منظمات الأعمال، إذ تقوم بدور حيوي في تجسيد وتطوير الفكر الإداري، ولكي تضمن المؤسسة ولاء أفرادها وجب وجود اتفاق بين أهدافها وقيم وثقافة هؤلاء الأفراد وإيجاد ثقافة تنظيمية قوية قادرة على تحقيق ذلك الولاء باعتبارها المحرك الأساسي للطاقات والقدرات، فهي تؤثر بالدرجة الأولى على أداء العاملين وتحقيق إنتاجية مرتفعة من خلالهم، ذلك أن كفاءة الأداء هي دالة في التماسك والتعاون والمشاركة داخل المنظمة، فإذا كان للمنظمة تشكيلة من المنتجات تمكنها من تحقيق مركز تنافسي معتبر فكذلك لها منتج ثقافي قوي يؤثر على أفكار وسلوكيات الأفراد وتكوين مثل عليا وأشخاص قدوة، ويمكن للمنظمة بناء ثقافة تنظيمية قوية من خلال مصادرها المتمثلة في تاريخ المؤسسة بالإضافة إلى التماسك والتعاون والمشاركة بين الموظفين التي تعتبر مصدر الثقافة التنظيمية القوية. [3]

---

(1) نعمــان، عائــدة، علاقــة التدريــب بــالأداء الأفــراد العاملــين في الإدارة الوســطى، رســالة ماجســتير غــير منشــورة، ص2، جامعة الــشرق الأوســط، كليــة العلــوم الإداريــة والماليــة، تعــز، اليمــن، (8002م).

(2) عبــد الــرزاق وآخــرون، الثقافــة التنظيميــة وتأثيرهــا في تحديــد التوجــه الاســتراتيجي للمنظمــة، ورقــة بحــث، ص1، كليــة الإدارة والاقتصــاد، قســم إدارة الأعمــال، جمهوريــة العــراق، (4102م).

(3) ســويسي، أحمــد، الثقافــة التنظيميــة وتأثيرهــا عــلى أداء العاملــين بالمؤسســة، رســالة ماجســتير غــير منشــورة، ص1، جامعــة زيــان عاشــور الجلفــة، كليــة الآداب، قســم العلــوم الاجتماعيــة، (3102م).

2.1 - مشكلة الدراسة

إن منظمات الأعمال تقوم بالسعي دوما لتحقيق الكفاءة والفاعلية من أجل تحقيق الأهداف، وتولي اهتماما بالغا في ذلك لتنمية وتطوير الأداء البشري من خلال إتباع أساليب الإدارة الحديثة، التي أهم اتجاهاتها بناء ثقافة تنظيمية قوية ومرنة لتستجيب للتغيرات المتسارعة وتؤثر على سلوكيات العاملين وانتمائهم بما يخدم أهداف المنظمة وتطلعاتها نظرا لما للثقافة التنظيمية القوية من أثر كبير في تشكيل سلوكيات العاملين وعاداتهم واتجاهاتهم مما ينعكس على مستويات ومعدلات أدائهم.(4)

فقد أشار تقرير الرقابة الإدارية عام 2018/ 2019م إلى أن هناك قصور في أداء الموظفين في بعض القطاعات وباعتبار أن إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي اجدابيا أحد هذه القطاعات المهمة في المجتمع والتي تقوم على خدمة العجزة في حالة إصابة العمل بأنواعه العجز الكلي أو الجزئي وكذلك التقاعد عند الوصول إلى السن القانونية والوفاه للموظف، فقد تطلب الآمر دراسة هذا المرفق الحيوي وقد تبين عند إجراء مقابلات مع بعض الموظفين أن هناك أوجه قصور في الأداء الوظيفي وربما السبب نقص عدد الموظفين والحضور والانصراف في الأوقات المحددة للدوام وكذلك ارتباط عمل الموظفين في صندوق الضمان الاجتماعي بالقطاعات الأخرى مما يأخر إجراء بعض المعاملات وذلك يؤثر على أداء الموظفين، من هنا جاءت هذه الدراسة لتبحث عن العلاقة بين الثقافة التنظيمية القوية وتحسين الأداء، حيث يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

هل توجد علاقة بين الثقافة التنظيمية القوية وتحسين الأداء؟

3.1 - أهداف الدراسة:

التعرف على مستوى الثقافة التنظيمية القوية في صندوق الضمان الاجتماعي.

التعرف على مستوى الأداء في صندوق الضمان الاجتماعي.

التعرف على الثقافة التنظيمية القوية وعلاقتها بتحسين أداء الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي اجدابيا والمكاتب التابعة له.

4.1 - أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة الحالية من خلال المتغيرات والمواضيع التي تحاول معالجتها وطرحها والتي تركز على (الثقافة التنظيمية القوية وعلاقتها بتحسين الأداء) حيث يمكن تقسيم هذه الأهمية إلى:

- الأهمية العلمية :

يمكن الاستفادة من هذه كمرجعية علمية في المكتبة، وكذلك الاستفادة من هذه الدراسة من خلال ما تقدمه من بيانات ومعلومات عن الثقافة التنظيمية القوية، ويمكن الخروج بتوصيات للمساهمة ولو بشكل بسيط في التعرف على

(4) نسرين، الزوي، دور الثقافة التنظيمية في زيادة فاعلية الأداء الوظيفي، رسالة ماجستير غير منشورة، ص7، جامعة بنغازي، كلية الاقتصاد، قسم الإدارة، بنغازي ليبيا، (2102م).

أبعـاد الثقافـة التنظيميـة القويـة وعلاقتهـا في تحسـين الأداء.

2.4.1 - الأهمية العملية:

مـن الممكـن أن تسـتفيد مـن هـذه الدراسـة القطاعـات العامـة مـن المجتمـع لا سـيما صنـدوق الضمـان الاجتماعـي، وكذلـك الوقـوف عـلى أبعـاد الثقافـة التنظيميـة القويـة وعلاقتهـا بتحسـن الأداء، والاسـتفادة مـن نتائـج وتوصيـات هـذه الدراسـة للمسـاهمة ولـو بشـكل بسـيط في تحسـين إداء المنظمـات مـن خـلال الاهتمـام بأبعـاد الثقافـة التنظيميـة القويـة.

5.1 - فرضية الدراسة:

الفرضيـة الرئيسـية الصفريـة H0: لا توجـد علاقـة ذات دلالـة إحصائيـة للثقافـة التنظيميـة في تحسـين أداء الموظفـين في إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة لـه عنـد مسـتوى معنويـة (0.01).

ويمكن تجزئة الفرضية الرئيسة إلى الفرضيات الفرعية التالية:

الفرضيـة الفرعيـة الصفريـة الأولى H0: لا توجـد علاقـة ذات دلالـة إحصائيـة لبعـد التماسـك في الثقافـة التنظيميـة القويـة في تحسـين أداء الموظفـين في إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة عند مسـتوى معنويـة (0.01).

الفرضيـة الفرعيـة الصفريـة الثانيـة H0: لا توجـد علاقـة ذات دلالـة إحصائيـة لبعـد المشـاركة في الثقافـة التنظيميـة القويـة في تحسـين أداء الموظفـين في إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة لـه عنـد مسـتوى معنويـة (0.01).

الفرضيـة الفرعيـة الصفريـة الثالثـة H0: لا توجـد علاقـة ذات دلالـة إحصائيـة لبعـد التعـاون في الثقافـة التنظيميـة القويـة في تحسـين أداء الموظفـين في إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة لـه عنـد مسـتوى معنويـة (0.01).

6.1 - منهجية الدراسة:

اعتمـد الباحثـين في دراسـة هـذا الموضـوع عـلى المنهـج الوصفـي التحليـلي وقامـوا بجمـع البيانـات والمعلومـات بطريقـة منظمـة ودقيقـة وتنظيمهـا وتحليلهـا للوصـول إلى النتائـج، وتفسـيرها واسـتخلاص التعميمـات والاسـتنتاجات المناسـبة.

7.1 - مجتمع الدراسة:

تكـون مجتمـع الدراسـة مـن جميـع الموظفـين إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة لـه والبالـغ عددهـم (132) موظفـين.

8.1 - حدود ونطاق الدراسة:

- الحدود الموضوعية: الثقافة التنظيمية القوية وعلاقتها بتحسين الأداء.
- الحـدود المكانيـة: إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة لـه.
- الحدود الزمانية: أجريت هذه الدراسة في عام 2021 – 2022.

- **الحدود البشرية: أجريت هذه الدراسة على جميع الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي في مدينة اجدابيا والمكاتب التابعة له.**

9.1 - الدراسات السابقة:

1.9.1 - دراسة (حمزة، 2019) بعنوان (أثر الثقافة التنظيمية على الأداء التنظيمي في المؤسسات الخاصة).

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر الثقافة التنظيمية على الأداء في المؤسسة تيسكوبا لنسيج الأغطية و القلاع بالقرارة ولاية غرا دية، طبقت الدراسة على عينة عشوائية بسيطة مكونة من (60) عامل، و لتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث الاستبانة كأداة لجمع البيانات، وخلصت الدراسة لعدد من النتائج أهمهما: وجود أثر ذو دلالة إحصائية بين الثقافة التنظيمية والأداء التنظيمي ويعزز هذا قيمة معامل الارتباط (R:0.792) والعلاقة طردية قوية لأن معامل إشارته موجبة، أما القوة التفسيرية للنموذج فقد بلغت (R2:0.627).

2.9.1 - دراسة (شاطري، 2016) بعنوان (دور الثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء العاملين):

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دور الثقافة التنظيمية القوية في تحسن أداء العاملين، حيث تكون عينة الدراسة من الأساتذة بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التيسير جامعة بسكرة والبالغ عددهم 60 أستاذ، وتم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها، وجود ثقافة تنظيمية قوية بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية جامعة بسكرة بنسبة مرتفعة وفقاً لمعايير الدراسة، كما أن مستوى أداء الأساتذة بالكلية جاء مرتفعاً وفقاً لمقاييس الدراسة، كذلك وجود دور للثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء الأساتذة بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التيسير جامعة بسكرة عند مستوى الدلالة.

10.1 - تعريف مصطلحات الدراسة:

- **الأداء: مجموعة من الأنشطة التي يؤديها الفرد والتي تعبر عن مستوى كفاءته في إنجاز المهام والواجبات المناطة به. (5)**
- **الثقافة التنظيمية: هي مجموعة القيم والمعتقدات التي تشكل منهج تفكير أعضاء المنظمة وإدراكاتهم، ومن ثم تؤثر في أسلوب ملاحظاتهم وتفسيرها للأشياء داخل المنظمة وخارجها.(6)**
- **الثقافة التنظيمية القوية: فقد عرفها سافولد scaffold بأنها متجانسة وكثيفة ومشتركة بشكل واسع ومتماسكة ومحبوبة بقوة، ومترابطة ومتميزة. (7)**

(5) هايل، الزايد، أثر التدريب في رفع كفاءة أداء العاملين، رسالة ماجستير غير منشورة، ص5، جامعة دمشق، كلية الاقتصاد، قسم إدارة الأعمال، دمشق،(5002م).

(6) بشائر، مسودي، دور الثقافة التنظيمية في التطوير الأكاديمي، رسالة ماجستير غير منشورة، ص51،جامعة الخليل، كلية الدراسات العليا قسم إدارة الأعمال، فلسطين،(8102م).

(7) محمد، شاطري، دور الثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء العاملين، رسالة ماجستير غير منشورة، ص62،جامعة محمد خيضر، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التيسير، قسم علوم التسيير، الجزائر،(6102م).

- **أداء العاملين: هو مستوى أداء الفرد ونوع سلوكه مقارنة مع مهمات وواجبات الوظيفة الموكلة إليه.** (8)

11 – المبحث الأول: الأداء:

1.11 – تمهيد:

يعتبر الأداء المحور الرئيسي الذي تنصب حوله جهود المديرين، كونه يشكل بامتياز أهم أهداف المنظمة حيث تتوقف كفاءة أداء أي منظمة وفي أي قطاع كان على أداء مواردها البشرية. (9)

ويعد الأداء الوظيفي من أهم الأنشطة التي تعكس الأهداف والوسائل اللازمة لتحقيقها كما يعبر عن مدى كفاءة الإدارة وفاعليته في بلوغ مستوى الإنجاز المرغوب في العمل ولذلك يتم تكليف الأفراد الأكفاء للقيام بالأعمال ، وتوفير المكان والجو الملائم لأداء الأعمال بكفاءة وفاعلية أكبر. (10)

2.11 تعريف الأداء:

يعرف الأداء بأنه الجهد المبذول من الفرد أو الجماعة بمساعدة أو بدونها، لتحقيق هدف محدد خلال فترة زمنية معينة وذلك لتقديم خدمة أو جزء منها، يمكن قياس هذا الأداء بالحكم عليه بالقبول أو الرفض. (11)

3.11 أنواع الأداء:

وينقسم الأداء إلى قسمين:

الأداء الكلي: وهو الذي يتجسد في الإنجازات التي ساهمت جميع العناصر والوظائف أو الأنظمة الفرعية للمؤسسة في تحقيقها.

الأداء الجزئي: وهو الذي يتحقق على مستوى الأنظمة الفرعية للمؤسسة وينقسم بدوره إلى عدة أنواع تختلف حسب المعيار الوظيفي إلى: أداة وظيفة مالية، أداة وظيفة الأفراد أداة وظيفة التموين، أداة وظيفة الإنتاج، وأداة وظيفة التسويق.(12)

4.11 أهمية الأداء:

إن أهمية الأداء تتبلور فيما يلي:

يعد الأداء مقياس لقدرة الفرد على أداة عمله في الحاضر، وكذلك على أداء أعمال

---

(8) جواهر، العبيدي ، أثر التوحيد الإبداعي واستراتيجية التدريب على أداء العاملين، رسالة ماجستير، ص31، جامعة الشرق الأوسط، كلية الأعمال، قسم إدارة أعمال، الكويت،(3102م).

(9) محمد، شاطري، دور الثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء العاملين، ص 12 ، مرجع سابق

(10) بن بردي، قعري، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالأداء الوظيفي للعاملين في المؤسسات الخاصة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص75، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، الجزائر، (7102م).

(11) حسن، عبد الله، الدور الوسيط الرضا الوظيفي في العلاقة بين الثقافة التنظيمية وكفاءة أداء العاملين، رسالة ماجستير غير منشورة،ص36، جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، قسم إدارة الأعمال، السودان، (8102م).

(12) سويسي، أحمد، الثقافة التنظيمية وتأثيرها على أداء العاملين بالمؤسسة، ص 98 . مرجع سابق

أخرى مختلفة نسبيا في المستقبل، وبالتالي ليساعد في اتخاذ القرارات.

غالبا ما يتم ربط الحوافز بأداء الفرد وهذا يؤدي إلى اهتمام الأفراد بأداء عملهم ومحاولة تحسنينه.

يرتبط الأداء بالحاجة إلى الاستقرار في العمل، فإن حدثت أي تعديلات في أنظمة الإدارة فإن العاملين ذوي الأداء المتدني يكونون مهددين بالاستغناء عن خدماتهم.[13] (13)

استخدامات تقييم الأداء

يعتبر تقييم أداء لموارد البشرية أداة موضوعية تستفيد منه المنظمة في اتخاذ بعض القرارات الإدارية والتي أهمها:

الترقية: يتم ترقية العامل إلى وظيفة أعلى من خلال مدى أحقيته، مدى كفاءته في العمل، لأن عملية الأداء تكشف عن ذلك مما يعتبر مقياس للكشف عن مؤهلاته وقدراته وإمكانياته.

تحديد المكافأة والحوافز الشخصية: تستخدم نتائج تقييم الأداء في معرفة الأجدر بالمكافأة التشجيعية والحوافز من بين العاملين من خلال معرفة مستويات الكفاءة وحسن الأداء.

التعيين والنقل: تستعين الإدارة بنتائج تقييم الأداء لمعرفة مدى سلامة اختيار الفرد وتعينه في الوظيفة التي تتلاءم مع قدراته وكفاءته، إضافة إلى تمكينه من معرفة الذين هم بحاجة إلى الانتقال إلى وظائف أخرى تتناسب ومؤهلاتهم.

تطوير الأفراد: تستخدم نتائج تقييم الأداء في تطوير الأفراد في المنظمة من خلال ما توفره لهم من معلومات نقاط القوة والضعف لديهم، وتساعد الإدارة في اعتماد الأسس السليمة في تدعيم.

الانضباط: إن الفرد الذي تشير تقارير تقييم أدائه بشكل مستمر على أنه عديم الكفاءة وأن سلوكه غير حسن ولا يرجى فائدة من إصلاحه وتحسين أدائه وسلوكه، يصبح ضروريا إبعاده عن العمل لأنه يصبح عبئا على العمل، ولهذا يعتبر تقييم الأداء عاملا من عوامل الانضباط الموضوعية.

تحسين عملية الاتصال: ويكون ذلك بين المشرف ومرؤوسيه فيما يخص الأهداف المخططة، التوجيهات بشأن أساليب الأداء والتعامل.

إلغاء الخدمة (الاستغناء): تقوم المنظمة بإلغاء خدمة العاملين الذين يكون مستوى أدائهم متدني لأنه في الحقيقة يعتبر عبئا أو تكلفة إضافية على المنظمة.[14]

(13) محمد، شاطري، دور الثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء العاملين، ص 32 ، مرجع سابق.

(14) سالم، إلياس، تأثير الثقافة التنظيمية في أداء الموارد البشرية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص35، جامعة محمد بوضياف بالمسلية، كلية الاقتصاد، قسم إدارة الأعمال،(6002م).

12 المبحث الثاني: الثقافة التنظيمية:

1.12 تمهيد:

لقد حظي موضوع الثقافة التنظيمية في الآونة الأخيرة باهتمام من قبل الباحثين في إدارة الأعمال والسلوك التنظيمي، كونها تطور أغلب القرارات المصنوعة داخل المنظمة وباعتبارها إحدى المحددات الرئيسية لنجاح المنظمات أو فشلها، وبما أن منظمات الأعمال تشهد حاليا جملة من التطورات والتغيرات التكنولوجية، الاقتصادية، الثقافة، الاجتماعية وغيرها، جعلها تسعى باستمرار للتفوق والتميز، ولعل أهم ما يميز منظمة عن باقي المنظمات الأخرى هو امتلاكها لثقافة قوية تمكن أعضاءها من الالتزام واحترام قيمة الوقت، تشجيع العمل الجماعي، وتشجيع الإبداع ، مما يساهم في تحقيق أهدافها.[15]

2.12 مفهوم الثقافة التنظيمية:

تمثل الثقافة التنظيمية أهمية كبيرة في دورة حياة المنظمات، فهي أحد الوسائل الهامة التي من خلالها تستطيع المنظمات تطوير ذاتها وتحقيق أهدافها، وينظر للثقافة التنظيمية على أنها جزء من الثقافة العامة وانعكاس لثقافة المجتمع لتأثرها بالقيم والعادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية المحيطة بالمنظمات، ويتضح ذلك من تعدد ثقافات المنظمات الكبيرة ، والمنظمات متعددة الجنسيات نتيجة لتعدد الثقافات المجتمعية التي تتعامل معها ، والثقافة التنظيمية مجموعة المبادئ والقيم التنظيمية السائدة بين أعضاء المنظمة، وهي كذلك نظام مشترك للمعتقدات والقيم والافتراضات بين العاملين.

3.12 تعريف الثقافة التنظيمية:

هي منظومة متكاملة من القيم والعادات والمعتقدات والتقاليد والأنماط السلوكية وأنماط التفكير الأخرى التي يجتمع عليها العاملون في المنظمات وتؤثر في سلوكهم وتشكل وتصقل شخصياتهم وهوية المنظمة، وبالتالي تؤثر في إنتاجية المنظمة وقدرتها على التطور والتغير.[16]

وتعرف كذلك بأنها مجموعة القيم والمفاهيم الأساسية التي يتم إيجادها وتنميتها داخل مجموعات العمل في المنظمة، وتعليمها للعاملين لتحديد طريقة تفكيرهم وإدراكهم وشعورهم تجاه بيئة العمل الداخلية والخارجية وتحدد سلوكهم، وتؤثر في أدائهم وإنتاجيتهم.[17]

4.12 أهمية الثقافة التنظيمية:

تعمل على جعل سلوك الأفراد ضمن شروطها وخصائصها وكذلك فإن أي

(15) خولة، آيت إبراهيم، أثر الثقافة التنظيمية على إدارة التميز، رسالة ماجستير غير منشورة، ص2،كلية العلوم الاقتصادية، الجزائر، (5102م).

(16) محمد، محجز، دور الثقافة التنظيمية كمدخل لدعم الإدارة الإلكترونية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص81، جامعة الأقصى، (7102م).

(17) سالم، إلياس، تأثير الثقافة التنظيمية في أداء الموارد البشرية، ص: 21 ، مرجع سابق.

اعتداء على أحد بنود الثقافة أو العمل بعكسها سيواجه بالرفض، وبناء على ذلك فإن للثقافة دورا كبيرا في مقاومة من يهدف إلى تغيير أوضاع الأفراد في المنظمات من وضع إلى آخر تعمل الثقافة على توسيع أفق مدارك الأفراد والعاملين حول الأحداث التي تحدث في المحيط الذي يعملون به، أي أن ثقافة المنظمة تشكل إطارا مرجعيا يقوم به الأفراد بتفسير الأحداث والأنشطة في ضوئه.[18] (18)

5.12 مصادر الثقافة التنظيمية:

يرى الحاجز أن هناك العديد من مصادر الثقافة التنظيمية ومن أهمها ما يلي:

1 – العادات والتقاليد والأعراف: تؤثر العادات والتقاليد والبيئة الداخلية والخارجية في شخصيات أفراد المجتمع وتحدد أنماطهم السلوكية.

2 – الطقوس واحتفالات المناسبات: أساليب الاحتفال بالأعياد والمناسبات القومية والمناسبات الإدارية في بعض المنظمات.

3 – قصص التراث: التي تستخدم كرموز اجتماعية لربط الإنسان بتراثه وثقافته مجتمعه القديمة لاستخلاص العبر والدروس المستفادة في مواجهة المشكلات.

4 – المجاز والطرائف والنكت والألعاب: أساليب رمزية تستخدم في التعبير عن مشاعر المودة وتخفيض صراعات وضغوط العمل.

5 – البطولات والرموز الاجتماعية: قصص وسيرة القادة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية الذين يُقتدى بهم في المنظمات.

6 – القصص والحكايات: تعكس رسالة معينة للعاملين لتشجيعهم على لتجديد والابتكار والتفاني في العمل لتحقيق أهداف المنظمة.[19]

6.12 مفهوم الثقافة القوية:

تعرف الثقافة القوية بأنها: " الحد الذي يجعل الأعضاء يتبعون ما تمليه عليهم الإدارة " ويمكن القول أن الثقافة المنظمة قوية في حالة كونها تنتشر وتحظى بالثقة والقبول مع جميع أو معظم أعضاء المنظمة، ويشتركون في مجموعة متجانسة من القيم والمعتقدات والتقاليد والمعايير التي تحكم سلوكياتهم واتجاهاتهم داخل المنظمة، ومما يجعل الثقافة قوية كون القيم الأساسية قوية ويشترك فيها العاملون.[20]

خصائص الثقافة التنظيمية القوية:

وقد ذكر الشاطري مجموعة من الخصائص ومنها:

الثقة: تشير الثقة إلى الدقة والتهذيب ووحدة الذهن والتي تعتبر عاملاً مهما من عوامل تحقيق إنتاجية مرتفعة.

الألفة والمودة: يمكن للألفة والمودة أن تأتي من خلال إقامة علاقات متينة وحميمة مع الأفراد داخل المنظمة من خلال الاهتمام بهم ودعمهم وتحفيزهم.[21]

(18) حسن، عبد الله، الدور الوسيط الرضا الوظيفي في العلاقة بين الثقافة التنظيمية وكفاءة أداء العاملين، ص:53 مرجع سابق.

(19) إيهاب، الحاجز، دور الثقافة التنظيمية في تفعيل تطبيق الإدارة الإلكترونية، رسالة ماجستير غير منشورة ص61، الجامعة الإسلامية، كلية التجارة، قسم إدارة الأعمال، غزة،(1102م).

(20) سالم، إلياس، تأثير الثقافة التنظيمية في أداء الموارد البشرية، ص: 12 ، مرجع سابق.

(21) محمد، شاطري، دور الثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء العاملين، ص51 ، مرجع سابق

8.12 أبعاد الثقافة التنظيمية القوية:

قد ذكر الشاطري مجموعة من أبعاد الثقافة التنظيمية القوية ومنها ما يلي:

تتمتع الثقافة التنظيمية لقوية بمجموعة من الأبعاد تميزها عن باقي أنواع الثقافات التنظيمية الأخرى إذ نجد عدة مؤشرات وأبعاد تقوي حالة وجودها أن ثقافة المنظمة قوية تتمثل في ثلاث أبعاد أساسية هي: التماسك، المشاركة، والتعاون.

التعاون: يؤكد على التوجهات الداخلية المرنة، حيث يركز بشكل أساسي على تقاسم المعلومات، الثقة، التمكين، والعمل بروح الفريق، ويعتبر التعاون ركيزة أساسية في المنظمات الناجحة ويحتوي على مجموعة من العناصر يجب توافرها لكي تقول أن المنظمة يتوفر فيها أحد مميزات الثقافة التنظيمية القوية (العمل الجماعي، روح الفريق، تبادل المعارف والخبرات)

2 - المشاركة: يشير إلى زيادة المشاركة المديرين للمرؤوسين في اتخاذ القرار لاعتقادهم بأن ذلك سيحسن من فاعلية المنظمة، ولا ينتج عن ذلك التقليل من قوتهم التنظيمية، وعلى العكس من ذلك تكون المشاركة في أدنى مستوياتها عندما يعتقد المديرون بأن المشاركة تؤدي إلى التقليل من قوتهم التنظيمية.

ويحتوي هذا لعنصر على الآتي: (إبداء الرأي، طرح أفكار جديدة، المشاركة في اتخاذ القرارات، التشجيع على طرح أفكار إبداعية).

3 - التماسك: (الاتساق والثبات) يؤكد على التوجهات الداخلية والرقابة، حيث يركز على القوانين والأنظمة والكفاءة، كما يشير إلى العلاقات المتبادلة بين أفراد المنظمة ومدى هذه العلاقات، مع ضرورة إدراك أهمية هذه العلاقات في تحقيق التضامن بين الأفراد.

يمكن القول: أن ثقافة المنظمة تكون متماسكة من خلال الأفراد الداخلين فيها والخارجين على وجه سواء إذ يسهم هؤلاء في تكامل التنظيم، وهناك مؤشرات تمتاز بها ثقافة التنظيمية القوية الخاصة ببعد التماسك تتمثل في (تفاهم بين أفراد المنظمة، القيم المشتركة، ودرجة الولاء والانغماس في تلك القيم، نمط لباس مشترك، الاتفاق في لغة مشتركة بين أفراد المنظمة).[22]

9.12 الثقافة التنظيمية القوية وعلاقتها بالأداء:

تلعب الثقافة التنظيمية القوية دورا كبيرا في المنظمات، حيث يتأثر مستوى أداء تلك المنظمات بالعناصر السائدة في البيئة الاجتماعية، وللثقافة التنظيمية القوية دور في رفع وخفض الأداء الوظيفي بمعدلات متباينة تبعا لنوعية الثقافة السائدة ونوع المنظمة ونشاطها، وتشير الدراسات العديدة إلى علاقة ثقافة المنظمة بجوانب وأبعاد عديدة في مقدمتها علاقة المنظمة بالأداء والالتزام والإبداع، فالثقافة القوية توحد الشعور والإحساس بالهوية بالنسبة لأعضاء المنظمة، وتساعد في خلق الالتزام بين الموظفين كمرشد للسلوك الملائم، وتساعدهم أيضا على فهم الأحداث

(22) محمد، شاطري، دور الثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء العاملين، ص51 ، مرجع سابق.

التنظيمية فيصيرون قادرين على تأدية ما هو مطلوب منهم عوضا عن تضييع الوقت في محاولة تصور ما يتوقع منهم أن يعملوا، وتمكنهم من التواصل بشكل أكثر فاعلية وأن يصلوا إلى مستويات أعلى في التعاون مما يمكنهم من تحقيق أداء مرتفع، وأيضا تعزز استقرار المنظمة كنظام اجتماعي وأخيرا تعمل كإطار مرجعي لاستخدامه لإعطاء معنى لنشاطات المنظمة.[23]

13 الدراسة الميدانية:

1.13 مقدمة:

في هذه المرحلة من الدراسة قام الباحثين1 بتحليل البيانات الأساسية، وكذلك تصنيف البيانات حسب الجداول التكرارية، وتحليل الجداول والعلاقات بين المتغيرات (المستقل والتابع) عن طريق برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss) للوصول إلى نتائج الدراسة.

2.13 توزيع وجمع الاستبيان:

فقد قام الباحثين بتوزيع (132) استمارة استبيان على الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي محل الدراسة واستردت (127) استمارة وبذلك يكون الإجمالي للاستمارات الصالحة للتحليل (127) استمارة أي بنسبة (96%) تقريبا من مفردات الدراسة.

3.13 صدق أداة جمع البيانات

تهدف هذه العملية إلى التأكد من أداة القياس التي تم استخدامها لهذه الدراسة، واستخدم برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لحساب معامل الصدق باستخدام معامل (كرونباخ ألفا) وبلغ معامل الصدق للمتغير الأول (الثقافة التنظيمية القوية) لأداة جمع البيانات (0.934)، في حين بلغ معامل الصدق للمتغير الثاني (الأداء) لأداة جمع البيانات (0.712) وهي نسبة عالية ومناسبة لأغراض هذه الدراسة

4.13 ثبات أداة جمع البيانات

يقصد بها ثبات الأداة لإمكانية الحصول على نفس النتائج (أو نتائج قريبة جدا) عند إعادة الدراسة بنفس الظروف وباستخدام نفس أداة القياس على نفس الأفراد، ولاختبار ثبات الأداة بجميع أبعادها تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) لحساب معامل الثبات باستخدام معامل (كرونباخ ألفا) وبلغ معامل الثبات للمتغير الأول (الثقافة التنظيمية القوية 0.966)، في حين بلغ معامل الثبات للمتغير الثاني (الأداء 0.844) وهي كذلك مناسبة لأغراض هذه الدراسة.

5.13 تحليل بيانات الدراسة الميدانية

(23) نجية، خنبري، (دور الثقافة التنظيمية في ضبط سلوك العامل داخل المنظمة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص13،جامعة المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، الجزائر، 3102م).

تحقيقا لأهداف هذه الدراسة والمتمثلة في الثقافة التنظيمية القوية وعلاقتها في تحسين أداء الموظفين، فقد قام الباحثين بتحليل البيانات وتفسيرها من خلال استخدام أسلوب الإحصاء الوصفي التحليلي، والاستعانة بالحزم البرمجية الجاهزة للعلوم الاجتماعية (SPSS).

6.13 خصائص مفردات الدراسة

من أجل الوصول إلى الأهداف التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها فقد دعت الحاجة إلى التعرف على بعض من خصائص مفردات مجتمع الدراسة، التي يرى الباحثين أنها تخدم هدف هذه الدراسة وهي تتمثل في (النوع، العمر، المؤهل العلمي، عدد سنوات الخبرة).

جدول رقم (1.13) خصائص المجتمع حسب النوع

النوع	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	74	% 58.3
أنثى	53	% 41.7
الإجمالي	127	% 100

يتضح من خلال الجدول (1.13)، أن خصائص مفردات الدراسة نسبة كبيرة منهم من الذكور، حيث بلغ عددهم (74) وبنسبة 58.3 %)، فيما بلغ عدد الإناث (53) وبنسبة (41.7 %)، ويستنتج من ذلك أن أغلبية الأعمال الإدارية تشغلها فئة الذكور، وقد يعزى ذلك إلى طبيعة وتركيبة المرأة والحياة الأسرية الخاصة.

جدول رقم (2.13) خصائص المجتمع حسب العمر

فئات العمر	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 30 سنة	33	% 26
من 30 إلى 40 سنة	52	% 40.9
من 40 إلى 50 سنة	22	% 17.3
من 50 سنة فأكثر	20	% 15.7
الإجمالي	127	% 100

يتضح من خلال الجدول رقم (2.13) أن الذين ينتمون لفئة (أقل من 40 سنة) بلغت نسبتهم (66.9 %)، في حين أن الذين أعمارهم (من 40 إلى 50 سنة) بلغت نسبتهم (17.3 %)، وفي الأخير بلغت نسبة المبحوثين الذين ينتمون لفئة (من 50 سنة فما فوق) (15.7 %)، وبالتالي نستنتج أن الفئة العظمى هي أقل من 40 سنة وهذه الفئة قادرة على العطاء والقيام بالمجهودات التي تحتاجها الوظيفة، وأن الفئات الأخرى فوق 40 سنة من الممكن الاستفادة من خبراتهم الوظيفية.

جدول رقم (3.13) خصائص المجتمع وفقاً للمؤهل العلمي

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة المئوية
أقل من الثانوية	12	% 9.4
ثانوية أو ما يعادلها	32	% 25.2
ليسانس / بكالوريوس	80	% 63.0
ماجستير	3	% 2.4
دكتوراه	0	% 0
الإجمالي	127	% 100

يتضح من خلال الجدول رقم (3.13)، أن حملة شهادة ليسانس/ بكالوريوس تشكل أعلى نسبة في مجتمع الدراسة حيث بلغت نسبتهم (63.3 %) من المجموع الكلي وهذا يدل على أن النسبة الأكبر من الموظفين لديهم مؤهلات علمية تساعد على فهم وإنجاز الأعمال التي يكلفون بها، في حين بلغت نسبة حاملي الشهادة العليا الماجستير (2.4 %) والدكتوراه (0 %)من المجموع الكلي لمجتمع الدراسة، وهذه النسبة تعتبر ضعيفة نوعاً ما لان هذه الشريحة من المؤهلات العلمية العليا من الممكن أن تساعد في تطوير وابتكار أساليب عمل للتقليل الجهد والوقت المطلوب في إنجاز الأعمال والتي تساعد في تحسين الأداء.

جدول رقم (4.13) خصائص مجتمع الدراسة وفقا لسنوات الخبرة في العمل

الخبرة	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 5 سنوات	43	% 33.9
من 5 إلى أقل من 10 سنوات	30	% 23.6
من 10 إلى 15 سنة	19	% 15.0
من 15 سنة فأكثر	35	% 27.5
الإجمالي	127	% 100

يتضح من خلال الجدول رقم (4.13) إن المبحوثين الذين تقل خبرتهم عن خمس عشر سنة بلغت نسبتهم (72.5 %)من المبحوثين، بينما بلغت نسبة الذين تتراوح خبراتهم فوق 15 سنة (27.5 %)، وهذا يتفق تماما مع ما ورد في الجدول (3.13).

1.6.3 المحور الأول: الإجابة على السؤال الخاص بالثقافة التنظيمية القوية في صندوق الضمان الاجتماعية، تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لإجابات أفراد عينة الدراسة لمختلف العبارات والمحاور، كما مبينة بجدول رقم (5.13).

الرقم	أبعاد الثقافة التنظيمية القوية وعبارات القياس	المتوسط الحسابي المرجح	الانحراف المعياري
	بعد التمـــــــاسك		
1	يوجد تفاهم بين موظفي صندوق الضمان الاجتماعي	3.80	0.846
2	يوجد لغة مشتركة للاتصال في صندوق الضمان الاجتماعي	3.59	0.867
3	توجد قيم مشتركة بين موظفي صندوق الضمان الاجتماعي	3.73	0.771
	المتوسط الحسابي العام	3.71	
	الانحراف المعياري العام		0.745
	بعد المشـــــــاركة		
4	يتمكن الموظفون من إبداء آرائهم بحرية في صندوق الضمان الاجتماعي	3.52	0.916
5	تشجيع إدارة الضمان الاجتماعي الموظفين لطرح أفكار جديدة.	3.57	0.922
6	تمكن إدارة الضمان الاجتماعي الموظفين من المشاركة في اتخاذ القرارات	3.50	0.890
7	تشجيع إدارة الضمان الاجتماعي الأفراد لطرح أفكار إبداعية	3.65	0.850
	المتوسط الحسابي العام	3.56	
	الانحراف المعياري		0.781
	بعد التعـــــــاون		
8	يسعى صندوق الضمان الاجتماعي على تشجيع العمل الجماعي	3.92	0.60
9	يشجع صندوق الضمان الاجتماعي على تبادل المعارف بين مختلف الأفراد والإدارات	3.83	0.714
10	تختلف الإدارة مناخ تنظيمي جيد يساهم في رفع الروح المعنوية للفرد	3.61	0.856
11	يتعاون موظفي صندوق الضمان الاجتماعي في حل مختلف مشاكل العمل	3.76	0.859
	المتوسط الحسابي العام	3.68	
	الانحراف المعياري العام		0.661

يشـير الجـدول رقـم (5.13)، أن المتوسـط الحسـابي العـام لبعـد التماسـك بلـغ بنسـبة

(3.68)، وبانحراف معياري قدره (0.661)، ووفقا لمقياس الدراسة فإن هذا البعد قد وقع في منطقة (موافق)، كما نلاحظ من متوسط إجابات أفراد الدراسة على عبارات بعد التماسك أنها تشكل قبول، وقد بلغت أعلى نسبة للمتوسط في الفقرة الأولى بمقدار (3.80)، وهذا يدل على أن هناك تفاهم بين موظفي صندوق الضمان الاجتماعي، حيث بلغت أقل نسبة للمتوسط آراء أفراد الدراسة المرتبطين بهذا المحور في الفقرة الثانية بمقدار (3.59)، والتي يستدل منها على أنه يوجد لغة مشتركة للاتصال بين موظفي صندوق الضمان الاجتماعي.

كما يشير الجدول رقم (5.13) أن المتوسط الحسابي العام لبعد المشاركة بلغ (3.56)، وبانحراف معياري قدره (0.781)، ووفقا لمقياس الدراسة فإن هذا البعد قد وقع في منطقة (موافق)، كما نلاحظ من متوسط إجابات أفراد الدراسة على عبارات بعد المشاركة تتراوح بين (3.50 – 3.65)، وهذا ما يدل على أن موظفي صندوق الضمان الاجتماعي يقومون بالمشاركة المعقولة في اتخاذ القرارات وذلك طبقاً للنتائج .

كما يشير الجدول رقم (5.13)، أيضا أن المتوسط الحسابي العام لبعد التعاون بلغ (3.68)، وبانحراف معياري قدره (0.661)، ووفقا لمقياس الدراسة فإن هذا البعد قد وقع في منطقة (موافق)، كما نلاحظ من متوسط إجابات أفراد الدراسة على عبارات بعد التعاون تتراوح بين (3.92 – 3.61)، وهذا ما يدل على أن موظفي صندوق الضمان الاجتماعي يقومون بالتعاون في على تشجيع العمل الجماعي وتبادل المعارف ورفع الروح المعنوية للأفراد وكذلك التعاون في حل مختلف المشاكل.

أما فيما يتعلق بالمتوسط الحسابي والانحراف المعياري للمحور الأول بالكامل الثقافة التنظيمية القوية فهو كما موضح بالجدول رقم (6.13).

جدول رقم (6.13)

المتغيرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الثقافة التنظيمية القوية	3.65	0.661

وفقا لمقياس الدراسة فقد بلغ المتوسط الحسابي (3.65)، بانحراف معياري (0.661)، فإنه يشير إلى وقوعها في منطقة (موافق)، وهذا يدل على وجود ثقافة تنظيمية قوية.

2.6.3 المحور الثاني: الإجابة على الأسئلة الخاصة بـــ(أداء العاملين):

.

جدول رقم (7.13)

العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أقوم بإنجاز الأعمال المطلوبة مني بأداء جيد	4.35	0.525
أبذل الجهد الكافي لإنجاز أعمالي في الوقت المحدد	4.34	0.594
هناك معرفة وإلمام بطبيعة الأعمال الموكلة لي	4.10	0.532
ألتزم بالتعليمات والإجراءات عند تنفيذ عملي	4.24	0.483
أنسق مع الآخرين في إنجاز الأعمال التي أقوم بها	4.16	0.683
هناك متابعة وتوجيه مستمر من قبل المشرفين على إنجاز أعمالنا	4.10	0.966
يكون أدائي أفضل من خلال العمل الجماعي	4.19	0.774
تساعدني الترقية على بذل مجهودات أكبر لتحسين أدائي	4.58	0.556
أشارك في اتخاذ القرارات وهذا يساعد في تحسين أدائي	4.30	0.670
لديك علاقات جيدة مع الزملاء	4.36	0.752
تحسين أدائك يساهم في تحسين أداء صندوق الضمان الاجتماعي	4.53	0.547
المتوسط الحسابي العام	4.30	
الانحراف المعياري		0.344

يبين جدول رقم (7.13)، آراء أفراد الدراسة عن الأداء، إذ يتضح من المتوسط الحسابي العام قد بلغ (4.30)، وبانحراف معياري (0.3.44)، وهذا يدل على أن هناك نسبة أداء مرتفعة حيث وقعت في منطقة (موافق بشدة)، وقد بلغت أعلى نسبة للمتوسط في الفقرة الثامنة بمقدار (4.58)، وهذا يدل على أن الترقيات الممنوحة للعاملين في الضمان تساعد في تحسين أدائهم، وقد جاءت في المرتبة الثانية الفقرتين الحادية عشر بمتوسط حسابي قدره (4.53)، حيث تشير إلى أن تحسن الأداء الموظف يساعد في تحسين أداء الصندوق بالكامل، في حين أن أقل نسبة للمتوسط في الفقرة الثالثة والسادسة بنفس المقدار وقد بلغت (4.10)، والتي وهيا تقع في منطقة (موافق) ويستدل منها على المعرفة والإلمام بطبيعة الأعمال الموكلة إلى الموظفين وذلك من خلال المتابعة والتوجيه من قبل المشرفين على إنجاز الأعمال، وقد تراوحت بقية الفقرات بين هذه المستويات.

اختبار صحة فرضيات الدراسة

للتحقق من صحة فرضيات الدراسة قامت الباحثين باستخراج معامل الارتباط بيرسون لأبعاد الدراسة:

الفرضية الفرعية الصفرية الأولى H0: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية لبعد

التماسك في الثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي في مدينة اجدابيا والمكاتب التابعة عند مستوى معنوية (0.01).

جدول (8.13) نتائج معامل ارتباط بيرسون لدراسة العلاقة بين بعد التماسك وأداء الموظفين

البعد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
التماسك	0.243	0.006
أداء الموظفين		

يلاحظ من الجدول (8.13) أنه ومن خلال نتائج معامل ارتباط بيرسون أن هناك علاقة طردية بين بعد التماسك وأداء الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي في مدينة اجدابيا والمكاتب التابعة، وأن هذه العلاقة هي علاقة ضعيفة وفقاً للمقياس.

وعليه ترفض الفرضية الصفرية الفرعية الأولى وتقبل الفرضية البديلة والتي تشير إلى وجود علاقة بين بعد التماسك في الثقافة التنظيمية القوية وأداء الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي في مدينة اجدابيا والمكاتب التابعة.

الفرضية الفرعية الصفرية الثانية H0: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية لبعد المشاركة في الثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي في مدينة اجدابيا والمكاتب التابعة عند مستوى معنوية (0.01).

جدول (9.13) نتائج معامل ارتباط بيرسون
لدراسة العلاقة بين بعد المشاركة وأداء الموظفين

البعد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
المشاركة	0.334	0.000
أداء الموظفين		

يلاحظ من الجدول (9.13) أنه ومن خلال نتائج معامل ارتباط بيرسون أن هناك علاقة طردية بين بعد المشاركة وأداء الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي في مدينة اجدابيا والمكاتب التابعة، وأن هذه العلاقة هي علاقة ضعيفة وفقاً للمقياس.

وعليه ترفض الفرضية الصفرية الفرعية الثانية ونقبل الفرضية البديلة والتي تشير إلى وجود علاقة بين بعد المشاركة في الثقافة التنظيمية القوية وأداء الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي في مدينة اجدابيا والمكاتب التابعة.

الفرضية الفرعية الصفرية الثالثة H0: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية لبعد التعاون في الثقافة التنظيمية القوية في تحسين أداء الموظفين في إدارة فرع صندوق

الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة عند مسـتوى معنويـة (0.01).

جـدول (10.13) نتائـج معامـل ارتبـاط بيرسـون لدراسـة العلاقـة بـين بعـد التعاون وأداء الموظفين

البعد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
التعاون أداء الموظفين	0.304	0.001

يلاحـظ مـن الجـدول (10.13) أنـه ومـن خـلال نتائـج معامـل ارتبـاط بيرسـون أن هنـاك علاقـة طرديـة بـين بعـد التعـاون وأداء الموظفـين في إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة، وأن هـذه العلاقـة هـي علاقـة ضعيفـة وفقـاً للمقيـاس.

وعليـه ترفـض الفرضيـة الصفريـة الفرعيـة الثالثـة ونقبـل الفرضيـة البديلـة والتي تشـير إلى وجـود علاقـة بـين بعـد التعـاون في الثقافـة التنظيميـة القويـة وأداء الموظفـين في إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة.

الفرضيـة الرئيسـة الصفريـة الأولى H0: لا توجـد علاقـة ذات دلالـة إحصائيـة للثقافـة التنظيميـة القويـة وعلاقتهـا بتحسـين أداء الموظفـين في إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة عند مسـتوى معنويـة (0.01).

جـدول (11.13) نتائـج معامـل ارتبـاط بيرسـون لدراسـة العلاقـة بـين الثقافـة التنظيميـة القويـة وأداء الموظفـين

البعد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
الثقافة التنظيمية القوية أداء الموظفين	0.304	0.001

يلاحـظ مـن الجـدول (11.13) أنـه ومـن خـلال نتائـج معامـل ارتبـاط بيرسـون أن هنـاك علاقـة طرديـة بـين الثقافـة التنظيميـة القويـة وأداء الموظفـين في إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة، وأن هـذه العلاقـة هـي علاقـة ضعيفـة وفقـاً للمقيـاس.

وعليـه ترفـض الفرضيـة الرئيسـة الأولى H0 ونقبـل الفرضيـة البديلـة والتـي تشـير إلى وجـود علاقـة بـين الثقافـة التنظيميـة القويـة وأداء الموظفـين في إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي في مدينـة اجدابيـا والمكاتـب التابعـة.

14 – النتائج والتوصيات:

1.14 – تمهيد

استهدفت هذه الدراسة التعرف على الثقافة التنظيمية القوية وعلاقتها بتحسين الأداء في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي اجدابيا والمكاتب التابعة له، وفي هذا الفصل يتم تلخيص النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، ومن ثم تقديم بعض التوصيات.

2.14 – نتائج الدراسة

نستعرض فيما يلي نتائج الدراسة وذلك في النقاط التالية:

1. **يلاحظ من خلال نتائج معامل ارتباط بيرسون أن هناك علاقة طردية بين الثقافة التنظيمية القوية وأداء الموظفين في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي في مدينة اجدابيا والمكاتب التابعة، وأن هذه العلاقة هي علاقة ضعيفة وذلك بمعامل ارتباط(.0.304) ومستوى دلالة (0.001)**
2. **إن نسبة كبيرة من موظفي صندوق الضمان الاجتماعي قيد الدراسة هم من فئة الذكور حيث بلغت (58.3 %)، وتتراوح أعمارهم (من 30 إلى 40 سنة) وبنسبة (66.9 %).**
3. **اتضح من خلال المبحثين إن أغلب الفئات هم من حملة الشهادة الجامعية وبنسبة (63.0 %).**
4. **وجود ثقافة تنظيمية قوية في إدارة فرع صندوق الضمان الاجتماعي والمكاتب التابعة له، وذلك من خلال ارتفاع مستويات أبعادها حيث بلغ المتوسط الحسابي (3.65)، بانحراف معياري (0.661).**
5. **تشير النتائج أن المتوسط الحسابي العام لبعد التماسك بلغ بنسبة (3.68)، وبانحراف معياري قدره (0.661)، ووفقا لمقياس الدراسة فإن هذا البعد مرتفع كما تشير إلى ارتفاع عبارات بعد التماسك حيث تتراوح بين(-3.59 3.80) المتمثلة في التفاهم بين موظفي ووجود لغة مشتركة للاتصال بينهم وكذلك وجود قيم مشتركة بين موظفي صندوق الضمان الاجتماعي.**
6. **أظهرتا النتائج أن المتوسط الحسابي العام لبعد المشاركة بلغ (3.56)، وبانحراف معياري قدره (0.781)، ووفقا لمقياس الدراسة فإن هذا مرتفع، كما أظهرت ارتفاع في عبارات بعد المشاركة تتراوح بين (3.50 – 3.65) المتمثلة في الحرية في أبداء آرائهم بالمشاركة المعقولة في اتخاذ القرارات وذلك طبقاً للنتائج .**
7. **تيبين النتائج، أيضا أن المتوسط الحسابي العام لبعد التعاون بلغ (3.68)، وبانحراف معياري قدره (0.661)، ووفقا لمقياس الدراسة فإن هذا البعد مرتفع كما تبين ارتفاع في عبارات بعد التعاون والتي تتراوح بين (3.92 – 3.61)، وهذا ما يدل على أن موظفي صندوق الضمان الاجتماعي يقومون بالتعاون في على تشجيع العمل الجماعي وتبادل المعارف ورفع الروح المعنوية**

للأفـراد وكذلـك التعـاون في حـل مختلـف المشـاكل.

8. تشـير النتائـج حسـب آراء أفـراد الدراسـة عـن الأداء، مـن خلال المتوسـط الحسـابي العـام الـذي قـد بلـغ (4.30)، وبانحـراف معيـاري (0.3.44)، دليـل عـلى أن هنـاك نسـبة أداء مرتفعـة

3.14 - التوصيات

في ضـوء النتائـج التـي أسـفرت عليهـا هـذه الدراسـة ومـن خـلال المقابلـة التـي أجريت مـع بعـض الموظفـين، يمكـن اقـتراح التوصيـات التالية:

1. عـلى صنـدوق الضمـان الاجتماعـي توظيـف الفئـة العمريـة أقـل مـن 30 سـنة مـن الخريجـين الجـدد مـن الجامعات.
2. العمـل عـلى زيـادة التفاهـم ولغـة الاتصـال بـين موظفـين إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي والمكاتـب التابعـة لـه.
3. عـلى صنـدوق الضمـان الاجتماعـي توظيـف خريجـين متحصلـين عـلى درجـة الماجسـتير أو الدكتـوراه وذلـك لزيـادة الكفـاءة والفاعليـة.
4. ضرورة العمـل زيـادة الـكادر الوظيفـي إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي والمكاتـب التابعـة.
5. ضرورة ربـط منظومـة مكتـب الضمـان الاجتماعـي البريقـة مـع منظومـة السـجل المدنـي، وذلـك لتسـهيل إجـراءات الموطنـين.
6. عـلى إدارة فـرع صنـدوق الضمـان الاجتماعـي زيـادة الاهتمـام وتشـجيع الموظفـين لطـرح أفـكار جديـدة وإبداعيـة.
7. على الموظفين العمل على زيادة التعاون في حل المشكلات المختلفة.

المراجـــع

1. سـويسي، أحمـد، (2013م)، الثقافـة التنظيميـة وتأثيرهـا عـلى أداء العاملـين بالمؤسسـة، رسـالة ماجسـتير، جامعـة زيـان عاشـور الجلفـة، كليـة الآداب، قسـم العلـوم الاجتماعيـة.
2. إيهـاب، الحاجـز، (2011م) دور الثقافـة التنظيميـة في تفعيـل تطبيـق الإدارة الإلكترونيـة، رسـالة ماجسـتير، الجامعـة الإسـلامية، كليـة التجـارة، قسـم إدارة الأعمـال، غـزة – فلسـطين.
3. هايـل، الزايـد، (2005م)، أثـر التدريـب في رفـع كفـاءة أداء العاملـين، رسـالة ماجسـتير، جامعـة دمشـق، كليـة الاقتصـاد، قسـم إدارة الأعمـال، دمشـق – سـوريا.
4. نسريـن، الـزوي، (2012م)، دور الثقافـة التنظيميـة في زيـادة فاعليـة الأداء الوظيفـي، رسـالة ماجسـتير، جامعـة بنغـازي، كليـة الاقتصـاد، قسـم الإدارة، بنغـازي ليبيـا.
5. جواهـر، العبيـدي ، (2013م)، أثـر التوحيـد الإبداعـي واسـتراتيجية التدريـب عـلى أداء العاملـين، رسـالة ماجسـتير، جامعـة الـشرق الأوسـط، كليـة الأعمـال، قسـم إدارة أعمـال، الكويـت.
6. حمـزة، بيسـيس، (2019م)، أثـر الثقافـة التنظيميـة عـلى الأداء التنظيمـي، رسـالة ماجسـتير، جامعـة قاصـدي مريـاح، كليـة العلـوم الاقتصاديـة، الجزائـر
7. خولـة، آيـت إبراهيـم، (2015م)، أثـر الثقافـة التنظيميـة عـلى إدارة التميـز، رسـالة ماجسـتير، كليـة العلـوم الاقتصاديـة، الجزائـر.
8. سـالم، إليـاس، (2006م)، تأثـير الثقافـة التنظيميـة أداء المـوارد البشريـة، رسـالة ماجسـتير، جامعـة محمـد بوضبـاف بالمسـلية، كليـة الاقتصـاد، قسـم إدارة الأعمـال.
9. محمـد، شـاطري، (2016م)، دور الثقافـة التنظيميـة القويـة في تحسـين أداء العاملـين، رسـالة ماجسـتير، جامعـة محمـد خيـضر، كليـة العلـوم الاقتصاديـة والتجاريـة وعلـوم التيسـير، قسـم علـوم التسـيير، الجزائـر – سـكرة.
10. حسـن، عبـد اللـه، (2018م)، الـدور الوسـيط الرضـا الوظيفـي في العلاقـة بـين الثقافـة التنظيميـة وكفـاءة أداء العاملـين، رسـالة ماجسـتير، جامعـة النيلـين، كليـة الدراسـات العليـا، قسـم إدارة الأعمـال، السـودان.
11. عبـد الـرزاق مصطفـى، احمـد عـلى، عبـاس احمـد (2014م)، الثقافـة التنظيميـة وتأثيرهـا في تحديـد التوجـه الاسـتراتيجي للمنظمـة، ورقـة بحـث، كليـة الإدارة والاقتصـاد، قسـم إدارة الأعمـال، جمهوريـة العـراق.
12. بـن بـردي، قعـري، (2017م)، الثقافـة التنظيميـة وعلاقتهـا بـالأداء الوظيفـي للعاملين في المؤسسـات الخاصـة، رسـالة ماجسـتير، جامعـة الشـهيد حمـه لخـضر بالـوادي، كليـة العلـوم الاجتماعيـة والإنسـانية، قسـم العلـوم الاجتماعيـة، الجزائـر.
13. محمـد، محجـز، (2017م)، دور الثقافـة التنظيميـة كمدخـل لدعـم الإدارة الإلكترونيـة، رسـالة ماجسـتير، جامعـة الأقـصى.
14. بشـائر، مسـودي، (2018م)، دور الثقافـة التنظيميـة في التطويـر الأكاديمـي، رسـالة ماجسـتير، جامعـة الخليـل، كليـة الدراسـات العليـا قسـم إدارة الأعمـال، فلسـطين.
15. نجيـة، خنـبري، (2013م)، دور الثقافـة التنظيميـة في ضبـط سـلوك العامـل داخـل المنظمـة، رسـالة ماجسـتير، جامعـة المسـيلة، كليـة الآداب والعلـوم الاجتماعيـة، قسـم علـم الاجتمـاع والديموغرافيـا، الجزائر.
16. نعمـان، عائـدة، (2008م)، علاقـة التدريـب بـالأداء الأفـراد العاملـين في الإدارة الوسـطى، رسـالة ماجسـتير، جامعـة الـشرق الأوسـط، كليـة العلـوم الإداريـة والماليـة، تعـز، اليمـن.

مدى تطبيق المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية بالمصارف التجارية دراسة استطلاعية على مصرف الوحدة بطبرق بفرعيه (الوحدة الرئيسي، الوحدة الحريقة)

إعداد:
أ. سعد علي بالخير د.عبدالعزيز يوسف شعيب مصباح
قسم المحاسبة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة طبرق

الاستلام : 16/ 8/ 2022 القبول : 18/ 9/ 2022

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تطبيق المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية بالمصارف التجارية بالتطبيق على (مصرف الوحدة الرئيسي، مصرف الوحدة الحريقة) بطبرق، وتبنت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتم تجميع عدد (37) استبانة صالحة للتحليل من المحاسبين، وتوصلت الدراسة إلى أن المحاسبين بمصرف الوحدة يتوافقون بالعمل مع نظام المراجعة الاجتماعية التي تطبق بمصرفهم بدرجة متوسطة، كما يُطبق المحاسبين حوكمة الموارد البشرية في مصرف الوحدة بدرجة متوسطة، وتوجد علاقة ارتباطية موجبة بين متغير المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية، أي أن المراجعة الاجتماعية لها دور وتأثير على حوكمة الموارد البشرية داخل مصرف الوحدة. وتوصى الدراسة بمنح أهمية أكبر للأنشطة الاجتماعية بالمصارف التجارية وكذلك لابد من إعداد وإتاحة المعلومات المحاسبية الخاصة بالمسؤولية الاجتماعية والعمل على تحديثها بشكل مستمر، وإرساء مفهومها ضمن برامج التعليم المحاسبي واضطلاع الدولة بدورها وذلك بسن القوانين والعمل على تنفيذها.

الكلمات المفتاحية: التدقيق، المسؤولية، الإفصاح، البنوك، الأداء

The extent to which social auditing and human resource governance are applied in commercial banks

An exploratory study of the two branchs of Al Wahda Bank in Tobruk

Abstract:

The study aimed to identify the possibility of applying social auditing and governance of human resources in commercial banks (Alhrega branch and the main branch of Al Wahda Bank in Tobruk). The study used the descriptive and analytical approach. 37 valid questionnaires were collected from accountants and tested by using rank and means indicators. The study shows agreement amongst accountants in relation to social auditing applying on average level. Moreover, human resource governance is adopted in the bank on average level. which is applied in the bank. There is a positive relationship between social auditing and human resource governance, there is an affect for the social auditing upon human resource governance in Al Wahda bank, the study recommended that a high value should be given to social activities in commercial banks. More specific, suitable and detailed accounting information about social auditing should be prepared, be available and updated continuously. Also, more focus should be given for social auditing concept within accounting education programmes and the state should play its role of establishing and applying the required acts of social responsibility in general.

Keywords: workforce, performance, disclosure, responsibility, accounting

مقدمة:

إن التطور الكبير الذي شهدته المنظمات عبر الزمن، وكذا التطور في مجال العلاقات الاقتصادية، وتوسيع نطاق المبادلات التجارية، وتشابكها جعل المنظمات تتعامل مع عدة أطراف وهيئات مختلفة لها مصالح معها، سواء بالشكل المباشر أو غير المباشر، مما أوجب على المنظمة تبني وظيفة جديدة داخل هيكلها التنظيمي تسمح لها بإبلاغ كل هؤلاء المتعاملين بكل التطورات داخلها، وكذا النشاطات التي تقوم بها. ولكي تُنجز هذه المهمة على الوجه المطلوب، وجب تمتع المنظمة بصفة الحياد والموضوعية في إيصال المعلومات إلى أصحاب المصلحة، وعلى هذا الأساس فإن المراجعة تساعد على تلبية هذه المتطلبات، وكذا الحكم على عدالة القوائم المالية في التعبير عن نتيجة أعمالها من ربح أو خسارة وعن مركزها المالي في نهاية الفترة المالية. لقد أصدرت لجنة ممارسة المراجعة التابعة للاتحاد الدولي للمحاسبين بيان حول مراعاة المسائل البيئية عند تدقيق الجوانب المالية كجزء من المسؤولية الاجتماعية، مما يجعل المُدقق مسؤولاً ومُلزما بتطبيق معايير المراجعة الدولية، والتي تعتبر بمثابة نموذج يستخدم في الحكم على نوعية العمل الذي يقوم به، بالإضافة إلى إمكانية ضبط عمل المهنيين وتوجيههم لأداء العمل بالفاعلية المطلوبة وبالجودة الملائمة. إن حوكمة المصارف تعتبر من المواضيع المهمة التي تحتل أهمية كبرى على الصعيد الدولي كأسلوب إداري تنظيمي يساعد عدة أطراف، أهمها الدولة متمثلة بالحكومة لتحقيق أهدافها المجتمعية، وخطط التنمية، وذلك من خلال تعزيز وتبني مبادئ الشفافية، والمساءلة، وتقاسم المسؤولية، وتعزيز دولة القانون. وتمنح الأهمية لحوكمة الموارد البشرية بالاعتماد على مفهومها والتطبيق والترجمة الحقيقية والسليمة لمبادئها، فالوعي بقيّمها والالتزام بأحكامها ومبادئها عامل بالغ الاهمية للمؤسسات، فمبادئها تهدف إلى تعزيز الاصلاحات، وارساء مبادئ الافصاح والشفافية. فالالتزام بمبادئ الحوكمة يعد من الدعامات الاساسية التي تساعد على تحسين الأداء الوظيفي.

مشكلة الدراسة:

حيث أن تقييم أداء المؤسسات لم يعد يعتمد فقط على مقدار ما تحصل عليه من أرباح فقط بل تعدى الامر ذلك ليتم الاعتماد على مؤشرات أخرى مثل المسؤولية الاجتماعية ومفاهيمها[1].

يتعزز مفهوم المسؤولية الاجتماعية ويحقق بدوره عدد من الميزات مثل الاستخدام الأمثل للموارد المالية، وتحفيز الموظفين، كما تعزز من تفعيل اللامركزية. على الصعيد المحاسبي بالمؤسسات ظهرت المحاسبة والمراجعة الاجتماعية والتي تعتبر من أدوات المسؤولية الاجتماعية ولأهمية هذا النوع من

(1) موسى قاسم القريوتي، رياض عبدالله الخوالدة، مازن كمال قطيشات، محمد فالح الحنيطي، محمد عطوة المعايطة، (2014)، دور المسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية – دراسة حالة في شركة زين للاتصالات الخلوية، دراسات العلوم الإدارية، المجلد 41، العدد 1، ص 37 -55

المحاسبة والمراجعة وحيث إنه وبتبنيها في الدول المتقدمة وعدد من الدول النامية فقد حققت نجاعاً كبيراً[2].

حسب أحد الباحثين [3] فإن هناك ازدهار لفكرة المسئولية الاجتماعية بالمصارف. ويمكن القول بأن هناك عدة أسباب تدعو المؤسسات المالية إلى تبني أسلوب المسؤولية الاجتماعية أكثر من مجرد التفكير بالربح. إن عملية تطور المسؤولية الاجتماعية بالمصارف يسهم في ظهور نزعات إيجابية في القطاع المالي، مثل ارتفاع عامل المنافسة والضغط للعثور على مناطق جديدة للنمو، الاختراعات التكنولوجية وكذلك تنمية الخبرة حول المخاطر بالأنشطة الاجتماعية لتطوير المجتمع والبيئة والاقتصاد. إن دراسة تاريخ الاقتصاد ونشأة وتطور المصارف بالاعتماد على استلاف الأموال فإننا نلاحظ أن هناك منافع متعددة تعود على المجتمع من أبعاد مختلفة مثل البعد الاجتماعي الاقتصادي الإيجابي. أن للمصارف قوة والتي تتمثل بتوليد الكثير من الأموال ومن هنا فإن دورها ومسؤوليتها تجاه المجتمع تعتبر كبيره، وبذلك فإن نفس المجتمع يحتاج أن يُنظر إليه من قبل المصرف عند أتخاذ القرارات لتكون انعكاساتها على نشاطات المصرف بشكل أفضل، وبالتوازي مع ذلك فإن المصارف بدأت تهتم بإيجاد الطرق التي من شأنها أن تساعدها على إجابه التساؤلات والتوقعات الاجتماعية وكذلك العمل على إيجاد آثار إيجابية بتكاليف معقولة وممكنة وبالتالي العمل على تطوير استراتيجيات للمسؤولية الاجتماعية، بالرغم من إنه في الأمد القصير فإن الهدف الاقتصادي هو تعظيم الأرباح فإنه ينظر إلى المسؤولية الاجتماعية على اعتبار أنها متعارضة.

يجب أن يكون للمصارف مسؤولية اجتماعية لكي تكون قادرة على بناء جانب مهم من رأس المال إلا وهو تحسين صورة وسمعة المصرف بالمجتمع المحيط بالشكل الذي يسمح لهم باستقطاب موظفين من ذوي الكفاءة العالية وتحصيل المزيد من التمويل وتحقيق وظائف أفضل وتوسيع قاعدة الزبائن واستقطاب المزيد من المستثمرين وبالمحصلة الفوز بثقة الجمهور[4] ، كما يلخص[5] القول بأن المصارف محاولةٌ المساهمة بتحقيق وضع أفضل للمجتمع المحلي والوطن والانسانية فإنه يجب أن تندمج بنشاطات المسؤولية الاجتماعية

(2) مليكه سليماني، (2019)، التدقيق الاجتماعي كأداة لتأمين جودة الموارد البشرية، المجلة الجزائرية للموارد البشرية، المجلد 3، العدد 1، ص ص 58-41

(3) Scholtens ,B (2009) .Corporate Social Responsibility in the international Bnaking Industry ,Jornal of Business Ethics159-175 86 ,

(4)Achua ,J.K ,(2008) .Corporate social responsibility in Nigerian banking system ,social and business review (1)3 ,pp.57-71.

(5)Dorasamy,N ,(2013) .Corporate social responsibility and ethical banking for developing economies ,Journal of Economics and Behavioral studies ,5 ,pp777-785.

والتي من شأنها أن ترضى احتياجات الكثير من أصحاب المصلحة. هذا يتطلب التركيز على الاستثمار بالمسؤولية الاجتماعية بدلا من العمل فقط على بناء ثروة المنظمة بعيداً عن إعطاء هذا البُعد الأهمية المناسبة لنجاح المنظمة بِوَسَطِها. يحدث هذا بالرغم من أن المصارف تستطيع مقابلة الطلب الاجتماعي والذي يؤثر على النجاح والنمو المؤسسي المستقر. قدمت دراسة[6] قواعد صارمة تجبر الشركات على ضرورة إتباعها ليتم تصنيفها ضمن الشركات التي تطبق المسئولية الاجتماعية، حيث يتوجب عليهم تطبيق التعريف بمعايير سلوك المسؤولية الاجتماعية بالمنظمة مما يسهم ويسهل من عملية المقارنة والقياس وفق معنى واضح ومهم. كما بينت دراسة[7] أن عدد كبير من المستهلكين سيركزون بشكل تفضيلي على مبادرات Corporate Social Responsibility ((CSR بمجرد اطلاعهم على مبادرات المنظمة المعنية بصفة عامة. وتقترح دراسة[8] أن هناك مزايا يمكن أن تحصل عليها المصارف في محاولاتهم لتبني مبادرات نظام CSR متطور يستند على إتباع النشاطات الآتية: تشجيع السلوك المستقر في التعامل مع الشركاء والمستهلكون، تقديم فوائد ملموسة ويمكن قياسها للمجتمع بشكل عام (تطور اجتماعي، اقتصادي، بيئي)، بناء مستويات أداء وإشراف وحوافز عالية للعاملين ضمن حوكمة الموارد البشرية والتي تسهم في توعيه المصارف بأدوارهم المحتملة بالمجتمع وتسويق أنفسهم بشكل إيجابي والعمل على الرفع من مدى إدراك العلامة التجارية للمنظمة. كما يُلخص[9] بأن هناك تناقض بين تطوير السياق التنافسي للأعمال بنفس الوقت الذي يخلق التزام وضمان حقيقي وبالتالي ينعكس إيجابياً على المجتمع. ولاحظوا كذلك أنه إذا رُبط عمل المنظمة الاجتماعي بسياقها التنافسي، فإن ذلك يسهم في تعزيز مساهمتها تجاه المجتمع بشكل أكبر. كما تلخص دراسة [10] أن هناك مزايا لتطبيق المسؤولية الاجتماعية بالمصارف تتضمن زيادة الأرباح، زيادة ثقة وأيمان الزبائن بالمصرف، تحسين موقف العلامة التجارية، الدفاع ومنح صورة إيجابية للمصرف، وحسب نفس الدراسة فإن هناك تضمين لمتطلبات المسؤولية الاجتماعية بالنظام المصرفي

(6)Anna Remisova & Zuzana Kirchmayer ,(2012) Measuring corporate social responsibility towards employees ,Journal for East European Management Studies ,(3)17 pp.273-291

(7)Alan Pomering & Sara Dolnicar ,(2006) The limitations of consumer response to CSR :An empirical test of Smith's proposed antecedents ,Conference Proceedings of the Australian and New Zealand marketing academy conference) ANZMAC2006 ,(Queensland University of Technology ,Gardens point Campus ,Brisbane, 4-6December.2006

(8)Firuza S .Madrakhimova .(2015).Corporate Social responsibility in European banks .Journal of finance, accounting and management.23-29 (1)6 ,

(9)Abdul ,Hassen &Salma Binti Abdul Lattiff ,(2009) Corporate social responsibility of Islamic Financial Institutions and businesses :Optimizing charity value ,Humanomics (3)25 pp.177-188

(10)Selvakumar ,M ,.Arumugam ,B & ,.Sathiyalakshmi ,V .A (2016) Study of Corporate Social Responsibility of Banks .Productivity ,(2)57 pp187-209

الـدولي، وهـذا يقودنـا إلى إن اسـتخدام وتبنـي المسـؤولية الاجتماعيـة يعتـبر مـن أهـم مجـالات المنافسـة بـين المصـارف.

ومـن هنـا نجـد أن كثـير مـن الدراسـات السـابقة قـد برهنـت عـلى تحقيـق هـذه الأهـداف الإيجابيـة في العديـد مـن المنظمـات عـلى اختـلاف أشـكالها وأنواعهـا وهنـا يكـون مهمـاً أن نستكشـف دور هـذه الممارسـات في البيئـة الليبيـة ونظـراً للـدور المهـم الـذي يلعبـه القطـاع المـصرفي في ليبيـا سـواء مـن الناحيـة الاقتصاديـة أو مـن الناحيـة الاجتماعيـة مـن خـلال مسـؤولياته المتعـددة تجـاه المجتمـع والعمـلاء بهـذا القطـاع وكـذا ملاكـه والعاملـين بـه، فـإن عـدم معرفـة العلاقـة بـين المسـؤولية الاجتماعيـة وبعـض المتغـيرات ذات العلاقـة في القطـاع المـصرف بالبيئـة الليبيـة سـينعكس سـلباً عـلى الجميـع. مـن هنـا يمكـن إبـراز مشـكلة الدراسـة مـن خـلال أهميـة موضـوع المراجعـة الاجتماعيـة ودورهـا في الضغـط عـلى المصـارف لتبنـى وتطبيـق مفاهيـم وإجـراءات المسـؤولية الاجتماعيـة ومـا لذلـك مـن أثـر عـلى العديـد مـن الجوانـب الإداريـة لحوكمـة المـوارد البشريـة التـي تسـهم في تقديـم حلـول ومقترحـات لمشـكلات إدارة المـوارد البشريـة بالمصـارف التجاريـة الليبيـة.

بشكل عام يمكن تلخيص مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

1. مـا مـدي تطبيـق مـصرف الوحـدة بفرعيـه للمراجعـة الاجتماعيـة مـن وجهـة نظـر المحاسـبين بهمـا؟
2. مـا مـدي تطبيـق مـصرف الوحـدة بفرعيـه لحوكمـة المـوارد البشريـة مـن وجهـة نظـر المحاسـبين بهمـا؟
3. مـا طبيعـة علاقـة الارتبـاط بـين المراجعـة الاجتماعيـة وحوكمـة المـوارد البشريـة مـن وجهـة نظـر المحاسـبين بمـصرف الوحـدة بفرعيـه؟

أهمية الدراسة

تحظـى المسـؤولية الاجتماعيـة بأهميـة كبـيرة بالنسـبة لـلإدارة حيـث أنهـا ترتبـط بعلاقـات ومتغـيرات مختلفـة ومتعـددة داخـل المنظمـة وخارجهـا، وبالنظـر إلى واقـع المنافسـة المتنامية التـي تشـهدها بيئـة الاعمـال المعـاصرة، كمـا أن التطـور التكنولوجـي المتسـارع ونظـام الاتصـالات يسـاهم في عمليـة تحريـر القطـاع المـصرفي والمنظمـات المرتبطـة بـه، وكنتيجـة لذلـك نجـد أن المنافسـة عـلى أشـدها بـين المصـارف عالميـا لإدمـاج مفهـوم المسـؤولية الاجتماعيـة الأمـر الـذي يرفـع مـن الأربـاح ويزيـد مـن ثقـة الزبائـن، وفي ظـل هـذا التهافـت مـن المصـارف العالميـة على تبنـي اسـتراتيجية المسـؤولية الاجتماعيـة فـإن الامـر يتطلـب دراسـة المصـارف المحليـة وبحـث هـذه الاسـتراتيجية ومـدى إدراك أهميتهـا ومفهومهـا بالبيئـة الليبيـة. ويمكـن بيـان أهميـة الدراسـة عـلى النحـو التـالي:

- تعتـبر مـن الدراسـات الأوليـة التـي تناولـت موضـوع المراجعـة الاجتماعيـة والموارد البشريـة بالقطـاع المصرفي.
- مـن المأمـول أن تسـهم هـذه الدراسـة في إثـراء الأدب في مجـال المراجعـة الاجتماعيـة

والموارد البشرية وتسهم في تسليط الضوء على هذا الموضوع للفت الانتباه إلى هذا القطاع وإجراء المزيد من الدراسات.

- كما يؤمل إن تساعد نتائج هذه الدراسة بالمساهمة العملية في مساعدة متخذي القرارات وأصحاب المصلحة بالصناعة المصرفية للتركيز بشكل أكبر على المراجعة الاجتماعية، حتى ينعكس ذلك إيجاباً على بعض جوانب الإدارة وبشكل يسهم في تحقيق الأهداف العامة للمصارف من تحقيق الربحية ورضا العملاء.
- من المأمول أن تتوصل هذه الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات يمكن من خلالها مساعدة الباحثين المهتمين بهذا المجال وأيضاً لكلا من الإدارة والعاملين في البنوك ومنظمات الأعمال الأخرى.
- تقديم دراسة نظرية وميدانية للمدراء في المصارف التجارية عن المراجعة الاجتماعية، وحوكمة الموارد البشرية.
- الاتجاه السائد بأغلب المصارف للاهتمام بمقومات المسؤولية الاجتماعية وما يرتبط بها من عناصر ولعل أهمها المراجعة الاجتماعية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدارسة إلى التعرف مدى تطبيق المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية بالمصارف التجارية من وجهة نظر المحاسبين بالمصارف بالتطبيق على مصرف الوحدة طبرق، وينبثق عن هذا الهدف الأهداف الفرعية التالي:

- التعرف على الجوانب الفكرية لمفهوم المراجعة الاجتماعية.
- التعرف على واقع تطبيقات المراجعة الاجتماعية في المصارف الليبية.
- تحديد وتحليل علاقة المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية بحوكمة الموارد البشرية.

الإطار النظري للدراسة:

المبحث الاول: المراجعة الاجتماعية:

تُعرف المراجعة الاجتماعية بأنها تلك الوسيلة المنهجية للتشخيص الاستراتيجي للوضعية الاجتماعية للمنظمات التي يتبعها شخص مستقل للكشف عن نقاط القوة والضعف في شكل اختلالات وانحرافات، بالمقارنة مع مرجعيات أساسية لتحسين فاعلية المنظمات وقدرتها على التكيف مع التغيرات الحاصلة ببيئتها بواسطة توصيات موضوعية مستمدة من معطيات حقيقة وصادقة[11] كما عرفها ستيفان 1970 بأنها تحليل السياسات والتطبيقات والبرامج لمؤسسة ما لتقييم نجاحها وفاعليتها، وعرفه Candau Pierre [12] على أنه المنهج الموضوعي

(11) ميلاد رجب اشميله (2014)، إدراك وتطبيق المراجع الخارجي في ليبيا لاسلوب المراجعة الاجتماعية ودراسة الاستطلاعية للمراجعين الخارجيين في المنطقة الشرقية ليبيا، مجلة الجامعة الاسمرية الاسلامية، ص ص 162-127.

(12) Pierre Candau ,l'audit (1985) social methodes et techniques pour un management efficace ,Vuibert gestion ,Vuibert gestion ,Paris cited in Tounsi ,A &,.Bourenane ,B .(2016) .Social auditing and its role in narrowing the expectations gap on social responsibility through accountability for social responsibility .Dirassat Journal Economic Issue ,(3)7 ,pp333-360.

المستقل عن طريق الملاحظة، التحليل، التقييم، تقديم التوصيات وبالاعتماد على منهجية صارمة واستعمال تقنيات بالمقارنة مع مرجعيات صريحة واضحة للتعرف على نقاط القوة والضعف كمرحلة أولية والعراقيل والعقبات على شكل أخطار وتكاليف كمرحلة ثانية وكل هذا يستلزم تشخيص الأسباب الخاصة بالمشاكل المترتبة عنها وتقدير أهميتها ثم التوصل إلى تكوين اقتراحات وتوصيات للحد من هذه النقائص.

أهداف المراجعة الاجتماعية: تم تناولها على النحو التالي:[13]

1 -القيام بالمعاينة الدقيقة لتحصيل المعلومات الصادقة حول مجال الاهداف الخاصة بالأفراد كالتوظيف من خلال وضع الفرد المناسب في المكان المناسب، رفع الروح المعنوية من خلال تحسين ظروف الاجور العادل.

2 - إذا كانت الرقابة نابعة من إدارة المسؤولين تكون نتائجها مضمونة نوعا ما والمتابعة الدائمة للوضعيات والنتائج وتطبيق التوصيات نظرا لتوفر الارادة من أجل القضاء على الظاهرة وتحسين الظروف لرفع الأداء والانتاجية لدي الافراد.

3 -التشخيص الدقيق للأسباب للوصول إلى نتائج صادقة.

4 - التحكم الأمثل في التكاليف الاجتماعية المباشرة منها وغير المباشرة.

5 - التنبؤ بالأخطاء وفي الوقت المناسب لتفادي تفاقمها وبالتالي صعوبة علاجها.

6 - تستعمل المراجعة كذلك في المفاوضات مع المتعاملين بمجرد اطلاع المفاوض على تقارير المراجعة الاجتماعية بإمكانه أخذ نظرة عن الوضعية الاجتماعية للمؤسسة.

أهم الوسائل التي يستخدمها المراجع الاجتماعي تتمثل بالآتي:[14]

1. الفحص الفني والميداني: بالنظر لوجود جوانب ذات طابع فني متعلقة بالجوانب الاجتماعية، يستعين المراجع عند قيامه بالمراجعة الاجتماعية بفحص أو دراسة فنية يقوم بها المتخصصون على سبيل المثال في مجال التلوث.
2. الفحص الحسابي والمستندي:
   - الفحص الحسابي يستند أساسا على فحص السجلات والمستندات، وكذلك القوائم المالية التنظيمية للبيانات المتعلقة بالأنشطة الاجتماعية التي ينبغي التأكد من صحتها من الناحية الحسابية.
   - أما الفحص المستندي: فيعني التأكد من وجود مستند لكل عملية متعلقة بالنشاط الاجتماعي للمصرف، وأن المستند قانوني وصحيح، وأنه يدخل في نطاق النشاط الاجتماعي للمصرف.
3. نظام المصادقات والاستفسارات حيث يهدف الأول إلى الحصول على إقرار

(13) عكاشة رزين، (2020) أهمية التدقيق الاجتماعي لتفعيل حوكمة الشركات حسب معايير المؤسسات الدولية، مجلة اقتصاديات المال والاعمال، المجلد3 العدد 4، الجزائر، ص 38-19.

(14) خليل محمود الرفاعي (2012)، قياس مدي تطبيق المدققين الاردنيين لمفهوم المراجعة الاجتماعي كجزء من عملية المراجعة الشاملة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الانسانية والاجتماعية، جامعة القدس المفتوحة، العدد 27، ص 345 - 362

مكتوب من داخل المصرف أو خارجه عن صحة أو خطأ مبالغ أو خدمات يكون قد حصل عليها كنتيجة لنشاط أو أكثر. أما النظام الثاني فيستخدمه المراجع في أثناء مصادقته لبعض الامور غير الواضحة التي تحتاج إلى توضيح وبعض هذه الاستفسارات يوجه إلى الإدارة أو يستخدم الاستفسارات لتحديد آثار بعض الانشطة الاجتماعية للمصرف.

4. الاستفسار الذي يوجه المراجع إلى موظفي المصرف لبيان مدي استفادتهم من النشاط الاجتماعي وكذلك الاستفسارات التي يوجهها المراجع للمقيمين بالمنطقة المحيطة بالمصرف لمعرفة رأيهم حول ما يقدمه المصرف لهم من برامج اجتماعية.
5. الجرد العملي: وذلك بجرد عملي للأصول الخاصة بالأنشطة الاجتماعية للمصرف، فإلى جانب الفحص والمراجعة المستندي للتأكد من صحة هذه الاصول، وارتباطها بالنشاط الاجتماعي، يستخدم المراجع أسلوب الجرد العملي بقصد التأكد الفعلي من تلك الأصول، والحالة التي هي عليها لغاية تاريخ إعداد التقرير الخاص عن النشاط الاجتماعي للمصرف.

ابعاد المراجعة الاجتماعية: يمكن تحديد أبعاد المراجعة الاجتماعية على النحو التالي:

1 - المقارنة حيث يتم مقارنة الأداء الحالي (السنة الحالية) مع الأداء السابق (السنة الماضية) ضمن المعايير المناسبة وايضا يمكن استخدامه للمقارنة بين المنظمات المتماثلة في الأداء والعمل، وكما تعرف عملية المقارنة على إنها إعداد قوائم تشرح السلوك للمرؤوسين في العمل والصفات الواجب توفرها فيهم ويجري ترتيبها في قوائم لتحديد أهمية كل عنصر فيها ويجري ذلك بالتعاون بين الموارد البشرية والرؤساء المباشرين.
2 - التكاملية: هي تكامل الجهود بين الجهات المعنية في المنظمة على سبيل المثال، الادارة، الموظفين، العملاء، أفراد المجتمع وواضعي السياسات ليتجلى من خلال ذلك الهدف الرئيس لخدمة المجتمع.
3 - المصداقية: هي المعاينة الدقيقة لتحصيل المعلومات الصادقة حول الاهداف الموضوعية الخاصة للأفراد كالتوظيف من خلال وضع الفرد المناسب في المكان المناسب ورفع الروح المعنوية وتحسين ظروف الاجور العادلة وبالتالي فان المُراجع يتحقق من ماهيه القرارات التي اتخذها بان تكون صادقة بناء على دقة المعلومات المعتمدة [15].
4 - الشفافية: هي العلاقة والتصريح الواضح للبيانات الحكومية والادارية من خلال وسائل الاعلام والرقابة بهدف اتاحتها للمجتمع المدني والمواطنين كافة[16].

(15)Lack ,I ,.Seele ,P .(2016) ,.The credibility of CSR) corporate social responsibility (reports in Europe .Evidence from a quantitative content analysis in 11 countries ,Journal of cleaner production ,122 ,pp186-200.

(16) أحمد علي خضر، (2012) الافصاح والشفافية كأحد مبادئ الحوكمة في قانون الشركات، ط1، دار الفكر الجامعي، القاهرة ص 23.

المبحث الثاني: حوكمة الموارد البشرية:

تُعـرَّف حوكمـة المـوارد البشريـة بأنهـا العمليـة والممارسـة التـي تتبنهـا المنظمـة في تحديـد الادوار، والسـلطة والمسـؤولية، واتخـاذ القـرارات، وفي نهايـة المطـاف مسـاءلة جميـع الموظفـين والادارة لصالـح مسـاهميها. وتُعـرّف أيضـا بأنهـا: هـي النظـام الـذي ينبغـي أن تعتمـده المنظمـات مـن أجـل التأكـد مـن المـوارد البشريـة التـي تـم ادارتهـا بشـكل مناسـب ورصدهـا بعمـق بالطريقـة التـي تخفـف مـن أيـة مخاطـر ذات صلـة بالمـوارد البشريـة[17]

وتشـير حوكمـة المـوارد البشريـة في المنظمـات العامـة إلى وجـود قـدر كبـير مـن التحفيـز للمواهـب في مجـال الخدمـة المدنيـة مـن خـلال تعزيـز الاختيـار القائـم عـلى الكفـاءة، واعتمـاد مبـدأ الجـدارة بوصفـه معيـار للترقيـة والنتائـج بوصفهـا مقياسـا للكفـاءة، ويضـاف إلى هـذا البعـد الاخلاقـي، فخدمـة النـاس هـي جوهـر الحوكمـة [18]. مبادئ حوكمة الموارد البشرية وهي تتضمن ما يلي: [19]

1. **الرؤيـة الاسـتراتيجية والتوجـه: وتسـاعد عـلى تحديـد الاولويـات والأدوار المتوقعـة مـن الجهـات الفاعلـة في المنظمـة، ووضـع معايـير لقيـاس الأداء عـلى المـدى المتوسـط والقصـير.**
2. **المسـاءلة : وهـي الاعـتراف وفرضيـة المسـؤولية عـن الأفعـال والنتائـج والقـرارات والسياسـات، وتختلـف هـذه المسـاءلة حسـب كل منظمة وحسـب مـا إذا كان القرار داخليـا أم خارجيـا بالنسـبة للمنظمـة. وتعنـي أيضـا الالتـزام بتقديـم حسـاب، أو بيـان حـول السياسـات العامـة والتحقـق مـن أن الامـور تسـير وفقـا لمـا هـو مخطـط لهـا، وفـرض العقوبـات في حـال لـم تقـدم النتائـج المحـددة.**
3. **الشـفافية: تعنـي وضـوح التشريعـات وسـهولة فهمهـا، واسـتقرارها وانسـجامها مـع بعضهـا وموضوعيتهـا، ووضـوح لغتهـا، ومرونتهـا وتغيرهـا وفقـا للتطـورات الاقتصاديـة والاجتماعيـة والإداريـة، وبمـا يتناسـب مـع روح العـصر. إضافـة إلى تبسـيط الاجـراءات ونـشر المعلومـات والافصـاح عنهـا وسـهولة الوصـول إليهـا، بحيـث تكـون متاحـة للجميـع. فالمنظمـات تحتـاج إلى نظـم شـفافة لصناعـة القـرار ووضـع الميزانيـات وتعقـب النفقـات.**
4. **توليـد المعلومـات في الوقـت المناسـب: حيـث تمكـن المعلومـات الدقيقـة أصحـاب المصلحـة لجعـل السياسـات بالغـة الادلـة، واتخـاذ الاجـراءات عندمـا لا يتـم اسـتيفاء الاهـداف والمعايـير.**
5. **الكفـاءة: تشـير إلى أي مـدى يتـم تطبيـق سياسـات المـوارد البشريـة، كمـا تعنـي**

(17) ابراهيـم محمـد جاسـم وسرمـد غانـم صالـح، (2016) تدقيـق المـوارد البشريـة اداة فاعلـة في حوكمـة المـوارد البشريـة، مجلـة جامعـة التنميـة البشريـة، السـليمانية بغـداد، المجلـد 2، العـدد 2، ص 287.

(18) مؤيـد السـاعدي، (2016) حاكميـة المـوارد البشريـة الركيـزة الاساسـية للبنـاء المؤسـسي في مؤسسـات التعليـم العـالي، مؤتمـر ترصـين التعليـم العـالي في العـراق، بغـداد في: 21-20/ 01/ 2016، ص 04.

(19) ابراهيم محمد جاسم وسرمد غانم صالح، مرجع سابق.

قدرة المؤسسات والمنظمات على إنتاج المخرجات العامة بكفاءة وفعالية من خلال الاستغلال الامثل والمستدام.

6. العدالة والنزاهة: وهي تتعلق بالسياسات والاجراءات التي تنطبق على الجميع. وبالتالي يجب معاملة الجميع أمام نفس القوانين بغض النظر عن الجنس، العرق، الدين، الوضع الاجتماعي والاقتصادي وغيرها.
7. الاستجابة: وهي قدرة المنظمة والاقسام على الاستجابة لاحتياجات الموظفين، وتعني قدرة المؤسسات على خدمة وتلبية مصالح المجتمع (الصالح العام) في مدة زمنية معقولة (جودة الخدمات).
8. صوت الموظف والمشاركة: وهي إشراك الافراد الذين يعملون من خلال المؤسسات التي تمثل مصالحهم. كما تعني المشاركة تلك العملية التي تضمن لجميع الفاعلين في المنظمة المشاركة الفعالة في اتخاذ القرار وادارة الحكم.

أهمية تطبيق حوكمة للموارد البشرية في المنظمات [20]:

1. تطبيق حوكمة الموارد البشرية ليس غاية في حد ذاته بل وسيلة لتعزيز جودة الخدمات العامة والسيطرة على الفساد للوصول الي مستويات متقدمة في التنمية المستدامة.
2. أن تطبيق مبادئ الحوكمة يحقق اللامركزية الادارية مما يقلل العبء على الادارة المركزية.
3. إدارة المخاطر والحد منها.
4. تعزيز القيم الاساسية والمتمثلة في العدالة والثقة والمسؤولية.
5. تطبيق معايير الحوكمة يساهم في التوصل إلى مستوى رفاه انساني راقي، والتوظيف الكُفء للقدرات في جميع مجالات النشاط الانساني، واعتبار القانون مرجعية للجميع والوصول الي توافق واسع للآراء [21]

متطلبات تطبيق الحوكمة في المنظمات:

هناك عدة متطلبات لتطبيق معايير الحوكمة في المنظمات ومن أهمها:[22]

– استشعار رئيس واعضاء مجلس الادارة لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم وجسامتها.

– وجود هيكل تنظيمي يحدد الواجبات والمسؤوليات في المنظمة بشكل دقيق ومتوازن.

– توفير نظم محاسبية ومالية فعالة تضمن تفعيل عملية اتخاذ القرار الاداري بكفاءة وفاعلية.

– ايجاد مدونة أخلاق أو ميثاق شرف يتميز بالنزاهة والموضوعية.

(20) بسام بن عبد الله البسام، (2016) الحوكمة في القطاع العام، مركز البحوث ومعهد الادارة العامة، المملكة العربية السعودية، ص 10.

(21) نور طاهر الاقرع، (2017)، أثر تطبيق معايير الحوكمة على تنمية الموارد البشرية في الهيئات المحلية الكبري في محافظة قلقيلية، مجلة جامعة فلسطين التقنية للأبحاث، كلية العلوم الادارية والاقتصادية، المجلد 1، العدد 5، ص 70.

(22) نور طاهر الاقراع، مرجع سابق.

– توفير بيئة اقتصادية واجتماعية وقانونية تتميز بكل مقومات الكفاءة والصدق والعدالة.
– توفر العنصر البشري المؤهل من الناحية العلمية والعملية.

الدراسات السابقة:

برزت العديد من الدراسات السابقة التي أهتمت بموضوع المسؤولية الاجتماعية بشكل عام متضمنة جوانب مما يمكن إدراجه تحت المراجعة الاجتماعية كجزء ضمن الإطار العام، فمثلاً هدفت دراسة [23] إلى التعرف على مدى تأثير المسؤولية الاجتماعية بأبعادها المختلفة (الاهتمام بالعاملين، التركيز على العملاء وحل المشكلات الاجتماعية، والاهتمام بالبيئة والمنافسة الشريفة، والمساهمة في الخطط التنموية) على تحقيق الميزة التنافسية في شركة زين للاتصالات الخلوية، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك دور إيجابي للمسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية في للشركة، كما توصلت الدراسة إلى وجود أثر ذو دلالة إحصائية لكل من (التركيز على العميل، والاهتمام بحل المشكلات الاجتماعية، والاهتمام بالعاملين، والاهتمام بالبيئة، والمنافسة الشريفة، والمساهمة في دعم الخطط التنموية) في تحقيق الميزة التنافسية في الشركة المبحوثة، وأوصت الدراسة بضرورة إعداد البرامج التدريبية للعاملين لتعريفهم باستراتيجية المسؤولية الاجتماعية وأهميتها ودورها في تحقيق التميز، وبضرورة تعاون جميع الشركات العاملة في هذا القطاع بوضع استراتيجية وطنية واضحة تسهم في تعزيز مسؤوليتها الاجتماعية تجاه المجتمع الذي تمارس أعمالها فيه.

كذلك فإن دراسة [24]هدفت إلى الكشف والتعرف على مدى تطبيق محاسبة المسؤولية الاجتماعية بالمصارف الأردنية ، وخلصت الدراسة إلى أن المصارف المبحوثة تطبق محاسبة المسؤولية الاجتماعية وذلك من خلال تحديد مراكز المسؤولية، وتحديد معايير الأداء لكل مركز مسؤولية، وكذلك تصمم نظام تقاريرها الرقابية وفقاً لنطاق المسؤولية ويتطابق مع النظام المحاسبي والهيكل التنظيمي، وأوصت بالعمل على توفير المعلومات المحاسبية الضرورية المرتبطة بجانب المسؤولية الاجتماعية مبوبة وفق الأنشطة الاجتماعية التي يقدمها المصرف لمختلف الفئات في المجتمع وضرورة إعادة النظر في كيفية تطبيق محاسبة المسؤولية في المصارف وتحديثها باستمرار، العمل على تطوير هذه المعايير مسؤولية مشتركة لكل الجهات ذات الصلة، وتقع مسؤولية تقييم مدى ملائمتها ومدلوليه المؤشرات التي يمكن أن توفرها على الجهات الرقابية في المصرف، إجراء دراسات أخرى عن موضوع الدراسة بهدف تطوير الأسس المستخدمة في تطبيق محاسبة المسؤولية

(23) Kaplan ,A D ,.Dominis ,S ,.Palen ,J .G &,.Quain ,E .E (2013) .Human resource governance :What does governance mean for the health workforce in low –and middle–income countries ,Human resources for health, ,(1)11pp1–12

(24) سعيد مخلد النعيمات، فارس جميل حسين، (2011) دور محاسبة المسؤولية الاجتماعية ومدى تطبيقها على قطاع البنوك التجارية في الأردن، مجلة كلية بغداد للعوم الاقتصادية، العدد 28

الاجتماعية في المصارف والقطاعات الأخرى، وعقد دورات باستمرار لكافة المستويات الإدارية لتعريفهم بمحاسبة المسؤولية الاجتماعية وأهميتها وأهدافها ومقوماتها وأهمية تفعيلها في المصارف التجارية، وكذلك يتوجب عند دراسة الأداء الاجتماعي أن تأخذ بعين الاعتبار المنافع الاجتماعية التي تحققها المصارف التجارية ومقارنتها مع التكاليف الاجتماعية الناتجة.

تمحورت دراسة [25] حول إبراز دور المراجعة الاجتماعية في حوكمة الموارد البشرية في المستشفيات حيث إنه يسعى إلى تقييم وتحليل قدرة المؤسسة على التحكم في مواردها البشرية باستعمال تقنيات تسمح بالكشف عن نقاط الضعف والقوة بهدف بلوغ حوكمة الموارد البشرية بفعالية، وتوصلت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن التدقيق الاجتماعي في المستشفيات يساهم في الاستغلال الأمثل لرأس المال البشري لا سيما عند إدراك الموظفين لمبادئ المراجعة الاجتماعية وتطبيقهم لمبادئ حوكمة الموارد البشرية.

ركزت دراسة [26] على مدى تطبيق محاسبة المسؤولية الاجتماعية في المصارف الإسلامية في الأردن وذلك من خلال التعرف على مدى إدراك إدارات هذه المصارف لمفهوم المسؤولية الاجتماعية ومجالات تطبيق محاسبة المسؤولية في المصارف المذكورة، وبينت النتائج أن إدارات المصارف الإسلامية بالأردن تدرك مفهوم المسؤولية الاجتماعية وتطبق هذه المسؤولية بدرجات متفاوتة وجاء التطبيق في المجال ذي العلاقة بالعملاء بدرجة مرتفعة وكان بدرجة متوسطة في مجالي خدمة المجتمع والعاملين في تلك المصارف، أما حماية البيئة فكان التطبيق فيه بدرجة ضعيفة، ويوصى البحث بتعزيز مفهوم المسؤولية الاجتماعية إذ يساعد هذا المفهوم على توجيه استغلال الموارد المتاحة بما يخدم المتطلبات الاقتصادية والاجتماعية للمصارف الإسلامية على حد سواء، وإيجاد تشريعات تُلزم او تشجع على الأقل المنظمات التي لا يسبب عملها أو إنتاجها حدوث تلوث أو أضرار بيئية كالمصارف على المساهمة في حماية البيئة والمحافظة عليها، العمل على توعيه الكوادر البشرية الإدارية بأهمية المحافظة على البيئة وحمايتها واعتبار ذلك من أولويات المسؤوليات الاجتماعية التي تقع على عاتق المصارف الإسلامية انطلاقا من وجوب الالتزام بالقيم الإسلامية، وذلك بإعداد برامج التوعية المتخصصة في هذا المضمار، وكذلك أهمية قيام المصارف الإسلامية بتشجيع وتقديم المزيد من الدعم لتطبيق محاسبة المسؤولية الاجتماعية في مجالي خدمة المجتمع والعاملين لديها، للارتقاء بمستوى الأداء الاجتماعي لها في هذين الميدانين.

ومن خلال الدراسات السابقة نلاحظ أن هناك علاقة بين المسؤولية الاجتماعية

(25) زيان يوسف، قارة أسيا تركي (2021) التدقيق الاجتماعي كأداة لحوكمة الموارد البشرية بالمؤسسات الاستشفائية دراسة حالة مستشفى الجامعي تلمسان، مجلة المنهل الاقتصادي، المجلد 4، العدد1، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر ص 212-199

(26) هناء محمد هلال الحنيطي، إنعام محسن حسن (2010)، مدى تطبيق محاسبة المسؤولية الاجتماعية في البنوك الإسلامية العاملة في الأردن

والمراجعة الاجتماعية والموارد البشرية وحوكمتها، كذلك من التوصيات يتضح أن هناك حاجة إلى إجراء المزيد من البحوث حول سُبل تعزيز مفهوم المسؤولية الاجتماعية باعتبارها وسيلة فعّالة في مساعدة المنظمات على البقاء وتحقيق ميزة تنافسية في ظل الوضع التنافسي المتزايد وتحديات العولمة.

دراسة أخرى هدفت إلى التعرف على مدى إدراك وموقف طلبة الإدارة تجاه المسؤولية الاجتماعية بإعتبارهم الكادر البشري المستقبلي للمنظمات وإن فهمهم وإدراكهم سيعزز من فهم هذه المنظمات للمسؤولية الاجتماعية تجاه أصحاب المصلحة، وتوصلت الدراسة إلى أن الشركات يجب أن تمنح مزيد من الاهتمام لمسؤولياتها تجاه أصحاب المصلحة، الحوكمة، الالتزام الأخلاقي والاعتبارات الإنسانية إلى جانب مقابلة المسؤوليات الأخرى والتي تم تغطيتها ضمن العوامل الثمانية ضمن دراستهم[27].

هدفت دراسة [28]إلى معرفة أثر الالتزام ببنود الحوكمة كما نصت عليها اللائحة الصادرة عن مجلس إدارة سوق المال بالسعودية لعام 2006 على مدى الوفاء لدى هذه الشركات بالمسئولية الاجتماعية من قبل شركات المساهمة السعودية، وبينت النتائج أن هناك علاقة دالة إحصائيا بالنسبة للشركات ككل، ووجود علاقة دالة إحصائياً بالنسبة لقطاعات ثلاثة هي: قطاع السلع طويلة الأجل، وقطاع المرافق العامة، وقطاع تجزئة السلع الكمالية، ولعل أهم الأسباب كما أشارت الدراسة إلى ضعف هذه العلاقة هو وجوب الالتزام ببنود الحوكمة من قبل هيئة سوق المال وعدم وجود أي جهة توجب الالتزام بالمسؤولية الاجتماعية، وأوصت الدراسة ببذل جهود أكثر لتوعية شركات المساهمة السعودية بالمسئولية الاجتماعية وخاصة من قبل الهيئات المهتمة بالمسئولية الاجتماعية مثل جمعية حماية المستهلك والهيئات المهتمة بنظافة البيئة والأنشطة الاجتماعية المختلفة.

حاولت دراسة [29]استكشاف مدى تطبيق المصارف الأردنية للمسئولية الاجتماعية كالتزام تجاه المجتمع وتجاه العاملين بها، حيث تم تحليل قيمة المساهمات النقدية للمجالات الاجتماعية كقيمة مطلقة، وكذلك نسبة من صافي الأرباح وتبين أنها تتحمل مسؤوليتها تجاه المجتمع المحلي وتجلى ذلك بسياستها وخططها من اجل تحقيق التنمية المستدامه، اما داخليا فتبين أن هنالك تقصيراً بتدريب الموظفين وتطويرهم وكذلك المبالغ المنفقة على الموظفين، واوصت الدراسة بضرورة تسليط الضوء على مفهوم المسؤولية الاجتماعية وتحفيز المصارف لتتبنى هذا المفهوم وان يكون هناك معايير واضحة ومحددة لتقديم الدعم للمستفيدين.

(27) Jain ,P .,Datta ,S ,K .,Roy ,A (2014) ,.Awareness and attitude towards corporate social responsibility a study of MBA students in Rajasthan ,International Journal of Law and Management,(3)56 , p.231-246

(28) عبدالله بن قاسم يماني، (2008) أثر الحوكمة على الوفاء بالمسئولية الاجتماعية لدى شركات المساهمة السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم المحاسبة، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبدالعزيز

(29) طلب عبد الناصر الزيود، (2013) المسؤولية الاجتماعية للبنوك العاملة في الأردن (2010-2008)، دراسات، العلوم الإدارية، المجلّد 40، العدد 1

كما أستطلع[30] كيف يتم إشراك أصحاب المصلحة في المراجعة الاجتماعية من خلال التحليل المقارن لعمليات المراجعة الاجتماعية بخمس منظمات هي the Agency for Personal Service Overseas, The Co-operative Bank, British Telecom Shared Earth and Vancouver City Savings Credit Union وتمثلت المشكلة الرئيسة مع نظرية أصحاب المصلحة تمثلت بالاختلاف بالمصالح بين أصحاب المصلحة بكل منظمة، إن المراجعة الاجتماعية تبحث مدى إلتزام الموظفين بالمؤسسات المختلفة لأدائهم الاجتماعي تجاه أصحاب المصلحة حسب القانون. إن المفهوم الأساسي لمنهجية المراجعة الاجتماعية بـ Agency for Personal Service Overseas لتضمين اهتمامات من كل مجموعات أصحاب المصلحة حتى يتم إعداد معيار يُمكن أن يكون مقياساً لأداء المنظمة، إن وجهات النظر متعددة الرؤى واستخدام مدخل الحوار يتطلب التعريف بمن هم أصحاب المصلحة في هذا الشأن وبالتحديد من هم ممثليهم. ومن هنا يمكن القول بأن هناك قصور بحوكمة الموارد البشرية وتوظفيها بالشكل الأمثل الذي يخدم المنظمة الامر الذي ينمى من سمعتها وأدائها وبالمحصلة أرباحها على الأمد البعيد هذا من جانب ومن جانب أخر فإن ذلك يعود بالنفع العام على المجتمع.

في دراستهما التي ركزت على أهمية المراجعة الاجتماعية أعتبر كلاً من [31] أن هذا النوع من المراجعة ذو أهمية استراتيجية تسمح بمساعدة جميع الأطراف ذات المصلحة بتطوير مفهوم حوكمة الشركات وكذلك المسؤولية الاجتماعية، ويشير إلى أن مفهوم المراجعة الاجتماعية قد يمس الوظيفة كاملة (تسيير الموارد البشرية) أو قد يتعلق بجانب معين مثل التكوين أو الترقية أو التوظف أو حتي قد يمس ظاهرة سلبية قد تظهر كالخلافات أو التغيب أو دوران العمل. وهذا مما يعزز من مفهوم المسؤولية الاجتماعية والحوكمة ومدى تأثيرها على صورة المنظمة بالمجتمع.

هدفت دراسة [32] إلى التعريف بإمكانية تطبيق المراجعة الاجتماعية كمدخل لإشراك أصحاب المصلحة في التقييم والتقرير عن استدامة الشركة وادائها، توصلت الدراسة إلى هناك علاقة بين استمرار الشركة والمراجعة الاجتماعية حيث أن كل منهما يهدف إلى تطوير الأداء الاقتصادي والبيئي والاجتماعي بالمنظمة المعنية، كم أن كليهم يأخذ بالاعتبار مصلحة ورفاهية عدد كبير من أصحاب المصلحة، كما يتطلب ذلك إشراكهم في العمليات بالمنظمة، وتقترح الدراسة أن يتم إشراك أصحاب المصلحة بالمراجعة الاجتماعية من خلال سياسة الحوار يمكن أن يتم

(30) Gao ,Simon S ,Zhang ,Jane J (2017) ,A comparative study of stakeholder engagement approaches in social auditing perspectives on corporate citizenship239-255 ,

(31) رزين عكاشه، بورقعة فاطمة، (2020) أهمية التدقيق الاجتماعي لتفعيل حوكمة الشركات حسب معايير المؤسسات الدولية، مجلة اقتصاد المال والأعمال، المجلد 3، العدد 4 ، ص 38-19.

(32) Gao ,S .S ,.J Zhang ,J .J ;(2006). Stakeholder engagement ,social auditing and corporate sustainability, Business process management journal ,November

تبنيه وتطبيقه الأمر الذي يسهم في بناء عامل الثقة وتحديد الالتزامات وتعزيز التعاون بين الشركات وأصحاب المصلحة بها.

هدفت [33] الدراسة إلى استكشاف إلى طبيعة تطبيقات التقرير عن المسؤولية الاجتماعية في قطاع البنوك بكازاخستان والتقصي عن تأثيرات خصائص الواسعة للإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية على مستوى البلاد، وتوصلت الدراسة إلى حجم البنك وعمره يعتبران من أهم العناصر التي تسهم في نشر ثقافة الإفصاح عن المسؤولية الاجتماعية، كذلك فإن البنوك التي بها حصص أجنبية تفصح بشكل أكثر شفافية ووضوح عن نشاطات المسؤولية الاجتماعية بالمقارنة بالبنوك المملوكة للمستثمرين المحليين أو المملوكة للدولة.

دراسة [34] هدفت الدراسة إلي التعرف على كيفية مساهمة المراجعة الاجتماعية في التحسين من أداء المورد البشري في المؤسسة الاقتصادية، وقد استخدم الباحث الاستبانة والمقابلة، ووثائق لجمع البيانات، واقتصرت عملية توزيع على أسلوب العينة المباشرة، بحيث بلغ تعداد عينة الدراسة (41) عامل من عمال مؤسسة سونلغاز، بالاعتماد على المتوسطات الحسابية، الانحرافات المعيارية، وتحليل الانحدار المتعدد، وخُلصت الدراسة إلي نتائج أهمها: إن هناك اهتمام ووعي بالمراجعة الاجتماعي للمؤسسة محل الدراسة، كما أن تحسين الأداء يرتبط بعوامل أخرى كالتدريب، الابداع، المشاركة في اتخاذ القرارات بالإدراك بذل الجهد والاتصال الداخلي، كما انه لا توجد علاقة بين المراجعة الاجتماعية وأداء المورد البشري، وقد اوصت الدراسة بضرورة منح الأهمية للتدقيق الاجتماعية في المؤسسة خاصة ما تعلق بالموارد البشرية.

هدفت دراسة [35]إلي التعرف على مدي ادراك وتطبيق المراجع الخارجي في ليبيا لمفهوم المراجعة الاجتماعية، وتشكل مجتمع الدراسة من المحاسبين القانونيين اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وأساليب الاحصاء الوصفي والاعتماد على المقابلة والاستبيان وذلك ، وتوصلت الدراسة إلي ان المحاسبين القانونيين في ليبيا يدركون مفهوم المراجعة الاجتماعية ولا يطبقونها عند فحص البيانات المالية واوصت بضرورة أن يُولي المراجع الخارجي في ليبيا اهتماماً اكبر للمراجعة الاجتماعية وان تسهم نقابة المحاسبين والمراجعين في إقامة الندوات من اجل نشر الوعي حول المسؤولية الاجتماعية وأهميتها.

(33) Nurlan Orazalin" (2019) ,Corporate governance and corporate social responsibility) CSR (disclosure in an emerging economy :evidence from commercial banks of Kazakhstan ,"Corporate Governance :The International Journal of Business in Society ,(3)19.pp490-507 .

(34) ندي أولاد سالم، (2016) التدقيق الاجتماعي ودوره في تحسين أداء المورد البشري: دراسة حالة المؤسسة الوطنية للكهرباء والغاز بولاية ورقة 2016-2015، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص 92-1.

(35) ميلاد رجب اشميله، مرجع سبق ذكره

هدفت دراسة [36] إلي التعرف على دور المراجعة الاجتماعية في تحسين أداء الإدارة للموارد البشرية، وقد عرجت في الجانب النظري على المراجعة الاجتماعية والمسؤولية الاجتماعية وعلى ماهيه ادارة الموارد البشرية حيث وزعت الاستمارة على الموظفين على مستوي ادارة الموارد البشرية كالمدير العام، والنائب، وقد توصلت الدراسة إلي وجود علاقة قوية بين المراجعة الاجتماعية واداء الموارد البشرية بالمؤسسة محل الدراسة وان هناك تأثير ايجابي بين المراجعة الاجتماعية وادارة الموارد البشرية حول ممارستها للمسؤولية اتجاه العمال، كما خلصت إلي مجموعة من النقاط مفادها ان المراجعة الاجتماعية اصبحت اهم وسيلة في يد المؤسسة من اجل البقاء في بيئة دائمة التغير حيث تلعب دورا هاما في الكشف عن المشاكل والعراقيل التي تعاني منها ادارة الموارد البشرية والمؤسسة ككل واقتراح الحلول المناسبة لها في شكل تقرير.

بمراجعة الدراسات السابقة نلاحظ أنها ركزت في معظمها على دراسة العناصر ذات العلاقة، كذلك هناك جزء أخر أهتم بالوجه الاقتصادي برضى الزبائن ومدى ولائهم للمنظمة، في حين نجد أن دراسات أخرى لم تدرس هذا المضمون بشكل مباشر، وعلى حد علم الباحثين فإن هذه الدراسة تركز على بحث مدى تطبيق المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية بقطاع مهم ألا وهو القطاع المصرفي، ويعتبر التركيز على جانب المسؤولية الاجتماعية بهذا القطاع مهم لما لذلك من أهمية في تحسين وتطوير بيئة العمل الداخلية، والاستجابة للتطورات المؤثرة في وسطها الذي تعمل به، كما إنه وباستعراض نتائج الدراسات السابقة فنلاحظ أنها ركزت على حوكمة المصارف بعدة دول وأقاليم، غير إنه يلاحظ أن هناك ندرة بالدراسات التي تتناول جوانب الحوكمة والمسؤولية الاجتماعية وعلى وجه الخصوص المراجعة الاجتماعية بالبيئة الليبية.

الاجراءات التطبيقية للدراسة :

منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهجين الوصفي والتحليلي في كتابة الجانب النظري، فضلا عن دراسة وتحليل علاقات الارتباط والتأثير بين متغيرات البحث، معتمدين في ذلك على المصادر التالية:

1 -المصادر الثانوية: وتشمل الكتب والمراجع والرسائل الجامعية والدراسات السابقة والمصادر المتوفرة من خلال شبكة الانترنت والمتعلقة بموضوع البحث.

2 - المصادر الاولية: لغرض جمع البيانات الاولية الخاصة بالجانب العملي للبحث، استخدمت الاستبانة كوسيلة رئيسية لتحقيق أهدافه، وتم تصميمها وفقا محورين يقيس دور المراجعة الاجتماعية في تحقيق ذلك. واستخدام المقياس الثلاثي لقياس الاجابات على الاستبانة.

(36) زقيب خيرة، (2014) دور التدقيق الاجتماعي في تحسين اداء ادارة الموارد البشرية – دراسة تطبيقية لمجموعة من المؤسسات الاقتصادية في كل من ولاية غرداية والجلفة، رسالة ماجستير، جامعة غرداية، ص 90-1.

منهج ومجتمع الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي لملاءمته لتحقيق أهداف الدراسة، حيث يشمل المنهج الوصفي وصف الظاهرة وتوضيح العلاقة، واستنتاج الاسباب الكامنة وراء سلوك معين، ومعرفة مقدار النمو والتغير الذي يطرأ على استجابات افراد العينة. تكون مجتمع الدراسة من الموظفين بالأقسام المختلفة من فئة المحاسبين الذين يعملون بمصرف الوحدة فرع طبرق ومصرف الوحدة فرع الحريقة، حيث تم توزيع 50 استبانة مستهدفين كامل المجتمع المبحوث وبلغ عدد الاستبانات المجمعة الصالحة للتحليل (37) استبانة وحُددت مدة الدراسة بمدة انجازها والتي استمرت من مارس إلى ديسمبر 2021.

لتصميم الاستبانة تم الاعتماد على عدد من الدراسات السابقة تناولت المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية في بيئات مختلفة[37] [38] [39] [40] [41] [42] [43]، تم إعداد عبارات الاستبانة بما يتوافق وأهداف الدراسة، حيث تم تقسيم الاستبانة إلى قسمين:

القسم الأول: يستقصى عن البيانات الديموغرافية للمشاركين (العمر، الجنس، الخبرة، التخصص، المركز الوظيفي)

القسم الثاني: ويضم هذا القسم (15) عبارة وأُرفقت بتدرج ليكرت الثلاثي (موافق، محايد، غير موافق) والمُعبر عنها بالأرقام (1،2،3) والتي تتمحور حول متغير المراجعة الاجتماعية وتغطى الجوانب التالية (بُعد المقارن، بُعد التكاملية، بُعد الشفافية، بُعد المصداقية).

القسم الثالث: ويضم هذا القسم (16) عبارة وأُرفقت بتدرج ليكرت الثلاثي (موافق، محايد، غير موافق) والمُعبر عنها بالأرقام (1،2،3). وتتمحور حول متغير حوكمة الموارد البشرية وتغطى الجوانب التالية (التوجه الاستراتيجي، بُعد المساءلة، بُعد الكفاءة، بُعد النزاهة)

صدق وثبات أداة الدراسة:

تم إجراء عينة استطلاعية وذلك بتوزيع الاستبانة على مجموعة خبراء من الاساتذة والمهنيين والعاملين في المصارف للحكم على مدي صحة صياغة الاسئلة وكفايتها في تحقيق اهداف الدراسة واسئلة الدراسة وذلك للتأكد من الصدق الظاهري للمقياس المستخدم، وعدلت الاستبانة في ضوء آراء الخبراء لتصبح جاهزة للتوزيع على العينة المختارة. ولقياس ثبات الاستبانة تم استخدام معامل

(37) طلب الزيود، مرجع سبق ذكره

(38) القريوتي وأخرون، مرجع سبق ذكره

(39) محمد الصغير قريشي، (2014) المسؤولية الاجتماعية والبيئية في القطاع المصرفي دراسة تقييمية لمجموعة من البنوك العاملة في الجزائر، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية، العدد 6

(40) صالح بن سعد القحطاني، (2015) أثر برامج المسئولية الاجتماعية على عملاء القطاع المصرفي بالمملكة العربية السعودية، المجلة العربية للإدارة، المجلد 35، العدد 2، ص 24-3

(41) رزين عكاشه، بورقعه فاطمة ، مرجع سبق ذكره

(42) Kundid Novokmet ,A &,.Bilić ,B (2016) .Do students in Croatia care about corporate social responsibility performance of banks ?Management :Journal of Contemporary Management Issues (2)21 ,pp.223-248 .

(43) Selvakumar et al 2016

الثبات (كرونباخ ألفا)، وقد بلغت قيمة الفا81.73 %، وهي نسبة جيدة، كونها أعلي من النسبة المتعارف عليها بهذا الحقل وهي 60 % [44]. تم حساب الاتساق الداخلي لعبارات الاستبانة من خلال حساب معامل الارتباط بين كل درجة مفردة والدرجة الكلية للبُعد، أوضحت النتائج أن معاملات الاتساق الداخلي لعبارات الاستبانة المحور الاول تراوحت ما بين (0.562 - 0.812)، المحور الثاني تراوحت ما بين (0.643 - 0.743) وكل هذه المعاملات دالة إحصائياً عند مستوي دلالة (0.01).

تحليل النتائج ومناقشتها

البيانات الديموغرافية للمشاركين:

من خلال جدول (1) يتضح أن أكثر من 83 % من عينة المشاركين هم من الذكور وأن ما نسبته 35.1 % وهذا ما يُعد مؤشراً إلى أن أغلب الموظفين في الجهاز المصرفي من عنصر الذكور. هم ما بين 40 - 50 سنة، كذلك فإن أغلب المشاركين هم من حملة البكالوريوس وأكثر من نصفهم تتجاوز خبرتهم 10 سنوات، وأن أغلب المشاركين من المتخصصين بالمحاسبة.

جدول (1) البيانات الديموغرافية للمشاركين

البيان		العدد	النسبة
الجنس	ذكر	31	% 83.8
	أنثى	6	% 16.2
العمر	أقل من 30	7	% 19
	من 30 إلى 40	12	% 32.43
	من 40 إلى 50	13	% 35.13
	أكبر من 50	5	% 13.51
المؤهل	بكالوريوس	23	% 62.16
	دبلوم	12	% 32.43
	ماجستير	2	% 5
سنوات الخبرة	أقل من 5 سنوات	7	% 19
	من 5 إلى 10 سنوات	19	% 51.35
	أكثر من 10 سنوات	10	% 27
المركز الوظيفي	مدير إدارة	4	% 11
	رئيس قسم	4	% 11
	موظف	29	% 78.37
التخصص	محاسبة	18	% 48.64
	إدارة أعمال	8	% 21.62
	تمويل ومصارف	6	% 16.21
	اقتصاد	5	% 13.51

(44) Saunders ,.NK .M ,Saunders ,.M ,Lewis ,.P ,Thornhill and ,.A .2007 .stu- business for methods Research
.India Education Pearson:e/5 ,dents

وللإجابة على سؤال البحث الأول ما مدى تطبيق مصرف الوحدة بفرعيه للمراجعة الاجتماعية من وجهة نظر المحاسبين بالمصرف؟ تم استخدام الإحصاء الوصفي للحصول على المتوسطات، حيث تم ترتيب الفقرات طبقاً للمتوسطات والوزن النسبي لكل منها كما نلاحظ من الجدول (2) أن هناك بعض الاعمال التي يقوم بها المصرف محل البحث في حين نجد أن هناك أساليب أخرى لا يطبقها نتيجة عوامل سواء داخلية أو خارجية، حيث أن على المصرف كمؤسسة تعمل ضمن مجتمع وبيئة التزامات نحوهما ويتجلى ذلك ببعض الاعمال التي تندرج تحت المسؤولية الاجتماعية مثل المساهمة بأنشطة تعزيز الرفاهية الاجتماعية وكذلك دعم المؤسسات غير الهادفة للربح. وبالنظر إلى اتجاهات العينة المبحوثة فإنها اختلفت بين عُليا للرضى ومتوسطة ودنيا. ونجد أن العبارات التي نالت أكثر من (2.34) تعتبر مؤشراً على علو درجات الرضا، حيث جاءت بالمرتبة الأولى عبارة "يعتمد المصرف المصداقية في التعامل مع المعلومات" بمتوسط (2.783) تليها "تُعتمد المصداقية من قبل المصرف في البحث عن معلومات الموارد البشرية" (2.621) وجاءت عبارة "تؤدي التكاملية الي بلوغ الهدف الرئيسي للمصرف" (2.405) بالمرتبة الثالثة، وجاء كل من "يوجد ما يكفي من الشفافية في المصرف" (2.378) و"تعمل الشفافية على اتاحة البيانات والمعلومات الكاملة للعميل" (2.351) بالمرتبة الرابعة والخامسة على التوالي، في حين نجد أن استخدام المقارنة كأداة لإنجاز الأهداف ووضع خطط اختيار الموارد البشرية غير متبعة ويتضح ذلك مما مُنح للعبارتين "تسهم عملية المقارنة في تحقيق نجاح المصرف من خلال انجاز الأهداف" و"يعتمد المصرف على تطبيق عملية المقارنة في وضع خطة اختيار الموارد البشرية" حيث حصلتا على (2.027) لكليهما، ونجد أنه بالرغم من أن إعتماد المصداقية بشكل عام جاء بالمرتبة الأولى إلا أن استخدامه للمصداقية كعامل من عوامل توظيف الموارد البشرية لا يتم تبنيه من قبل المصرف حال توظيف الموارد البشرية كما يظهر من الجدول (2) حصول العبارة "تعد المصداقية عاملا من عوامل توظيف الموارد البشرية" على المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (2.00).

جدول (2) تحليل استبانة المراجعة الاجتماعية

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	قيمة اختبار (T)	القيمة الاحتمالية	الترتيب
1	تسهم عملية المقارنة في تحقيق نجاح المصرف من خلال انجاز الاهداف	2.027	0.763	% 67.56	16.154	0.00	13
2	توفر المقارنة طرق للاختيار الرشيد للموارد البشرية ذات المواصفات الجيدة.	2.351	0.675	% 78.36	21.170	0.00	6
3	يعتمد المصرف على تطبيق عملية المقارنة في وضع خطة اختيار الموارد البشرية.	2.027	0.552	% 67.56	22.33	0.00	14
4	يستفيد المصرف من المقارنة لدعم عملية المراجعة الاجتماعية	2.216	0.854	% 73.87	15.781	0.00	9
5	يعمل المصرف على بلوغ هدفه في خدمة المجتمع من خلال التكاملية.	2.108	0.613	% 70.27	20.888	0.00	12
6	تعد التكاملية عنصرا مهما في وضع السياسات للمصرف	2.243	0.595	% 74.77	22.874	0.00	8
7	يأخذ المصرف بجهود كافة اصحاب المصلحة	2.216	0.417	% 73.87	32.201	0.00	10
8	تؤدي التكاملية الي بلوغ الهدف الرئيسي للمصرف.	2.405	0.643	% 80.18	22.729	0.00	3
9	تعتمد المصداقية من قبل المصرف في البحث عن معلومات الموارد البشرية.	2.621	0.491	% 87.38	32.434	0.00	2
10	تعد المصداقية عاملا من عوامل توظيف الموارد البشرية.	2.00	0.971	% 66.66	12.518	0.00	15
11	يعتمد المصرف المصداقية في التعامل مع المعلومات.	2.783	0.583	% 92.79	29.004	0.00	1
12	تحصل المصرف على نسبة مراجعة اجتماعية عالية من خلال المصداقية.	2.270	0.870	% 75.67	15.859	0.00	7
13	يوجد ما يكفي من الشفافية في المصرف.	2.378	0.861	% 79.27	16.798	0.00	4
14	تعمل الشفافية على اتاحة البيانات والمعلومات الكاملة للعميل.	2.351	0.753	% 78.37	18.985	0.00	5
15	تسهم الشفافية في الاختيار الصحيح للتوظيف.	2.189	0.907	% 72.97	14.667	0.00	11
	المجموع الكلي	-	4.34	% 62.46	47.86	0.00	-

وللإجابة على هذا التساؤل الثاني ما مدي تطبيق مصرف الوحدة لحوكمة

الموارد البشرية من وجهة نظر المحاسبين بالمصرف؟، فحسب الجدول (3) نجد أنه وبالنظر إلى المتوسطات الحسابية فإن هناك مؤشرات جيدة لدى المصرف في اتجاه تطبيق حوكمة الموارد البشرية، حيث جاء بالمرتبة الأولى فقرة "تعمل الكفاءة على تحقيق الاهداف في المصرف " بمتوسط حسابي (2.77)، بينما منحت فقرة "تعزز المسائلة دور الادارة في عملية اختيار المورد البشري الاكفاء" متوسط حسابي (2.752) وجاء بالمرتبة الثالثة "يعتمد المصرف النزاهة كمبدأ للعمل" (2.752) وجاءت بالمراتب التالية (الرابع، الخامس، السادس، السابع) الفقرات "يمتلك المصرف من الموارد البشرية ذات الكفاءة العالية" (2.55)، "تتميز خطط المصرف للموارد البشرية بالدقة العالية "(2.41) و "يسهم المصرف في زيادة عطاء العاملين" (2.38) و"يوجد توجه استراتيجي للعمل بمبدأ الحوكمة لدي المصرف" (2.36)، في حين نجد أنه وبالرغم من أن الكفاءة تعتمد بالمصرف كمحفز على تحقيق الأهداف إلا إن عبارة "يعمل المصرف على اعتماد مبدأ الكفاءة في العمل " جاءت بالمرتبة الأخيرة كمؤشر على عدم استخدام هذا العنصر كمبدأ للعمل بالمصرف، كذلك نجد أن هناك تقصير في استخدام مبدأ المسائلة ضمن سياسته حيث يظهر من جدول (3) أن جاءت الفقرات "تسهم المسائلة في تقويم مواطن الضعف في المصرف" و"يعمل المصرف على اعتماد مبدا المسائلة في سياسته." بتراتيب متأخرة جدا بمنحها متوسطات حسابية (2.07) و (2.02) على التوالي.

جدول (3) تحليل استبانة حوكمة الموارد البشرية

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	قيمة اختبار (T)	القيمة الاحتمالية	الترتيب
1	يوجد توجه استراتيجي للعمل بمبدأ الحوكمة لدي المصرف.	2.36	0.691	% 84.68	22.364	0.00	7
2	يعمل المصرف على استشراف مستقبل الموارد البشرية ذات الكفاءة	2.19	0.692	% 82.88	21.854	0.00	9
3	أهداف المصرف الحالية تتطابق مع الاهداف المستقبلية.	2.17	0.558	% 82.88	27.064	0.00	10
4	يعزز التوجه الاستراتيجي تحقيق رؤية المنظمة.	2.10	0.762	% 80.18	19.194	0.00	13
5	تسهم المسائلة في تقويم مواطن الضعف في المصرف.	2.02	0.681	% 79.27	21.239	0.00	15
6	يعمل المصرف على اعتماد مبدا المسائلة في سياسته.	2.07	0.639	% 79.27	22.638	0.00	14

7	تعزز المسائلة دور الادارة في عملية اختيار المورد البشري الاكفاء	2.752	0.463	90.09%	35.479	0.00	2
8	تؤدي المسائلة إلى وصول المنظمة الي الأداء العالي.	2.24	0.731	82.88%	20.687	0.00	8
9	يعمل المصرف على اعتماد مبدأ الكفاءة في العمل	2.00	0.701	76.57%	19.912	0.00	16
10	تتميز خطط المصرف للموارد البشرية بالدقة العالية.	2.41	0.483	88.28%	33.289	0.00	5
11	تعمل الكفاءة على تحقيق الاهداف في المصرف.	2.77	0.450	90.99%	36.880	0.00	1
12	يمتلك المصرف من الموارد البشرية ذات الكفاءة العالية.	2.55	0.483	88.28%	33.289	0.00	4
13	يعتمد المصرف النزاهة كمبدأ للعمل.	2.752	0.463	90.09%	35.479	0.00	3
14	تعمل النزاهة على اختيار العناصر المناسبة للعمل في المصرف.	2.15	0.730	81.98%	20.481	0.00	11
15	يسهم المصرف في زيادة عطاء العاملين.	2.38	2.567	85.58%	28.150	0.00	6
16	يهتم المصرف بالنزاهة كعامل من عوامل النجاح	2.13	0.554	81.08%	26.669	0.00	12
المجموع الكلي		-	2.689	84.06%	91.256	0.00	-

وللإجابة على السؤال الثالث: ما طبيعة علاقة الارتباط بين المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية من وجهة نظر المحاسبين بمصرف الوحدة؟ تم استخدام معاملات ارتباط بيرسون بين درجات أفراد العينة للتميز في المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية والجدول التالي يوضح هذه العلاقة.

جدول (4) الارتباط بين متغير المراجعة الاجتماعية ومتغير حوكمة الموارد البشرية

التغير الاجتماعي	القيم الاجتماعية	
	معامل الارتباط	مستوي الدلالة
الكلي	0.298	0.073

دالة إحصائيا عند مستوي دلالة 0.01

يتضح من الجدول (4) عدم وجود علاقة ارتباطية بين المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية بالمصارف المبحوثة.

مناقشة النتائج

تطورت اليوم نظرة المنظمات للزبون باعتباره الأساس الذي تبني عليه أنشطتها وسياستها، فأصبحت التركيز على (المُنتَج _ الزبون) بدلا من (مُنتَج _تكلفة)، ومع اشتداد المنافسة أصبح يُنظر إلى رضا الزبائن كأهم أهداف المنظمة وأحد أبرز مؤشرات الأداء، ومن هذا المنطلق فإن زيادة الاهتمام بالزبائن من قبل المصرف يعني من جانب أخر تبني المسؤولية الاجتماعية وذلك يتجلى في عدة أساليب مثل الالتزام بقواعد ومعايير السوق وتقديم الخدمات بالجودة وفي الوقت المناسب، المحافظة على مصالح وحقوق الزبائن، محاربة عمليات تبييض الأموال، مكافحة عمليات غسيل الأموال، الغش، الرشوة وغيرها من طرق الفساد[45].

من خلال النتائج المستقاة من الجدولين (2) (3) نجد أن مصرف الوحدة بفرعيه يحرص على النهوض بالمسؤولية الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية. فعلى صعيد تبني المصداقية كعنصر من عناصر المراجعة الاجتماعية نجد أن المصرف يتبنى المصداقية في التعامل مع المعلومات بشكل عام، كما تُعتمد المصداقية في التعامل مع الموارد البشرية وهذا يعتبر من أهم مؤشرات الاهتمام بالعاملين وهو ما يعزز حوكمة الموارد البشرية، وهذا يتفق مع ما جاء بدراسة[46] للمصرف الإسلامي مع اختلاف الأسلوب حيث لاحظ بدراسته أنه تم التركيز على الاهتمام بالعاملين بالمصرف فقد داوم على الإنفاق عليهم لتدريبهم داخل مؤسسات المصرف وخارجه، وتابع النهوض بإشباع حاجاتهم الأساسية وتوفير السكن الملائم لهم. أما على صعيد الأداء بشكل عام والتعامل مع الزبائن بشكل خاص فنجد أن المصرف يفصح عن المعلومات والبيانات للزبائن مما يعني الشفافية والافصاح في التعامل معهم وهذا يتوافق إلى حد ما مع ما جاء بدراسة[47] حول اعتماد الشفافية مع الزبائن الامر الذي يعزز عامل المنافسة.

كما نجد إن اهتمام المصرف بعامل الشفافية يعتبر مهم لإتاحة البيانات للعملاء وتؤيد هذا دراسة[48] والتي ترى بإنه ولكسب ثقة أصحاب المصلحة، فإنه يجب على المنظمة أن تظهر مستوى من الإفصاح الجيد.

كما يؤيد ذلك مع ما جاء بدراسة [49] حول التطور بعلاقات الموظفين بشكل عام في أوربا مع تطور عناصر التدريب والتنوع والفرص المتكافئة، ونجد أن كل المصارف تتبنى على الأقل أساسيات أخلاق إدارة الاعمال والتي تعتبر جزء لا يتجزأ من المسؤولية الاجتماعية.

(45) محمد الصغير قريشي، مرجع سابق

(46) أسامة عبدالمجيد العاني، (2017) طبيعة المسؤولية الاجتماعية في المصرف الإسلامي (دراسة حالة البنك الإسلامي الأردني)، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد 13، العدد 3 الأردن

(47) محمد الصغير قريشي، مرجع سابق

(48) Akhter ,F ,.Hossain ,M .R ,.Omrane ,A &,.Kabir ,M .R .(2022) .Impact of corporate attributes on human resource disclosure practices ,evidences from commercial banks of Bangladesh .FIIB Business Review,(3)11 , pp3030-314.

(49) Scholtens,

بالنظر إلى النتائج المستقاة من الجدول (3) فإن هناك اهتمام من المصرف بالموارد البشرية وهو ما يتفق مع دراسة[50] والتي خلصت إلى أن المؤسسة التي تولى اهتماما لرأس المال البشري لابد لها من تقديم أفضل الخدمات لهم لأن الموظفين يحبذون الانتماء والعمل بالمنظمة التي لديها سياسة مجتمعية جيدة، هذه الإجراءات تتضمن احترام قوانين العمال، وضمان حقهم في التدريب والتكوين المستمر، وحقوقهم النقابية، وإشراكهم في أتخاذ القرارات، تحقيق الأمن الوظيفي والأمن من حوادث العمل، إصدار مدونة لسلوك وأخلاقيات المهنة لضبط سلوك العاملين، منح مكافآت وحوافز الأفراد العاملين وفق مبدأ كفاءة وجدارة العاملين، توزيع حصة على العاملين من الأرباح السنوية، وكل هذه الإجراءات تأتي ضمن استراتيجية حوكمة الموارد البشرية، كما أن دراسة [51] أشار إلى ضرورة اهتمام المصارف بإصحاب المصلحة إجمالاً والذين من بينهم الموظفين كأهم عنصر يعتمد عليه المصرف للمساهمة في عملية التطوير بصفة عامة ومنها توجب عليها التعامل بشكل عادل مع الموظفين كما إنه يستحسن استصدار وتبني قوانين تعزز الاهتمام وبشكل متكافئ من قبل المصرف للموظفين به، وعليه فإن CSR يسهم في التأكيد على توفير بيئة عمل آمنة، القضاء على الفساد، التركيز على حقوق الإنسان والتنمية البيئية والتي تعتبر من أهم عوامل التنمية المستدامة بالمجتمعات. وكون المورد البشري يعتبر أهم مورد من موارد المنظمة والأساس الذي يطرح غالبا ليس كمي بقدر ماهو نوعي، فدرجة تطبيق النظام ونجاحه يعتمد على كفاءة العاملين بالمنظمة والتي تقع عليهم المسؤولية بالدرجة الأولى لتنفيذه فإنه فبالرغم من وجود الخطة التنظيمية التي توضح خطوط السلطة والمسؤولية وصحة توزيع الوظائف حسب النظام إلا إن هذا النظام قد لا يؤدي إلى تحقيق أهدافه بسبب عدم كفاءة الموظفين، وعلى الجانب الأخر فقد ينجح النظام بفضل موظفين مؤهلين حتى إن لم يكن هذا النظام مفصلاً [52].

وكذلك فإن علاقة المصرف بزبائنه والعاملين به يجب أن تكون وثيقة وذلك يتفق مع ما جاء بدراسة[53] والتي تؤكد على أن المصارف يجب أن تُوجِد علاقات ترابط منسجمة مع موظفيها والمجتمع والزبائن حتى يُنظر إليها كمنظمات تتبنى المسؤولية الاجتماعية.

(50) أمنة تونسي، أبراهيم بورنان، (2016) المراجعة الاجتماعية ودورها في تضييق فجوة التوقعات عن المسؤولية الاجتماعية من خلال المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية، مجلة دراسات العدد الاقتصادي، المجلد 7، العدد 3 ، 216، ص ص 360-333

(51) Selvakumar et al.2016

(52) مليكه سليماني، مرجع سابق

(53) Novokmet Kundid ,.A & Bilić ,B. (2016)

التوصيات:

بالاستناد إلى ما خلصت إليه هذه الدراسة من نتائج فإنها توصى بالآتي:

1. **يتوجب على المصارف الاستثمار بتطوير الموارد البشرية وذلك في عدة مناحي كالتدريب وعقد السيمنارات وورش العمل، توفير فرص العمل، بيئة عمل مُهيئة، اتفاقيات شراكة، المساهمة في تحسين المستوى الاقتصادي لأُسر الموظفين.**
2. **لابد ان تولي المصارف التجارية الليبية اهتماما أكبر للأنشطة الاجتماعية، وأن يعمل مراجعي الحسابات بها على وضع خطط لدمج نظام المراجعة الاجتماعية كجزء من عملية المراجعة الشاملة.**
3. **لابد من تنفيذ النقابات والجمعيات المحاسبية بليبيا لأهم أهدافها المتمثل بعقد الندوات والدورات من أجل التوعية بأهمية المراجعة الاجتماعية وحوكمة الموارد البشرية.**
4. **ضرورة العمل على إعداد وإتاحة المعلومات المحاسبية والتي ترتبط بالمسؤولية الاجتماعية بصفة عامة والمراجعة الاجتماعية بشكل خاص وذلك بإتباع أساليب متنوعة، مثل التقارير الختامية، الصحف، الانترنت، المؤتمرات الصحفية والتأكيد على تطبيق هذه الأنظمة بالمصارف التجارية والعمل على تحديثها بشكل مستمر.**
5. **العمل على تطوير المفاهيم والمعايير الخاصة بالمحاسبة والمراجعة الاجتماعية بالتعليم المحاسبي حتى يتم تأهيل الطلبة وتطويرهم لضمان مساهمتهم في إرساء وتطوير هذه المفاهيم بالواقع العملي.**
6. **ضرورة اضطلاع الدولة بدورها في نشر ثقافة المحاسبة والمراجعة الاجتماعية وذلك للتعريف بها وأهميتها وأهدافها ومقوماتها، وكذلك إصدار القوانين وتحديثها لدعم وتعزيز تطبيق هذه المفاهيم بالبيئة الليبية**
7. **إجراء المزيد من الدراسات على المحاسبة والمراجعة الاجتماعية بهدف تطوير أسسها وذلك بالبيئة الليبية بصفة عامة وقطاع المصارف بصفة خاصة.**

المراجع:

المراجع العربية:

1. ابراهيم محمد جاسم وسرمد غانم صالح، (2016) تدقيق الموارد البشرية اداة فاعلة في حوكمة الموارد البشرية، مجلة جامعة التنمية البشرية، السليمانية بغداد، المجلد 2، العدد 2، ص 287.
2. أحمد علي خضر، (2012) الافصاح والشفافية كأحد مبادئ الحوكمة في قانون الشركات، ط1، دار الفكر الجامعي، القاهرة ص 23.
3. أسامة عبدالمجيد العاني، (2017) طبيعة المسؤولية الاجتماعية في المصرف الإسلامي (دراسة حالة البنك الإسلامي الأردني)، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، 13(3)، الأردن
4. أمنة تونسي، أبراهيم بورنان (2016) المراجعة الاجتماعية ودورها في تضييق فجوة التوقعات عن المسؤولية الاجتماعية من خلال المحاسبة عن المسؤولية الاجتماعية، مجلة دراسات العدد الاقتصادي، 7(3)، ص ص 360-333
5. بسام بن عبد الله البسام، (2016) الحوكمة في القطاع العام، مركز البحوث ومعهد الادارة العامة، المملكة العربية السعودية، ص 10.
6. خليل محمود الرفاعي (2012)، قياس مدي تطبيق المدققين الاردنيين لمفهوم المراجعة الاجتماعي كجزء من عملية المراجعة الشاملة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الانسانية والاجتماعية، جامعة القدس المفتوحة، العدد 27، ص 362-345
7. رزين عكاشه، بورقعه فاطمة، (2020) أهمية التدقيق الاجتماعي لتفعيل حوكمة الشركات حسب معايير المؤسسات الدولية، مجلة اقتصاد المال والأعمال، 3(4) ، ص ص 38-19.
8. زقيب خيرة،(2014) دور التدقيق الاجتماعي في تحسين اداء ادارة الموارد البشرية – دراسة تطبيقية لمجموعة من المؤسسات الاقتصادية في كل من ولاية غرداية والجلفة، رسالة ماجستير، جامعة غرداية، ص 90-1.
9. زيان يوسف، قارة أسيا تركي (2021) التدقيق الاجتماعي كأداة لحوكمة الموارد البشرية بالمؤسسات الاستشفائية دراسة حالة مستشفى الجامعي تلمسان، مجلة المنهل الاقتصادي، 4(1)، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر ص 212-199
10. سعيد مخلد النعيمات، فارس جميل حسين، (2011) دور محاسبة المسؤولية الاجتماعية ومدى تطبيقها على قطاع البنوك التجارية في الأردن، مجلة كلية بغداد للعوم الاقتصادية، العدد 28
11. صالح بن سعد القحطاني، (2015) أثر برامج المسئولية الاجتماعية على عملاء القطاع المصرفي بالمملكة العربية السعودية، المجلة العربية للإدارة، 35(2)، ص 24-3
12. طلب عبد الناصر الزيود، (2013) المسؤولية الاجتماعية للبنوك العاملة في الأردن (2010-2008)، دراسات، العلوم الإدارية، 40(1)
13. عبدالله بن قاسم يماني، (2008) أثر الحوكمة على الوفاء بالمسئولية الاجتماعية لدى شركات المساهمة السعودية، رسالة ماجستيرغير منشورة بقسم المحاسبة، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبدالعزيز
14. عكاشة رزين، (2020) أهمية التدقيق الاجتماعي لتفعيل حوكمة الشركات حسب معايير المؤسسات الدولية، مجلة اقتصاديات المال والاعمال، 3(4)، الجزائر، ص 38-19.
15. محمد الصغير قريشي، (2014) المسؤولية الأجتماعية والبيئية في القطاع المصرفي دراسة تقييمية لمجموعة من البنوك العاملة في الجزائر، مجلة أداء المؤسسات الجزائرية، العدد 6
16. مليكه سليماني، (2019)، التدقيق الاجتماعي كأداة لتأمين جودة الموارد البشرية، المجلة الجزائرية للموارد البشرية، 3(1)، ص 58-41
17. موسى قاسم القريوتي، رياض عبدالله الخوالدة، مازن كمال قطيشات، محمد فالح الحنيطي، محمد عطوة المعايطة، (2014)، دور المسؤولية الاجتماعية في تحقيق الميزة التنافسية – دراسة حالة في شركة زين للاتصالات الخلوية، دراسات العلوم الإدارية، 41(1)، ص 37 - 55

18. مؤيد الساعدي، (2016) حاكمية الموارد البشرية الركيزة الاساسية للبناء المؤسسي في مؤسسات التعليم العالي، مؤتمر ترصين التعليم العالي في العراق، بغداد في: 20 – 21/ 01/ 2016، ص 04.
19. ميلاد رجب اشميله (2014)، إدراك وتطبيق المراجع الخارجي في ليبيا لأسلوب المراجعة الاجتماعية ودراسة الاستطلاعية للمراجعين الخارجيين في المنطقة الشرقية ليبيا، مجلة الجامعة الاسمرية الاسلامية، ص 127 – 162.
20. ندي أولاد سالم، (2016) التدقيق الاجتماعي ودوره في تحسين أداء المورد البشري: دراسة حالة المؤسسة الوطنية للكهرباء والغاز بولاية ورقة 2015 2016–، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص 92–1.
21. نور طاهر الاقراع، (2017)، أثر تطبيق معايير الحوكمة على تنمية الموارد البشرية في الهيئات المحلية الكبرى في محافظة قلقيلية، مجلة جامعة فلسطين التقنية للأبحاث، كلية العلوم الادارية والاقتصادية، 1(5)، ص 70.
22. هناء محمد هلال الحنيطي، إنعام محسن حسن (2010)، مدى تطبيق محاسبة المسؤولية الاجتماعية في البنوك الإسلامية العاملة في الأردن

المراجع الأجنبية

23. Akhter, F., Hossain, M. R., Omrane, A.,& Kabir, M. R. (2022). Impact of corporate attributes on human resource disclosure practices, evidences from commercial banks of Bangladesh. FIIB Business Review, 11(3), pp3030–314.
24. Kaplan, A D., Dominis, S., Palen, J. G.,& Quain, E. E. (2013) Human resource governance: What does governance mean for the health workforce in low– and middle–income countries, Human resources for health, 11(1),p 1–12
25. Gao, S. S., J Zhang, J. J. (2006); Stakeholder engagement, social auditing and corporate sustainability, Business process management journal, November
26. Nurlan Orazalin, (2019) "Corporate governance and corporate social responsibility (CSR) disclosure in an emerging economy: evidence from commercial banks of Kazakhstan", Corporate Governance: The International Journal of Business in Society.19(3), pp490–507
27. Gao, Simon S, Zhang, Jane J, (2017) A comparative study of stakeholder engagement approaches in social auditing perspectives on corporate citizenship, pp239–255.
28. Saunders, M. NK., Saunders, M., Lewis, P., and Thornhill, A. 2007. Research methods for business students, 5/e:Pearson Education India.
29. Kundid Novokmet, A.,& Bilić, B. (2016) Do students in Croatia care about corporate social responsibility performance of banks?Management: Journal of Contemporary Management Issues, 21(2) pp. 223–248.
30. Selvakumar, M., Arumugam, B., & Sathiyalakshmi, V. A (2016) Study of Corporate Social Responsibility of Banks. Productivity 57(2), pp 187–209
31. Scholtens, B. (2009) Corporate Social Responsibility in the international Bnaking Industry, Jornal of Business Ethics, 86, pp 159–175
32. Lack, I., Seele, P., (2016). The credibility of CSR (corporate social responsibility) reports in Europe. Evidence from a quantitative content analysis in 11 countries, Journal of cleaner production, 122, pp186–200.
33. Md. Hafij Ullah, Mohammad Afjalur Rahman, (2015) "Corporate social responsibility reporting practices in banking companies in Bangladesh: Impact of regulatory change", Journal of Financial Reporting and Accounting,13(2), pp.200–225.

أثر النظام المالي على طبقات المجتمع العثماني خلال فترة القرن الثامن عشر

إعداد:
د . منيرة علي مسعود الشيخي
أستاذ مساعد بجامعة بنغازي / كلية الآداب والعلوم سلوق

الاستلام : 16/ 9/ 2022 القبول : 25/ 10/ 2022

المستخلص:

السياسة المالية التي اتبعها السلاطين العثمانيون، وكبار رجال الدولة في الإمبراطورية، كان لها آثار بارزة على طبقات المجتمع العثماني، وكان هذا واضحاً من خلال استفادة بعض الطبقات على حساب طبقات أخرى، وقد تبين هذا الأمر بشكل ملحوظ في الوضع الاقتصادي والمعيشي الممتاز لإفراد الهيئة الحاكمة والتجار، الذين بلغ البعض منهم درجات كبيرة من الثروة والجاه ومظاهر الأبهة، وبالمُقابل كان هذا الثراء على حساب الطبقات الكادحة كالفلاحين، الذين عانوا من ظلم وفداحة الضرائب التي كانت تُجبى منهم، لدرجة أن الفلاح في بعض الأحيان كانت تنقلب حياته إلى مأساة وقهر حقيقيين عند مواعيد جباية الضرائب، وفي أحيان كثيرة هجر الفلاحين أراضيهم هرباً من تسلط رجال الحكومة، وقد برزت هذه الظاهرة بشكل واضح في نهاية القرن الثامن عشر.

الكلمات المفتاحية :
النظام المالي، طبقة الفلاحين، طبقة التجار، الهيئة الحاكمة .

Study summary :

The financial policy pursued by the Ottoman sultans and senior statesmen in the empire had a significant impact on the classes of Ottoman society, and this was evident through the benefit of some classes at the expense of other classes. and merchants, some of whom reached great levels of wealth, prestige, and appearances of pomp, and on the other hand, this wealth was at the expense of the toiling classes, such as the peasants, who suffered from the injustice and heavy taxes that were collected from them. To the extent that at times the peasant's life turned into real tragedy and oppression at the time of tax collection, and in many cases the peasants abandoned their lands to escape the domination of government men, and this phenomenon emerged clearly at the end of the eighteenth century.

المقدمة :

كان للجانب المالي دور أساسي في النظام الطبقي الذي أوجده العثمانيون، حيث أنهم منذ البداية قسموا المجتمع إلى فئتين أساسيتين مختلفتين بالحقوق والواجبات، وهما الطبقة الحاكمة التي يرأسها السلطان وتضم العسكريين ورجال السيف والقلم، ومهمتها الأساسية تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية و القوانين، بينما شكلت فئة الرعايا المحكومين باختلاف أديانهم الفئة الثانية، وهي التي تحملت عبء الإنتاج وتأدية الضرائب، وهذا التقسيم الطبقي أعتبره العثمانيون الجوهر الأساسي الذي قامت عليه قوة دولتهم، حيث كان من المحظور انتقال الرعية إلى طبقة العسكر، كي لا تفقد الخزينة مصدراً من مصادر الدخل، وأن حدث فهو يحتاج إلى براءة سلطانية تخوله لذلك، فهذا النظام الذي أتبعه السلاطين العثمانيين على الرغم من أنه حقق لهم أرباح كبيرة لخزينة الدولة في بعض الفترات، إلا أنه على المدى البعيد كان له أضرار فاقت الفوائد التي حققها، نظراً لتذمر الرعية وخاصة الفلاحين، وأدى في النهاية إلى شق عصا الطاعة، وهجرة الكثيرين منهم إلى مناطق بعيدة ونائية، هرباً من وطأة رجال السلطة. وتكمن أهمية هذا الموضوع في تسليط الضوء على الأثر الذي خلفه النظام المالي العثماني على كافة طبقات المجتمع المختلفة، ودراسته دراسة تاريخية تحليلية خلال فترة القرن الثامن عشر، وذلك للوصول إلى نتائج علمية، تُبرز الأثار السلبية والإيجابية للنظام المالي الذي اتبعه العثمانيون في كافة أنحاء الإمبراطورية.

أما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع بشكل عام، فيرجع إلى قلة الدراسات التاريخية السابقة التي تناولت موضوع (أثر النظام المالي على طبقات المجتمع العثماني خلال القرن الثامن عشر)، حيث أن معظم المؤرخين اقتصروا في كتاباتهم على النشاط السياسي والاقتصادي للدولة العثمانية، دون التركيز على السياسة المالية وآثارها البعيدة على المجتمع العثماني، أما عن الفترة الزمنية أي ـ فترة القرن الثامن عشر ـ فهي الفترة التي تعرضت فيها الدولة العثمانية للعديد من الأزمات المالية التي ترتب عليها في النهاية انحلال وضعف الدولة وانهيارها الاقتصادي .

ويُحاول هذا البحث من خلال موضوعاته الإجابة عن العديد من التساؤلات مثل : هل كان للنظام المالي العثماني أثراً على طبقة الفلاحين؟ وما الأثار التي خلفها النظام المالي على طبقة التجار ؟ وكيف كان أثر السياسة المالية العثمانية على الهيئة الحاكمة ؟

تلك التساؤلات المُتداخلة تُمثل إشكاليات وفرضيات، نحاول طرحها و الإجابة عنها تباعاً خلال مراحل هذا البحث .

وحرصاً على اكتمال الصورة التاريخية، والوصول إلى نتائج علمية حول أثر النظام المالي على طبقات المجتمع العثماني، فأن هذا البحث استقى معلوماته من مجموعة من المصادر والمراجع المختلفة.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاث عناصر أساسية وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، كان العنصر الأول بعنوان أثر النظام المالي على طبقة الفلاحين، أما العنصر الثاني كان عنوانه أثر النظام المالي على طبقة التجار، وحمل العنصر الثالث عنوان أثر السياسة المالية على الهيئة الحاكمة، أما الخاتمة فتناولت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

تمهيد:

اهتم العثمانيون بالنظام المالي على نطاق واسع في الدولة، باعتباره يُمثل العمود الفقري لكيان الامبراطورية؛ لذلك عملت الحكومة على تنظيم الإدارة المالية بتعيينها مجموعة من المُساعدين للدفتردار، الذي كان يتولى مهمة الأشراف على الأمور المالية، التي تخص مصروفات وإيرادات الخزينة من الأموال والجبايات، وبما أن الضرائب كانت تُمثل أهم مدخولات خزينة الدولة العامة، قامت الحكومة بتنظيم جباية الضرائب، واتبعت طرق متعددة في تحصيلها، لكي تنظم وصول هذه الإيرادات إلى الخزينة، ولكن الجدير بالإشارة أن الحكومة العثمانية في بعض الفترات، ولا سيما في أواخر القرن الثامن عشر، عملت على زيادة الضرائب المُجباة [1]، وخاصة عند تعرض الدولة للأزمات المالية، التي نتجت في الغالب عن كثرة النفقات واستمرار الهيئة الحاكمة في البذخ والحياة المترفة من ناحية، وتعرض الدولة في بعض الفترات إلى الجفاف والكوارث الطبيعية من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ضعف سيطرة بعض السلاطين على زمام الأمور في الدولة، الأمر الذي شجع كبار المسؤولين في أغلب الأحيان على اختلاس وصرف أموال الدولة على مصالحهم الشخصية، دون مراعاة المصلحة العامة للدولة[2](2)، أضف إلى ذلك إعفاء بعض الفئات من دفع الضرائب، لأن الضرائب لم تكن متساوية في توزيعها على جميع طبقات المجتمع.

فهناك فئات أُعفيت من أداء الضرائب مثل العسكريين، والطبقة الحاكمة، وكبار رجال الدولة، وأوقاف الهيئة الحاكمة، وهناك فئات أخرى وقع عليها عبء الضرائب، ونقصد بالدرجة الأولى طبقة الفلاحين الذين أجبروا في بعض الفترات على دفع ضرائب تفوق امكانياتهم البسيطة[3] .

أولاً / أثر النظام المالي على طبقة الفلاحين :

كان للنظام المالي الذي طُبق في الدولة العثمانية تأثيرا كبيراً على فئات المجتمع، وقد ظهر هذا الأثر بشكل ملحوظ على الفلاحين، الذين كانوا يُقاسون

(1) الصالحين جبريل الخفيفي، النظام الضريبي في ولاية طرابلس الغرب (5381-2191م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 0002م، ص ص73-83 .

(2) محمد محمود السروجي، نظام الضرائب في مصر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد 2، تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة،3991م، ص212 .

(3) عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الأثار في التراجم والأخبار، تحقيق . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، مطبعة دار الكُتب المصرية، القاهرة، 7991م، ج1، ص 87 .

من الأعباء المالية التي أثقلت كواهلهم في ظل نظام الالتزام[4]، مما حرمهم ثمرة إنتاجهم وضيع جهدهم، ولم يبق لهم من خيرات أراضيهم إلا القليل الذي لا يكفي حاجتهم[5]، فأفراد هذه الطبقة وقعوا تحت ضغط أجهزة إدارة الدولة، مما جعلهم يعيشون في حالة سيئة للغاية صورها أحد المُعاصرين بقوله ((هم دائماً في انقباض وطرد وجري وكر وفر وحفر أبار، وتعب شديد بلا أجرة، فاذا كان الفلاح ذو فضل ضاع فضله، أو ذو عقل ذهب عقله، أو ذو مال أغار عليه الحكام))[6].

وقد زاد من سوء حالة هذه الطبقة في القرن الثامن عشر الكوارث الطبيعية التي كانت تحل بالأرياف بين الحين والأخر، وانتشار الكثير من الأوبئة، نتيجة لغياب العناية الصحية، الأمر الذي أدى إلى خراب بعض القرى، بسبب موت الكثير من الفلاحين، وتشرد بعضهم في البلاد[7] .

وقد ألقى قانون نامة[8] العثماني على عاتق الملتزمين و المشايخ مسؤولية إحياء قطع من الأراضي المروية غير المزروعة، وإعطائهم سلطة منع الفلاحين من هجر قراهم، والعمل على إسكانهم في القرى الخاوية، كما منح قانون نامة هؤلاء الملتزمين سلطة معاقبة من يعصي أو يتمرد على سلطتهم من الفلاحين[9]، وبهذا أصبح الملتزم و أتباعهم الذين لهم حق الإشراف على إدارة الأراضي سوطاً مسلطاً على الفلاح، إذا تأخر في دفع الضرائب التي لم يعد بإمكانه سدادها لتعددها وكثرتها، وأصبح نصيبه من عمله يتمثل في المجاعة و العمل الشاق و السخرة[10]، فنتيجة لسوء الحالة الاقتصادية والمظالم التي تعرض لها الفلاحين من قِبل رجال الإدارة، أضطر بعضهم إلى الهروب إلى مناطق بعيدة ونائية، بحيث لا تصل إليهم أيدي الملتزمين والجُباة[11].

(4) الالتزام : هو نظام يختص بجباية الضرائب طبقه العثمانيون في كافة أنحاء الإمبراطورية، وكان الهدف منه تأمين جباية الأموال المُقررة على الأراضي الزراعية، وهو لا يخضع لموظفين تابعين للحكومة، وإنما يُكلف به الوجهاء ومشائخ البلد، لكي يقوموا بتحصيل الضرائب المطلوبة، راجع . محمد رجائي ريان، نظام الالتزام في مصر العثمانية 0251-4181م وأثره على الفلاح، مجلة دراسات تاريخية، العدد34-44، تصدر عن جامعة البصرة، العراق، 2991م، ص421 .

(5) صلاح الدين حسن السوري، الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني ـ مشاكل الضغط والتوتر، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2، تصدر عن مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 4891م، ص ص573-673 .

(6) يوسف الشربيني الأزهري، هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، تحقيق . عبدالعزيز جمال الدين، الدار المصرية للنشر والتوزيع والتأليف، القاهرة، د.ت، ج1، ص ص641-841 .

(7) عبدالعزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 8791م، ج1، ص961 .

(8) قانون نامة : يعني كتاب القانون، وهو يتضمن جميع النظم والقوانين المعمول بها في الدولة العثمانية، راجع . عارف خليل أبو عيد، قوانين نامة في الدولة العثمانية دوافعها، أهدافها، آثارها، مجلة علوم الشريعة والقانون، العدد1، تصدر عن الجامعة الأردنية، عمان، 2102م، ص403 .

(9) عبدالكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت 6151-8971م، ط2، د.ن، دمشق، 8691م، ص86 .

(10) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الريف المصري في القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 6891م،ص ص021-221 .

(11) تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 8891م، ص ص011-111 .

ويمكن القول أن طبقة الفلاحين على الرغم من دورها الفعال في دعم اقتصاد الإمبراطورية، من خلال إنتاجها كميات كبيرة ومتنوعة من المحاصيل الزراعية، إلا أنها كانت أكثر طبقات المجتمع فقراً، وكان السبب في ذلك يرجع إلى كثرة الأعباء المالية التي أثقلت كاهل الفلاحين، وأجبرتهم على الهروب وترك أراضيهم، وهجرتهم إلى مناطق بعيدة عن رجال الإدارة المكلفين بجباية الضرائب .

ثانياً / أثر النظام المالي على طبقة التجار :

لقد شغلت طبقة التجار حيزاً كبيراً في الدولة العثمانية، إذ كانت من أغنى طبقات المجتمع، لأن طبقة الفلاحين كما لاحظنا كانت أكثر تعرضاً لمظالم الحكام وفداحة الضرائب، وهذا بدوره أتاح للتجار فرصة التوسع في تجارتهم، وتحقيق أرباح مُضاعفة لمصلحتهم، وخاصة بعد دخولهم في مجال أسقاط ورهن الالتزامات الزراعية، وقد ساعدهم في ذلك تدهور الأوضاع الداخلية في الإمبراطورية خلال القرن الثامن عشر[12]، فهذه الظروف بدورها فتحت أمام التجار أبواب استثمار رؤوس أموالهم في التزام الأراضي الزراعية، وقد حرص هؤلاء التجار على أن تكون فائدة الأسقاط أو الرهن لأي حصة من حصص الالتزام 20 % أو اكثر من رأس المال[13]، وقد كان الأسلوب المتبع عند أسقاط الالتزام أو رهنه، أن يقوم المُسقِط بعد توقيع عقد الأسقاط بتوقيع عقد أخر باستئجار نفس الالتزام، وكان مبلغ الإيجار يُعادل 20 % من قيمة المبلغ الذي تسلمه المُسقِط من صاحب الالتزام و المُستأجر في نفس الوقت، ونتيجة لهذه العملية أصبح كبار التجار يمتلكون الكثير من حصص الالتزامات، وأحياناً قرى كاملة في مناطق عديدة في أنحاء البلاد، الأمر الذي أدى إلى إغراء الكثير من التجار، حيث دخلوا في مجال المُضاربات في مزادات الالتزامات المحلولة التي توفي أصحابها ولم يتمسك بها الورثة[14].

ونظراً لكثرة عمليات إسقاط الالتزامات بين التجار والملتزمين، فإن الروزنامة[15]خصصت سجلات خاصة لقيد عقود هذه الإسقاطات أطلقت عليها (سجلات إسقاط القرى)، ولعل من أشهر هؤلاء التجار الذين دخلوا ميدان التزام الأراضي في ولاية مصر مثلاً هم محمد الدادة الشربيني و السيد محمود نصر و السيد الشريف سليمان القراوي و الخواجا الحاج أسعد المغربي والخواجا

(12) محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 9991م، ص511

(13) أحمد عبدالرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، 2891م، ص ص59-79 .

(14) عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، نشؤ الرأسمالية المصرية خلال العصر العثماني (7151-8971م) وآثرها على الحياة الاقتصادية من خلال وثائق المحكمة الشرعية، المجلة التاريخية المغربية ، العدد73، تونس، 5891م، ص ص57-67 .

(15) الروزنامة : هم مجموعة من الموظفين تابعين للإدارة العثمانية عرفوا بالأفندية، مهمتهم الأشراف على الأموال التي تُجبى من الضرائب، وصرفها في وجوهها المُختلفة، وكان الروزنامجي هو رئيس الروزنامة ومسؤول مسؤولية مباشرة أمام السلطان، راجع . خليل إينالجك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة . محمد الأرناؤوط، ط1، دار المدار الأسلامي،2002م، ص492 .

الحـاج محمـد بـن جلـون وغيرهـم كُثـر[16] .

وإلى جانـب مجـال الالتـزام دخـل التجـار في ميـدان امتـلاك العقـارات بمختلـف أنواعهـا مـن وكالات وحمامـات وخانـات وحوانيـت ومخـازن وغيرهـا، وقامـوا بتأجـير هـذه العقـارات إلى أخريـن نظـير أجـرة شـهرية أو سـنوية حسـب اشتـراطات العقـد الـذي يتـم بيـن الطرفيـن المؤجـر والمسـتأجر، وقـد بالـغ التجار فـي رفع قيمـة هذه الإيجـارات، لكـي يحققـوا أرباحـاً أكثـر، ومـن جهـة أخـرى دخـل التجـار ميـدان تمويـل بعـض الصناعـات والحـرف مثـل صناعـة الغـزل والنسـيج، وأدوات الزينـة، وعـصر الزيـوت، وصناعـة الصابـون وغيرهـا، حيـث كانـوا هـؤلاء التجـار يسـتولون عـلى الإنتاج، ويقـومون بتسـويق هـذه السلـع لحسابهـم الخـاص[17].

وقـد انقسـم التجـار في مختلـف المـدن العثمانيـة إلى فئتـين مختلفتـين كانـت الفئـة الأولى تضـم التجـار الذيـن يتعاملـون مـع الإنتـاج المحـلي، وقـد عرفـت هـذه الفئة باسـم (الأصنـاف)، أمـا الفئـة الأخـرى وهـي الأعـلى فقـد كانـت تتعامـل مـع الأسـواق الخارجيـة، وعرفـت باسـم التجـار أو رجـال البـازار، وقـد خضـع أفـراد فئـة الأصنـاف إلى قواعـد الاحتسـاب، بينمـا لـم تُطبـق هـذه القواعـد عـلى التجـار الكُبـار، بـل كانـوا في الواقـع يُمثلـون الرأسـمالية في مجتمـع الـشرق الأدنـى، ولا يوجـد ما يمنعهـم مـن أن يخوضـوا في أي مـشروع، أو يزيـدوا ثرواتهـم دون حـدود، وكانـت الدولة تُشـجعهم عـلى ذلـك بشكـل واضـح، والدليـل عـلى هـذا أن الطبقـة العليـا مـن الباشـاوات و البكـوات وكبـار رجـال الدولـة والأوقـاف تسـتثمر أموالهـا مـع هـؤلاء التجـار، الذيـن شـملت تجارتهـم في أغلـب الأحيـان السـلع الثمينـة كالمجوهـرات والأقمشـة والتوابـل والعطـور المختلفة[18].والجديـر بالإشـارة أن بعـض التجار الأجانب فـي الـدولـة العثمانيـة، قـد حققـوا ثـروات كبيـرة بسـبب التسـهيلات و الامتيـازات التجاريـة التـي منحتهـا الدولة العثمانيـة لهـم، كمـا تمكنـوا مـن امتـلاك زمـام التعامـل المـالي في الدولـة العثمانيـة، لأنهـم كانـوا حلقـة الوصـل بـين التجـار العثمانيـين والأجانب[19]فتكونـت بذلـك جماعـة رأسـمالية داخـل عاصمـة الإمبراطوريـة وولاياتهـا، وقـد ضمـت هـذه الجماعـة أعـداد كبـيرة مـن التجـار اليهـود، الذيـن لجـؤوا إلى الأسـاليب الملتويـة للسـيطرة عـلى كبـار رجـال الدولـة بالرشـوة تـارة، وبالمؤامـرات والدسـائس تـارة أخـرى، وهـي الأسـاليب التـي نخـرت في عظـام الدولـة، وكانت سـبباً من أسـباب تدهـور الاقتصـاد العثمانـي[20].

(16) نشـؤ الرأسـمإلة المصريـة خـلال العـصر العثمانـي (7151-8971م) وآثرهـا عـلى الحيـاة الأقتصاديـة مـن خـلال وثائـق المحكمـة الشرعيـة، مرجـع سـابق، ص67 .

(17) طـلال المجـذوب، الحـرف و الصناعـة في صيـدا في أواخـر العهـد العثمانـي، مجلـة تاريـخ العـرب والعالـم ، العـدد34، لبنـان، 2891م، ص ص35-45 .

(18) تاريخ الدولة العثمانية من النشؤ إلى الانحدار، مرجع سابق، ص ص942-052 .

(19) محمـد فريـد بـك المحامـي، تاريـخ الدولـة العليـة العثمانيـة، تحقيـق . إحسـان حقـي، ط1، دار النفائـس، بـيروت، 1891م، ص ص645-745 .

(20) هاملتون جب، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة . عبدالمجيد حسيب القيسي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 7991م، ص 581 .

ثالثاً/ أثر السياسة المالية على الهيئة الحاكمة:

لقد كان للنظام المالي أثراً كبيراً على الهيئة الحاكمة، وهذا كان واضحاً من خلال الأبهة والثراء الفاحش، الذي أحاط بالسلطان وحاشيته، حيث القصور والخدم والحياة المرفهة، والأموال التي تملئ الخزينة السلطانية، وفي الحقيقة أن سبب هذا الثراء يرجع في الأساس إلى حصول الهيئة الحاكمة على حصة كبيرة من إيراد الدولة، وفقاً للتشريع المالي العثماني[21]، بالإضافة إلى الامتيازات التي كان يتمتع بها أفراد الهيئة الحاكمة، والتي كانت أهمها الإعفاء من الضرائب والحصول على الأراضي مُقابل الخدمة التي يُقدمونها للدولة، وقد طُبق هذا النظام بشكل خاص على القوات الإقطاعية في الجيش العثماني، إذ كانت الدولة تمنح لهؤلاء المحاربين إقطاعات من الأراضي ، واندرجت تحت أسماء مختلفة، حيث كانت تُسمى تيمار وزعامت وفقاً لقيمة الإيراد الذي تدره، أما الإقطاعات التي يفوق عائدها العائد من التيمار والزعامت فقد عرفت باسم خاص، وكان هذا النوع من الأقطاعات ملكاً خاصاً للسلطان، وتُسمى (خواصي همايون)، وفي بعض الأحيان تُعطى لبعض أفراد الأسرة الحاكمة من أميرات وسيدات الحريم السلطاني[22].

والجدير بالإشارة أن التيمارات والزعامت كانت توجد فقط في ولايات الإمبراطورية المحكومة رأساً من الأستانة، وليست في جميع ولايات الدولة العثمانية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى طبيعة مواقع الأراضي الزراعية في الإمبراطورية، نظراً لأن أغلب المناطق في الدولة كانت صحراوية، وخاصة المناطق الساحلية منها، لذلك اضطرت الدولة في بعض الأحيان إلى دفع مرتبات لفرق القوات الإقطاعية، فهذه الامتيازات التي تحصلت عليها هذه القوات هي التي شجعت الكثيرين على الانخراط في سلك الجيش الإقطاعي في الدولة العثمانية[23]. أما فيما يتعلق بالهيئة الإسلامية ؛ والتي تعتبر أهم مؤسسات الهيئة الحاكمة، فقد كانت تتمتع بمكانة مرموقة في الدولة، و تُمارس نشاطها تحت رعاية السلاطين، وهذا أتاح لها فرصة الحصول على الكثير من الامتيازات والصلاحيات، ومن أهم هذه الامتيازات هو منحها أراضي الأوقاف التي بلغت مساحتها ما يقرب ثلث أراضي الدولة المزروعة، وكانت أغلب هذه الأوقاف مُنحاً من السلطان العثماني، أو أوقافاً من أفراد أخرين تبرعوا بها[24]، أضف إلى ذلك حصول الهيئة الإسلامية على إعفاء من الضرائب، وعدم مُصادرة أموالها مهما كانت الظروف والأسباب، وكذلك الحال بالنسبة لأفراد القصر السلطاني، الذين تمتعوا بامتياز

(21) إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 6151-6191م، منشورات وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة الموصل، 3891م، ص ص66-76 .

(22) تاريخ الدولة العلية العثمانية، مصدر سابق، ص ص89-001 .

(23) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (4151-4191م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص ص77-87 .

(24) عبدالجليل التميمي، العرب والأتراك في إطار الدولة العثمانية، المجلة التاريخية المغربية ، العدد71-81، تونس، 0891م، ص ص57-67

الإعفاء من الضرائب، والحصول على دخل ثابت من الحكومة، وقد نتج هذا الإعفاء من كونهم عبيداً، لذلك ليس من مصلحة السلطان أن يُجبي ضرائب من أشخاص يقوم هو بالصرف عليهم، ولا نقصد هنا بلفظ عبيد بمعنى السُخرة في العصور الوسطى، وإنما هو مصطلح أطلقه السلاطين العثمانيين على كل من يدخل في خدمة السلطان، فجميع رعايا السلطان هم عبيد للسلطان، لان سلطة السلطان فوق الجميع، وله السيطرة التامة والنفوذ المُطلق على جميع أجهزة الدولة، وبالتالي هو المُتحكم في جميع مواردها، لذا كانت تدخل خزينته جميع ما يتبقى من إيرادات الخزينة العامة، بعد تغطية جميع النفقات العسكرية والإدارية للدولة[25] .

الخاتمة :

إن النظام المالي الذي أتبعته الحكومة العثمانية كان له أثار إيجابية وسلبية واضحة على طبقات المجتمع العثماني، فطبقة الفلاحين مثلاً عانت من كثرة وفداحة الضرائب التي كانت ملزمة بدفعها للحكومة، دون مُراعاة لإمكانياتها أو مستواها المعيشي، بعكس الطبقات الأخرى كالهيئة الحاكمة والتجار، الذين كانوا يمثلون طبقة رأسمالية لها مكانتها ونفوذها في الدولة العثمانية، وخاصة في أواخر القرن الثامن عشر، إذ أستغل هؤلاء التجار فرصة تدهور الأوضاع الداخلية والأزمات المالية التي مرت بها الإمبراطورية، فسيطروا على اقتصاد الدولة بشكل واضح، والدليل على ذلك هو تحكمهم في جميع الميادين التجارية التي حققت لهم أرباحاً كبيرة، ويبدو أن الحكومة نفسها كانت تُشجعهم على ذلك، وهذا كان واضحاً من خلال قيام رجال الدولة باستثمار أموالهم مع كبار التجار .

(25) المجتمع الإسلامي والغرب، مرجع سابق، ص ص17-37 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

1ـ عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الأثار في التراجم والأخبار، تحقيق . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م .

2ـ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق .إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981م .

3ـ يوسف الشربيني الأزهري، هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، تحقيق . عبدالعزيز جمال الدين، الدار المصرية للنشر والتوزيع والتأليف، القاهرة، د.ت، ج1 .

ثانياً المراجع :

1ـ إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1916-1516م، منشورات وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة الموصل، 1983م .

2ـ أحمد عبدالرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، 1982م .

3ـ تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1988م .

4ـ خليل إينالجك، تاريخ الدولة العثمانية من النشؤ إلى الانحدار، ترجمة . محمد الأرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي، 2002م .

5ـ الصالحين جبريل الخفيفي، النظام الضريبي في ولاية طرابلس الغرب (1912-1835م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م .

6ـ عبدالعزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مُفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1978م.

7ـ عبدالكريم رافق، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إل حملة نابليون بونابرت -1516 1798م، ط2، د . ن، دمشق،1968م .

8ـ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الريف المصري في القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1986م .

9ـ محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 1999م .

10ـ محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (1914-1514م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت .

11ـ هاملتون جب، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة . عبدالمجيد حسيب القيسي، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق،1997م .

ثالثاً الدوريات :

1ـ صلاح الدين حسن السوري، الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي في العهد العثماني ـــ مشاكل الضغط والتوتر، مجلة البحوث التاريخية، العدد2، تصدر عن مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1984م .

2ـ طلال المجذوب، الحرف و الصناعة في صيدا في أواخر العهد العثماني، مجلة تاريخ العرب و العالم، العدد43، لبنان، 1982م .

3ـ عارف خليل أبو عيد، قوانين نامة في الدولة العثمانية دوافعها، أهدافها، أثارها، مجلة علوم الشريعة والقانون، العدد1، تصدر عن الجامعة الأردنية، عمان، 2012م .

4ـ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، نشؤ الرأسمالية المصرية خلال العصر العثماني -1517 1798م وأثرها على الحياة الاقتصادية من خلال وثائق المحكمة الشرعية، المجلة التاريخية المغربية، العدد37، تونس، 1985م .

5ـ عبدالجليل التميمي، العرب و الأتراك في إطار الدولة العثمانية، المجلة التاريخية المغربية، العدد18-17، تونس، 1980م .

6ـ محمد محمود السروجي، نظام الضرائب في مصر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد2، تصدر عن أتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 1993م .

7ـ محمد رجائي ريان، نظام الالتزام في مصر العثمانية 1814-1520م وأثره على الفلاح، مجلة دراسات تاريخية، العدد44-43، تصدر عن جامعة البصرة، العراق، 1992م .

الاتفاقيات الليبية الأمريكية وأثرها على استقلال ليبيا 1951 – 1960

د. صلاح صالح عبد المولى
أستاذ مشارك - كلية التربية- جامعة طبرق

الاستلام : 12/ 9/ 2022 القبول : 29/ 10/ 2022

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة الاتفاقيات الليبية الأمريكية، وأثرها على استقلال ليبيا 1951-1960م، والتعرف على نصوص تلك الاتفاقيات التي وقعتها ليبيا مع الولايات المتحدة الأمريكية، والتي أعطتها الشرعية في تواجدها فوق الأراضي الليبية، ثم تتطرق الدراسة لتبيان الآثار العسكرية التي دعمت وجودها العسكري، في منطقة حوض البحر المتوسط، وكذلك التعرض للصعوبات التي واجهت الحكومة الليبية، في سبيل اعتماد هذه الاتفاقيات، وما صاحبها من خلافات سياسية داخلية على مستوى الحكومة والبرلمان والرأي العام المحلي، ثم اظهار الآثار الاقتصادية لتلك الاتفاقيات ونتائجها الاقتصادية في ليبيا.

Abstract:

this study deals with the Libyan– American agreements, and their impact on the independence of Libya 1951–1960 AD, and identifying the texts of those agreements signed by Libya with the United States of America, which gave it legitimacy, in its presence on Libyan lands, then the study addresses to show the military effects that supported its military presence, in the Mediterranean region, as well as exposure to the difficulties that the Libyan government faced, in order to adopt these agreements, and the attendant internal political differences at the level of the government, parliament and local public opinion, and then show the economic effects of those agreements and their economic results in Libya.

الكلمات المفتاحية: (الاتفاقية – قاعدة - الليبية – الحكومة- الأمريكية).

المقدمة:

بعد انتهاء الحرب الثانية بين دول الحلفاء والمحور في جبهة شمال افريقيا 1943م، تاركة وراءها - بعد إزهاق أرواح البشر- الدمار والخراب الذي أصاب الإنسان والحيوان، والمرافق الخدمية والانتاجية، وما أن تنفس الليبيون الصعداء وتخلصوا من الاستعمار الإيطالي البغيض، حتى شهدوا استعماراً جديداً تمثل في إقامة ثلاث إدارات أجنبية تمكنت من بسط نفوذها وهيمنتها على كامل الأراضي الليبية، فقطعت أوصالها إلى ثلاثة أجزاء، ووضعت الحدود والحواجز بين أبناء الوطن الواحد، وعاش خلالها الليبيون حياة البؤس والجوع والفقر، وعانت ليبيا خلالها عجزاً مالياً صعباً لقرابة عقد من الزمان.

وما أن حصلت ليبيا على استقلالها السياسي عام 1951م، من الأمم المتحدة التي راحت تدعو دول العالم بضرورة تقديم المساعدات المالية، لبناء الاقتصاد الليبي المنهار، وتحت ستار تلك الشعارات الزائفة، فتحت أبواب ليبيا أمام نفوذ الدول الاجنبية وأطماعها، التي جعلت من ليبيا ساحة فسيحة لتنافس تلك الدول فيما بينها وسعيها بشتى الوسائل والطرق في ضمان وجودهم العسكري في ليبيا، من خلال إبرام المعاهدات والاتفاقيات التي جعلت ليبيا دولة تابعة للسيطرة الأجنبية، حتى بعد استقلالها.

أهمية الدراسة:

تسليط الضوء عن فترة تاريخية عاشتها لفترة من الزمن، خلال مرحلة استقلالها السياسي، والتي شهدت توقيع العديد من المعاهدات والاتفاقيات مع الدول الأجنبية لضمان وجودها العسكري فوق الأراضي الليبية، ومن بينها الولايات المتحدة الأمريكية، ويأتي عام 1951م كبداية للدراسة وهو العام الذي شهد توقيع الاتفاقية الليبية الأمريكية، وتنتهي الدراسة بتوقيع اتفاقية 1960م، بين ليبيا والولايات المتحدة الأمريكية.

تهدف الدراسة للإجابة على بعض التساؤلات الأتية:

- لماذا سعت الولايات المتحدة الأمريكية في بسط نفوذها العسكري في ليبيا؟.
- كيف تمكنت الحكومة الأمريكية من توقيع جملة من الاتفاقيات مع ليبيا؟.
- ما الصعوبات والخلافات السياسية الناجمة عن الاتفاقيات الليبية الأمريكية؟.
- لماذا تعرضت الاتفاقيات المبرمة مع الولايات المتحدة الامريكية للرفض لفترة من الوقت؟.
- ما الآثار العسكرية والسياسية والاقتصادية المترتبة على الاتفاقيات الليبية الأمريكية ؟.

أما عن أسباب اختيار الدراسة: فدراسة مرحلة مهمة من تاريخ ليبيا السياسي، خلال مرحلة استقلالها، ومدى تأثير التواجد الأجنبي وبسط نفوذه فوق الأرض الليبية، خدمة لمصالحه الاستعمارية في السيطرة الكاملة على المنطقة العربية، فضلاً عن محاولة إضافة المزيد من المعلومات التاريخية لأثراء المكتبة العربية عامة والليبية خاصة.

كما ركزت الدراسة: على المنهج التاريخي التحليلي؛ القائم على جمع المادة

العلمية من مصادرها، ثم دراستها وتحليلها للوصول إلى أفضل النتائج دون تحيز مع ضمان تماسك الموضوع وتسلسله.

قسمت الدراسة إلى المحاور التالية:

المحور الأول: الاتفاقية الليبية الأمريكية 1951م.

المحور الثاني: الاتفاقية الليبية الأمريكية 1954م.

المحور الثالث: الاتفاقية الليبية الأمريكية 1960م.

تمهيد:

يرجع الوجود الأمريكي في ليبيا منذ عام 1944م، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، في جبهة شمال أفريقيا، عندما سمحت الإدارة البريطانية للقوات الأمريكية بحق استخدام مطار الملاحة الجوي، ليكون قاعة تمركز لقواتها العسكرية ، وهذا جعل الولايات المتحدة الأمريكية تدرك مدى الأهمية الاستراتيجية لوجودها العسكري فوق الأراضي الليبية، لأجل فرض سيطرتها على البحر المتوسط ، ومجابهة النفوذ السوفيتي في أفريقيا والشرق الأوسط.

المحور الأول : الاتفاقية الليبية الأمريكية 1951م.

لقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية منذ حصولها على مطار الملاحة، القيام بمحاولات كثيرة في سبيل ضمان وجودها العسكري في ليبيا بالطرق القانونية والشرعية، إلى أن توصلت بعقد اتفاقيات مع بعض قادة المعارضة الليبية من خلال وعدهم بالمساعدة في انتزاع السلطة في البلاد، مقابل إيقاف الحملات العدائية ضد السياسة الأمريكية في المنطقة العربية، ولقد تم لها ذلك، ففي 17 مايو 1951م، عقدت اتفاقية على هذا الاساس بين القنصل الأمريكي وبشير السعداوي رئيس المؤتمر الوطني الطرابلسي والذي كان يتمتع بتأييد الأحزاب الأخرى في طرابلس وبرقة وجامعة الدول العربية، وكانت تأمل الولايات المتحدة الأمريكية بسط نفوذها في ليبيا من خلال هذه الاتفاقية، ومنافسة حليفتها بريطانيا وضرب مواقعها في ليبيا في الوقت نفسه، غير أنها كانت تسعى لأن تكون الاتفاقية بالطرق الشرعية، وهذا ما عبر عنه السعداوي نفسه:" أننا نؤيد أن يقيم الامريكيون قواعدهم هنا، ولكن ذلك سيكون أكثر قبولاً فيما لو تم على أسس متفق عليها مع حكومة شرعية "[1].

وبعد حصول ليبيا على استقلالها السياسي في 24 ديسمبر 1951م، ولأجل تحقيق غاياتها في ضمان وجودها العسكري، ولكسب الوقت نجدها قد أعلنت منذ اللحظة الأولى عن استعدادها في تقديم المساعدات المالية لدعم الميزانية الليبية بعد الاستقلال، فبادت بعقد مفاوضات مباشرة مع الحكومة الليبية برئاسة محمود المنتصر رئيس الوزراء الليبي لتنظيم الوجود الأمريكي في ليبيا بالطرق

(1) ن.إ. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1963، ترجمة وتقديم عماد حمدي، مراجعة ميلاد المقرحي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي- سلسة الدراسات المترجمة- 11، طرابلس، 1988م، ص ص 316- 317.

الشرعية وقد مثل المنتصر بلاده في هذه المفاوضات وعن الحكومة الأمريكية المستر(أندروج لنيش Androg Lynch) القنصل العام الأمريكي في ليبيا[2]وقد أسفرت هذه المفاوضات بعد عدة شهور من توقيع اتفاقية مؤقتة تجدد كل عام إلى أن يتم إبرام اتفاقية نهائية بمقتضى شروط الدستور الليبي[3].

لقد أطفت الاتفاقية المؤقتة التي وقعها المنتصر الصبغة الشرعية للوجود الأمريكي في ليبيا لمدة عشرين عام، إلى أن تقدم إحدى الحكومتين أشعاراً بإنهائها وجاء في مقدمتها أن القصد من إبرام الاتفاقية إدامة السلام والأمن العالمي طبقاً للمبادئ التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة وأن المناطق والتسهيلات التي منحت للولايات المتحدة الأمريكية ستعزز هذا الهدف، ووفق ما تم الاتفاق عليه تكون ليبيا ملزمة بالدخول في مفاوضات جديدة مع الحكومة الأمريكية مستقبلاً لعقد اتفاقية نهائية لضمان الوجود الامريكي في ليبيا[4].

وبموجب هذه الاتفاقية تحوا مطار الملاحة إلى قاعدة عسكرية أمريكية واطلق عليها أسم قاعدة (ويلس Wells)[5]، كما تعهدت الحكومة الامريكية بمقتضى النقطة الرابعة[6]من نصوص الاتفاقية بتقديم مساعدات مالية بنحو مليون دولار سنوياً لمساعدة حكومة الاستقلال.

لقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية إيهام العالم بإخفاء حقيقة استجار القاعدة وأدعت أنها مساعدات مالية مقدمة إلى ليبيا، ولعل ما يفسر ادعائها بأنها مساعدة، هو تخوفها من مطالبة الدول الأخرى والتي تتواجد بها قواعد مماثلة أسوة بما تقدمه لليبيا، بموجب هذه الاتفاقية بحق استخدام المناطق التي ترغب الولايات المتحدة الأمريكية في تحويلها إلى مناطق عسكرية والتي يمكن الاتفاق عليها بين الحكومتين على أن تقدم الحكومة الليبية الأراضي المطلوبة التي تمكنها من استخدامها باتفاق الطرفين مقابل دفع مساعدة مالية للحكومة الليبية، شريطة أن تتولى الحكومة الليبية دفع التعويضات المالية المناسبة لأصحاب

(2) سامي حكيم، حقيقة ليبيا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1970م، ص 121.

(3) سامي حكيم، معاهدات ليبيا مع بريطانيا وأمريكا وفرنسا تحليلها ونصوصها، مكتبة الا نجلو المصرية، د.ت، ص 79؛ بروشين، المرجع السابق، ص 177.

(4) عز الدين فودة، ليبيا في مهب الصراع الدولي، المجلة المصرية للعلوم السياسية، العدد 48 مارس 1965، القاهرة، ص 130.

(5) كانت تعرف في السابق باسم مهبط الملاحة الذي أنشأته القوات الإيطالية في ليبيا عام 1923م، كما استغلته قوات المحور والحلفاء في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبع عام 1943م، خضع المهبط لسيطرة القوات الانجليزية، وفي عام 1945م، تحول المهبط إلى قاعدة جوية أمريكية تحمل اسم قاعدة ويلس، نسبة إلى الملازم طيار(رتشارد ويلس)، الذي سقطت طائرته في إيران في أوائل تلك السنة، استمرت القاعدة تحمل هذا الاسم حتى عام 1969م، عندما تم إعادة تسميتها باسم (قاعدة معيتيقة الجوية)، نسبة إلى طفلة كانت تقطن بجوار القاعدة توفت أثر سقوط طائرة أمريكية فوق منزلها، للمزيد من المعلومات، أنظر: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، موقع المعرفة، www. .com.Almarafa

(6) جاءت تسمية النقطة الرابعة نسبة إلى البند الرابع من مشروع الرئيس الأمريكي (ترومان) عام 1949م بشان تقديم مساعدات سياسية واقتصادية وعسكرية لدول العالم العربي الواقعة تحت النفوذ الغربي من أجل تطويق المد الشيوعي وضمان عدم وقوع هذه المنطقة تحت النفوذ الشيوعي، للمزيد من المعلومات، أنظر: راسم رشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، الطبعة الثانية، د.ن، طرابلس، 1953م، ص 248.

الأراضي، مقابل ضمان الولايات المتحدة الأمريكية في تأمينها للأغراض العسكرية [7].

إن هذه الاتفاقية لم تكن اتفاقية تحالف أو ميثاق دفاعي بين الطرفين، بل هي في وجهة نظر الأمريكان اتفاقية تنفيذية، ولذلك فهي لا تتطلب موافقة مجلس الشيوخ الأمريكي، أما بالنسبة للجانب الليبي فلابد من عرضها على البرلمان الليبي لإقرارها والتصديق عليها كي تصبح نافذة [8].

وإذا ما استعرضنا نصوص هذه الاتفاقية وبحسب ما ذكره المنتصر رئيس الوزراء نفسه (لهنري فيلاردvillard Henry) وزير الولايات المتحدة الأمريكية المفوض الذي عين بعد استقلال ليبيا أن اتفاقية المساعدات الأمريكية بها نقص بقوله: " إن القنصلية الامريكية صاغت ترجمة عربية لنص الاتفاقية التي أعدها الجانب الأمريكي وسلمتها إليه، كان مكتوباً بأسلوب يعجز فهمه حتى على أعضاء البرلمان أنفسهم " وأضاف إنه عرض على (لينش) القنصل الأمريكي في ليبيا أن يؤجل توقيع الاتفاقية المبرمة بين الدولتين والمتعلقة بقاعدة ويلس كي يتسنى لهُ وللمسؤولين أن يراجعوها، ولكن لينش أصر على توقيعها قبل إعلان الاستقلال وهدد إن لم توقع لم يكون هناك استقلال، وذكر بأن بإمكان المسؤولين الليبيين دراسة النص العربي فيما بعد وأن يدخلوا عليه من التعديلات ما يرونه مناسبا[9].

وهذا يفسر أن الولايات المتحدة الامريكية كانت تريد أن يكون الاستقلال وفق التوقيت الامريكي[10].

ويبدو مما ذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية، قد أرادت منافسة حلفائها في إقرار الوضع القائم في ليبيا، لفترة أطول بعد الاستقلال، سواء كان ذلك من خلال الدستور أو شكل الحكومة، متخفية وراء قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بليبيا[11]، مستغلة وضع ليبيا في بداية استقلالها فكانت لازالت دولة ناشئة ، ولم تكن قد وثقت علاقاتها مع الدول الأخرى، أي إنها تضع برنامجاً سياسياً يحدد الحياة الداخلية، أو ينظم العمل في إطار علاقاته الخارجية [12]، لذلك كانت مرغمة في مسايرة تلك الدول التي كانت مرتبطة معها بمعاهدات واتفاقيات،

(7) Foreign Relations of Teleram,711.56373-1-1253,the minster in Libya) Villard (To The Depepoartment of stale Tripoli ,ganurg.12,1954 theuniet states .1954 -1952 ,Vol, xl p.568569.

(8) محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر- صفحات من التاريخ السياسي، الجزء 1، دولة الاستقلال، المجلد3، الحقبة غير النفطية 1957- 1963، مركز الدراسات الليبية اكسفورد، 2004م، ص 41.

(9) Foreign Relations of Teleram,711.56373-1-1253,the minster in Libya) Villard (To The Depepoartment of stale Tripoli ,ganurg.12,1954 theuniet states .1954 -1952 ,Vol, xl p568569.

(10) كهلان كاظم القيسي، السياسة الامريكية تجاه ليبيا، 1949- 1957، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003م، ص108.

(11) جون جنتر، داخل افريقيا، مراجعة وتقديم ، حسن العروسي، د.ن، مصر، 1957م، ص 281.

(12) جريدة الأهرام، السنة 78.

ما قيد حريتها وأدخلها في معركة لم تكن بعيدة في مؤثراتها عن الظروف التي سبقت الاستقلال، وعلى هذا الأساس لا يمكن تجاهل حقيقة ظهور ليبيا كدولة مستقلة، وسط التنافس القائم للحصول على امتيازات أكثر على أراضيها بين الولايات المتحدة الامريكية من جهة، وحلفائها البريطانيين والفرنسين من جهة أخرى، كما أن ليبيا كانت لاتزال تتجاذبها النزاعات السياسية بين أقاليمها الثلاثة، من ناحية[13].

كما أوجد إشراف الأمم المتحدة، كعمل دولي مشترك رافق الاستقلال، أدى إلى خلق نوع من الهيمنة الأجنبية، بحجة مساعدة ليبيا مالياً وهذا من ناحية أخرى[14]، وهي المشكلة التي واجهت حكومة محمود المنتصر، التي ارتبطت باتفاقيات لا يمكن أن تكون مقبولة وفق قانون السيادة، لكنها أجبرت على القبول بها لحاجتها للمساعدات المالية والاقتصادية الملحة وقتذاك، وقد اعترف الملك محمد إدريس السنوسي بذلك، في خطابه الذي افتتح به أول جلسة للبرلمان الليبي في مارس 1952م قائلاً: " لقد عرضت على حكومتي بعض المساعدات التي كانت ليبيا في حاجة ماسة إليها فقبلتها بعد استشارة مندوب الأمم المتحدة السيد: ادريان بلت ووفقاً لتوصياته، وعقدت بشأنها اتفاقيات مؤقته ينتهي العمل بها في أواخر مارس 1953م، وقد حرصت حكومة المملكة الليبية أن يكون أجلها قصيراً، رغبة منها في أن يكون لمجلسكم كلمته في أي اتفاقية ترى حكومتي وجود حاجة إلى عقدها"[15].

وكان يفضل المنتصر عدم تقديم الاتفاقية للبرلمان بحجة عدم كفاية المبلغ المالي المدفوع من الولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن ظروف حكومته التي حالت دون تقديمها للبرلمان، ومع ذلك استمرت المفاوضات الليبية الأمريكية بشأن الاتفاقية وإقرارها بعد الاستقلال في عام 1952م، نظراً لإلحاح الحكومة الأمريكية على تأمين قواعدها في أسرع وقت، غير أنها تفهمت ردود الأفعال التي أحدثتها الاتفاقيات السابقة على الشارع الليبي[16].

وأمام هذا الوضع الذي سبب إحراج للحكومة الليبية، ولذلك عملت على أن تبقى الاتفاقية سرية، حتى يتسنى للموقف الرسمي أن يتبلور وتستطيع الحكومة أن تقنع البرلمان للمصادقة عليها، وكانت الحكومة الأمريكية ترغب في أن تعرض الاتفاقية على البرلمان في دورة انعقاده الأولى في شهر أبريل 1952م، ولكن

(13) أدريان بلت، مملكة ليبيا من مستعمرة إلى دولة مستقلة، السنة السادسة، بيروت، مارس 1953م، ص96.

(14) بنجامين هيغنس، تجربة استقلال ليبيا، مجلة الأبحاث، السنة السادسة، بيروت، مارس 1953م، ص93.

(15) محضر مجلس النواب الليبي الأول، المنعقد بمدينة بنغازي، بتاريخ 25 مارس 1952م، سالم الكبتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، وثائق محلية ودولية، ج3، دار الساقية للنشر، بنغازي،- ليبيا، 2013م، ص458.

(16) صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1970م، ص 168.

(17) الوثيقة رقم (1024)، مكتب الوثائق العامة، لندن، المكتبة المركزية، جامعة قاريونس؛ برقية المستر فيلارد الوزير المفوض في ليبيا إلى وزارة الخارجية الامريكية في 29 مارس 1952م؛ محمد يوسف المقريف، المرجع السابق، ص 145.

(18) مي فاضل الربيعي، المرجع السابق، ص 179.

بسبب انشغال البرلمان بمهامه التشريعية الجديدة، فضلاً عن الأرضية السياسية لم تكن مهيأة لقبول التصويت على الاتفاقية، لمعارضة بعض النواب لها، بحسب قول المنتصر رئيس الحكومة الليبية، وأن تذليل الصعاب وإقناع البرلمان للتصويت عليها يحتاجان لوقت أطول، لاسيما مع وجود اتفاقيات بريطانية وفرنسية تنتظر هي الأخرى موافقة البرلمان[17].

كان يأمل المنتصر استجابة الحكومة الأمريكية بتلبية طلبه بزيادة القيمة المالية المذكورة بالاتفاقية حتى يتمكن من تقديمها للبرلمان، بيد أن الحكومة الأمريكية رفضت ذلك[18]، مما دفع خليل القلال[19]أحد المنافسين للمنتصر أن يوجه استفساراً رسمياً للمنتصر يطلب فيه إيضاحاً عن الاتفاقية، الأمر الذي جعل المنتصر يشير إلى أن الاتفاق لم يتم بعد، ولم ينف وجود مباحثات لإقرار اتفاقية عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية[20].

ومع كل المحاولات التي بذلها المنتصر إلا أنه في النهاية لم يتوصل لحل يمكنه من تمرير الاتفاقية الليبية الأمريكية في البرلمان وظلت معطلة إلى أن تم تشكيل حكومة جديدة برئاسة مصطفى أحمد بن حليم (1954 - 1957م)[21]، والذي تمكن من تشكيل حكومته بتكليف من الملك محمد إدريس السنوسي،

والذي ركز في سياسته الخارجية منذ الوهلة الأولى على بناء علاقات قوية ومتينة مع الولايات المتحدة الأمريكية، واصفاً إياها بأن خلفه محمود المنتصر كان يلعب لعبة السياسة الخارجية وبيده ورقة واحدة فقط وهي تحالف ليبيا مع بريطانيا، كما أضاف بحسب تعبيره ورقة أخرى تمثلت في إقامة علاقات صداقة وتعاون ثانية مع الولايات المتحدة الأمريكية، لم تكن أساسها المساعدة المالية فحسب، بل كسب تأييدها سياسياً ودبلوماسياً لقضايا ليبيا ومساعدتها في حل مشاكلها المعلقة مع فرنسا وإيطاليا والدول المجاورة[22].

ولعل الورقة الثانية التي ذكرها والتي ترتكز عليها سياسته ستجعله يتمكن من موافقة البرلمان على التصديق على الاتفاقية الليبية الأمريكية، والتي

(17) الوثيقة رقم (4201)، مكتب الوثائق العامة، لندن، المكتبة المركزية، جامعة قاريونس؛ برقية المستر فيلارد الوزير المفوض في ليبيا إلى وزارة الخارجية الامريكية في 92 مارس 2591م؛ محمد يوسف المقريف، المرجع السابق، ص 541.

(18) مي فاضل الربيعي، المرجع السابق، ص 971.

(19) كان القلال وزيراً في حكومة برقة، وبعد استقالة محمود المنتصر، أصبح وزيراً بوزارة الساقزلي بناءً على اقتراح من الملك محمد إدريس السنوسي، تم عُين وزيراً للدفاع في وزارة مصطفى بن حليم في ابريل 1954م، للمزيد من المعلومات، أنظر: مجيد خدوري، ليبيا الحديثة، مراجعة نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1966م، ص 271.

(20) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 115.

(21) ولد بمدينة الاسكندرية عام 1921م، بعد هجرة أسرته إليها من مدينة درنة في الشرق الليبي، بسبب الاستعمار الإيطالي لليبيا، وتمكن من الالتحاق بالدراسة حتى تخرجه من كلية الهندسة بجامعة الاسكندرية، تولى العديد من المناصب منها وزير الاشغال العامة والمواصلات في عام 1950م، ثم رئيساً لمجلس الوزراء من عام 1954م، حتى منتصف عام 1957م، للمزيد من المعلومات، أنظر: مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، وكالة الاهرام للتوزيع، القاهرة، 1992م، ص 12.

(22) مجيد خدوري، المرجع السابق، ص 286.

لـم ينجـح خلفـه فيهـا، ولهـذا نجـده يحـاول التراجـع عـن المطالبـة بتعديـل الاتفاقيـة مـع الجانـب الأمريكـي، ولكنـه لـم يتمكـن مـن ذلـك بسـبب معارضـة الـرأي العـام الليبـي الـذي واصـل ضغوطاتـه عليـه للعمـل عـلى تعديـل شروط الاتفاقيـة لصالـح ليبيـا، والتـي اسـتمرت المفاوضـات حولهـا مـدة طويلـة دون جـدوى، بيـد أن تـولي (سـمرسSummers) القنصـل الأمريكـي الجديـد في ليبيـا والـذي حـل محـل خلفـه (مـورMor) في شـهر أبريـل 1954م، والـذي أعـد تقريـراً مفصـلاً إلى وزارة الخارجيـة الأمريكيـة في 9 أبريـل 1954م، شـارحاً فيـه أن بـن حليـم أرسـل إليـه مذكـرة أكـد فيهـا ومعـبراً عـن أملـه في أن يتـم التوصـل إلى اتفـاق مـرضي بـين الطرفـين الليبـي والأمريكـي بشـأن الاتفاقيـة في أسرع وقـت ممكـن[23].

المحور الثاني: الاتفاقية الليبية الأمريكية 1954م.

لـم تمـض سـوى ثلاثـة أشـهر مـن تسـلم بـن حليـم رئاسـة الـوزارة حتـى قـام بزيـارة للولايـات المتحـدة الأمريكيـة لأجـل إجـراء مفاوضـات حـول الاتفاقيـة، وقـد أسـفرت المفاوضـات إلى عقـد عـدة اجتماعـات مـع المسـؤولين الأمريكيـين خـلال المـدة مـن 20-14 يوليـو 1954م، وكان ممثـلاً عـن الجانـب الليبـي بصفتـه رئيـس الوفـد المفـاوض[24]، وقـد ضـم الوفـد الليبـي في عضويتـه كلًا مـن سـليمان الجربـي وكيـل وزارة الخارجيـة ورئيـس المجلـس التنفيـذي الطرابلـسي، والدكتـور محـي الديـن فكينـي، ووزيـر الماليـة الدكتـور عـلي العنيـزي، والخبـير المـالي البريطانـي (هـاراد يكـر Harad Wicker) لـدى الحكومـة الليبيـة، في حـين انضـم أيضـاً إلى الوفـد الدكتـور فتحـي الكيخيـا، أمـا الجانـب الأمريكـي فقـد مثلـه مسـاعد وزيـر الخارجيـة الأمريكـي وممثـل وزارة الدفـاع الجنـرال (هـارس hares) مسـاعد القـوات الجويـة الأمريكيـة[25].

تمكـن بـن حليـم في أول اجتمـاع تقابـلي مـن تقديـم تلخيصـاً عـن الموقـف الليبـي أعلـن فيـه وبـكل وضـوح أن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة بإمكانهـا ضمـان اتفاقيـة القواعـد العسـكرية في ليبيـا ، وأنـه لـم يـأت لمسـاومة الأمريـكان بشـأن إيجـار القاعـدة الـذي تسـتطيع الحكومـة الامريكيـة دفعـه، وأبـدى بـن حليـم اسـتعداده للتعامـل مـع قضيـة القواعـد العسـكرية باعتبارهـا موضوعـاً منفصـلاً عـن حاجـة ليبيـا للمسـاعدات الماليـة الأمريكيـة، والـذي يحـاول إقنـاع البرلمـان والشـعب الليبـي بقبـول الاتفاقيـة، كمـا ذكـر أن ردود فعـل البرلمـان معتمـدة عـلى إيفـاء الحكومـة الأمريكيـة بتنفيـذ التزاماتهـا المتعلقـة بالقضايـا الماليـة والاقتصاديـة[26].

لقـد اسـتطاع بـن حليـم إقنـاع الجانـب الأمريكـي في ختـام الاجتماعـات والحصول عـلى موافقتهـم عـلى تقديـم المسـاعدات الماليـة والاقتصاديـة التـي تطلبهـا الحكومـة

(23) محمد يوسف المقريف، المرجع السابق، ص 440- 441

(24) كهلان كاظم القيسي، المرجع السابق، ص 164.

(25) مصطفى بن حليم، المرجع السابق، ص 188.

(26) F.R.U.S,1954 .part I.VOI,XIP .591 .Teleyram .033.7311-2-2954,The sectary ofstata To the Legation in Libya .Washing ton ,guly.29.1954

الليبية، وفي نهاية الاجتماعات صدر البيان الختامي المشترك بين الحكومة الأمريكية والحكومة الليبية التي جرت في واشنطن تكللت بالنجاح، وسيتم التوقيع على الاتفاقية رسمياً بعد عودة الوفد الليبي إلى بلاده وستقدم للبرلمان للمصادقة عليها، ومن أجل التأكيد على هذه المساعدة تمكن بن حليم خلال زيارته بالاجتماع مع الرئيس الأمريكي(إيزنهاور Eisenhower) والوزير (دلاس Dallas) وأقنعهم بمساعدة ليبيا مالياً، كما قام الوفد الليبي أثناء وجوده في أمريكا بحث بعض المشاكل الأخرى ذات الاهتمام المشترك، ويأتي في مقدمتها التطور الاقتصادي لليبيا، والوسائل الممكنة لتقوية روابط الصداقة وتطويرها بين البلدين[27].

وفي 9 سبتمبر 1954م، تم التوقيع على الاتفاقية الليبية الأمريكية في بنغازي التي يسري العمل بها لمدة عشرين عاماً حتى 24 ديسمبر 1974م، وقد مثل الجانب الليبي رئيس الوزراء مصطفى بن حليم، وعن الجانب الأمريكي القائم بإعمال المفوضية الأمريكية (سوسر sus-er)، بعد أن تم تعديلها عن الاتفاقية السابقة التي وقعتها حكومة المنتصر المنصرمة، والتي لم يتم مصادقتها من البرلمان، ومن بين التعديلات التي أجريت على هذه الاتفاقية إضافة مواد جديدة وأصبحت الاتفاقية مكونة من مقدمة وثلاثين مادة، بدلاً من مقدمة وثمان وعشرين مادة، والتي كانت تتكون منها الاتفاقية السابقة، ومن بين المواد المعدلة المادة السادسة والعشرين الخاصة باستعمال العملة، والمادة السابعة والعشرين المتعلقة بتدابير من إساءة استعمال الامتيازات الممنوحة للقوات الأمريكية، وأضيفت المادة التاسعة والعشرون المتعلقة بفض الخلافات الناشئة عن تفسير الاتفاقية[28].

وتأتي المادة الرابعة عشرة بالاتفاقية الجديدة بدلاً عن المادتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة بالاتفاقية السابقة واللتين دمجت في مادة واحدة، في حين ظلت المواد الأخرى على حالها، بعد أن أعيدت صياغتها، وقد عبرت الحكومة الأمريكية بتوقيعها على الاتفاقية الجديدة بمثابة مكسب استراتيجي لها[29] ، وحجر أساس مهم في الدفاع عن العالم الحر بحسب تعبيرها، وأن هذه الاتفاقية ترمي إلى توثيق روابط الصداقة بين شعبي البلدين[30].

وبهذه المناسبة ألقى الملك خطاباً في اليوم نفسه، واصفاً توقيع الاتفاقية بأنه انتصار عظيم لليبيين، ونحن هنا نؤكد على أنه انتصار عظيم ، ولكن ليس لليبيين بحسب اعتقاد الملك، بل هو انتصار للأمريكيين الذين ظفروا بحق تأمين وجودهم العسكري في ليبيا، وبحق استخدام الأراضي الليبية للأغراض العسكرية الاستعمارية[31].

(27) ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق، ص 162؛ كهلان كاظم القيسي، المرجع السابق، ص 166؛ مصطفى بن حليم، المرجع السابق، ص 188

(28) برقية من المفوضية الأمريكية في ليبيا إلى واشنطن ، بخصوص توقيع الاتفاقية الليبية الأمريكية في بنغازي، بتاريخ 11/9/1954م أنظر: محمد يوسف المقريف، المرجع السابق، ص 487.

(29) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 115.

(30) مصطفى أحمد بن حليم، المرجع السابق، ص 182.

(31) مجيد خدوري، المرجع السابق، ص 290.

ويرى الباحث أن كل ما ورد بهذه الاتفاقية ينصب بالدرجة الأولى في صالح السياسة الأمريكية على حساب السيادة الليبية فمثلاً، نصوص الاتفاقية قد جاءت منسجمة من التطورات الأمريكية السياسية والعسكرية التي تتفق مع سياستها في التواجد فوق الأراضي الليبية وضمان تواجدها، على الرغم من الأهداف التي وردت في مقدمة الاتفاقية، قد أكدت أن الحكومة الليبية والحكومة الأمريكية رغبة منهما في تعزيز الصداقة والتفاهم الوثقيين بينهما، وتأكيداً على التعاون في الميدان الدولي، والإسهام في صيانة السلم والأمن وفق سياسة وأهداف الأمم المتحدة واعتقاداً منهما بأن التعاون فوق الأراضي الليبية سيساعد على أدراك هذه الغايات[32].

لقد حصلت الولايات المتحدة الأمريكية بموجب هذه الاتفاقية على أمد أطول في بقائها في ليبيا، وأعطتها فرصة كبيرة لرعاية مصالحها في الشرق الأوسط ، ولذلك أطالت مدة وجودها في ليبيا حتى عام 1974م، غير أن الاتفاقية قد أعطت الحق لكلا الحكومتين عند رغبة أحداها في ألغاء مدة الاتفاقية عليها أن تشعر الأخرى بذلك، وينتهي نفاذ الاتفاقية بعد مرور عام من تسلم الإشعار[33].

كما يعاب على هذه الاتفاقية أنها سمحت للحكومة الأمريكية طبقاً لنص المادة السابعة إشغال الأراضي واستخدامها للأغراض العسكرية، بموافقة الحكومة الليبية في سلب سيادتها على أراضيها بنص المادة الثانية، عندما أجازت للحكومة الأمريكية أن تؤجر أي أرض من أصحابها الشرعيين من دون الرجوع للحكومة الليبية، في حين نصت المادة الثانية عشرة على أن الاتفاقية عقدت وفقاً للمبادئ التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة، بالرغم من أن ليبيا لم تكن حينها من الدول الأعضاء في تلك المنظمة، وأن تصريح الحكومتين بأن الاتفاقية لا تتنافى مع الالتزامات الدولية لاسيما ما يخص ليبيا وميثاق جامعة الدول العربية كان يناقض الواقع، حيث كانت القاعدة الأمريكية في ليبيا عامل تهديد للأمن العربي القومي، خاصة دولة مصر الشقيقة[34].

كما جردت المادة العشرون القضاء الليبي من صلاحيته القضائية، وهذا ما يفسر بقاء هذه المادة محل خلاف لمدة طويلة في أثناء المفاوضات الليبية الأمريكية، فقد أعفت هذه المادة أفراد القوات الأمريكية من المثول أمام المحاكم الليبية سواء كان الجرم المرتكب من قبل الجنود الأمريكيين جنائياً أو مدنياً، شريطة أن تطبق عليهم القوانين الأمريكية، وعلى الرغم من أن هذه النقطة قد استمر الخلاف حولها بين الطرفين لفترة طويلة إلى أن تم الاتفاق عليها في مفاوضات واشنطن[35].

(32) سامي حكيم، معاهدات ليبيا مع بريطانيا وأمريكا وفرنسا، المرجع السابق، ص 110؛ كهلان كاظم القيسي، المرجع السابق، ص167.

(33) كهلان كاظم القيسي، المرجع السابق، ص168.

(34) راشد البراوي، حرب البترول في العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967م، ص 14.

(35) سامي حكيم، معاهدات ليبيا مع بريطانيا وأمريكا وفرنسا، المرجع السابق، ص 110.

وتأتي المادة الرابعة والعشرون لتعفي القوات الأمريكية من جميع الضرائب على رعاياها، وقد طبق هذا الإعفاء ولاسيما الضرائب الجمركية على مختلف الشركات الأمريكية العاملة في ليبيا والمتعهدين الذين يعملون معها[36]، وكذا الشركات النفطية المتخصصة في مجال التنقيب عن النفط، والتي كانت تعتمد بشكل كبير على دعم حكومتها، وتمنح حقوق التوريد دون جمارك[37]، وأيضاً البضائع والأثاث الشخصي والسيارات الخاصة التي تصدر إلى ليبيا، بموجب هذه المادة، وهذا يعني أن الميزانية الليبية قد فقدت جزءاً كبيراً من إيرادات الضرائب الجمركية، كما سمحت الاتفاقية للحكومة الأمريكية إنشاء محطات رادار في مصراته وطبرق ودرنة وكذا قاعدة بحرية بجوار قاعدة ويلس الأمريكية[38].

وبذلك صارت قاعدة ويلس لها أهمية عسكرية كبيرة، فهي تمثل نقطة عبور هامة في حوض البحر المتوسط، وتعد حلقة ربط في نظام القواعد فيما وراء البحار الذي أقامته الولايات المتحدة الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي، وكذا مركز لتدريب الطيارين العسكريين الأمريكيين في منطقة شمال أفريقيا [39].

ومن الصعوبات التي واجهت بن حليم، والتي كان يجب عليه اجتيازها، هي محاولة استغلال الوزراء الطرابلسيين وهم: القلهود والسراج وعبد السلام البوصيري وبن شعبان، الفرصة السانحة في مقايضة بن حليم، بنقل مقر الحكومة من بنغازي إلى طرابلس، في مقابل تأييدهم الاتفاقية معتقدين أن طرابلس مهيأة الآن من الناحية البشرية والحضارية، فهي أحق أن تكون حاضنة لمقر الحكومة الليبية، ولكن بن حليم لم يكن ليزعج الملك محمد إدريس السنوسي بهذا الأمر، لذلك اقترح تأجيل الانتقال إلى ما بعد موافقة البرلمان عليها[40].

وعندما تعرض إبراهيم الشلحي[41]، لعملية اغتيال أودت بحياته في 5 أكتوبر 1954م، نقل الملك مقره غاضباً من بنغازي إلى طبرق، ما جعل الفرصة مواتية أمام بن حليم أن يطلب موافقة الملك، على نقل الحكومة إلى طرابلس، وهذا قد شجع الوزراء الطرابلسيون على تأييد بن حليم بخصوص الاتفاقية، ولعل بن حليم نفسه كان ميالاً لنقل مقر حكومته إلى طرابلس لاسيما بعد مقتل الشلحي،

(36) مصطفى بن حليم، المرجع السابق، ص 182.

(37) بروشين، المرجع السابق، 341.

(38) سامي حكيم، معاهدات ليبيا مع بريطانيا وأمريكا وفرنسا، المرجع السابق، ص ص، 82-80.

(39) مجيد خدوري، المرجع السابق، ص 288.

(40) المرجع نفسه، ص289.

(41)عرف الشلحي بذكائه وكان على قدر عالي من الوطنية والتفاني في العناية بشؤون الملك محمد إدريس السنوسي الخاصة، ويرجع أصول أسرته من الجزائر، أنضم منذ صغره لحلقة السيد أحمد الشريف أبن عم الملك، درس القرآن الكريم وتعاليم الطريقة السنوسية، ألتحق وقد التحق بخدمة الملك بناء على اقتراح من أحمد الشريف، وكان يبدي آراءه للملك وكان =الملك يثقه به كثيراً، وكان محل تقديره، وفي 5 أكتوبر 1955م تم اغتياله من قبل الشريف محي الدين حفيد أحمد الشريف لاعتقاده أن الشلحي قد فرق بين الملك وبني عمومته من فرع أحمد الشريف، للمزيد من المعلومات، أنظر: مجيد خدوري، المرجع السابق، ص 283.

وذلك لتتسنى لهُ حرية العمل في تصريف شؤون الحكومة، ولم يكن هذا كل ما في الأمر، فقد كان عمر منصور الكيخيا رئيس مجلس الشيوخ على خلاف شديد مع بن حليم، وكان ناقداً ورافضاً للاتفاقية الليبية الأمريكية، بل وشهر بها علناً، ما أجبر بن حليم إبلاغ الملك بهذا الأمر، فاستاء الملك من تصرفه، وأصدر مرسوماً ملكياً بإعفاء الكيخيا من منصبه كرئيس لمجلس الشيوخ في 15 أكتوبر 1954م، وهذا دليل على دعم أو تأييد الملك للاتفاقية الليبية الأمريكية، كما حاول بن حليم التأكيد على الكتلة البرلمانية بفوائد المساعدات المالية والاقتصادية التي ستعود بالمصلحة على البلاد، ودعا إلى الموافقة على سياسته، وهذا يفسر أن حاجة ليبيا الماسة والملحة للدعم المالي كانت نقطة ارتكاز الحكومة الليبية بتبرير موقفها أمام الرأي العام الليبي للارتماء في أحضان التعبية الاجنبية، ولأجل ذلك اجتمع بن حليم مع نائب رئيس مجلس النواب صالح بويصير وحسين مازق وأبو القاسم السنوسي في منزله وأوضح لهم منافع الاتفاقية وطلب منهم مساعدته، مركزا على صالح بويصير وملحاً لهُ باحتمال ضمه لوزارته، غير أن بويصير رفض ذلك، وغضب منه، ما جعله من أبرز المعارضين للاتفاقية[42].

ومن المعارضين الآخرين للاتفاقية أيضاً مصطفى أبن عامر رئيس قسم الثقافة بجمعية عمر المختار الذي وصفها بأنها قيد يضاف إلى القيود الأخرى، التي قيدت ليبيا مشيراً للاتفاقية الليبية البريطانية ونقد نقداً لاذعاً ما قدمه رئيس الوزراء الليبي من تبرير على أن الاتفاقية لا تعدوا عن كونها تنظيم لاستخدام الحكومة الأمريكية لبعض القواعد في ليبيا، من دون أن تكون قيداً عسكرياً على ليبيا، وتساءل بن عامر عن ماهية القيد العسكري إذا لم يكن استعمال دولة أجنبية لقواعد عسكرية في ليبيا قيداً عسكرياً من دون شك، كما ناشد البرلمان برفض الاتفاقية [43].

وفي 30 أكتوبر 1954م، تم احالة الاتفاقية إلى البرلمان الليبي للتصويت والصادقة عليها، إلا إنها تلقت معارضة ورفض شديد من بعض النواب الذين لم يكونوا راغبين في أن تصبح ليبيا جزءاً من المخطط الأمريكي في المنطقة، ولكن المجلس بدوره أحالها إلى لجنة خاصة شكلها البرلمان من سبعة نواب ثلاثة من طرابلس مقابلهم ثلاثة من برقة وواحد من فزان لدراستها، وبعد نقاش مطول وافق البرلمان على الاتفاقية بأغلبية 39 صوتاً وعارضها 12 نائباً وتغيب

(42) دار الكتب والوثائق بغداد، تقارير المفوضية العراقية في طرابلس، ملف رقم 311/6692، وثيقة رقم 32، ص65؛ مجيد خدوري، المرجع السابق، ص 290 .

(43)بيان صادر عن مصطفى بن عامر، رئيس جمعية عمر المختار سابقاً يحمل تاريخ 26/ 9/ 1954م بشير ؛ محمد المغيربي، وثائق جمعية عمر المختار، ص ص، 372- 393؛ دار الكتب والوثائق بغداد، تقارير المفوضية العراقية في طرابلس، ملف رقم 311/2692 لعام 1954م، وثيقة رقم 26، ص 55، أنظر: سحر جميل جبار، مصطفى أحمد بن حليم ودوره السياسي في ليبيا 1957-1921، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة ذي قار، 2017م، ص 77.

عـن الحضـور 4 نـواب وكان المعارضـون سـبعة مـن طرابلـس وخمسـة مـن برقـة[44].

وبذلـك تحققـت آمـال بـن حليـم، في نيـل موافقـة البرلمـان عـلى الاتفاقيـة، وبـرز أمـام أعضـاء البرلمـان، معـبراً عـن سروره بقبـول الاتفاقيـة، وأوضـح بـأن البـلاد تعانـي مـن قحـط وعـوز مـالي شـديد، ونحـن في أمـس الحاجـة لتوفـير مـادة القمـح الأمريكي، وأن وجـود شريـك في القواعـد المنتـشرة في البـلاد، أفضـل مـن أن تنفـرد بـه دولـة أجنبيـة واحـدة[45]، ولكـي تأخـذ الاتفاقيـة الصبغـة النهائيـة والشرعيـة جـرى إحالتهـا إلى مجلـس الشـيوخ الليبي(الأمـة)[46]، الـذي صـادق عليهـا بأغلبيـة 15 صوتـاً وعارضهـا3 وتغيـب عـن الحضـور 6 أعضـاء، ثـم أحيلـت للملـك للتصديـق عليهـا في اليـوم نفسـه 30 أكتوبـر 1954م، وبذلـك وضعـت موضـع التنفيـذ اعتبـاراً مـن تاريخـه[47].

وهكـذا تمكنـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة مـن تعزيـز علاقاتهـا بليبيـا، بعـد توقيـع هـذه الاتفاقيـة والتـي منحتهـا الصبغـة الشرعيـة في سياسـتها في ليبيـا، فرفعـت درجـة التمثيـل الدبلومـاسي في ليبيـا إلى مسـتوى سـفارة في 25 سـبتمبر مـن نفـس العام وعـين (جـون تابـن gohn tappin) سـفيراً والـذي كان ضابطـاً بالجيـوش الأمريكيـة في شـمال أفريقيـا خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة، بـدلاً مـن فيـلارد، الـذي شـغل منصـب وزيـر مفـوض في ليبيـا منـذ الاسـتقلال[48].

كمـا أتاحـت الاتفاقيـة أمـام بـن حليـم فرصـة التقـارب مـع الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وفـق رؤيتـه في التقـارب والصداقـة بـين الدولتـين، وكان جوهـر ذلـك هـو أحـكام تبعيـة ليبيـا للغـرب وضمـان تأييـد الغربيـين لمصالـح النخبـة الحاكمـة في ليبيـا[49] ، فضـلًا عـن أن بـن حليـم لـم يغفـل تأثـير الشـارع الليبـي عـلى السياسـة الداخليـة فحـاول أن يقـوي مركـزه كنـوع مـن الاسـتقلالية لعلاقاتـه الخارجيـة لاسـيما في إطارهـا العربـي، لـذا قـام بزيـارة إلى مـصر في أكتوبـر 1955م، والتقـى جمـال عبدالنـاصر الـذي أظهـر لابـن حليـم مخاوفـه مـن وجـود القواعـد الأمريكيـة في ليبيـا، لمـا تشـكله هـذه القواعـد مـن تهديـد مبـاشر للأمـن القومـي المـصري، لاسـيما وأن ليبيا تمثـل الحـدود الغربيـة لمـصر[50].

وقـد حـاول بـن حليـم لتهدئـة مخـاوف عبدالنـاصر، فقـال لـه في مؤتمـر صحفي عقـده في القاهـرة قائـلاً: "أن وضـع الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في ليبيـا لا يخـرج عـن

(44) جون جنتر، المرجع السابق، ص 300.

(45) برقية المفوضية الأمريكية في ليبيا إلى وزارة الخارجية الأمريكية، بتاريخ ش10/30/ 1954م، تفيد بأن مجلس النواب الليبي صادق على الاتفاقية الليبية الأمريكي، أنظر: محمد يوسف المقريف، المرجع السابق، ص 492؛ صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 11.

(46) يتألف مجلس الشيوخ (الأمة) من 24 عضواً ويمثل كل منطقة 8 أعضاء بالتساوي، ويعين الملك محمد إدريس السنوسي نصف الأعضاء والنصف الآخر تنتخبه المجالس التشريعية في الاقاليم الثلاث، أما مجلس النواب ينتخب من الشعب الليبي على أساس نائب واحد لكل 20 ألف نسمة من عدد السكان ، أنظر: مجيد خدوري، المرجع السابق، ص 221.

(47) كهلان ، المرجع السابق، ص 171.

(48) السيد عوض عثمان، المرجع السابق، ص51

(49) كهلان، المرجع السابق، ص172.

(50) السيد عوض عثمان، المرجع السابق، ص52

نطاق تأجير بعض القواعد لها، وعندما تنتهي مدة الإيجار لن يكون بالإمكان تجديدها، أذ إن ليبيا تكون وقتذاك قد أنهت بعض مشروعاتها الانتاجية التي تقوي مركزها الاقتصاد، وأن الذي دعا ليبيا إلى تأجير هذه القواعد هو أنها دولة ناشئة وثرواتها محدودة لا تكفي للنهوض ببناء كيانها الحديث، مؤكداً أن الاتفاقية التي تم إبرامها مع الحكومة الأمريكية لست ذات مغزى سياسي"([51]).

كما أكد بن حليم في أثناء مقابلته مع عبدالناصر، بأن تأميم قناة السويس شأن داخلي بحت، مؤكداً له على وقوف ليبيا إلى جانب مصر وتأييدها الدائم لها، والوقوف في وجه أمريكا في حال حاولت استخدام قواعدها في ليبيا ضد مصر، فإن الجيش الليبي لن يسمح بذلك[52].

وفي 9 أغسطس 1956م، قدمت الخارجية الليبية إنذاراً للخارجية البريطانية جاء فيه أن ليبيا ليس في نيتها الانضمام إلى حلف بغداد[53]، وأنها لن تشترك إلا في حلف عربي ضمن المجموعة العربية

أما فيما يتعلق بالمساعدات الأمريكية بمقتضى الاتفاقية الليبية الأمريكية، فقد وصلت إلى 40 مليون دولار، فضلاً عن 4 ملايين دولار لمدة ستة أعوام ابتداء من 1955 إلى 1960م، على أن تكون الدفعات في الأعوام التالية بنحو مليون دولار سنوياً [54].

المحور الثالث: الاتفاقية الليبية الأمريكية 1960م.

بحلول عام 1960م، تعرضت الميزانية الليبية لعجز مالي متزايد ولاسيما بالميزان التجاري، غلى إجبار الحكومة على البحث عن مصادر جديدة للحصول على الدعم اللازم، وكانت أجور الأراضي المخصصة للقواعد الأمريكية، واحداً من بين هذه المصادر، ما أجبر الحكومة على مطالبة الحكومة الأمريكية في محاولات عديدة بطلب إعادة النظر في بعض مواد اتفاقية عام 1954م، فيما يتعلق بالمساعدات المالية الأمريكية، وكانت الحكومة الليبية مسرة على زيادة قيمة استجار قاعدة ويلس من 4 ملايين إلى 40 مليون دولار سنوياً، فضلاً عن تحويل هذه الأموال للخزينة الليبية مباشرة، كما طالبت الحكومة الليبية بتصفية بعض المؤسسات الأمريكية العاملة في ليبيا، بسبب عدم جديتها في إنجاز مشاريعها[55].

(51) دار الكتب والوثائق العراقية، تقرير المفوضية العراقية في طرابلس إلى وزارة الخارجية العراقية، ملف رقم 6292/311، وثيقة رقم 13، ص 24، أنظر: كهلان كاظم القيسي، المرجع السابق، ص 174.

(52) مصطفى بن حليم، المرجع السابق، 411

(53) ظهر حلف بغداد إلى الوجود في 1955م، وكان في بدايته موجهاً ضد الاتحاد السوفيتي، وكان يتكون من تركيا والعراق وايران والباكستان، وانضمت اليه بريطانيا في أبريل من نفس العام، وأتخذ من العراق مقراً له، وقد أثار هذا الحلف الاتحاد السوفيتي فوقف ضده وهاجمه، وبدء الضغط على مصر كي تنظم إليه، ولكن جمال عبد الناصر رفض الانضمام =فأصبح موجهاً ضد مصر أكثر من الاتحاد السوفيتي نفسه، للمزيد من المعلومات، أنظر: عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة 1960-1815م، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، 1974م، ص 465.

(54) سامي حكيم، معاهدات ليبيا مع بريطانيا وأمريكا وفرنسا، المرجع السابق، ص 84.

(55) بعثة البنك الدولي للأنشاء والتعمير، (تقرير عن التنمية الاقتصادية في ليبيا)، 1960م، ص 33.

وفي عام 1960م كانت الحكومة الأمريكية ترفض رفضاً قاطعاً الموافقة على إجراء أية تعديلات على الاتفاقية، مع ازدياد حدة الغضب الشعبي الليبي، وارتفاع الأصوات داخل البرلمان الليبي ليس فقط بتعديل الاتفاقية وحسب بل المطالبة بإلغائها[56]، لذا تكررت المفاوضات بين الحكومة الليبية والحكومة الأمريكية، وأسفرت عن توقيع اتفاقية ، نصت على قيام الثانية بتقديم 15 مليون دولار كإيجار سنوي بقاعدة ويلس اعتباراً من 1960 إلى 1964م، بدلاً من المليون دولار المحدد بالاتفاقية السابقة[57].

وبذلك ارتفعت قيمة المساعدات الأمريكية منذ توقيع الاتفاقية الليبية الأمريكية عام 1954م، من 2,286,000 جنيها ليبيا إلى قرابة 11,334,000 جنيهاً ليبياً[58].

وبحلول عام 1960م، قدرت نسبة مساهمة المساعدات الأمريكية بنحو 76% من بين المساعدات الخارجية، وإلى جانب ذلك تم إنشاء بعض المشاريع السكنية والصحية والتعليمية، وتمويل بعض المشاريع الأخرى، مثل الطرق والموانئ والمطارات، وإنشاء محطات الكهرباء، بيد أن هذه المشاريع كانت بهدف تأمين القوات الأمريكية في ليبيا[59].

حاولت الحكومة الأمريكية، كسب ود الشعب الليبي وحكومته حيث تم تقديم كميات من القمح خلال أعوام الجفاف التي حلت بليبيا قدرت بنحو 24,000 طن في عام 1954، ونحو 11,000طن في عام 1954م[60]، كما أسهمت أيضاً بتقديم مساعدات قدرت بنحو 10 ملايين دولار، استمرت حتى عام 1958م، وجرى وضع البعض منها في صندوق المؤسسة الليبية العامة للتنمية والاستقرار، في حين خصص البعض الآخر لإقامة مشاريع زراعية وصحية وتعليمية تحت أشراف خبرائها، وكانت تتم عملية تقديم المساعدات الأمريكية عن طريق لجنة الإنشاء والتعمير الليبية الأمريكية (لارك lark)، والتي بدأت عملها في ليبيا منذ عام 1955م، من خلال مقرها بمدينة طرابلس، وكان مجلس إدارتها يتألف من سبعة أعضاء وهم: 4 ليبيين من بينهم رئيس المجلس، و3 أمريكيين أحدهم المدير التنفيذي، زيادة على ممثل عن المؤسسة الليبية العامة للتنمية والاستقرار، للمشاركة في اجتماعاتها[61].

كما قامت هذه اللجنة بالصرف والإشراف على المشاريع الاقتصادية والخدمية مثل الزراعة والصيد البحري والموارد المائية والطاقة الكهربائية، والاتصالات

(56) مصطفى بن حليم، المرجع السابق، 412.

(57) سامي حكيم، معاهدات ليبيا مع بريطانيا وأمريكا وفرنسا، المرجع السابق، ص 86.

(58) د.ر. فوبليكوف، تاريخ الاقطار المعاصرة، دار التقدم، موسكو، 1976م، ص 251.

(59) بعثة البنك الدولي للأنشاء والتعمير في ليبيا، المصدر السابق، ص 35.

(60) الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق المعاصرة، العهد الملكي، ملف وزارة الزراعة والثروة الحيوانية، رقم 291/1518، وثيقة رقم (186)، رسالة من وزير الزراعة الليبي إلى ولاية طرابلس تفيد بوصول شحنة من القمح الأمريكي بتاريخ 30/ 7/ 1957م.

(61) المركز الوطني للمحفوظات والدراسات الدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق المعاصرة، العهد الملكي، ملف التعاون الخارجي، رقم 4/2018، وثيقة رقم (4)، محضر اجتماع لجنة الأنشاء والتعمير (لارك) بتاريخ 31 يناير 1956م.

والطـرق والإذاعـة والتعليـم والصحـة والإدارة، ودعـم البنكـين الوطنـي والزراعـي بالتنسـيق مـع الحكومـة الليبيـة، وقـد بلـغ رأسـمال هـذه اللجنـة نحـو 55 مليـون دولار صرف منـه نحـو 40 مليـون دولار حتـى عـام 1960م، وكـذا مبلـغ 8,5 مليـون دولار، قدمـت عـلى شـكل قـروض في مجـال الكهربـاء بولايـة طرابلـس[62].

وإلى جانـب الأمـم المتحـدة أسـهمت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة في تقديـم المسـاعدات الفنيـة إلى ليبيـا بمشـاركة عـدد مـن خبرائهـا في البعثـات الفنيـة، لممثـلي عـن البنـك الـدولي والمنظمـات الدوليـة وغيرهـا، حيـث تضاعفـت حجـم المسـاعدات الأمريكيـة مـن خـلال قيامهـا بتأسـيس الهيئـة الأمريكيـة للمسـاعدة الفنيـة (لاتـاس LATAS) برأسـمال قـدر بنحـو 2,700,000 دولار خـلال الفـترة مـن 1951 إلى 1953م، وكان يعمـل بهـذه الهيئـة 48 خبـيراً في مختلـف التخصصـات، مـا مكنهـا مـن توقيـع 114 اتفاقيـة بالتعـاون مـع الحكومـة الليبيـة في دعـم المشـاريع الزراعيـة[63].

كمـا قامـت بعثـة هيئـة التنميـة الدوليـة الأمريكيـة (اليوسـيد eucid) في تنفيـذ المـشروع الليبـي الأمريكـي المشـترك، بتقديـم العديـد مـن الخطـط والبرامـج لأجـل مسـاعدة الحكومـة الليبيـة في مجـال الزراعـة، ومنهـا برنامـج لتدعيـم الأسـعار واسـتقرارها محليـاً، وتأمـين تصديـر المنتجـات الزراعيـة، وإعـداد قانـون إنشـاء المؤسسـة الوطنيـة للمـواد القابلـة للتلـف حفاظـاً عـلى اسـتقرار الأسـعر، كمـا أنهـا قـد أسـهمت بالتعـاون مـع الحكومـة الليبيـة في إعـداد قانـون الميـاه عـام 1962م، والـذي نتـج عنـه إقامـة المصلحـة المركزيـة للمـوارد المائيـة، والتـي تهتـم بتنميـة المـوارد المائيـة وحفظهـا، بترميـم الآبـار وحفرهـا وإقامـة خزانـات الميـاه ومـد خطـوط الشـبكات لتوزيـع الميـاه، وصيانـة المرافـق العامـة وإداراتهـا ومكافحـة الفيضانـات بـوادي المجينـين[64].

أمـا مؤسسـة المصالـح الليبيـة الأمريكيـة المشـتركة – (لاجـاس Lagas) والتـي أنشـئت عـام 1955م، قـد بلـغ عـدد موظفيهـا نحـو 1000 موظـف مـن الليبيـين والأجانـب ونحـو 50 مستشـارً أمريكيـاً وكان مـن بينهـم المديـر العـام، وقـدرت ميزانيتهـا الإداريـة بنحـو 200,000 جنيـه ليبـي سـنوياً، بالرغـم مـن مسـاهمة هـذه المؤسسـة في تقديـم المسـاعدة للحكومـة الليبيـة في تنفيـذ بعـض المشـاريع في مجـالات الزراعـة والمواصـلات والكهربـاء والتعليـم وغيرهـا، حتـى عـام 1960م، إلا إنهـا قـد سـلكت منحـى آخـر في تعاملاتهـا عندمـا ثبـت قيامها بتلاعـب خـلال تأديـة أعمالها، ما أثـار الـرأي العـام الليبـي ضدهـا، ويتضـح ذلـك مـن خـلال المقـال الـذي نشرتـه جريـدة (الزمـان) التـي تصـدر في بنغـازي، حيـث تناولـت فيـه التشـهير بأعمـال وممارسـات هـذه المؤسسـة عنـد قيامهـا بـشراء 11 سـيارة فاخـرة مـن نـوع (كاديـلاك Cadil-lac) وقامـت بتوزيعهـا عـلى بعـض موظفـي الإدارات الحكوميـة مـن الأجانـب مقابـل

(62) عثة البنك الدولي للأنشاء والتعمير في ليبيا، المصدر السابق، ص 36.

(63) راسم رشدي، المرجع السابق، ص 248.

(64) Fred M .Tileston .Lewis E .Suanson ,Flood Control on wadi Megenin Libya ,USAID Agricultural Division, ,1962p6.16.

بعض الأعمال والتسهيلات التي كانت تقدم لهذه المؤسسة، ليس هذا فحسب بل كانت تقبل طلبات العمل والتوظيف المقدمة من النساء، في حين ترفض الطلبات المقدمة من الرجال[65]، ما دفع مجلس الوزراء الليبي إلى إصدار قرار في 22 مايو 1960م، يقضي بحل هذه المؤسسة والاستيلاء على جميع ممتلكاتها وأموالها من خلال اللجنة الليبية الأمريكية المشتركة، والتي تولت دراسة وضع الخطط لنقل الاختصاصات والخدمات إلى الحكومة الليبية وحكومات الولايات الثلاث[66]، كما نص القرار على أن يغادر ليبيا جميع الموظفين الأجانب العاملين بهذه المؤسسة في غضون أسبوعين من تاريخ صدور القرار بعد تسوية مستحقاتهم المالية، وقد جاء هذا القرار بسبب تنامي نفوذ المؤسسة حتى صارت دولة داخل دولة[67].

والجدير بالذكر، أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أولت اهتماماً ملحوظاً، من خلال مؤسساتها الأمريكية العاملة في ليبيا بزيادة المخصصات المالية في المجالات والتي من شأنها خدمة وجودها العسكري في البلاد.

ونورد الجدول الآتي ليوضح حجم المصروفات الأمريكية المخصصة للمجالات المختلفة والتي تدعم استمرار وجودها العسكري مقارنة بغيرها من المجالات الأخرى.

جدول رقم (1) بيان حجم المصروفات المالية الأمريكية على المجالات المختلفة[68].

المجـــال	المبالغ المخصصة بالجنيهات الليبيـــة
الزراعة والصيد البحري	1,580,000
الموارد المائية والمعدنية	1,556,000
الطاقة الكهربائية	4,030,000
الاتصالات	1,851,000
الاذاعة المرئية والمسموعة	1,013,000
طرق المواصلات	2,471,000
البنكين الزراعي والوطني	1,700,000
التعليم	2,639,000
الصحة	1,584,000
مصروفات مختلفة	1,135,000
الاجمالي	19,559,000

كما كانت عروض تنفيذ المشاريع والتي تمول من المساعدات الأمريكية،

(65) جريدة الزمان، (على حساب من)، العدد الصادر في 12 سبتمبر 1957م، بنغازي- ليبيا

(66) محمد يوسف المقريف، المرجع السابق، ص 27.

(67) محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، 1996م، ص 151.

(68) بعثة البنك الدولي للأنشاء والتعمير في ليبيا، المصدر السابق، ص 36.

فكانت ترسو في الغالب على الشركات الأمريكية[69]، وقد جرى تقديم هذه المساعدات عبر المؤسسات الخاضعة لأشرافها كوسيلة لتغلغل رأسمالها في البلاد وإخضاعه لنفوذها وهيمنتها، ومن خلال هذا الجدول يتبين الفارق بين المخصصات المالية، والتي صرفت على المجالات الخدمية، مقارنة بغيرها من المجالات الاقتصادية، وهذا تفسير واضح على أن تلك الأموال لم تكن تصرف بهدف تنمية اقتصاديات ليبيا، بقدر ما كانت تصرف لصالح الوجود العسكري الأمريكي، فمثلاً في مجال الطرق تم إجراء تحسينات على الطريق الرابط بين القاعدة الأمريكية ومدينة طرابلس، كما تشيد الطريق الواصل بين الساحل الليبي وولاية فزان، وفي مجال الإذاعة فتم تأسيس محطة تليفزيونية في القاعدة الأمريكية خدمة لجنودها، وليس لخدمة الإعلام الليبي، وفي مجال الموانئ تم إصلاح ميناء طرابلس البحري وصيانته لأغراض عسكرية أمريكية، في حين لم تخصص سوى مبالغ ضئيلة لصالح الزراعة والموارد المائية والمعدنية التي كانت وقتذاك أساس الاقتصاد الليبي.

الخاتمة:

- كشفت الدراسة عن سعي الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على قاعدة عسكرية لها في ليبيا لحماية مصالحها بحجة الحد من أطماع الاتحاد السوفيتي التوسعية في منطقة الشرق الأوسط وليبيا على وجه الخصوص منعاً لانتشار الفكر الشيوعي في هذه المنطقة.

- بينت الدراسة حقيقة الدور السياسي الذي قامت به حكومة المنتصر في محاولات باءت كلها بالفشل الذريع في سبيل الوصول على اعتماد الاتفاقيات الليبية الأمريكية سعياً منها الحصول على المزيد من المساعدات المالية، كما كانت تدعي أمريكا نفسها.

- أبرزت الدراسة الدور الذي لعبته حكومة بن حليم في سبيل اعتماد الاتفاقية الليبية الامريكية عام 195 من كل من البرلمان ومجلس الشيوخ الليبي(الأمة)، بالرغم من المعارضة الشديدة التي كانت رافضة جملة وتفصيلا الاتفاقيات مع الدول الأجنبية والتي من شأنها تكبيل حرية البلاد والهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية عليها.

- أوضحت الدراسة الدور الذي لعبته المؤسسات الأمريكية في التلاعب في المشاريع التي أوكل إليها تنفيذها في ليبيا، ومدى الفساد الإداري الذي مارسته ضد الليبيين، ومدى تأثيره على الاقتصاد الليبي.

- أجلت هذه الدراسة مدى استغلال الولايات المتحدة الأمريكية للأزمة المالية الخانقة التي كانت تمر بيها ليبيا بعد حصولها على الاستقلال الأمر الذي

(69) بروشين ، المرجع السابق، ص ص،367- 368 .

أجبرهـا عـلى توقيـع الاتفاقيـات الليبيـة الأمريكيـة 1960-1954-1951 عـلى الرغـم مما لاقتـه مـن معارضـة شـعبية وبرلمانيـة واسـعة لهـا، وبذلـك أصبحـت ليبيـا مطوقـة بتلـك الاتفاقيـات مـع أمريكيـا وغيرهـا مـن الـدول وأمسـت ليبيـا تابعـة لهـذه الـدول بالرغـم مـن حصولهـا عـلى الاسـتقلال عـام 1951م.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق .

- المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق المعاصرة، العهد الملكي، ملف التعاون الخارجي، رقم 2018/4، وثيقة رقم (4)، محضر اجتماع لجنة الأنشاء والتعمير (لارك) بتاريخ 31 يناير 1956م.
- المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، شعبة الوثائق المعاصرة، العهد الملكي، ملف وزارة الزراعة والثروة الحيوانية، رقم 1518/291، وثيقة رقم (186)، رسالة من وزير الزراعة الليبي إلى ولاية طرابلس تفيد بوصول شحنة من القمح الأمريكي بتاريخ 30/7/1957م.
- برقية من المفوضية الأمريكية في ليبيا إلى واشنطن، بخصوص توقيع الاتفاقية الليبية الأمريكية في بنغازي، بتاريخ 11/9/1954م.
- برقية المفوضية الأمريكية في ليبيا إلى وزارة الخارجية الأمريكية، تفيد بأن مجلس النواب الليبي صادق على الاتفاقية الليبية الأمريكي، بتاريخ 30/ 10/ 1954م.
- بعثة البنك الدولي للأنشاء والتعمير، الأمم المتحدة، (تقرير عن التنمية الاقتصادية في ليبيا)، 1960م.
- بيان صادر عن مصطفى بن عامر، رئيس جمعية عمر المختار سابقاً، بتاريخ 26/9/1954م
- دار الكتب والوثائق العراقية، تقرير المفوضية العراقية في طرابلس إلى وزارة الخارجية العراقية، ملف رقم 2692/311، وثيقة رقم 13، بتاريخ يناير 1954م.
- دار الكنب والوثائق بغداد، تقارير المفوضية العراقية في طرابلس، ملف رقم 6692/311، وثيقة رقم 32.
- محضر مجلس النواب الليبي الأول، المنعقد بمدينة بنغازي، بتاريخ 25 مارس 1952م.
- الوثيقة رقم (1024)، مكتب الوثائق العامة، لندن، المكتبة المركزية، جامعة قاريونس؛ برقية المستر فيلارد الوزير المفوض في ليبيا إلى وزارة الخارجية الامريكية في 29 مارس 1952م.

-Foreign Relations of theuniet states, 1952- 1954. Vol ,xl p.568569. Teler-am,711.56373-1-1253,the minster in Libya (Villard) To The Depepoartment of stale Tripoli, ganurg 12,1954

-F.R.U.S. 1954,part I.VOI,XIP. 591. Teleyram,033.7311-2-2954. The sectary ofstata To the Legation in Libya. Washing ton, guly 29.1954.

-Fred M. Tileston. Lewis E. Suanson, Flood Control on wadi Megenin Libya, USAID Agricultural Division, 1962.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة.

- أدريان بلت، مملكة ليبيا من مستعمرة إلى دولة مستقلة، السنة السادسة، بيروت، مارس 1953م.

- بنجامين هيغنس، تجربة استقلال ليبيا، مجلة الابحاث، السنة السادسة، بيروت، مارس 1953م.
- جون جنتر، داخل افريقيا، مراجعة وتقديم ، حسن العروسي، د.ن، مصر، 1957م.
- د.ر. فوبليكوف، تاريخ الاقطار المعاصرة، دار التقدم، موسكو، 1976م.
- راسم رشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، الطبعة الثانية، د.ن، طرابلس، 1953م.
- راشد البراوي، حرب البترول في العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967م
- سالم الكبتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، وثائق محلية ودولية، ج3، دار الساقية للنشر، بنغازي،- ليبيا، 2013م.
- سامي حكيم، حقيقة ليبيا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1970م.
- سامي حكيم، معاهدات ليبيا مع بريطانيا وأمريكا وفرنسا تحليلها ونصوصها، مكتبة الا نجلو المصرية، د.ت.
- صلاح العقاد، ليبيا المعاصرة، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1970م.
-ظاهر محمد صكر الحسناوي، ليبيا في الوثائق الأمريكية المعاصرة، ج -1952 1960م، بغداد، 2008م.
- عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة 1960-1815م، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، 1974م.
- عز الدين فودة، ليبيا في مهب الصراع الدولي، المجلة المصرية للعلوم السياسية، العدد 48 مارس 1965، القاهرة .
- كهلان كاظم القيسي، السياسة الامريكية تجاه ليبيا، -1949 1957، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2003م.
- محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر- صفحات من التاريخ السياسي، الجزء 1، دولة الاستقلال، المجلد3، الحقبة غير النفطية -1957 1963، مركز الدراسات الليبية اكسفورد، 2004م.
- مجيد خدوري، ليبيا الحديثة، مراجعة نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت- لبنان، 1966م.
- محمد عثمان الصيد، محطات من تاريخ ليبيا، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء- المغرب، 1996م.
- مصطفى أحمد بن حليم، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، وكالة الاهرام للتوزيع، القاهرة، 1992م.
- ن.إ. بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1963، ترجمة وتقديم عماد حمدي، مراجعة ميلاد المقرحي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي- سلسة الدراسات المترجمة- 11، طرابلس، 1988م.

ثالثاً: الجرائد والصحف .

- جريدة الاهرام، السنة(78)، العدد 23839، بتاريخ 3/6/ 1953م.
- جريدة الاهرام، السنة (82)، العدد 11/452 بتاريخ 8/25/ 1956م.
- جريدة الزمان، (على حساب من)، العدد الصادر في 12 سبتمبر 1957م، بنغازي- ليبيا.

رابعاً: رسائل الماجستير .
- سحر جميل جبار، مصطفى أحمد بن حليم ودوره السياسي في ليبيا 1921-1957، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة ذي قار، 2017م.
- مي فاضل الربيعي، التطورات السياسية في ليبيا 1951-1963م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية – جامعة بغداد، العراق، 2000م.
خامساً: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) .
- شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، موقع المعرفة، www.Almarafa.com.

دراسة فرص وتحديات التنمية السياحية المستدامة في بلدية شحات

إعداد:
أ. إسماعيل عيسى إسماعيل
محاضر بالمعهد العالي للعلوم والتقنية/ شحات

الاستلام: 14/ 10/ 2022 القبول : 10/ 11/ 2022

المستخلص :

هدفت الدراسة إلى التعرف على تحديات وفرص التنمية السياحية المستدامة ببلدية شحات، وتشخيص واقعها، وتحديد تلك الصعوبات التي تحول دون القيام بتنمية سياحية مستدامة. كما هدفت الدراسة الي التعرف على الدور المهم الذي تلعبه السياحة في خلق التنمية من خلال تسليط الضوء على البعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي للسياحة. تمثلت مجتمع وعينة الدراسة في اهم (3) من المسؤولين عن شؤون البلدية وقطاع السياحة، وتم استخدام الأسلوب الكيفي Qualitative وليس الكمي Quantitative وذلك من خلال اجراء مقابلات شخصية مع المسؤولين في حدود نطاق منطقة الدراسة. أظهرت الدارسة جملة من النتائج اهمها وجود خلافات بين الأطراف الأكثر فعالية في عملية التنمية السياحية، فضلا على عدم نقل اختصاصات البلدية يضعف من دورها في التنمية وكذلك العشوائية القائمة علية الحركة السياحية وعدم الوعي المجتمعي بأهمية أماكن الجذب السياحي. أوصت الدراسة بضرورة الوصول الي توافق بين تلك الأطراف، والاستغلال الأمثل للفرص التي تحظى بها البلدية، وكذلك إعطاء فرصة أكبر للقطاع الخاص، وهذا كله من اجل الوصول الي التنمية السياحية المرجوة.

كلمات مفتاحيه: تحديات، فرص، تنمية سياحية مستدامة.

Studying Opportunities and Challenges of Sustainable Tourism Development in the Municipality of Shahat

Abstract :

The study aimed to identify the challenges and opportunities of sustainable tourism development in the municipality of Shahat, diagnose its reality, and identify those difficulties that prevent sustainable tourism development. The study also aimed to identify the important role that tourism plays in creating development by shedding light on the economic, social and environmental dimension of tourism. The study population and sample consisted of the most important (3) of those responsible for municipal affairs and the tourism sector, and the qualitative method was used, not quantitative, by conducting personal interviews with officials within the scope of the study area. The study showed a number of results, the most important of which is the existence of differences between the most effective parties in the tourism development process, as well as the failure to transfer the municipality's competencies weakens its role in development, as well as the randomness based on the tourism movement and the lack of community awareness of the importance of tourist attractions. The study recommended the need to reach consensus between these parties, and to make optimal use of the opportunities that the municipality enjoys, as well as giving a greater opportunity to the private sector, and all this in order to reach the desired tourism development.

Keywords: challenges, opportunities, sustainable tourism development.

المقدمة Introduction:

تتناول هذه الورقة البحثية دراسة التحديات والفرص التنمية السياحية المستدامة لبلدية شحات بليبيا، والدور المهم لقطاع السياحة في خلق التنمية، حيث أصبح لا يخفى على أحد أن السياحة من أهم الصناعات التي تحتل موقعا مهما في اقتصاديات العديد من الدول والنامية والمتقدمة، ونظراً لمساهمتها الفعالة في تحسين مستويات الدخل للفرد والدولة [1] ويلعب الفرد فيها الدور الأكبر من خلال وعيه النابع من ثقافة سياحية مبنية على ضرورة قبول واستقطاب السائح بشكل مستمر، كما تلعب القوانين والإرث السياحي وما تملكه الدولة من إمكانيات ومقومات سياحية العامل الأهم في جلب أعداد كبيرة من السُياح[2]. وتعد السياحة المستدامة منهجا وأسلوبا تقوم عليه العديد من المؤسسات السياحية العالمية. وعلى غير ما يعتقد الكثير فان تطبيق مفهوم السياحة المستدامة لا يعد مكلفا من الناحية المادية، فله عوائده المادية والمعنوية، حيث يعتمد تطبيقه على ثلاثة جوانب هامة:

- **البعد الاقتصادي لأصحاب المشاريع السياحية.**
- **البعد الاجتماعي، باعتبار أن هذه المؤسسات هي من المجتمع المحلى وعليها الاستفادة من الخبرات والكفاءات المحلية ما أمكن. بالإضافة إلى إشراك المجتمع المحلى واخذ آراءه.**
- **البعد البيئي، حيث تعامل هذه المؤسسات على أنها جزء من البيئة وبالتالي يجب عليها المحافظة على الموارد الطبيعية للبيئة من ماء وتربة وهواء ونباتات وإحياء برية وبحرية ودرء أية أخطار من مشاكل التلوث والتدهور البيئي وغيرها[3].**

وبالرغم من الأهمية المتزايدة لقطاع السياحة في العديد من دول العالم، وبالرغم من احتضان ليبيا لتراث يزخر بالثقافة والتاريخ ومقومات الجذب السياحي الطبيعية المتمثلة في الموقع الجغرافي المميز والتضاريس المتنوعة والمناخ المعتدل ومواقع أثرية مختلفة وغيرها. إلا أن هذا القطاع لم يحظى بالاهتمام في ليبيا عموما وفى بلدية شحات خصوصا. باستثناء بعض المحاولات الخجولة من أصحاب المشاريع الصغرى في مجال الترفيه والسياحة لأغراض الشخصية ولتحريك عجلة الاقتصاد المحلى للبلدية. وبالرغم من امتلاك هذه البلدية للمقومات الطبيعية التي تأهلها لقيام سياحة مستدامة من مناطق خضراء ومواقع أثرية والجبال والغابات والنباتات النادرة وشاطئ البحر. بالإضافة إلى العادات والتقاليد الموروثة من زراعة وتربية الحيوانات والنحل وغيرها والتي يمكن توظيفها على

(1) Hanaa, Fayed (2002) The Impacts of GATTS: A Case Study of Tourism Development in Egypt, ph.D. Thesis Bournemouth University UK.

(2) زين الدين، صلاح (6102) دراسة لفرص وتحديات التنمية السياحية المستدامة في مصر، المؤتمر العلمي الدولي الثالث، القانون والسياحة 62-72 ابريل 6102، كلية الحقوق، جامعة طنطا.

(3) Holden, A. (2000) Environment & Tourism, First Edition, Routledge, London, UK.

هيئة مهرجانات. كل هذا يعد مخزون سياحي يمتد عبر هذه البلدية، إلى غير ذلك من المعالم التي تحتاج الاهتمام والعناية البالغة لتصبح بلدية شحات وجهةً سياحيةً مستقبلاً.

مشكلة الدراسة Problem of the Study:

تتبلور مشكلة الدراسة حول التعرف على واقع التنمية السياحية في بلدية شحات، من خلال التحديات والصعوبات التي تواجهها في قيام سياحة مستدامة. وكذلك دراسة الفرص والإمكانيات التي تمتلكها هذه البلدية واستغلالها بالشكل الأمثل الذي يضمن استمرار حركة السياحة. ويمكن إيجاز مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- ما هي أهم التحديات والمشكلات التي تواجه عملية الاستدامة في السياحة ببلدية شحات؟
- وكيف يمكن التغلب على هذه التحديات؟
- ما هي أهم الفرص والإمكانيات السياحية التي تمتلكها بلدية شحات؟
- وكيف يمكن استغلالها في خلق تنمية سياحية مستدامة؟

أهداف الدراسة Aims of the Study:

- التعرف على ماهية السياحة والسياحة المستدامة.
- التعرف على البعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي للسياحة المستدامة.
- تشخيص واقع السياحة في بلدية شحات.
- التعرف على أهم التحديات التي تواجه بلدية شحات في الوصل إلى تنمية سياحية مستدامة.
- تحديد الفرص التي يمكن استثمارها للوصل إلى تنمية سياحية مستدامة ببلدية شحات.
- إظهار دور السياحة المستدامة في خلق التنمية المحلية على مختلف الأصعدة.

أهمية الدراسة Importance of the Study:

أنه من غير الإنصاف التحدث عن تنمية مستدامة في مجال السياحة في بلد لم يضع يوما في أولوياته الاهتمام بهذا القطاع، بالرغم من امتلاكه للمقومات السياحية الطبيعية التي تأهله لذلك. وبالرغم أيضا من أهمية التنمية السياحية في تحقيق التنمية الاقتصادية المتكاملة. وكذلك أهمية التنمية السياحية بالنسبة للبيئة والموارد الطبيعية والبنية الثقافية والاجتماعية التي تبقيها صالحة للأجيال القادمة. ويرجع السبب الحقيقي وراء أهمية هذا الموضوع هو الوقوف على أهم التحديات والفرص التي تواجه بلدية شحات في قيام تنمية سياحية مستدامة. ومن ثم تحديد هذه التحديات والفرص والتعريف بها وتحليلها ومحاولة العمل بمقتضاها، في سبيل النهوض بتنمية سياحية مستدامة. والتي من شأنها تحريك عجلة الاقتصاد وفتح فرص العمل وزيادة الدخل للفرد والمجتمع. وهذا كله نابع من الأهمية البالغة التي يحظى بها قطاع السياحة عالميا، لما له من الأثر الكبير في تدعيم اقتصاديات الدول.

حدود الدراسة Limitations of the Study:

- **الحدود الموضوعية: اقتصرت الدراسة على معرفة واقع السياحة المستدامة ببلدية شحات من خلال دراسة التحديات والفرص وإبراز دور السياحة في التنمية.**
- **الحدود المكانية: الحدود الإدارية والجغرافية لبلدية شحات والممتدة من منطقة ورداميه غربا وحتى الحدود الإدارية مع منطقة الابرق شرقاً. ومن منطقة اشنيشن جنوبا وحتى ساحل البحر شمالا.**
- **الحدود الزمنية: أجريت هذه الدراسة خلال العام الجامعي 2022**

منهج الدراسة Study of Model:

النهج العلمي المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي الذي يستهدف الوصف الدقيق والموضوعي لما قيل عن الموضوع قيد الدراسة، باعتباره طريقة مناسبة للحصول على معلومات واستعمال البيانات الميدانية والإحصائيات التي يتم جمعها ولو بصورة نسبية مع الاستعانة بأدوات جمع البيانات التالية:

- **الكتب والدوريات والتقارير ذات العلاقة.**
- **التقارير والوثائق والإحصائيات الرسمية الصادرة عن الجهات ذات العلاقة.**
- **المقابلات الشخصية والزيارات الميدانية للجهات العامة والخاصة ذات العلاقة.**

الإطار النظري

ويتناول الأطر والمفاهيم العامة حول ماهية التنمية السياحية المستدامة وأهدافها وابعادها وأساليب تطبيقها. كما يتناول اهم التحديات المعاصرة للتنمية السياحية المستدامة، وكذلك دور السياحة في خلق التنمية المكانية.

مفاهيم أساسية حول التنمية السياحية المستدامة :

من خلال الوثيقة الصادرة عن المؤتمر العالمي الذي انعقد في Lanzarote بجزر الكناري بإسبانيا عام 1995 تم تقديم المبادئ الأساسية والخطوط العريضة لتبني مفهوم الاستدامة في صناعة السياحة، أما التبني الفعلي لاستدامة السياحة كان من خلال قمة الأرض التي انعقدت في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام1997 [4]. حيث عرفت منظمة السياحة العالمية [5] [6]التنمية السياحية المستدامة على أنها" التنمية التي تقابل وتشبع احتياجات السياح والمجتمعات المضيفة الحالية وضمان استفادة الأجيال المستقبلية، كما أنها تدير الموارد بأسلوب يحقق الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والجمالية مع الإبقاء على الوحدة الثقافية واستمرارية العمليات الايكولوجية والتنوع البيولوجي ومقومات

(4) مرجع سبق ذكره

(5) World Tourism Organization (1995) A satellite Account for Tourism Madrid, Spain.

(6) Sakr, M. (2000) The Role & Significance of Eco- Tourism: The Ministry of Tourism Perspective, Forum on Eco lodges in Egypt, Cairo.

الحيـاة الأساسـية. وعـرف الاتحـاد الأوربـي للبيئـة والمنتزهـات القوميـة في عـام 1993 التنميـة السـياحية المسـتدامة عـلى أنهـا "نشـاط يحافـظ عـلى البيئـة ويحقـق التكامـل الاقتصـادي والاجتماعـي ويرتقـي بالبيئـة المعماريـة[7]. وكمـا عرفـت التنمية السـياحية المتوازنـة عـلى أنهـا "تنميـة يبـدأ تنفيذهـا بعـد دراسـة عمليـة كاملـة ومخططـة داخـل إطـار التخطيـط المتكامـل للتنميـة الاقتصاديـة والاجتماعيـة والبيئيـة داخـل الـدول ككل أو داخـل أي إقليـم مـن الدولـة تتجمـع فيـه مقومـات التنميـة السـياحية مـن عنـاصر جـذب طبيعيـة وحضاريـة أو أيهمـا"[8].

أهداف التنمية السياحية المستدامة:

ذكـر كل مـن[9] (Choy, Nahala, Eraqi) أن مـن أهـم أهـداف التنميـة السـياحية المسـتدامة مـا يـلي:

1. حماية البيئة والاهتمام بالموارد الطبيعية والمورثات الثقافية للمجتمع.
2. تحقيـق العدالـة عـلى مسـتوى الأجيـال المختلفـة (الحاليـة والقادمـة) مـن حيـث الاسـتفادة مـن المـوارد الطبيعيـة.
3. خلـق فـرص جديـدة للاسـتثمار والتنـوع الاقتصـادي، وبالتـالي خلـق فـرص عمـل جديـدة خصوصـا للمجتمعـات المحليـة.
4. زيادة العوائد الحكومية من خلال فرض الضرائب على الأنشطة السياحية.
5. خلق أسواق جديدة للمنتجات المحلية.
6. تحسين البنية الأساسية والخدمات العامة في المجتمعات المضيفة.
7. الاسـتخدام الأمثـل لـلأراضي وتخطيـط المسـاحات الخـضراء بمـا يتناسـب مـع البيئـة المحيطـة.
8. الارتقـاء بالوعـي البيئـي والقضايـا البيئيـة لـدى السـائح والعاملـين والمجتمعـات المحليـة.
9. الارتقاء بمستوى الثقافة السياحة وتقبل الأخر لدى السكان المحليين.
10. لارتقـاء بمسـتوى الوسـائل الترفيـه وإتاحتهـا للسـياح والسـكان المحليـين عـلى حـد سـواء.
11. مشـاركة المجتمعـات المحليـة في اتخـاذ قـرارات التنميـة السـياحية، وبالتـالي خلـق تنميـة سـياحية مبنيـة عـلى المجتمـع.
12. ايجـاد آليـات للرقابـة والمحاسـبة لضمـان بيئـة نظيفـة، وضمانـا لعـدم التأثـيرات السـلبية للسـياحة عـلى البيئـة.

(7) Eman, Helmy (1999) Towards Sustainable Planning for Tourism Development: Case Study on Egypt, PHD. Thesis Faculty of Tourism & Hotels, Helwan University, Cairo.

(8) عبد الوهاب، صلاح الدين (1991) التنمية السياحية، الطبعة الاولى، مطبعة زهران، القاهرة، ص:282.

(9) Eraqi, M.I. (2003) Eco- Tourism Resources Management: A Case Study of the Red See Coast of Egypt, International Sustainable Development in Emerging Market Sustainable Development Forum, George Washington University Alexandria, Egypt, January 8-9.

أبعاد التنمية السياحية المستدامة:

إن تطبيق مفهوم الاستدامة السياحية يعتمد على ثلاثة أبعاد هامة، وهي البعد الاقتصادي، والبعد الاجتماعي والثقافي، والبعد البيئي.

فأما على المستوى الاقتصادي، فتمثل التنمية السياحية قوة اقتصادية كبيرة، حيث تسهم بمقدار (9 %) من إجمالي الناتج المحلي العالمي، و(6 %)من الصادرات، وتسهم (بشكل مباشر أو غير مباشر) بواحدة من كل إحدى عشر وظيفة. ويشهد قطاع السياحة السفر نموا سريعا. فبين عامي 2011) و(2013 ازداد مجموع السياح الدوليين بمقدار 9.2 %))، حيث وصل إلى (1,087) مليون سائح، مما أدى إلى ازدياد عائدات السياحة بوتيرة أسرع (بمقدار 11.2 %)، محققة 1.1159 مليار دولار أمريكي. وبلغ عدد السياح في العالم نحو (1.6) مليار سائح بحلول عام (2020) بمستويات انفاق أكثر من (2000) مليار دولار [10].

وتشير توقعات منظمة السياحة العالمية إلى أن ازدياد أعداد السياح الدوليين بمعدل 3.3 %)) سنويا حتى عام 2030)). كما تشير هذه التوقعات إلى تسارع وتيرة النمو في الاقتصاديات الناشئة (4.4%) سنويا مقارنة بالاقتصاديات المتقدمة (2.2%) سنويا. وتتفاوت معدلات النمو المتوقع سنويا حتى عام 2030)) بين المناطق (5.2 %)في أمريكا الوسطى؛ و5,0 %)) في أفريقيا؛ و4,9 %)) في آسيا؛ و(4.6%) في أمريكا الجنوبية؛ و(2.3 %) في أوروبا؛ و(1.7%) في أمريكا الشمالية. وثمة اتجاه عام جار في أسواق المصدر الأكثر نضجا، كما أن السياحة هي مصدر رئيسي للعمالة حيث أن قطاع الإيواء الفندقي وحده يستخدم حوالي (3.11) مليون فرد على النطاق العالمي[11] .

البعد الثاني وهو الاجتماعي والثقافي، تتصل السياحة كنشاط إنساني اجتماعي بعلم الاجتماع كونه يرتبط مباشرة بالإنسان من الناحية الاجتماعية، كما أن الاحتكاك و التفاعل المباشر بين الضيف و المستضيف يؤدي إلى تبادل اجتماعي بينهما، من حيث التعارف وكسب العادات و التقاليد الاجتماعية، اكتساب المعارف و اللغات الأجنبية و غيرها، فضلا عن توفير مناصب شغل جديدة تقلل من البطالة و ترقي البنية التحتية مثل النقل والموصلات، والاتصالات الصناعة والتجارة، بالإضافة إلى استحداث بعض المصالح و المؤسسات التي تخدم الأفراد المجتمع ككل و تعمل على تحسين المستوى المعيشي. [12] كما يعتبر البعد الاجتماعي، أن السكان المحليين هم جزء من برامج السياحة المستدامة وعليها يجب الاستفادة منهم والأخذ أبرئهم.

أما البعد الثالث فهو البيئي، يتمثل هذا البعد في التنمية المستدامة في الحفاظ على الموارد الطبيعية والاستخدام الأمثل لها على أساس مستدام وبالتالي كل خطو

(10) تقرير sthgilhgiH msiruoT (4102) الصادر عن منظمة السياحة العالمية، طبعة، منظمة السياحة العالمية.

(11) World Travel 2013.

(12) توفيق، ماهر عبد العزيز (7991) صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص:09.

استراتيجية وتنموية تراعى عند وضعها القيود الطبيعية وتحدد مواردها وان تحافظ على الحقوق البيئية للإنسان الحالي والأجيال القادمة[13]. وتتطلب التنمية المستدامة الحفاظ على مواردها كالمياه العذبة وترشيد استخدامها وحماية سائر المسطحات المائية من التلوث مع ضبط استهلاك للموارد كالغابات والمراعي والأراضي الزراعية والأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية ويتحدد نجاح التنمية المستدامة بمدى توافر موارد الطاقة وتعدد مصادرها وقدرة البيئة على استيعاب مخلفات استخدامها[14].

أساليب تطبيق معايير التنمية السياحية المستدامة:

تُشير الأدبيات إلى إن نظريات وفلسفات التنمية السياحية المستدامة تظل من المسلمات إذا لم تتوافر لها مقومات تطبيقها عند تنفيذ مخططات التنمية السياحية[15].

وعلى الرغم من الصعوبات التي تواجه تطبيق التنمية السياحية المستدامة، إلا أنه لا يوجد خلاف على أهمية تبني مبادئ الاستدامة لإدارة وحماية الموارد الطبيعية [16]. فاقتصاديات السوق لا تحقق بطبيعتها الاستدامة لذلك من الأهمية بمكان تبني أدوات لتحقيقها [17]. كما أن العامل الأساسي لنجاح التنمية السياحية في المستقبل هو قدرة الأجهزة والمنظمات القائمة على النشاط السياحي في التكيف مع التغيير باعتباره حقيقة حتمية لأي نشاط إنساني بالأسلوب الذي يحقق الاستدامة للنشاط السياحي بمختلف أنواعه [18].

ويعتبر مفهوم "أفضل ممارسة لإدارة البيئة" The best Practice for Environmental Management بمثابة الأسلوب الأمثل للاستجابة للتغيير وما يتطلبه من إعادة هيكلة للعمليات السياحية المختلفة [19]. كما أنه يعتبر الإطار الشامل الذي يقدم المعايير البيئية المختلفة التي من خلالها يتم تحقيق الجودة والارتقاء بمستوى التخطيط والتنمية في المناطق السياحية [20] [21]. وتهدف معايير وأساليب

(13) بالخضر، عبد القادر (5002) استراتيجية الطاقة وإمكانية التوازن البيئي في ظل التنمية المستدامة، حالة الجزائر، مذكرة ماجستير، معهد علوم التسيير، جامعة البليدة، ص: 9.

(14) توفيق، ماهر عبد العزيز (7991) مبادئ ادارة الفنادق، دار زهران، الاردن، ص ص: 21-41.

(15) Gunn, C.A. & Var, T. (2002) Tourism Planning, Fourth edition, Routledge, New York, USA.

(16) Pearson, C.S. (2000) Economics & the Global Environment, First edition, Cambridge University, Press, Cambridge, UK.

(17) Theobald, W.F. (1998) Global Tourism, Second edition, Butterworth Heinemann, Oxford, UK.

(18) Wahab, S. & Pigram, J.J. (1997) Tourism Development & Growth: The Challenge of Sustainability, First edition, Routledge, London, UK.

(19) مرجع سبق ذكره.

(20) Cooper, C. & Wanhill, S. (1997) Tourism Development Environmental & Community Issues, First edition, John Wiley & Sons, West Sussex UK.

(21) Newsome, D. Moore, S.A. & Dowling, R.K. (2002) Natural Area Tourism: Ecology Impacts & Management, Cromwell Press, London, UK.

تطبيــق التنميــة الســياحية المســتدامة إلى: [22] [23].

- وضع سياسات واضحة تراعي الشروط البيئية في كافة مراحل التنمية السياحية.
- الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية مثل الأرض والتربة والطاقة والمياه وغيرها.
- حظر استخدام المواد الكيمائية الملوثة للبر والبحر والجو.
- العمل على خفض نسب التلوث بأشكاله المختلفة الصلبة والسائلة والغازية.
- الحفــاظ عــلى التنــوع البيولوجــي مــن خــلال حمايــة النباتــات والحيوانــات والنظــام الايكولوجــي والحفــاظ عــلى المناطــق ذات الحساســية العاليــة.
- الإبقاء على التراث الثقافي من عادات وتقاليد وتراث معماري وغيرها.
- المشاركة المحلية من كافة طوائف المجتمع في عمليات التنمية.
- استخدام العمالة والمنتجات المحلية في عمليات التنمية.
- الأخــذ في الاعتبــار ملاحظــات وشــكاوى الســكان المحليــين الســواح والعاملــين والمهتمين بالســياحة مــن اجــل تطويــر والتجديــد في عمليــات التنمية الســياحية.
- فرض مبالغ نقدية وغرامات على المنشآت التي تلوث البيئة.
- فــرض تشريعــات وتعليمــات قانونيــة وإداريــة متعلقــة باســتخدام المــوارد الســياحية فضــلاً عــن توفــير الهيــكل الإداري الــذي يحقــق ذلــك.
- استخدام التكنولوجيا الصديقة للبيئة في إدارة العمليات السياحية.
- قياس اتجاهات المجتمعات المضيفة تجاه السياحة والسواح مع غرس ثقافة تقبل الأخر.
- ضرورة وجــود إدارة ســليمة للمــوارد الطبيعيــة والبشريــة في المنطقــة، يمكنهــا أن تحافــظ عــلى هــذه المكتنــزات للأجيــال القادمــة مــن خــلال عنــاصر بشريــة مدربــة.
- التوعية والتثقيف البيئي والسياحي وثقافة تقبل الأخر للسكان المحليين.

التحديات المعاصرة للتنمية السياحية المستدامة:

لا شــك ان بنــاء وتطويــر الســياحة المســتدامة في أي بلــد يتطلــب معــه حــلاً للمعادلــة الصعبــة لمقتضيــات التنميــة الســياحية المســتدامة وهــي المحافظــة عــلى التنميــة الاجتماعيــة والثقافيــة والبيئيــة وفي نفــس الوقــت حتميــة مســاهمة قطــاع الســياحة في تحريــك التنميــة الشــاملة [24]. ذكــر كل مــن [25] [26][27]ان مــن بــين تلــك التحديــات او المعوقــات مــا يــلي:

- عدم استقرار الاوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية، وكذلك البيئية والاجتماعية.

(22) Webster, K. (2000) Environmental Management in the Hospitality Industry, First edition, Cromwell Press LTD, UK.

(23) Aronsson, L. (2000) The Development of Sustainable Tourism, First edition, Bass Press, London, UK, P:172.

(24) عبــد الباســط، وفــاء (5002) التنميــة الســياحية المســتدامة بــين الاســتراتيجية والتحديــات المعــاصرة. مجلــة حلــوان، عــدد21 جــوان، ص 331.

(25) الروبي، نبيل (3991) التخطيط السياحي، الطبعة الأولى، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

(26) مرجع سبق ذكره.

(27) مرجع سبق ذكره.

- الافتقار الى التخطيط الاستراتيجي للتنمية السياحية.
- عدم كفاية مشروعات البنية الأساسية في مناطق الجذب السياحي.
- تعدد جهات اصدار القوانين والتشريعات الخاصة بالسياحة، وكذلك تعدد الجهات التي تدعى مسؤولياتها او ملكيتها لأماكن الجذب السياحي او المشروعات السياحية وغياب التنسيق بينها.
- قصور التسويق السياحي في أسواق البلدان المصدرة للسواح.
- ارتفاع أسعار النقل والمواصلات داخليا وخارجيا، والإقامة.
- اختزال السياحة في السياحة الثقافية دون غيرها.
- غياب الوعي السياحي لدى المجتمعات المحلية.

دور السياحة في خلق التنمية المستدامة:

بحسب بيانات منظمة السياحة العالمية UNWTO فان عدد السائحين في العالم سنة 2015 بلغ رقم قياسي بنحو 1.2مليار فرد، وتمثل معدل زيادة بنسبة 4 %عن العام السابق، كما ساهم قطاع السياحة في النمو الاقتصادي وخلق فرص عمل جديدة في كثير من دول العالم، بلغ في دول الشرق الأوسط وأفريقيا نسبة 3%وفي آسيا و أمريكا اللاتينية 4%وفي أوربا وأمريكا 5.% في دراسة لمنظمة السياحة العالمية UNWTO أن السياحة صناعة كثيفة العمل وذات أثر مضاعف على 70 صناعة وخدمة مغذية ومكملة، وهي توفر فرص عمل في أنشطة ومهن متعددة بشكل مباشر وغير مباشر. وطبقا لتنبؤات سابقة لمنظمة السياحة العالمية UNWTO بنمو حركة السياحة العالمية في المتوسط بنسبة 4 %خلال الفترة 2010 – 2020 وكانت البلاد الأوربية أكثر مناطق العالم في نمو حركة السياحة الدولية. وبالنسبة للدول الفقيرة الأقل نموا Least Developed Countries تساهم السياحة بنحو 7 %من الصادرات السلعية والخدمية.

تضاعف عدد السياح الدوليين الوافدين الي أكثر من الضعف
في يناير 2022 مقارنة بعام 2021

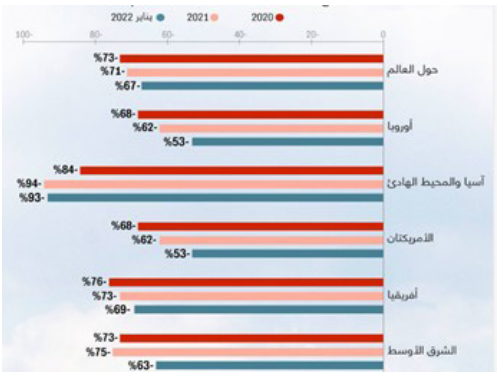

المصدر: (UNWTO 2022)

تضاعف عدد السياح الدوليين الوافدين إلى أكثر من الضعف (130 %) في يناير 2022 مقارنة بعام 2021، أي زيادة وصلت لـ 18 مليون زائر تم تسجيلهم في جميع أنحاء العالم في الشهر الأول من هذا العام يساوي إجمالي الزيادة لعام 2021 بأكمله، بحسب أحدث البيانات التابعة لمنظمة السياحة العالمية. وأوضح تقرير التوقعات الاقتصادية العالمية (WESP) الصادر عن الأمم المتحدة، الدور المهم الذي ستلعبه السياحة في انتعاش الاقتصادات الوطنية والتجارة العالمية خلال عام 2022 معتمدًا على بيانات منظمة السياحة العالمية (UNWTO) كما أوضح التقرير أنه بعد الانكماش العالمي الذي حدث في عام 2020 بنسبة 3.4٪ وحالة الانتعاش التي حدثت في عام 2021 بنسبة 5.5٪، من المتوقع أن ينمو الاقتصاد العالمي بنسبة 4٪ في عامي 2022 - 2023. نظرًا لأهميته كفئة تصدير رئيسية (قبل الوباء احتلت السياحة المرتبة الثالثة في العالم، بعد الوقود والمواد الكيميائية)، وإدراكًا لدورها كمصدر للعمالة والتنمية الاقتصادية، من المتوقع أن يقود تعافي القطاع النمو في كل منطقة من مناطق العالم. وهذا ما دلا على أهمية السياحة في الاقتصاد والتنمية المكانية للمناطق الجاذبة للسياحة والسياح.

الإطار العملي

نتعرف في هذا الجانب على أهم نقاط القوة ونقاط الضعف للبلدية محل الدراسة، وكذلك نتعرف على اهم التحديات التي تواجه التنمية السياحية المستدامة في بلدية شحات. كما ندرس أهم الفرص والامكانيات التي يمكن استغلالها لخلق تنمية سياحية في البلدية محل الدراسة. وهذا سيتم من خلال تحليل SWOT analyse لبلدية شحات وكذلك لقطاع السياحة ببلدية.

تقع بلدية شحات في المنطقة الشمالية الشرقية لليبيا في نطاق إقليم الجبل الأخضر شرقي مدينة البيضاء بحوالي 12كم وعلى الحافة الثانية من حواف الجبل الأخضر بارتفاع 600م عن مستوى سطح البحر، وهي موزعة على منحدرين جبليين اتجاههما نحو الشمال الغربي، بينهما وادي كبير ويحدها من الجنوب والشرق منطقة سهلية ذات سطح غير مستوي ومن الغرب وادي بلغدير ومن الشمال حافة الجبل الأخضر الأولى وتبعد عن البحر بحوالي 18 كم[28]. وقد تم اختيارها من قبل منظمة الأمم المتحدة اليونسكو كموقع للتراث الانساني العالمي عام 1982 وفي عام 2009 فازت قورينا بجائزة السياحة العامية وتحصلت على المرتبة الأولى في المعرض الدولي المقام في لندن. كما تزخر البلدية بتنوع سياحي فريد بدءاً من الشواطئ الممتدة بطول حوالي 30 كم ومنسوب المياه الصالح للسياحة الشاطئية وأعماق تصلح لسياحة الغوص والآثار الغارقة وتحوي المصطبة الثانية على مصادر للسياحة البيئية من غابات وكهوف معلقة وغيرها وتأتي المصطبة الثالثة والتي تتنوع فيها مصادر الطلب على السياحة

(28) الحداد، عبد السلام عبد الولي (9102) أثر النمو العمراني على استخدامات الأرض بمدينة شحات: دراسة جغرافية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية وتقنيات الاستشعار عن بعد، مجلة علوم البحار والتقنيات البيئية، المجلد (5) العدد (1).

الثقافية والصحراوية وسياحة تسلق الجبال والمشي.

المجلس المحلي شحات المدينة
المجلس المحلي سوسة
المجلس المحلي الفائدية
المجلس المجلس قرنادة
المجلس المحلي المنصورة
المجلس المحلي الصفصاف
المجلس المجلس راس التراب
المجلس المحلي بلقس
المجلس المحلي الظفيرية
المجلس المحلي ابلخنة

المرجع: (م. محمد عياد إبراهيم، 2018)

SWOT analyse of Shahat Municipality

	نقاط القوة	نقاط الضعف
داخلية	شحات مدينة مشهورة وجود منظمة الخبراء والأكاديميين شحات وجود جمعية الهلال الأحمر والكشاف شحات وجود منظمات المجتمع المدني والجمعيات الخيرية تعمل في مجالات مختلفة	غياب الخطط التنموية المدروسة تهالك البنية التحتية للبلدية ضعف في القطاع الخدمي الحكومي غياب مشاريع التنمية المستدامة وجود مشاكل في المياه والصرف الصحي النظافة العامة للبلدية وكذلك مشكلة انقطاع الكهرباء
	الفرص	التحديات
خارجية	مساحة جغرافية كبيرة تقدر بـ 280 ألف هكتار تقريباً. وجود تنوع تاريخي وأثرى وبيولوجي وكذلك من تنوع التضاريس. طقس ملائم في جميع الفصول زيادة كبيرة في رؤوس الأموال والمستثمرين المحليين والأجانب. رخص الأراضي بالنسبة للمستثمر الاجنبي	عدم استقرار الوضع السياسي والاقتصادي تضارب المصالح فيما بين الجهات الحكومية في ملكية بعض الأراضي والفضاءات والعقارات. عدم وضوح القوانين فيما يخص الاستثمار والتنمية بصفة عامة في ليبيا. ظهور ملاك جُدد للأراضي والفضاءات الشاسعة بعد 17 فبراير. غلا أسعار الأراضي بالنسبة للمستثمر المحلي.

المصدر: (الباحث،2022)

SWOT analyse of Shahat tourism sector

	نقاط القوة	نقاط الضعف
داخلية	وجود عدد كبير من المتخصصين في مجال السياحة. التشريعات والقوانين الداعمة لقطاع السياحة. ملكية مناطق التنمية السياحية واماكن الجذب السياحي لقطاع السياحة داخل البلدية.	عدم وجود مقر مستقل لقطاع السياحة بالبلدية. تداخل الاختصاصات في ملكية الاراضي والعقارات المملوكة للسياحة. عدم وجود دعم لقطاع السياحة ضمن الميزانية العامة للدولة. عدم تطبيق القوانين الخاصة بالسياحة في ملكية الشواطئ والفنادق وأماكن الجذب السياحي وغيرها.
	الفرص	التحديات
خارجية	الموقع الجغرافي الاستراتيجي والمساحة الشاسعة للبلدية. توافر بيئة طبيعية مناسبة للاستثمار السياحي. طول الشواطئ معتدلة الاعماق في حدود البلدية. التنوع في الموروث الثقافي والاثري للبلدية. تواجد البلدية بالقرب من ميناء بحري بمسافة 18 كم وميناء جوي بمسافة 7 كم.	سيطرة النظام القبلي على ملكية الأراضي والشواطئ في ظل غياب سلطة الدولة. الزحف البشري على المناطق الأثرية ومناطق التنمية السياحية وكذلك الغابات والمتنزهات. جرف الشواطئ والاعتداء على الملاذات الأمنة لأنواع السياحة الشاطئية والبيئية. غياب الوعي المجتمعي بأهمية الأحراش التي تكسو نطاق البلدية.

المصدر: (الباحث،2022)

أدوات جمع البيانات:

يتطلب استخدام أي منهج علمي الاستعانة بجملة من الأدوات والوسائل المناسبة التي تمكن الباحث من الوصول الى البيانات اللازمة حيث يستطيع من خلالها معرفة واقع موضوع الدراسة وخصوصيته[29]. ويعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي من خلال الدارسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع، وفى هذا البحث سيتم الاعتماد على اجراء المقابلات الشخصية.

مجتمع وعينة الدراسة:

- يتمثل مجتمع وعينة الدراسة في المسؤولين في نطاق بلدية شحات وهم:
- عميد بلدية شحات السيد حسين بدرويشه
- مدير مكتب السياحة بالبلدية السيد عيسى محمد عيسى
- مدير مكتب المعلومات والتوثيق السياحي السيد إبراهيم أحمد علي

ويبرر الباحث اختياره لهؤلاء المسؤولين باعتبارهم أكثر ألماماً ومعرفة بشؤون البلدية وقطاعاتها وخصوصا قطاع السياحة. حيث تم التنسيق معهم على

(29) عليان، ربحي مصطفي وغنيم، عثمان محمد (2000) مناهج وأساليب البحث العلمي، عمان، دار صفاء.

مواعيد مسبقة وتمت المقابلات اثناء الدوام الرسمي وفي مكاتبهم حيث تم اجراء المقابلات منفصلة كلا على حدة وتم تجميع الإجابات وتحليلها.

المقابلات الشخصية:

تم اجراء مقابلات شخصية مباشرة وجها لوجه مع المسؤولين المذكورين أعلاه وذلك بغية الحصول على البيانات والمعلومات ذات العلاقة بالدراسة، حيث امتدت هذه المقابلات خلال الأيام (22/ 23/ 24 مارس 2022) وحتوت على بعض الأسئلة التي تحاكي موضوع الدراسة وكانت الإجابات على النحو التالي:

اولاً: مقابلة السيد حسين بدرويشه، عميد بلدية شحات

السؤال الأول: ما هو تشخيصك لواقع السياحة المستدامة ببلدية شحات؟

الإجابة: اولاً مفهوم الاستدامة مفهوم واسع في معناه وهو يعني استدامة السياحة والمحافظة عليها وتسليمها للأجيال القادمة، ولكن للأسف نحن لم نصل بعد لإقامة السياحة حتى نتحدث عن استدامتها. وعلى العموم شهدت ليبيا ككل وبلدية شحات خصوصا حركة سياحية خارجية غير مسبوقة ما بين عامي 2003 – 2010 حيث تعتبر بلدية شحات بلدية جاذبة للسياحة بما تمتلكه من مقومات طبيعية تجعلها قبلة للسياحة الداخلية والخارجية، ولكن للأسف بالنسبة للسياحة الخارجية توقفت تماما بعد احداث 17 فبراير 2011، اما عن السياحة الداخلية بدأت تنتعش بعد انتهاء الاحداث وحصل استقرار نسبي في بعض مناطق ليبيا لا سيما المنطقة الشرقية. وبالرغم من عودة الهدوء والاستقرار للبلدية الا انها تعني من عدم وجود المحال السياحية من فنادق ومطاعم وغيرها وكذلك تدهور البنية السياحية بسبب كثرة العشوائيات في أماكن الجذب السياحي، كل ذلك وغيرة أثر سلبا على الواقع السياحي للبلدية.

السؤال الثاني: بعد ما تعرفنا – من خلال ديوان مجلس البلدية- على اهم نقاط القوة الضعف وكذلك الفرص والتحديات للبلدية من خلال تحليل SWOT، في تقديرك الشخصي كيف يمكن خلق تنمية سياحية مستدامة في ظل هذه الظروف؟

الإجابة: في تقدير الشخصي يمكن إقامة سياحة مستدامة بأمرين وهما الدعم الحكومي لهذا القطاع وإعطاءه أهمية بالغه باعتباره يسهم بشكل كبير جدا في رفع مستوى المعيشة للفرد والمجتمع، والامر الثاني هو التوافق بين الجهات الحكومية الأخرى في خدمة السياحة لان هناك كثير من المشاريع السياحية المعطلة داخل البلدية بسبب الخلاف بين تلك الجهات مثل هيئة الأوقاف وصندوق الضمان الاجتماعي ومصلحة الاثار وكذلك الخلافات القبلية على ملكية العقارات او الأراضي.

السؤال الثالث: ماهي اهم القوانين او التشريعات التي تعتبر معرقلة لعملكم في القيام بسياحة مستدامة في البلدية؟

الإجابة: لا تحضرني قوانين بعينها، ولكن على حد علمي هناك القانون رقم (7) لسنة 2004 بشأن السياحة ويعتبر مشجعه على السياحة لا معرقل لها. ولكن

نحن كبلدية الأمور المعرقلة لنا في عملنا هي عدم نقل الاختصاصات وبالتحديد فيما يخص الجباية الداخلية للبلدية حتى تستطيع البلدية تقديم خدمات او إقامة تنمية مكانية لبعض مواقع الجذب السياحي، والامر الثاني لا توجد لدينا سلطة الاشراف او المتابعة لبعض القطاعات وذلك بسبب تداخل الصلاحيات والمسؤوليات.

السؤال الرابع: هل يعتبر قانون 59 لسنة 2012 الخاص بالبلديات داعماً لجهود التنمية والاستثمار باعتباره يعطي صلاحيات أوسع لعمداء البلديات؟

الإجابة: قانون 59 لسنة 2012 مبني على نظام المحافظات وهذا النظام لم يطبق الى الان، لهذا السبب أصبح هذا القانون حبيس الادراج، وذكر السيد العميد بأن وزير الحكم المحلي الدكتور بدر الدين التومي هو الوحيد الذي لمس جرح مُعانات عمداء البلديات مع بلدياتهم فقام مشكورا بنقل اختصاصات كثيرة بناء على هذا القانون لعمداء البلديات ولكن للأسف الجهات التي تم نقل الاختصاصات منها لم تنفذ الي الان، كان من الممكن ان تكون البلديات أفضل حالاً لو تم نقل تلك الاختصاصات.

السؤال الخامس: هل قمتوا بأي خطوات إيجابية من اجل عملية التنمية السياحية في بلدية شحات؟

الإجابة: دعمت بلدية شحات إقامة مكتب للسياحة في البلدية، كما دعمت اقامت مهرجان شحات السياحي الذي أقيم بتاريخ 29 سبتمبر 2021، كذلك احالت البلدية إجراءات مقترح وكيل للوزارة السياحة في شحات، كذلك سعت البلدية في موضوع اخلاء المنطقة الاثرية من السكان وذلك بعطائهم تعويضات قدرت بـ 28 مليون دينار مقابل اخلاء 400 هكتار داخل المنطقة الاثرية وكلفت بذلك محامي، أيضا تعاونت البلدية مع منظمات محلية ودولية ومنها منظمة تقارب الامريكية وبالتعاون مع مراقبة الاثار شحات في مشروع انارة المتحف ومخازن مراقبة الاثار وكذلك انارة ساحة المسجد العتيق وكذلك تعاونت البلدية مع منظمة GIZالألمانية في وضع خطة تنموية للبلدية تضم قطاعات مختلفة من بينها قطاع السياحة بالبلدية.

السؤال السادس: هل تقدم أي شخص للاستثمار السياحي في بلدية شحات؟

الإجابة: في الحقيقة تقدم لنا مجموعه من المستثمرين الليبيين للاستثمار السياحي في البلدية وطلبوا منا قطع أراضي لإقامة مشاريعهم عليه، لكن البلدية لا تملك الأراضي وقامت بمخاطبة مكتب الأوقاف باعتباره يملك الأراضي لإمكانية الدخول في الاستثمار مع القطاع الخاص ولكن لم تكن هناك استجابة من مكتب الأوقاف بالخصوص.

السؤال السابع: هل لديكم الاستعداد للدعم للوقوف مع من يرغب في الاستثمار؟

الإجابة: نعم لدينا الاستعداد والرغبة التامة في مساندة القطاع الخاص في الاستثمار في حدود إمكانياتنا وذلك بذليل الصعاب الإدارية والقانونية من جهتنا.

السؤال الثامن: ما نوع الدعم الذي يمكن ان توفره للمستثمر؟
الإجابة: بتوفير الامن أولا والدعم المعنوي ثانيا عبر مؤسسات المجتمع المدني ومجلس اعيان البلدية والمنظمات المحلية والتي يمكن ان تسهم جميعها في توفير بيئة استثمارية صحية.
السؤال التاسع: ما هي الإجراءات الفعلية التي يمكن البدء فيها لأحداث تنمية سياحية مستدامة؟
الإجابة: أولا الدعم الحكومي المتمثل في اصدار القوانين والتشريعات المشجعة على الاستثمار الخاص في السياحة، التخطيط السليم المبني على روية واضحة للبلدية، تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار، تنشيط دور الأجهزة الشرطية والرقابية على القيام بمهامهم، ومن ثم اقامت المشروعات السياحية الداعمة والجاذبة لحركة السياحة.
السؤال العاشر: هل لبلدية شحات رؤية مستقبلية للتنمية السياحية؟
الإجابة: بلدية شحات لها رؤية وهي: ان تكون بلدية شحات وجه سياحية مستقبلا وسنسعى لتحقيق هذا الهدف ان شاء الله تعالي.
ثانياً: مقابلة السيد عيسى محمد عيسى.. مدير مكتب السياحة ببلدية شحات
السؤال الحادي عشر: في تقديرك الشخصي، ما هو تقييمك لواقع السياحة المستدامة ببلدية شحات؟
الإجابة: في الحقيق توجد في شحات حركة سياحة داخلية غير مسبوقة حتى في اسوء الظروف، ولكن تقييمي الشخصي للسياحة في بلدية شحات هي بصراحة سياحة قائمة بشكل عشوائي ولا توجد لها ضوابط قانونية وإدارية والمالية ولا توجد أي احصائيات دقيقة عن السواح ومستويات الانفاق وغير ذلك.
السؤال الثاني عشر: بعد تحديد نقاط القوة الضعف وكذلك الفرص والتحديات لقطاع السياحة ببلدية من خلال تحليل SWOT، في تقديرك الشخصي كيف يمكن خلق تنمية سياحية مستدامة في ظل هذه الظروف؟
الإجابة: تهيئة ظروف الدولة اولاً، ثانياً التشجيع الحقيقي القطاع الخاص على الاستثمار في السياحة من خلال قطاع السياحة وليس من خلال جهات أخرى، ثالثاً تطبيق القوانين التي تحمي المستثمر والمستهلك على كافة الأصعدة.
السؤال الثالث عشر: ما هي الأطراف ذات المصلحة في استدامة السياحة في البلدية؟
الإجابة: في اعتقادي ان الأطراف الاكثر فاعلية في استدامة السياحة هي البلدية نفسها في خلق توءمة او مشاركة مع الأطراف الأخرى مثل مصلحة الاثار وصندوق الضمان الاجتماعي وهيئة تشجيع الاستثمار ولا ننسى الدور المهم للقطاع الخاص في هذا المجال.
السؤال الرابع عشر: ماهي خططكم المستقبلية نحو استدامة السياحة في بلدية شحات؟
الإجابة: نحن كمكتب سياحة ببلدية لدينا خطط وبرامج ومشاريع كثيرة

منهـا المقـترح ومنهـا المتعثـر وغيرهـا، ولكـن عـلى العمـوم سـنعمل مـع كل الأطـراف الحكوميـة والخاصـة مـن اجـل اقناعهـم بـضرورة خلـق تنميـة سـياحية في بلديـة شـحات تعـود بالفائـدة الاقتصاديـة عـلى الـكل.

السؤال الخامس عشر: في اعتقـادك، هـل مواطنـي بلديـة شـحات لديهـم فكـرة تقبـل الاخر واسـتقطاب المسـتثمر وبالتالي اسـتقطاب السـائح؟

الإجابة: نعـم، بالتأكيـد، في اعتقـادي ان الليبيـين بصفـة عامـة هـم شـعب مـرح واجتماعـي ويمكنـه كسـب ود الاخريـن لذلـك سـهل جـدا عليهـم اسـتقطاب المسـتثمر -أيـن كان- لان ذلـك يعتـبر مـن مصلحتهـم وانـه سـوف يـؤدي الى فتـح الكثـير مـن فـرص العمـل المتجـددة.

ثالثـاً: مقابلـة السـيد إبراهيـم احمـد عـلى.. مديـر مكتـب المعلومـات والتوثيق السـياحي بلدية شـحات

السؤال السادس عشر: هـل لديكـم فكـرة عـلى اهـم القوانـين التـي تشـجع او تعيـق التنميـة السـياحية ببلديـة شـحات؟

الإجابة: يوجـد القانـون رقـم (7) لسـنة 2004 بشـأن السـياحة، والقـرار (187) لسـنة 1995بشـأن الحمايـة للمرافـق السـياحية وهـذه القوانـين تعتـبر مشـجعه لقيـام السـياحة ولكنـه لـم تعطـي قطـاع السـياحة أحقيـة الاسـتثمار في السـياحة، وفي المقابل وجـدت قوانـين أخـرى مثـل قانـون رقـم (9) لسـنة 2010 بشـأن تشـجيع الاسـتثمار ولائحتـه التنفيذيـة، وكذلـك لائحـة تمليـك الـشركات العامـة الصـادرة بقـرار اللجنـة الشـعبية العامـة - سـابقاً- رقـم (118) لسـنة 2007 أعطـت الحـق لهيئـة تشـجيع الاسـتثمار في الاسـتثمار عوضـاً عـن قطـاع السـياحة، وهـذا مـا نعتـبره نحـن كقطـاع للسـياحة تهميـش لنـا ولدورانـا في خلـق تنميـة سـياحية مسـتدامة.

السؤال السابع عشر: كـم عـدد المشروعـات السـياحية الخاصـة الصغـرى والمتوسـطة في البلديـة ومـا هـي اهـم الصعوبـات التـي تواجهـه؟

الإجابة: لا يتجـاوز عـدد المشروعـات السـياحية الخاصـة (10) مشـاريع تتمثـل في بعـض المنتجعـات وهـي غـير مصنفـه سـياحياً باسـتثناء منتجـع واحـد فقـط هـو مصنـف ومسـجل لـدى مكتـب السـياحة شـحات، ولكـن في العمـوم تقـوم هـذه المحـال السـياحية عـلى تقديـم الإقامـة والاعاشـة في بعضهـا والبعـض الأخـرى يقتـصر فقـط عـلى تقديـم الجانـب الترفيهـي بالإضافـة للوجبـات التخفيفيـة، امـا عـن الصعوبـات تتمثـل في صعوبـات تشـغيلية مثـل الايـدي العاملـة تعتـبر غـير مسـتقرة وتعتمـد عـلى الايـدي الأجنبيـة اكثـر مـن الايـدي الوطنيـة في ظـل وجـود هـذه الأيـدي الوطنيـة، كذلـك هنـاك صعوبـات قانونيـة وإداريـة تتمثـل في التراخيـص وغيرهـا بالإضافـة الي الصعوبـات الماليـة والاقتصاديـة وهـذه نتيجـة للوضـع الراهـن للبـلاد.

السؤال الثامن عشر: ماهـي اهـم المشـاريع السـياحية الحكوميـة ببلديـة المقترحـة والمنجـزة والغـير منجـزة وأسـباب تعثـر الغـير منجـز منهـا؟

الإجابة: في الواقـع لا توجـد مشـاريع سـياحية حكوميـة ببلديـة شـحات باسـتثناء

مشاريع كانت مقترحة ضمن مشروع ليبيا الغد ابان حكم القذافي ومازالت هذه المشاريع لم ترى النور بعد مع انها جاهزة من ناحية التصاميم والخرائط والدراسات ولكن لم تنفذ. وكذلك وجود بعض المشروعات المتعثرة نتيجة لتضارب المصالح بين بعض الجهات الحكومية فيما بينها من جهة وبين الجهات الحكومية والمواطنين من جهة أخرى وذلك في احقية او ملكية الأراضي والعقارات والجدول التالي يوضح ذلك، اما عن سبب تعثر هذه المشاريع لا شك ان سببه عدم مبالات الدولة الليبية بقطاع السياحة برمته وليست بتلك المشاريع فقط.

م	اسم المشروع	تبعية المشروع	حالة المشروع
1	الفندق الكبير بشحات (زيوس)	غير معلوم	غير منفذ/ دراسات المشروع جاهزة/ يحتاج تمويل
2	المنتجع الصحي الزراعة الطبيعة السياحة	غير معلوم	غير منفذ/ دراسات المشروع جاهزة/ يحتاج تمويل
3	منتجع وادي سنيارة	غير معلوم	غير منفذ/ دراسات المشروع جاهزة/ يحتاج تمويل
4	الملعب البلدي	غير معلوم	مشروع مقترح
5	متحف ذاكرة ليبيا	غير معلوم	مشروع مقترح
6	نادى المناشط السياحية	غير معلوم	مشروع مقترح
7	مدينة ملاهي متكاملة	غير معلوم	مشروع مقترح
8	ممرات داخل المدينة الأثرية	غير معلوم	مشروع مقترح
9	مخيم شحات وسط المدينة	شركات الخدمات العامة/ جهاز المنتزهات والحدائق	مشروع متعثر/ يحتاج تمويل
10	هوتيل شحات القديم	الأوقاف/ الضمان/ الاثار	مشروع متعثر/ يحتاج تمويل

المرجع: (مكتب المعلومات والتوثيق السياحي شحات 2022)

الاستنتاجات

من خلال ما تم دراسته وعرضة من ادبيات ومقابلات شخصية أجريت مع عدد من المسؤولين بالبلدية بهدف دراسة فرص وتحديات التنمية السياحية المستدامة ببلدية شحات خلصت الدراسة لاهم الاستنتاجات التالية:

اولاً: بالنسبة الي التحديات

- غياب الاستقرار السياسي والاقتصادي والاداري في كامل ربوع ليبيا له أثر سلبي على التنمية بشكل عام.
- عدم نقل الاختصاصات للبلديات - بالرغم من وجدو قانون 59 لسنة 2012 الخاص بالبلديات - وبالتحديد فيما يخص الجباية الداخلية للبلدية على الأنشطة التجارية وغيرها حتى تستطيع البلدية تقديم خدمات او إقامة تنمية مكانية لبعض مواقع الجذب السياحي.

- لا تملك البلدية سلطة الاشراف او المتابعة لبعض الخدمات وذلك بسبب تداخل الصلاحيات والمسؤوليات مع القطاعات الخدمية مثل شركة المياه والصرف الصحي، الكهرباء، الطرق والمواصلات، النظافة العامة، الإسكان والتخطيط العمراني والحضري.
- وجود خلافات بين الأطراف الاكثر فاعلة في عملية التنمية السياحية مثل هيئة الأوقاف والشؤون الإسلامية وصندوق الضمان الاجتماعي ومصلحة الاثار وهيئة تشجيع الاستثمار وكذلك الخلافات القبلية على ملكية او احقية التصرف في العقارات او الأراضي او المشاريع التي تخدم قطاع السياحة بالبلدية.
- الحركة السياحية في البلدية قائمة بشكل عشوائي ولا توجد لها ضوابط قانونية وإدارية ومالية وفنية ولا توجد أي احصائيات عن اعداد السواح ومستويات الانفاق.
- وجود صعوبات قانونية وإدارية وفنية وكذلك تخطيطية، تتمثل في تنظيم وتصنيف المحال السياحية وكذلك منح التراخيص بسبب عدم إيفاء أصحاب تلك المحال بشروط منح التراخيص.
- غياب الوعي المجتمعي بأهمية المناطق الأثرية وأماكن الجذب السياحي وكذلك الأحراش والغابات التي تكسو نطاق البلدية والتي تزيد من أهمية التنمية السياحية المستدامة.

ثانياً: بالنسبة الي الفرص

- استقرار أمني وعسكري واضح جداً بالمنطقة الشرقية والتي تقع بها البلدية محل الدراسة.
- الموقع الجغرافي الاستراتيجي والمساحة الشاسعة للبلدية. تصل الى 280 ألف هكتار تقريبا وكذلك قرب البلدية من ميناء بحري بمسافة 18 كم وميناء جوي بمسافة 7 كم.
- بلدية شحات بلدية جاذبة للسواح بما تمتلكه من مقومات طبيعية مناسبة للاستثمار السياحي مع وجود تنوع تاريخي وأثرى وبيولوجي كذلك طول الشواطئ معتدلة الاعماق في حدود البلدية.
- بلدية شحات لها رؤية مستقبلية واضحة تتمثل في: "ان تكون بلدية شحات وجه سياحية مستقبلا" والتي خلصت بها الخطة التنموية للبلدية -2022 3032.
- للبلدية القدرة على توفير الامن والدعم المعنوي عبر مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني ومجلس اعيان البلدية والتي يمكن ان تسهم جميعها في توفير بيئة استثمارية صحية.
- للبلدية الاستعداد والرغبة التامة في مساندة القطاع الخاص في الاستثمار في حدود إمكانياتها وذلك بتذليل الصعاب الإدارية والقانونية، والقبلية كذلك بمساعدة مجلس اعيان البلدية.

- وجود بعض المشروعات السياحية الصغرى والمتوسطي الخاصة وكذلك وجود مشاريع حكومية تخدم قطاع السياحة ببلدية ولكنها متعثرة بسبب تضارب المصالح مع القطاعات الحكومية.
- وجود القانون رقم (7) لسنة 2004 بشأن السياحة، والقرار (187) لسنة 1995بشأن الحماية للمرافق السياحية وهذه القوانين تعتبر داعمة لقيام السياحة.
- وجود قوانين أخرى مثل قانون رقم (9) لسنة 2010 بشأن تشجيع الاستثمار ولائحته التنفيذية، وكذلك لائحة تمليك الشركات العامة الصادرة بقرار اللجنة الشعبية العامة – سابقاً- رقم (118) لسنة 2007 أعطت الحق لهيئة تشجيع الاستثمار في الاستثمار فيها.
- سعت البلدية في اخلاء المنطقة الاثرية من السكان وذلك بعطائهم تعويضات قدرت بـ 28 مليون دينار مقابل اخلاء 400 هكتار داخل المنطقة الاثرية.
- تعاونت البلدية مع منظمات محلية ودولية ومنها منظمة تقارب الامريكية وبالتعاون مع مراقبة الاثار شحات في مشروع انارة المتحف ومخازن مراقبة الاثار وكذلك انارة ساحة المسجد العتيق وكذلك تعاونت البلدية مع منظمة GIZالألمانية في وضع خطة تنموية للبلدية تضم قطاعات مختلفة من بينها قطاع السياحة بالبلدية.
- دعمت البلدية اقامت مهرجان شحات السياحي الذي أقيم بتاريخ 29 سبتمبر 2021.

التوصيات

بناءً على النتائج والاستنتاجات التي توصلت اليها الدراسة من خلال الأساليب العلمية المستخدمة في جمع البيانات والمعلومات حول موضوع الدراسة فإن التوصيات التي توصل اليها الباحث تتمثل في الاتي:

- إعطاء صلاحيات واختصاصات للبلديات خصوصا فيما يخص تقديم الخدمات الأساسية التي تهم معيشة المواطن اليومية وذلك بتفعيل قانون رقم 59 لسنة 2012 الخاص بالبلديات.
- إعطاء الحق للبلديات في تفعيل والاستفادة من الايرادات المحلية وكذلك الاستفادة من الموارد الأخرى للبلدية بغية تحسين خدماتها للمواطن وللاستفادة منها في التنمية المكانية.
- ضرورة إيجاد الية واضحة لحل الخلافات القائمة بين الأطراف الأكثر فعالية في عملية التنمية السياحية المستدامة وهنا نقصد "هيئة الأوقاف، مصلة الاثار، صندوق الضمان، هيئة الاستثمار، السياحة".
- وضع ضوابط قانونية وإدارية ومالية وفنية تنظم الحركة السياحة ببلدية بالتعاون مع كل الجهات ذات العلاقة، تضمن الإيفاء بمتطلبات السياحة والسواح.
- التوعية المجتمعية بأهمية السياحة والسائح والتنمية السياحية في تطوير وتحسين خدمات البلدية، وذلك بإقامة الدورات والندوات والنشرات وغيرها من النشاطات في الشارع والمدارس والمساجد وغيرها من أماكن تواجد المواطن.

- الاستغلال الأمثل للفرص التي تمتلكها البلدية مثل الاستقرار الأمني والاجتماعي والموقع الجغرافي والمقومات الطبيعية وغيرها في جذب المستثمر وإعطائه الضمانات بغية الاستثمار في التنمية السياحية وخلق فرص عمل جديدة لمواطني البلدية وتنشيط الحركة الاقتصادية المحلية.
- الاستفادة من القوانين والقرارات المشجعة على الاستثمار السياحي في تشجيع المستثمر على القيام بمشاريع تنموية محلية والاستفادة من إمكانيات البلدية
- تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار السياحي وإيجاد نظام تمويلي متكامل عن طريق البنوك لمساعدة أصحاب المشروعات الصغرى والمتوسطة.
- الاستفادة من التجارب الدولية والعربية في مجال التنمية السياحية وخصوصا تلك التي تطبق في بيئة اقتصادية واجتماعية مشابهة لخصوصية المجتمع الليبي.
- يأمل الباحث مما هم متصدرين المشهد الليبي من سياسيين وعسكرين واعيان وحكماء ووجهاء القبائل ومؤسسات المجتمع المدني وكافة أبناء الوطن من تكاثف الجهود من اجل إحلال الامن والسلام والاستقرار في ليبيا حتى يعم الخير علي الجميع.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

الروبي، نبيل (1993) التخطيط السياحي، الطبعة الأولى، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.
الحداد، عبد السلام عبد الولي (2019) أثر النمو العمراني على استخدامات الأرض بمدينة شحات: دراسة جغرافية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية وتقنيات الاستشعار عن بعد، مجلة علوم البحار والتقنيات البيئية، المجلد (5) العدد (1).
بالخضر، عبد القادر (2005) استراتيجية الطاقة وإمكانية التوازن البيئي في ظل التنمية المستدامة، حالة الجزائر، مذكرة ماجستير، معهد علوم التسيير، جامعة البليدة، ص: 9.
زين الدين، صلاح (2016) دراسة لفرص وتحديات التنمية السياحية المستدامة في مصر، المؤتمر العلمي الدولي الثالث، القانون والسياحة 27-26 ابريل 2016، كلية الحقوق، جامعة طنطا.
توفيق، ماهر عبد العزيز (1997) مبادئ ادارة الفنادق، دار زهران، الاردن، ص ص: 14-12.
توفيق، ماهر عبد العزيز:(1997) صناعة السياحة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص:90.
تقرير 2014 Tourism Highlights) الصادر عن منظمة السياحة العالمية، طبعة، منظمة السياحة العالمية.
تقرير 2013-2012 World Travel Trends) الصادر عن معرض البورصة الدولية للسياحة.
عبد الوهاب، صلاح الدين (1991) التنمية السياحية، الطبعة الاولى، مطبعة زهران، القاهرة، ص:282.
عبد الباسط، وفاء (2005) التنمية السياحية المستدامة بين الاستراتيجية والتحديات المعاصرة. مجلة حلوان، عدد12 جوان، ص 133.
عليان، ربحي مصطفي وغنيم، عثمان محمد (2000) مناهج وأساليب البحث العلمي، عمان، دار صفاء

المراجع الاجنبية :

Aronsson, L. (2000) The Development of Sustainable Tourism, First edition, Bass Press, London, UK, P:172.

Cooper, C. & Wanhill, S. (1997) Tourism Development Environmental & Community Issues, First edition, John Wiley & Sons, West Sussex UK.

Eman, Helmy (1999) Towards Sustainable Planning for Tourism Development: Case Study on Egypt, PHD. Thesis Faculty of Tourism & Hotels, Helwan University, Cairo.

Eraqi, M.I. (2003) Eco- Tourism Resources Management: A Case Study of the Red See Coast of Egypt, International Sustainable Development in Emerging Market Sustainable Development Forum, George Washington University Alexandria, Egypt, January 8-9.

Gunn, C.A. & Var, T. (2002) Tourism Planning, Fourth edition, Routledge, New York, USA.

Hanaa, Fayed (2002) The Impacts of GATTS: A Case Study of Tourism Development in Egypt, ph.D. Thesis Bournemouth University UK.

Holden, A. (2000) Environment & Tourism, First Edition, Routledge, London, UK.

Newsome, D. Moore, S.A. & Dowling, R.K. (2002) Natural Area Tourism: Ecology Impacts & Management, Cromwell Press, London, UK.

Pearson, C.S. (2000) Economics & the Global Environment, First edition, Cambridge University, Press, Cambridge, UK.

Sakr, M. (2000) The Role & Significance of Eco- Tourism: The Ministry of Tourism Perspective, Forum on Eco lodges in Egypt, Cairo.

Theobald, W.F. (1998) Global Tourism, Second edition, Butterworth Heinemann, Oxford, UK.

UNWTO (2015) World Tourism Barometer, Vol. 13 August.
World Tourism Organization (1995) A satellite Account for Tourism Madrid, Spain.
Wahab, S. & Pigram, J.J. (1997) Tourism Development & Growth: The Challenge of Sustainability, First edition, Routledge, London, UK.
Webster, K. (2000) Environmental Management in the Hospitality Industry, First edition, Cromwell Press LTD, UK.

الظروف الطبيعية المؤثرة في النقل البري ووسائله بإقليم البطنان

إعداد :
د. الطيب فرج السنوسي امجاور.
قسم الجغرافيا- كلية الآداب -جامعة طبرق

الاستلام : 14/ 9/ 2022 القبول : 25/ 10/ 2022

المستخلص:

تطرق البحث إلى تطور شبكة الطرق في ليبيا منذ اكتشاف النفط وتصديره عام 1961م وبداية اهتمام الدولة بشبكات النقل حتى وصلت عام 1996م إلى حوالى 17985كم، تقريباً واستقرت على ذلك، واقتصر الاهتمام بالطرق بعد تلك الفترة على الصيانة والترميم، كما تناول البحث تأثير الظروف أو العوامل الطبيعية في شبكة النقل البري ووسائله بمدن ومناطق إقليم البطنان بشمالي شرقي ليبيا، ودور وحجم تأثير كل عامل منها والتي تشمل الموقع الجغرافي والتركيب الجيولوجي والتضاريس وخاصة عند شق الطرق، وأيضا تأثير المُناخ من رياح وما ينتج عنها من اتربة ورمال تقلل الرؤية، وكذلك الامطار وما تحدثه من سيول تعرقل حركة النقل، بالإضافة إلى نوع التربة والحيوانات، وأشارت الدراسة إلى المخاطر التي يتعرض لها النقل البري بالمنطقة، وعلى ضوء النتائج اقترحت الدراسة بعض المقترحات قد تسهم في التقليل من الصعوبات التي تواجه النقل البري ووسائله بمنطقة الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الاسفلت - التضاريس- الأتربة- مسارات- الحوادث.

Abstract:

The research touched on the development of the road network in Libya from the discovery and export of oil in 1961 AD, and the state begen to pay attention to transport network until it reached about 17985 km in 1996 AD, and settied on that, and the the interest in roads after this period was limited to maintenance and restoration, and this research also dealt with the impact of conditions or natural factors in the road transport network and its means in the cities and regions of the Al- Batnan regions in northeastern Libya, and the role and size of the impact of each factor. Which incudes the geographical location, the geological structure and the terrain, especially when building roads as well as the climate impact of winds and the resulting dust and sand that reduce visibility, as well as rain and what it causes from torrents impeding the movement of transport in addition to the type of soil and animals, the study indicates to the problems that transport is exposed to, and light of the results, the study suggested that some proposals that may contribute to reducing the difficulties facing land transport and its means in the study area

Keywords; erosion, chemical, drainage, orgaic, salts

مقدمة:

تشكل الطرق عنصراً مهماً في قطاع النقل، ومظهراً من مظاهر التقدم، فالعلاقة وثيقة بين تطور وسائل النقل والنمو الحضري، ولا يمكن الاستفادة من الأنشطة الاقتصادية بأنواعها إلا بتوافر شبكة نقل جيدة وفعاله لنقل المواد الخام والمنتجات من وإلى السوق، فهي عنصر أساسي في حركة النقل، وعندما لا يستوفي الطريق الحدود الدنيا من المواصفات عند إنشائه وصيانته يكون عاملاً مسبباً لكثير من الحوادث المرورية.

وتلعب البيئة العامة دوراً كبيراً في تحديد مسار الطرق وتوزيع خطوط النقل ومن هذه العوامل التضاريس والغطاء النباتي، والمياه السطحية والجوفية، ففي المناطق السهلية والمنبسطة تكون الرؤية فيها واضحة للسائق لمسافات طويلة في الظروف العادية، وعادة تكون تكلفة الطريق عند إنشائه في مثل هذه الأراضي غير مكلفة كثيراً عكس المناطق الجبلية والتي تقصر فيها المسافة المرئية؛ لوجود المرتفعات والمنعطفات والأشجار الطبيعية والمزروعة.

ولاشك أن كفاءة طرق النقل تكمن في مراعاة المواصفات القياسية العالمية والمحلية والتغلب على الظروف الطبيعية المتحكمة في خرائط الطرق المعبدة ومسارات الطرق الترابية والدروب، وأهم هذه الظروف موضع الطريق بالنسبة لما يجاوره من مباني ومزارع وأسواق وغيرها، بالإضافة إلى التركيب الجيولوجي والدور الذي يلعبه في تعبيد الطريق وتكلفته، وأيضا بتفاعل عناصر المناخ مع سطح الأرض المجاور للطريق وما يترتب عليه من انهيارات أرضية أو تحرك للكثبان الرملية التي تعمل على الإضرار بطرق النقل ووسائله، كما أن للتضاريس دور مهم في تحديد اتجاهات الطرق، بالإضافة إلى نوع التربة ومدى تماسكها وتأثرها بالعواصف الترابية.

نبذة عن تطور الطرق في ليبيا:

عرفت ليبيا الطرق المعبدة منذ عام1911م، أي خلال فترة الاحتلال الإيطالي حيث تم شق الطريق الساحلي الذي يربط البلاد بالمشرق والمغرب العربي ماراً بكل المدن الواقعة على الساحل، وبعد استقلال ليبيا قامت الحكومة الليبية بصيانة الطرق التي أتلفتها الحرب والتي بلغت عام 1960م، حوالي 3303كم، بعد اكتشاف النفط وتصديره وتوافر العائد المادي والتحسن الاقتصادي لإقامة بعض المشاريع التنموية التي منها الطرق، وإنشاء العديد من الجسور في المناطق الجبلية والمدن الكبيرة؛ لتخفيف حدة الازدحام بالطرق وتسهيل حركة النقل، حيث تم ربط جنوب البلاد بالساحل وغرب البلاد بشرقها، وإصلاح وصيانة الطريق الساحلي وكانت قمة ازدهار إنشاء الطرق خلال السبعينات وذلك بتنفيذ الخطة[1] الثلاثية73 - 1975م والخطة الحماسية -76 1980م حيث بداء الاهتمام

(1) بالقاسم محمد العزابي 1995) م)، (النقل والموصلات) في كتاب (الجماهيرية دراسة في الجغرافية) ، تحرير: الهادي بولقمة، سعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، سرت.

بشبكة الطرق المعبدة وزيادة أطوالها، وإنشاء أفرع من الطريق الساحلي، لخدمة المناطق الداخلية كالمدن والمناطق الريفية الواقعة جنوب وجنوب غرب طرابلس، وكذلك طريق إجدابيا - الواحات حتى الكفرة، وطريق مصراتة – أبوقرين، هون، سبها، مرزق، غات، والطرق التي تربط مناطق الجبل الأخضر، وطريق طبرق- الجغبوب جنوب منطقة الدراسة، واستمرت الدولة في زيادة أطوال شبكة الطرق وأنشاء المزيد من الطرق الفرعية والزراعية حتي بلغت خلال الثمانينات 10700 كم، واستقرت عام 1996م، عند 17985كم تقريبا[2]، واقتصر الاهتمام بالطرق بعد هذه الفترة على الصيانة والترميم.

شبكة الطرق في إقليم البطنان:

إن وجود شبكة طرق جيدة في إقليم ما يسهم في ربط مناطقه وتنمية مواردة، ونشاطه التجاري والزراعي والصناعي، وقد كانت منطقة الدراسة ضمن برامج وخطط وضعتها الدولة لإنشاء العديد من الطرق لربط المناطق البعيدة، بالطريق الساحلي ويعتبر طريق طبرق – الجغبوب أقدم هذه الطرق، وتقع عليه بعض المناطق السكنية، مثل منطقة الوتر ومطار طبرق يبلغ طولة حوال 380كم، تقريباً بدءً من الطريق الساحلي الذي يربط المدن والمناطق التي تقع أمام الساحل، وطريق قصر الجدى – الخشيبات جنوبا وطريق بئر الاشهب - جنزور ومرسلك شمالاً، وطريق الوتر - اجدابيا بالاتجاه غرباً، وطريق القعرة - سيدي أكريم، وطريق كروم الخيل - وادي السهل وطريق زاوية المرصص (طريق امجِيقيح) شمالا، وطريق التميمي- المخيلي غرباً مروراً بالعزيات. وطريق المخيلى بالاتجاه حنوباً وصولاً إلي طريق طبرق – إجدابيا.

مشكلة البحث:

كما هو معروف بأن شبكة النقل بأنواعها أهم الشرايين التي تعتمد عليها كل الأنشطة الاقتصادية، إلا أن هذه الشبكة بمنطقة الدراسة تواجه الان تحديات للمحافظة عليها وتطويرها، فنحاول في هذا البحث التطرق لشبكة النقل البري بمنطقة الدراسة من خلال الإجابة على سؤال مفاده: ما الدور الذي تلعبه العوامل الطبيعية في التأثير على النقل البري ووسائله بمنطقة الدراسة؟

فرضية البحث: يفترض الباحث أن للعوامل الطبيعية تأثيراً سلبياً على طرق النقل البري ووسائله.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة مدى التأثير التي تقوم به العوامل الطبيعية على شبكة النقل البري ووسائله، وإبراز هذه الآثار واقتراح بعض الحلول لها؛ ولتحقيق هذا الهدف اعتمد البحث دراسة جغرافية المنطقة، وكذلك البيانات المناخية لمحطات المنطقة، وتقارير إدارات المرور ومصلحة الطرق والجسور.

(2) الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات (1999م)، الكتب الإحصائي، (1995 – 1996م).

الدراسات السابقة:

لم يحظ موضوع طرق النقل والعوامل المؤثرة فيه اهتماماً كافياً من الباحثين، ومن خلال مراجعة بعض الدراسات السابقة والمحلية التي تطرقت إلى طرق النقل والموصلات في أجزاء مختلفة من البلاد نجد دراسة للعزابي (1995م)[3]، النقل البري والطرق ومواد الإنشاء التي استخدمت فيها، وعلاقة النقل بالنشاط الاقتصادي. وبينت دراسته أن شبكة الطرق في ليبيا لا تخضع لتصنيف معين ولا يقام وزن يذكر للأُسس العلمية والمتبعة.

بينما دراسة الغيطة (2007م)[4] حركة النقل على شبكة النقل في مدينة بني وليد ومجاوراتها، والتي من نتائجها أن مياه الأمطار أدت إلى تدهور الطرق لعدم وجود قنوات لتصريف المياه، وكذلك التركيب الجيولوجي للمنطقة من الصخور الصلبة جعل مد الطريق صعباً وشاقاً ومكلفاً، وأيضاً هبوب الرياح الحارة وارتفاع درجة الحرارة اثرت سلباً على حركة النقل بالمنطقة.

في حين دراسة عبد العاطي (2007م)[5] تناولت تأثير المناخ في حوادث المرور بإقليم البطنان وبينت أن الإقليم يعاني من تطرفات مناخية مفاجئة من ارتفاع درجة الحرارة وهبوب العواصف الغبارية، وسقوط الأمطار المفاجئة، وتكوُّن الضباب أحياناً مما نتج عنه حوادث سير أسفرت عن خسائر بشرية ومادية كبيرة.

وفي دراسة قامت بها بلق (2005م)[6]، عن الحوادث المرورية بشعبية النقاط الخمس وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والتي ركزت على الأسباب الرئيسة لحوادث المرور، حيث أشارت إلى أن لعامل المُناخ دورا في وقوع هذه الحوادث وإن فصلي الشتاء والخريف من أكثر الفصول تسجيلاً للحوادث بمنطقة الدراسة.

كما تتطرق مفتاح (2005م)[7] في دراسته لتطرفات الطقس ومؤثراتها على حوادث المرور بمنطقة قصر بن غشير، والتي ذكر من نتائجها: إن المنطقة تتعرض لهبوب أنواع عديدة من الرياح ومن اتجاهات مختلفة مما يؤثر سلباً على حركة النقل وتؤدي إلى وقوع الحوادث، وإن أكثر الفصول التي تحدث فيها الحوادث هي فصلي الخريف والشتاء.

(3). بالقاسم العزابي (1995)، مصدر سابق.

(4). الغيطة، خديجة عبدالسلام (2007م)، حركة النقل على شبكة النقل لمدينة بني وليد ومجاوراتها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم، قسم الجغرافيا، جامعة المرقب، ترهونة .

(5). عبد العاطي صالح عبدالعاطي (2007)، تأثير المناخ في حوادث المرور في إقليم البطنان، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

(6) بلق، فوزية عمار عبدالله 2005)م)، حوادث المرور بشعبية النقاط الخمس وآثارها الاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من أبريل، كلية الآداب، الزاوية.

(7) . مفتاح، محمد خليفة على(2005م)، تطرفات الطقس ومؤثراتها على حوادث المرور بمنطقة قصر بن غشير، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم.

منطقة الدراسة:

الموقع والمساحة:

تقع منطقة الدراسة جغرافياً أقصى الجزء الشمالي الشرقي من ليبيا يحدها خط ساحل البحر المتوسط من الشمال، أما من الناحية الجنوبية فحدودها تتفق مع تداخل المناخ الصحراوي حتى واحة الجغبوب، ومن الغرب الجبل الأخضر ومن الشرق فحدودها جمهورية مصر العربية، وبهذا الامتداد تبلغ مساحتها حوالي83860 كيلو متر مربع تقريباً، أما فلكياً فتقع منطقة الدراسة بين دائرتي عرض 28 و 32شمالاً، وخطي طول 23 و 25 شرقاً ، شكل (1) (سليمان 2010)[8] وتضم منطقة الدراسة ثلاث محطات رئيسة اعتمدت على اثنين منها في بياناتها المُناخية جدول (1).

شكل (1) موقع منطقة الدراسة

المصدر: عمل الطالب، قياسات من المرئية الفضائية باستخدام برنامج Arc Gis. 10.1

جدول (1) الموقع الفلكي والجغرافي لمحطات الدراسة وأنواعها

المحطة	خط الطول شرقا	دائرة العرض شمالاً	الارتفاع عن سطح البحر(م)	الرقم الدولي	البعد عن البحر (كم)
طبرق	23 – 56	32 – 06	50	62062	أمتار
الجغبوب	24 – 32	29 – 45	02	62167	247

المصدر: عمل الباحث استناداً إلى بيانات المركز الوطني للأرصاد الجوية، إدارة العمليات المُناخية، طرابلس

(8) . سليمان، محمود محمد (2010م)، "أثر المناخ على الزراعة" في أقليم البطنان، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

العوامل الطبيعية المؤثرة في شبكة النقل ووسائله بإقليم البطنان:

أ – الموقع الجغرافي:

يُقصد بالموقع الجغرافي هنا موضع منطقة الدراسة بالنسبة للمحلات العمرانية ومراكز الخدمات ومواقع الإنتاج، فهو الذي يحدد إمكانية ربط المنطقة بكل أجزائها واستغلال مواردها، وتمتاز منطقة الدراسة بموقعها الجيد من الناحية الشمالية حيث الطريق الممتد أمام الساحل الذي يربط كل مدن ليبيا الساحلية حتى حدود جمهورية مصر شرقاً، وكذلك طريق التميمي المخيلي، وطريق طبرق إجدابيا، وطريق طبرق الجغبوب، وإضافة للطرق الفرعية والزراعية لخدمة المناطق البعيدة عن الطريق الساحلي، مثل طريق بئر الأشهب- جنزور وطريق قصر الجدي - الخشيبات، لولا هذه الطرق لبقيت أجزاء الإقليم معزولة عن بعضها، فقد سهلت الاتصال بين المدن والأرياف والمزارع والمناطق الرعوية سائر أنحاء الإقليم.

ب - التركيب الجيولوجي:

من المعروف أن الصخور التي يتكون منها سطح الأرض هي نارية أو رسوبية أو متحولة، ولتأثير هذا العامل وما يرتبط به من تركيب صخري وبنيوي دور مهم في تكاليف شق الطرق المعبدة في الأراضي ذات التكوينات الصلبة ومدى امتداده تبعاً للتركيب الصخري،[9] وتتألف منطقة الدراسة من طبقات سميكة من الحجر الجيري وبعض المارل والطفل تعود للزمن الثالث، ويبدو أن ميل منطقة الدراسة بسيط، فأغلب صخور منطقة الدراسة صخور رسوبية (خطاب، 2010م)[10] فتسهل عملية شق الطرق ولكن تحتاج دائماً لعمليات صيانة وإصلاح دورية؛ بسبب زحف الرمال وجريان السيول، وتختار المواد المستخدمة في الرصف واساليب رصفها تبعاً لطبيعة الصخور المشكلة لسطح الأرض، فيختلف رصف الطرق في المناطق الصخرية عن المناطق الطينية والرملية لتتلاءم أوزان السيارات المارة عليها وحمولاتها، إضافة إلى أن التكوين الجيولوجي يلعب دوراً مهماً في تحويل كميات الأمطار القليلة إلى مسيلات وسيول جارفة تتدفق خلال الأودية مما تعرقل حركة النقل.

ج - التضاريس:

من الناحية التضاريسية يعتبر إقليم البطنان هضبة عظيمة الاتساع تختلف من مكان لآخر فالجزء الشمالي أكثر ارتفاعاً من الجنوبي حيث يبلغ اقصى ارتفاع لها 200م، ويمكن تقسيم تضاريس منطقة الدراسة إلى ثلاثة أقسام مختلفة هي:

(9) فتحي أحمد د الهرام،(1995) م ، (التضاريس والجيومورفولوجيا)، في كتاب (الجماهيرية دراسة في الجغرافية)، تحرير: الهادي بولقمة وسعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت.

(10) فتح الله خطاب احميدة (2010) م ، التحليل الجيومورفومتري لحوض وادي العين بهضبة الدفنة بإقليم البطنان دراسة جيورموفولوجية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، كلية الآداب، قسم الجغرافيا.

1- الساحل:

يمتد السهل الساحلي من خليج البمبة غرباً إلى حدود جمهورية مصر العربية شرقاً، وهو عبارة عن: شريط ضيق خاصة بالاتجاه شرقاً، وتكثر به التعاريج وتتخلله بعض الخلجان كخليج البمبة وخليج عين الغزالة، وكذلك الأودية التي تصب في البحر، وتظهر في بعض أجزائه الشواطئ والكثبان الرملية[11].

وتُعد الأراضي السهلية المنبسطة من أفضل الأراضي لمد الطرق؛ لقلة التكلفة عكس المناطق الجبلية والوعرة التي تكون بها تكلفة الطريق باهظة، فالتضاريس تحدد مسار الطرق المعبدة وكذلك الترابية حيث تكثر بها المنعطفات تجنباً للمرتفعات والهضاب، وبمنطقة الدراسة تكاد تكون الأرض مستوية فلا توجد منعطفات وإن وجدت فهي قليلة ولمسافة قريبة. وتتخللها بعض الأودية التي تجري بها المياه وقت سقوط الامطار الغزيرة في بعض الأحيان، وبناءً علية فأن التضاريس تحدد أطوال الطرق.

2 – هضبة البطنان والدفنة:

هضبة البطنان تتمثل في الجزء الممتد من خليج البمبة إلى مدينة طبرق، أما الدفنة فهي المنطقة الممتدة من مدينة طبرق إلى حدود جمهورية مصر العربية، ويصل متوسط ارتفاعها حوالي 200م، فوق مستوى سطح البحر، وتنحدر إنحداراً شديداً نحو الشمال، وتقطعها العديد من الأودية القصيرة، بينما تنحدر بشكل تدريجي ناحية الجنوب.

3 – منخفض الجغبوب:

يقع منخفض الجغبوب تحت مستوى سطح البحر بحوالي29.5 م، ويمتد من الشمال إلى الجنوب بحوالي 18كم، ومن الغرب إلى الشرق بحوالي 48.6 كم، ويرتبط المنخفض بشمال منطقة الدراسة بطريق يبلغ طولة 280كم، تقريباً. (شرف، 1996)[12].

د – المُناخ:

المناخ بتقلباته له الدور الفعال والأكيد في تطور النقل والمواصلات، وقد يكون تأثيره بطرق مباشرة أو غير مباشرة، فرداءة الطقس كهبوب الرياح الشديدة وما تسببه من تطاير وحجب للرؤية، وتراكم الكثبان الرملية خاصة المناطق الداخلية، وكذلك سقوط الأمطار بغزارة، وما يترتب عليها من ارتفاع المياه على جانبي الطريق وعرقلة النقل، كذلك المناخ بمختلف عناصره يُعد أحد الضوابط الطبيعية تأثيراً عند أنشاء طرق النقل واختيار المواد المستخدمة في الرصف.

فارتفاع أو انخفاض درجة الحرارة يؤثر سلباً على منظومة النقل، وطرق

(11) السنيني، ناجية إسماعيل2004) م)، مصادر تلوث مياه البحر في منطقة طبرق وأثرها على السياحة الشاطئية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قار يونس، كلية الآداب، قسم الجغرافيا.

(12) شرف، عبدالعزيز طريح (1996م)، جغرافيا ليبيا، ط3، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية.

الموصلات بأنواعها، والمادة المنقولة والركاب وعلى الطريق نفسه، وتتأثر درجة الحرارة بمنطقة الدراسة بعاملين أولها مدى القرب من البحر ناحية الشمال وإن كان تأثيره لا يتوغل كثيراً جنوباً، حيث تأثير العامل الثاني وهو: الصحراء، وأكثر أوقات الحرارة تأثيراً على النقل بمنطقة الدراسة عندما تكون ناتجة عن هبوب الرياح المحلية (القبلي) وما يصاحبها من ارتفاع في درجة الحرارة التي تسبب في انصهار مادة الأسفلت ويصبح الطريق ليناً تتخلله الشقوق والحفر وتهبط أجزاء منه بمجرد مرور النقل الثقيل عليه كطريق طبرق - الجغبوب، لذلك يستخدم نوع خاص من القار (القطران)، كذلك ارتفاع درجة الحرارة تسبب انفجار الاطارات نظراً لتمدد الهواء داخلها مما يؤدي إلى اختلال توازن السيارة وانقلابها. وإضافة إلى ارتفاع درجة حرارة المحركات وحدوث الأعطال والتلف، وفي تلك الظروف تكون أيضا القيادة مملة؛ مما يتجنبها المسافرون لمسافات طويلة.

أما تأثير الرياح على النقل البري فيأخذ أشكالاً عدة منها: سرعة السيارة إذا كانت السيارة تسير عكس اتجاه الرياح فتضعف من سرعتها والعكس صحيح, وكذلك ينتج عنها أتربة مثارة وقد تتحول إلى عواصف ترابية وما تثيره من الاتربة والرمال على الطرق المرصوفة فتتراكم حسب سرعة الرياح. جدول (2) والشكلين (2) و (3) خاصة في المناطق الصحراوية مثل ما هو على طريق طبرق - إجدابيا بمنطقة الدراسة، وطريق المخيلي، وطريق طبرق – امساعد، حيث تقل الرؤية في بعض الأحيان إلى أقل من 150م، ويساعدها في ذلك جفاف المنطقة، وتنشط الأتربة المثارة في الأجزاء الجنوبية من المنطقة لأن تربتها رملية مهيأة لعمل الرياح، وتتجمع الرمال الأتربة في صورة أكوام أو كثبان على جانبي ووسط الطريق وتصبح إزالتها مكلفة، ولأن تراكم الأتربة وأكوام الرمال أغلبها يكون خلال ساعات قليلة وأثناء الليل فيفاجأ بها السائقون صورة (1) فتؤدي في بعض الأحيان إلى وقوع حوادث أليمة تُفقد فيها الأرواح حيث يتأخر إسعافهم؛ لبعد مواقع الحوادث عن أقرب عيادة أو مستشفى أو نقطة إسعاف، ناهيك عن الخسائر الاقتصادية الباهظة كما تهب الرياح المحلية وهي من أقوى الرياح تأثيراً على التربة؛ لما تثيره من الغبار (العجاج) الذي يصل حتى الطرق داخل المدن، صورة (2) فتقلل من مجال الرؤية ويزاد تكرار هبوبها في أواخر الخريف وأوائل الصيف متزامنة مع الانخفاضات الصحراوية.

جدول (2) متوسط سرعة الرياح (عقدة / ساعة)
بمحطتي طبرق والجغبوب (1970 – 2010م)

المحطة	البيان	أشهر السنة												المجموع السنوي
		1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	
طبرق	سرعة الرياح	9.3	10.2	9.8	9.7	8.7	8.9	10.6	10.4	8.6	7.3	8.5	9.5	9.3
	العواصف	57	53	89	63	44	37	14	16	20	44	45	67	45.8
الجغبوب	سرعة الرياح	7.2	7.7	4.9	10.3	10.5	10.6	9.5	8.7	9.0	7.9	6.8	6.9	14.1
	العواصف	85	125	147	167	109	49	63	39	57	39	36	59	81.1

المصدر: المركز الوطني للأرصاد الجوية، إدارة المناخ، طرابلس

شكل (1) سرعة الرياح والأتربة المثارة في الأجزاء الشمالية
من إقليم البطنان (محطة طبرق)

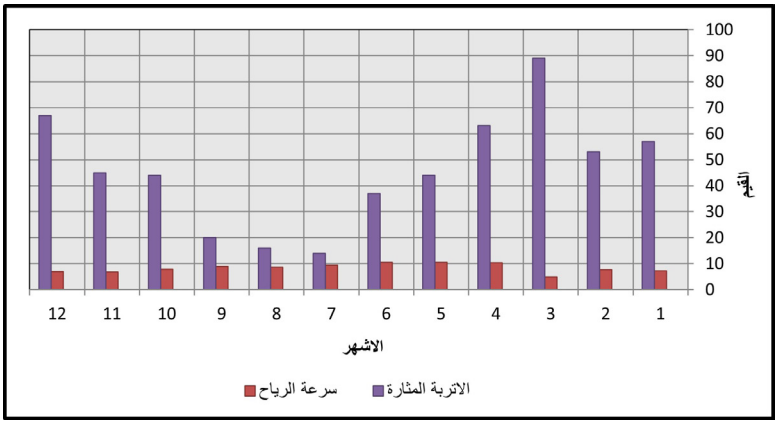

المصدر: عمل الباحث استناداً لبيانات الجدول (2)

شكل (1) سرعة الرياح والأتربة المثارة في الأجزاء الجنوبية
من إقليم البطنان (محطة الجغبوب)

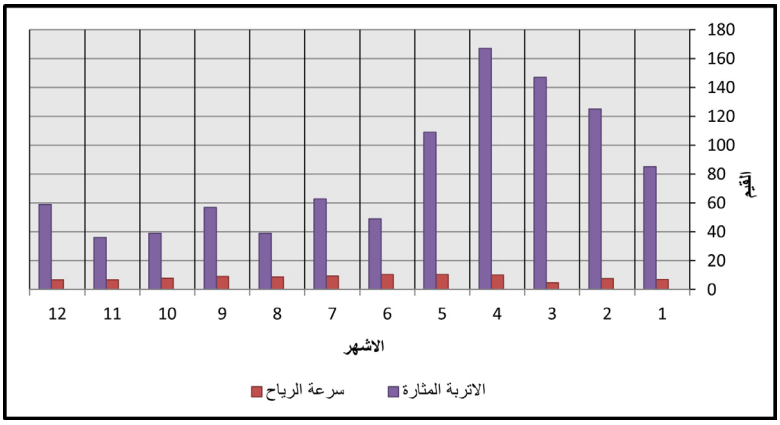

المصدر: عمل الباحث استناداً لبيانات الجدول (2)

صورة (1) تراكم الأتربة والرمال على طريق التميمي المخيلي غربي بمنطقة الدراسة

المصدر: إدارة المرور والتراخيص بمنطقة الدراسة

صورة (2) تأثير العواصف الترابية على حركة النقل بمنطقة الدراسة

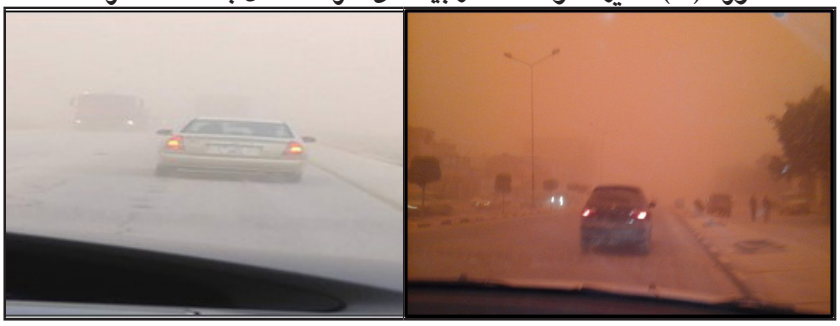

المصدر: تصوير الباحث، ستة2018 م.

أما أمطار المنطقة فهي شتوية تبدأ من شهر أكتوبر حتى شهر أبريل بفعل الرياح الشمالية؛ لتزايد نشاط المنخفضات الجوية مع بداية الخريف، ثم تتراجع تدريجياً في الربيع حتى تنعدم في الصيف، جدول (3) ونتيجة لموقع منطقة الدراسة في منطقة ظل الجبل الأخضر نجد معظم الأمطار تستحوذ عليها المنطقة الجبلية ولا يصل منها إلا القليل، إضافة إلى أن الساحل الممتد من خليج البمبة إلي مدينة امساعد باتجاه غربي شرقي بشكل متوازٍ وعدم وجود أي عرقلة للرياح العكسية الممطرة فتقل فرصة سقوط الأمطار[13].

(13). أمحمد عياد مقيلي (المناخ) في كتاب (الجماهيرية دراسة في الجغرافية)، تحرير: الهادي بولقمة، سعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، سرت، 1995م ص 147 ، 148.

جدول(3) المتوسط الشهري والمجموع السنوي لكمية الأمطار
بمحطتي طبرق والجغبوب (1970 – 2010م)

المحطة	أشهر السنة												المجموع السنوي
	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	
طبرق	45.1	32.2	13.2	3.9	6.3	0.0	0.0	0.0	1.8	13.7	19.7	39.8	180.7
الجغبوب	3.5	3.4	3.5	1.0	0.4	0.0	0.0	0.0	0.1	1.3	0.3	1.1	14.6

المصدر: المركز الوطني للأرصاد الجوية، إدارة المناخ، طرابلس.

تحظى منطقة الدراسة بشبكة طرق واسعة تربط منطقة الدراسة التي تمثل شريان الاتصال بين المراكز العمرانية، وهذه الطرق منها: ترابية غير المعبدة، وأخرى معبدة، ولعل من أكثر المشاكل التي يواجها سائقو السيارات هي تعرض منطقة الدراسة لحدوث أمطار فجائية غزيرة والتي قد تسقط في فترة محدودة من ساعات اليوم في بعض الأحيان، وقد تكون مصحوبة بالعواصف الرعدية خاصة في الأجزاء الشمالية مُشكلةً سيولاً جارفة ببعض أجزاء المنطقة داخل المدن أو خارجها، فتسبب تعطيل في حركة النقل على الطرق المرصوفة، لاسيما التي تنحدر بشدة قاطعة الطرق التي تتعامد مع مجاري بعض الأودية، مما يؤدي إلى جرفها وتدميرها وانسدادها وتجمع الرواسب والحجارة بها، أما الطرق الترابية فتتحول إلى غرين يصعب اختراقه وتصبح غير صالحة للعبور، وتتعرض جوانب الطرق الموازية لمجرى السيل لتدمير أجزاء منها، وكذلك تتعرض بعض شوارع المدن لتجمع كميات كبيرة من مياه الأمطار تعيق الحركة؛ نظراً لضعف البنية التحتية وعدم وجود مجاري واسعة لتصريف مياه الأمطار، ويلاحظ ذلك في بعض الطرق الرئيسة والفرعية وداخل المدن بمنطقة الدراسة صورة (3).

صورة (3) سيول نتيجة الأمطار الغزيرة بمنطقة الدراسة

المصدر : تصوير الباحث 2016م.

ويعد فصل الخريف أكثر الفصول التي تسجل فيه أكبر عدد من الحوادث جدول (4)؛ نظراً لسقوط الأمطار ولأول مرة بعد موسم الجفاف الطويل لازالت الطرق مغطاة بطبقة من الزيوت والشحوم مما يؤدي إلى انزلاق السيارات وما

تسببه من حوادث وإزهاق للأرواح، أيضاً من الأخطار الناتجة عن تجمع مياه الأمطار على الطرق انجراف السيارات بواسطة السيول وخاصة المفاجئ منها، كما حدث عام 2009م، حيث جرفت السيول عدداً من السيارات في وادي عين الغزالة شرقي منطقة الدراسة فقد راح ضحيتها ثلاثة أشخاص.

جدول (4) المعدل الفصلي لكمية المطر وعدد حوادث السيارات بمنطقة الدراسة

الفصول	معدل كمية المطر (ملم)	عدد حوادث السيارات
الشتاء	126.1	197.8
الربيع	23.4	177.9
الصيف	0.0	167.5
الخريف	35.2	203

المصدر: عمل الباحث اعتمادًا على جدول (4)، وإدارة المرور بمنطقة الدراسة.

أما الضباب وهو: عبارة قطرات مائية عالية في الهواء، ويحدث نتيجة تكاثف بخار الماء قرب سطح الأرض، ويساعد على تكونه الغبار والدخان والشوائب المختلفة العلقة في الجو حيث يتجمع عليها البخار، وتقلّل من الوضوح إلى أقل من 1 كم، بل أحياناً تصل إلى أمتار خاصة في ساعات الصباح الأولى من اليوم قبيل ارتفاع الشمس في السماء قليلاً فيتعطل النقل لفترة قبل استأنفه مرة اخرى.

ه_ نوع التربة:

أغلب تربة إقليم البطنان جافة وشبة الجافة وملحية، وهى ناتجة عن إرساب الرياح أو ترسبت بفعل السيول، وتتميز بأنها قابلة للتعرية وتطاير الأتربة عند هبوب الرياح الشديدة وتكوُّن الكثبان الرملية خاصة في المناطق الصحراوية وما تسببه من تدني الرؤية وتراكم الغبار على الطرق، وعند انشا الطرق تحتاج التربة الرملية والمفككة إلى إزالتها وإضافة تربة طينية، والطبع يرفع ذلك التكلفة في هذا النوع من الترب حتى تصبح متماسكة وتقاوم الضغط.

و_ الغطاء النباتي:

تأثير هذا العامل في النقل البري ووسائله بمنطقة الدراسة بصفة عامة محدود، ويرتبط الغطاء النباتي بالعوامل المناخية ومواسم سقوطها، والأنواع النباتية المنتشرة بالإقليم، منها ما هو طبيعي ومنها ما هو زراعة سكان الاقليم، ويمكن تصنيف هذه النباتات إلى الأشجار والشجيرات والأعشاب، فالأشجار أغلبها مزروعة مثل الزيتون والتين والحمضيات والصنوبر، ومثل هذه الاشجار تقف عائقاً أمام مد الطرق عندما تخترق أراضي تغلب عليها الصبغة الزراعية.

بينما تنمو النباتات الشجيرية منفردة، أو في تجمعات وهي أقل حجماً من الأشجار: وتسمى في النطاق شبه الجاف بالاستبس، حيث يستمر الجفاف أحياناً فترات متواصلة، ومنها: شجيرة العوسج والمثنان، والشبرق والزهيرة، وهذه

النباتات لا تشكل عائقاً في شق الطرق، أما الأعشاب بمنطقة الدراسة منها ماهي فصلية، تظهر خلال موسم المطر، وتكثر في أجزاء كثيرة متفرقة بالمنطقة، خاصة بمناطق تجمع المياه، كمجاري الأودية، وتختفي في الفصل الجاف، من اهمها: الشوفان والديس والقزاح والعنصل والحارة وغيرها.

د – الحيوانات:

يمكن حصر التأثير السلبي للحيوانات على النقل في إقليم البطنان في الإبل بالدرجة الأولى ثم الأغنام، فالإبل اليوم قل استعمالها في التنقل أو تكاد تنعدم لهذا الغرض بمنطقة الدراسة؛ لتوافر وسائل نقل سريعة، والإبل في منطقة الدراسة غالباً ما تكون في حالة حرة دون راعٍ يقوم على رعايتها فتتجول في أغلب أجزاء الإقليم خاصة في الجزء الأوسط والجنوبي، ونتيجة لزحف الصحراء نحو الشمال؛ نلاحظ أعدادها تتزايد، وترعى على جانبي الطريق لوجود بعض الحشائش والأشواك التي تقتات عليها خاصة على طريق التميمي – المخيلي والعزيات وصولاً للخروبة غرب منطقة الدراسة، وأيضاً طريق طبرق – إجدابيا. فتعرقل حركة النقل خوفاً من إيذائها وكثير ما تسببت في حوادث فُقدت فيها أرواح كثيرة خاصة في الليل حيث يفاجأ بها السائقون عابرة الطريق. صورة (4).

صورة (4) تواجد الإبل على الطريق أثناء الليل

المصدر: إدارة المرور والتراخيص بمنطقة الدراسة

مصادرُ البيانات:

اعتمد البحث على العديد من المراجع العلمية، إضافة إلى استخدام معطيات مناخية للعناصر الجوية للفترة الزمنية1970) – 2010م) والمتحصل عليها من نشرات المركز الوطني للأرصاد الجوية في طرابلس، ومن محطات الرصد بمنطقة الدراسة، إضافة إلى التقارير الصادرة عن إدارات المرور ومصلحة الطرق والجسور.

النتائج:

1 – التسارع في وتيرة التقنية وصناعة السيارات دون النظر لتطور الطرق وعدم مراعاة ما يناسبها لسلامة النقل.

2 – يؤثر ارتفاع درجة الحرارة على ميكانيكية السيارة وسائقها والطريق نفسه.

3- الريـاح النشـطة و التربـة المفككـة تسـاعدان في إثـارة الأتربـة والرمـال فتُحجَـب الرؤيـة في مواقـع كثـيرة عـلى طـرق الإقليـم الرئيسـة والفرعيـة.

4 - الكميـات الكبـيرة مـن الأمطـار التـي تسـقط أحيانـاً عـلى الإقليـم تسـبب في سـيولاً تعـبر بعـض أجـزاء الطريـق التـي تتعامـد مـع مجـاري الأوديـة.

5- يـكاد يكـون تأثـير الغطـاء النباتـي والضبـاب عـلى النقـل الـبري محـدوداً بالإقليـم.

المقترحات:

1- عنـد وجـود عوائـق وتقطعـات تعرقـل حركـة النقـل يجـب دراسـتها دون النظـر إلى تكلفتهـا مهمـا كان حجمهـا.

2- ضرورة الصيانـة المسـتمرة للطـرق والتطويـر الـدوري للطـرق؛ لتوفـير حركـة آمنـة بعيـدة عـن اخطـار السـيول وزحـف الرمـال.

3- إنشـاء العبُّـارات للتخلـص مـن ميـاه الأمطـار وتنظيفهـا مـن النباتـات والأحجار وصيانتها بشـكل دوري.

4- تحديـد أوزان حمـولات الشـاحنات المتحركـة عـلى الطـرق الطويلـة لمـا تسـببه ارتفاعهـا مـن دمـار وهبـوط الأسـفلت.

5 - إنشاء طرق مزدوجة لتخفيف الضغط عنها والتقليل من حوادث السير.

المراجع

أولاً الكتب:

1 – الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات (1999م)، الكتيب الإحصائي، (1995 – 1996م).

2 – أمحمد عياد مقيلي1995) م)، (المناخ) في كتاب (الجماهيرية دراسة في الجغرافية)، تحرير: الهادي بولقمة، سعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، سرت.

3 – عبدالعزيز طريح شرف (1996م)، جغرافيا ليبيا، ط3، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية

4 – فتحي أحمد الهرام1995) م)، (التضاريس والجيومورفولوجيا)، في كتاب (الجماهيرية دراسة في الجغرافية)، تحرير: الهادي بولقمة وسعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سرت.

ثانياً الرسائل العلمية:

1 – خديجة عبدالسلام الغيطة (2007م)، حركة النقل على شبكة النقل لمدينة بني وليد ومجاوراتها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم، قسم الجغرافيا، جامعة المرقب، ترهونة.

2 – عبد العاطي صالح عبدالعاطي (2007)، تأثير المُناخ في حوادث المرور في إقليم البطنان، دراسة في المناخ التطبيقي، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

3 – فتح الله خطاب احميدة2010) م)، التحليل الجيومورفومتري لحوض وادي العين بهضبة الدفنة بإقليم البطنان دراسة جيورموفولوجية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، كلية الآداب، قسم الجغرافيا.

4 – فوزية عمار عبدالله بلق 2005)م)، حوادث المرور بشعبية النقاط الخمس وآثارها الاقتصادية و الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من أبريل، كلية الآداب، الزاوية.

5 – مفتاح محمد خليفة على (2005م)، تطرفات الطقس ومؤثراتها على حوادث المرور بمنطقة قصر بن غشير رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم.

6 – محمود محمد سليمان (2010م)، "أثر المُناخ على الزراعة" في اقليم البطنان، رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

7 – ناجية إسماعيل السنيني (2004م) مصادر تلوث مياه البحر في منطقة طبرق وأثرها على السياحة الشاطئية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قار يونس، كلية الآداب، قسم الجغرافيا.

الكثبان الرملية في منطقة المرصص شمال شرق ليبيا
دراسة في الجيومورفولوجية التطبيقية

إعداد :
د. علاء جابر فتح الله الضراط
قسم الجغرافيا– كلية التربية/ جامعة طبرق

الاستلام : 19/ 9/ 2022 القبول : 25/ 10/ 2022

المستخلص:

تقع منطقة المرصص شمال شرق ليبيا على ساحل البحر المتوسط، وتعد الكثبان الرملية الساحلية أحد الأشكال الجيومورفولوجية الرئيسة والبارزة بها، وبلغت مساحتها 2.270كم2، وتبين من خلال التحليل الحبيبي للرمال سيادة نسبة فئة الرمال الناعمة والمتوسطة في معظم العينات حيث بلغت 84.58% من إجمالي العينات، وتبين من دراسة معامل الالتواء لعينات الرمال أن نسبة التواء سالب وسالب جداً قد بلغت 73.4 %، ويشير ذلك إلى مصدر الكثبان الرملية هو رواسب الشواطئ. وأوضحت قيم معامل التفلطح والبالغ متوسطها في العينات 4.40 التي تشير إلى فئة تفلطح شديد التدبب وهي تدل على تركز حجم حبيبات الرمال في حجم واحد. أوضحت نتائج دراسة التحليل المجهري تركز درجات الاستدارة في فئات جيد الاستدارة والمستديرة وشبه المستديرة في إجمالي العينات وقد بلغت نسبتها 66 %، و بدراسة الكروية تبين أن نسبة عينات الرمال مرتفعة الكروية قد بلغت 73.2 % من إجمالي العينات. وتشير النسب المرتفعة من درجات الاستدارة والكروية إلى أن رمال منطقة المرصص قد وصلت إلى مرحلة النضج. كما أوضحت نتائج الفحص الكيميائي لعينات الرمال أن السيليكا وكربونات الكالسيوم وكربونات الماغنسيوم هي العناصر الغالبة وشكل متوسط هذه العناصر 89.26 % من العينات، ويشير ارتفاع عنصر كربونات الكالسيوم إلى أن مصدر الرمال بحري.أما عن نشأة الكثبان الرملية بمنطقة الدراسة تشير معظم الأدلة التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة إلى أنها ترجع من حيث النشأة إلى مصدر واحد ألا وهو رواسب شواطئ البحر الحالي والسابق، وتكونت خلال الذبذبات التي تعرضت لها الشواطئ خلال فترة الهولوسين الأخيرة. وهو افتراض مع التحفظ، لأن ذلك يحتاج إلى تأريخ كربوني وكذلك المزيد من الدراسات التي تؤكد ذلك والتي لم يتسع مجال الدراسة الحالية إلى القيام به.

Abstract:

Sand Dunes in the Al–Mrasas Region, Northeastern Libya
A study in Applied Geomorphology

Al–Mrasas region is located in northeastern Libya on the coast of the Mediterranean Sea. The coastal sand dunes are one of the main and prominent geomorphological forms in the study area. The area of the sand dunes was 2,270 km2, and it was found through the study of the granular analysis of the sand that the proportion of the fine and medium sand category prevailed in most of the samples, which amounted to 84.58% of the total samples. The study of the torsion coefficient of sand samples revealed that the ratio of negative and very negative torsion reached 73.4%, and this indicates the source of the sand dunes is the beach sediments. The values of the flatness coefficient, which averaged in the samples were 4.4Ø, which refers to the highly tapered flatness category, and it indicates the concentration of sand grains in one volume.

The results of the microscopic analysis study showed the concentration of roundness degrees in the well–rounded, round and semi–round categories in the total samples, which amounted to 66%. It was found from the spherical study that the proportion of sand samples with high sphericality reached 73.2% of the total samples.

The high percentages of roundness and sphericity indicate that the sands of the Mrasas area have reached the stage of maturity. The results of the chemical examination of sand samples also showed that silica, calcium carbonate and magnesium carbonate are the predominant elements, and the average of these elements constituted 89.26% of the samples. The high calcium carbonate element indicates that the source of the sand is marine.

As for the emergence of sand dunes in the study area, most of the evidence obtained through this study indicates that it is due in terms of origin to one source, which is the sediments of the current and former sea shores. It was formed during the vibrations that the beaches were exposed to during the last Holocene period. It is an assumption with reservation, because this needs carbon dating as well as more studies that confirm this, which the field of the current study has not been able to do.

المقدمة :

تأخذ الكثبان الرملية أشكال وأحجام مختلفة، ونجد إن بعض الاختلاف في أراء العلماء والباحثين في وضع تعريف محدد وشامل يمكنه إن يجسد المعنى الحقيقي للكثبان الرملية، إلا إن هذا الاختلاف ليس كبيراً لأن الحقيقة العلمية للكثبان هي أنها تمثل شكلاً من إشكال سطح الأرض التي تتكون من رواسب مفككة كونتها العمليات الجيومورفولوجية المختلفة من تجوية وتعرية ونحت صخور القشرة الأرضية ليأتي بعدها دور العامل الجيومورفولوجي الأكثر أهمية في تكوين الكثبان الرملية والمتمثل بعامل الرياح والذي يسهم في نقل نواتج المفتتات الصخرية ومن ثم ترسيبها في مناطق أخرى قد تكون قريبة أو بعيدة عن مصدر تكوينها اعتماداً على عاملين، الأول: هو انخفاض سرعة الرياح التي تؤدي إلى ضعف قدرتها على حمل الحبيبات الرسوبية فتسقط إلى الأرض، والعامل الثاني هو وجود العوائق أو العوارض التي تعترض اتجاه الرياح مؤدية إلى استنزاف طاقتها فترسب حمولتها على هيئة رواسب وتجمعات والتي تشكل مع توالي الإرساب أشكالا مختلفة من الكثبان الرملية وبمساحات وارتفاعات مختلفة. وتأخذ أشكال متعددة على طول السهل الساحلي بمنطقة الدراسة وتعمل بالتوازي مع الخط الساحلي مباشرة من الشاطئ في معظم الحالات، وتعد الكثبان الرملية مهمة في حماية الأرض من موجات العواصف البحرية أثناء المد.

ويمكن مما سبق إن نعرف الكثبان الرملية بأنها ظاهرة طبيعية رسوبية تكونت بفعل تجمع الرواسب المختلفة الناتجة من عمليات التجوية والتعرية المختلفة لصخور القشرة الأرضية والمنقولة بواسطة العوامل الجيومورفولوجية وأهمها الرياح وترسيبها على هيئة إشكال وإحجام ومساحات مختلفة.

مشكلة الدراسة:

يمكن تحديد مشكلة الدراسة من خلال الأسئلة التالية:

- ما هي الأسباب التي أدت إلى تكوين الكثبان الرملية في منطقة المرصص؟
- لماذا تركزت بهذه المنطقة دون غيرها؟
- ما هو مصدرها وطبيعة حركتها وأشكالها؟

أهداف الدراسة:

ويمكن إيجاز الأهداف في النقاط التالية:

- إجراء تحليل كمي وصفي دقيق للكثبان الرملية الساحلية من حيث الحجم، التصنيف، الشكل.
- دراسة الملامح الدقيقة لحبيبات الرمال للتعرف على بيئات الترسيب المختلفة التي مرت بها والعمليات الجيومورفولوجية التي أثرت فيها.
- تحديد مصدر الكثبان الرملية وأسباب تركزها بهذه المنطقة.

أسباب اختيار الموضوع:

تمثل الكثبان الرملية المظهر الجيومورفولوجي السائد بمنطقة المرصص،

وقد حظي الساحل الليبي ببعض الدراسات الجيولوجية والجيومورفولوجية، وتعد الدراسات الخاصة بتحليل الكثبان الرملية الساحلية قليلة على الرغم من أهميتها، وتفتقر منطقة الدراسة إلى وجود دراسات جيومورفولوجية تفصيلية عن الكثبان الرملية، ومن هنا جاء التفكير بدراسة الأشكال الرملية ومحاولة تفسير نشأتها ومراحل تطورها بمنطقة المرصص.

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المناهج التالية:

- المنهج الموضوعي والذي من خلاله سوف يتم تحديد مصدر الكثبان الرملية ومنشأها، وأشكالها وطبيعة حركتها. ودراسة العلاقات المتبادلة بين عوامل التكوين لإعطاء صورة متكاملة عن الأشكال الرملية والآثار البيئية الناتجة عنها.
- الأسلوب الكمي وذلك لتحليل البيانات الميدانية عن الكثبان الرملية وتمثيلها بيانياً.

الدراسات السابقة:

وقد كانت الكثبان الرملية محل اهتمام كثير من الباحثين، أجريت عنها دراسات عدة، على المستوي المحلي والإقليمي بصفة عامة ومن هذه الدراسات على المستوى المحلي:

- Industrial Research Centre, (1974), Darnah sheet, Explanatory Booklet, Tripoli, Jamahiriya, Libya.
- قامت بهذه الدراسة المؤسسة الوطنية التشيكوسلوفاكية - جيواند ستريا بإشراف مركز البحوث الصناعية طرابلس - ليبيا وملخصها دراسة المساحة الممتدة من طبرق إلى درنة شمال خط العرض 32شمالاً، وخطي طول 30: -22 24شرقا، وشملت الدراسة التكوينات الجيولوجية التي تتكون منها المنطقة، وإعداد خريطة جيولوجية 1:250000 لهذه المنطقة والتي تعد منطقة الدراسة الحالية جزء منها.
- S.P.L.A.J, ZAWIYAT ALMURASSAS NO, 4089, scale, 1: 50000, Prepared by the Army Map service (AM) Corps of engineers, U.S. Army. By photogrammetric methods in 1964. Updated by Pacific Aero survey Co. Ltd from land sat images taken in 1977 st scale 1:250000, under the supervision of the S.D.L. for the secretariat of Municipalities.

تناولت الخريطة الطبوغرافية لمنطقة المرصص أسماء أهم الظاهرات الطبيعية في المنطقة وحدد مناطق الكثبان الرملية محل الدراسة.

- دراسة الضراط، علاء جابر فتح الله(2004)، التصحر في منطقة البطنان، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة. وتناولت هذه الدراسة العوامل المؤدية إلى التصحر والأشكال الناتجة عنها وطرق معالجة

التصحر، ووردت منطقة المرصص بشكل عام بهذه الدراسة ولم يتم تناول الكثبان الرملية بشكل جيومورفولوجي أكثر دقة؛ مما استوجب الدراسة الحالية لإعطاء صورة أدق عنها وطبيعة وحركتها وأشكالها.

- دراسة عنيبه، عمر أمحمد على(2007)، جيومورفولوجية ساحل مصراتة فيما بين رأس الهنشير ورأس كاره، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة السابع من أكتوبر، مصراتة.

وتناولت أشكال الساحل، والعوامل الجيومورفولوجية المؤثرة به، والكثبان الرملية وأشكالها بمنطقة مصراتة.

- دراسة السبيعي، سليمان يحيى وآخر(2018) جيومورفولوجيا التموجات الرملية في حوض وادي تلال، كلية الآداب، جامعة سرت، مجلة أبحاث، العدد 11، مارس 2018.

تناولت الدراسة الخصائص المورفولوجية للرمال بالحوض وربطها بعوامل النشأة والتطور، وتقع منطقة الدراسة في المنطقة الوسطى من الدولة الليبية.

- دراسة الضراط، علاء جابر فتح الله (2019) هضبة البطنان شمال شرق ليبيا دراسة جيومورفولوجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافية ونظم المعلومات الجغرافية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.

وتناولت هذه الدراسة الخصائص الجيومورفولوجية لهضبة البطنان وخلصت لإنتاج خريطة جيومورفولوجية للهضبة، تتضمن أهم الظاهرات الجيومورفولوجية بما فيها الكثبان الرملية بصورة عامه لمنطقة الدراسة.

دراسة الجيلاني، الصيد صالح الصادق(2020) الأشكال الرملية على ساحل هضبة الدفنة تحليل جيومورفولوجي، كلية الآداب للبنات، جامعة عين شمس، مجلة البحث العلمي في الآداب، الجزء الثاني، الشتاء عدد 21 .

وتناولت الدراسة ظاهرة الأشكال الرملية على ساحل هضبة الدفنة فيما بين واديي الحريقة والمانستير الغربي شمال شرق ليبيا تحليل جيومورفولوجي، بهدف التعرف على أنواعها وخصائصها المورفومترية وتوزيعها الجغرافي وكثافتها وحركتها وأصل نشأتها.

دراسات على المستوى الإقليمي:

دراسات تناولت الكثبان الرملية ومنها دراسات :

(عاشور 1993) و (Embabi,1995,2000) و Ahmed Farouk Kamel,1996))
وصابر أمين دسوقي 1988،1992،2000،2001) و (حسن على حسن يوسف،2001)
و (محمد محمد صابر البنا،1999) و (عادل عبد المنعم السعدنى، 2002) ودراسة عزة عبد الله (2005) عن جيومورفولوجية النباك في منخفضات الواحات البحرية، ودراسة عبير علي فرغلي (2007) عن جيومورفولوجية الكثبان الرملية سيناء.

وتناولت هذه الأبحاث الخصائص الجيومورفولوجية للكثبان الرملية، وأنواعها وأحجامها وأعمارها، وسماتها المورفومترية، ومصادر الرمال ونوعيتها، وتوزيعها

الجغـرافي في عـدة مناطـق بجمهوريـة مـصر العربيـة.
دراسات تناولت التحليل الإحصائي لأحجام حبيبات الرمال، ومنها دراسات :
(أحمـد عبـد السـلام عـلى ومحمـود عاشـور، 2000) و(أحمـد سـالم صالـح، 1994) و (أحمـد عبـد السـلام، 1999) و (حسـن سـيد أحمـد أبـو العنـين، 1973) و(محمـد صـبري محسـوب، 1984، 1988).
الأجهزة والأدوات المستخدمة في العمل الميداني:
اسـتعان الباحـث ببعـض الأجهـزة في إجـراء الدراسـة الميدانيـة، وجمـع البيانـات مـن الحقـل، ومـن هـذه الأجهـزة:
- جهاز النظام العالمي لتحديد المواقع G.P.S.
- جهاز لقياس الانحدار. Abney-Level
- شريط لقياس الأطوال 50م.
- أكيـاس بلاسـتيكية - لأخـذ عينـات مـن الرواسـب، مكتـوب عليهـا جميـع البيانات الخاصـة بعمليـة جمـع العينـات، منهـا رقـم العينـة والموقـع والتاريخ.
- كاميرا ديجيتل لتوثيق أهم الظاهرات بمنطقة الدراسة.
- بعض جوانب العمل الميداني، التي يمكن إيجازها فيما يأتي :
1 - قياس أبعاد الكثبان الرملية والنباك.
2 - قيـاس زوايـا الانحـدار عـلى طـول الجانـب المواجـه للريـاح والجانـب المظاهـر لهـا (منـصرف الريـاح)، عـلى مسـافات متقاربـة فـوق سـطح الكثيـب.
3 - جمـع عينـات مـن الرواسـب السـطحية، وتكـون العينـات مـن الجانـب المواجـه للريـاح، وعينـات مـن الجانـب المظاهـر لهـا، وعينـات مـن القمـة والوسـط والقاعـدة مـن الكثيـب، ولجمـع العينـات اسـتخدم الباحـث مجرفـة صغـيرة تمكنـه مـن الوصـول للرمـال حتـى عمـق حـوالي 10 سـم مـن سـطح الرمـال.
- الفحص المعملي للعينات:
أخـذت خمسـة عـشرة عينـة مـن أجـزاء الكثبـان الرمليـة مـن عـدة مواقـع شـملت الوجـه الحـر للكثيـب ومـن الجهـة المواجـه للريـاح، وكذلـك جهـة منـصرف الريـاح، والقمـة والوسـط والقاعـدة، وقـد تـم تجهيـز العينـات وغسـلها بالأحمـاض والمـاء ثـم تجفيفهـا بالفـرن الكهربائـي عنـد °120، ثـم خلـط العينـات جيـداً بواقـع 500جـرام للعينـة الواحـدة تحـت أشراف الباحـث بوحـدة المعامـل والمختـبرات بمكتـب الجسـور للأعمـال الهندسـية طـبرق، لاسـتخراج التـدرج الحجمـي لحبيبـات الرمـل بواسـطة عمليـة النخـل الجـاف، بينمـا الدراسـة المجهريـة لحبيبـات الرمـل لتحديـد الشـكل مـن حيـث الاسـتدارة والكرويـة، أجريـت بمعمـل الأحيـاء بكليـة التربيـة جامعـة طـبرق تحـت أشراف الباحـث.
أشتمل التحليل المعملي للرواسب على العمليات الآتية:
تحليل أحجام الرواسب تحليلاً جافاً باستخدام المناخل الجافة.
التحليـل الشـكلي لعينـات مـن الرواسـب المختـارة (0.5 - 1.0ملـم) باسـتخدام

المجهـــر الإلكترونـــي.

تـم اختيـار 5 عينـات مـن الكثبـان الرمليـة مـن مواضـع مختلفـة لإجـراء الفحـص الكيميائـي بمعمـل كليـة العلـوم جامعـة عـين شـمس القاهـرة لتحديـد مصـدر الرمـال وأهميتها.

منطقة الدراسة:

تقـــع منطقـــة المرصـــص شـــمال شرق الدولـــة الليبيـــة عـــلى ســـاحل البحـــر المتوســـط، وتمتـد مـن وادي القطـارة شرقـاً حتـى وادي بوالحمـام غربـاً، مـن سـاحل البحـر المتوسـط شـمالاً حتـى حافـة الهضبـة الأولى (شـرق يوسـف) جنوبـاً، أي بـين خطـي طـول 23= : 38 : 23 ، 56= :40 : 23 شرقـاً، ودائرتـي عـرض 52 =: 10 : 32 ، 20=: 10 : 32 شـمالاً. ويمتـد حقـل الكثبـان الرمليـة مـن الـشرق إلى الغـرب لمسـافة 3.560كـم، ومـن الشـمال إلى الجنـوب مسـافة 0.920 كـم، وبذلـك تكـون مسـاحة الحقـل 2.270كـم [1] والشـكل رقـم (1) يوضـح منطقـة الدراسـة.

يوضح الشكل رقم (1) حقل الكثبان الرملية الساحلية منطقة المرصص

محتويات البحث:

الكثبان الرملية وأسباب تكوينها بمنطقة المرصص:

تتشـــكل ســـواحل الكثبـــان الرمليـــة حينمـــا تتجمـــع الإرســـابات الهوائيـــة عـــلى الســـواحل مبـاشرة، ويتوقـف حجـم وشـكل هـذه الكثبـان وإمكانيـة تكونهـا عـلى عـدة عوامـل أهمهـا طبيعـة التركيـب الصخـري للمنطقـة ومدى توافـر الرمـال وقـدرة الرياح

(1) المرئية الفضائية Land sat 8 / 8 / 2019م.

على نقل حبيباتها واتجاه وسرعة الرياح السائدة في المنطقة وعلاقة اتجاه الرياح بتوجيه خط الساحل، كما تلعب الرطوبة الجوية دوراً في تكوين الكثبان الرملية حيث تؤدى زيادة الرطوبة الجوية إلى تماسك حبيبات الرمال وبالتالي تعمل على تماسكها وقدرتها على مقاومة الرياح، وطبيعة حبيبات الرمال من حيث الحجم، فالرمال الدقيقة الحبيبات من السهل نقلها وكذلك يسهل نقل حبيبات الرمل الأكثر استدارة. كما تلعب درجة انحدار المنطقة الساحلية ومدى تضرسها ووجود العوائق التضاريسية التي تعمل على إرساب الرياح لحمولتها من الرمال. وهناك العديد من المحاولات لتصنيف الكثبان الساحلية، وأهم هذه المحاولات: تصنيف (Van Dieren,1934)، وتصنيف (Briquet,1923)، وتصنيف (Schou,1945) وتصنيف (Steers,1964)، وتصنيف (Guilcher,1928) ،(Cooper,1928)، واعتمدت كل هذه التصنيفات على الدراسات التي أجريت في أماكن محددة من سواحل العالم، كما يوجد تصنيف (Smith,1928) الذي أعتمد على عدد من المناطق الساحلية[2] ولذلك اتصف بالشمولية، حيث قسم الكثبان الساحلية إلى:

1. سواحل الكثبان الرملية الحديثة .

أ. الكثبان الأولية Primary Dunes :

ويتشكل هذا النمط من الكثبان بواسطة الرمال المنقولة من الشاطئ ثم تتراكم على خط الساحل، وينقسم هذا النمط إلى شكلين وهما :-

الكثبان الأولية الحرة مثل الكثبان العرضية والمنحرفة:

وغالبا ما تتعامد هذه الكثبان على اتجاه الرياح السائدة في مناطق تشكيلها وتوجد بمنطقة الدراسة موازية لخط الساحل في صورة كثبان رملية تأخذ أشكالاً متعددة .

الكثبان الرملية المقيدة:

ويرتبط تشكيلها بالنباتات وتظهر عادة خلف الشاطئ ومن أشكالها كثبان الجبهات، وتجمعات الكثبان الرملية، كما هو الحال في بعض الكثبان بمنطقة المرصص حيث يمتد الكثيب بشكل غير منتظم نتيجة لوجود عوائق نباتية تعمل على ترسيب حمولة الرياح من الرمال حولها.وهى تظهر بمحاذاة الساحل، وتعد في كثير من المواضع امتدادا للشاطئ الرملي وأحد مصادرها الهامة حيث تنقل بواسطة الرياح وترسبها إذا قابلها عائق تضاريسي أو نباتي[3]، وتعتبر الكثبان الرملية العرضية هي الغالبة في منطقة الدراسة. وتؤثر التضاريس بشكل مباشر في تكوين الكثبان الرملية حيث تؤثر على اتجاه الرياح، حيث توجد علاقة مباشرة بين اتجاه الرياح والتضاريس والرمال المنقولة وعمليات تراكم

(2) سليم، محمد صبري محسوب (1986) جيومورفولوجيا السواحل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 253.

(3) Gheteu, D. (2012): MARINE SAND-DUNES: CHALLENGES AND SOLUTIONS IN THEIR CONSERVATION MANAGEMENT, Scientific Annals of the "Alexandru Ioan Cuza" University of Iasi, Animal Biology, Volume LVIII,p.218.

الرمال[4]. كما يساعد اتساع الشاطئ الرملي على بناء كثبان رملية عرضية كما هو الحال في شرق منطقة الدراسة قرب وادي القطارة. كما أن الاختلاف الطفيف بين المناطق المرتفعة والمناطق المنخفضة قد يساعد على تكوين كثبان رملية في المناطق المرتفعة بينما تقل في المناطق المنخفضة خاصة بالمناطق التي تنتشر بها السبخات ومخارج الأودية (القطارة والسوينات وبوالحمام) التي تتميز بالرطوبة في منطقة الدراسة. كما يلعب النبات الطبيعي دوراً مؤثراً في تكون الكثبان الرملية حيث يعمل كعائق لحركة الرمال حيث تنتشر العديد من الكثبان الرملية التي تتوسطها النباتات الطبيعية بالمنطقة ويوضح الشكل رقم (2) الكثبان الرملية في منطقة المرصص. حيث تبدأ عملية تكون الكثبان الرملية عندما يكون هناك تغير في طبوغرافية سطح الأرض، أو تكون خالية من الغطاء النباتي أو يكون الغطاء النباتي محدودا من حيث النوع والكمية، ومن ثم يؤدي إلى عملية الإرساب. ويمر تكوّن الكثيب الرملي بالمراحل الآتية:

يوضح الشكل رقم (2) الكثبان الرملية العرضية وبعض النباك في منطقة المرصص

تصوير الباحث 13/ 6/ 2022

1 - عندما تضعف قوة الرياح، تتساقط حمولتها من الرمال متجمعة فوق بعضها وتتراكم عادة على الجانب المواجه لاتجاه الرياح، وقد يتبقى بعضها في أعالي الكثيب، ويتدحرج بعضها الآخر في اتجاه منصرف الرياح.

2 - تنحدر الرمال من أعالي الكثيب بفعل الجاذبية الأرضية تحت أقدام الجانب المظاهر لاتجاه منصرف الرياح، وتكوّن انحداراً شديداً بفعل التيارات العكسية، إذا ما قورن بدرجة انحدار السطح المواجه لاتجاه الرياح.

(4) Kamel, A.F., El-Rakaiby M.M., and El-Kassas, I.A. (1982): Photo interpretation of sand Dune Belts in North western Sinai Egypt. J. Geol. Special Issue (Part I), pp.155-174.

3 - يظهر الاختلاف واضحاً بين كل من الانحدار البسيط المواجه للرياح والانحدار الشديد المظاهر لها، إذ تتجمع الرمال، وتنحدر تدريجياً بفعل الجاذبية على الجانب الآخر، الذي يتميز بتأثره بفعل الدوامات الهوائية، (التيارات العكسية، التي تُسهم بدورها في ارتكاز بعض حبيبات الرمال فوق قمة الكثيب، وتحول دون هبوطها تحت أقدام الانحدار المظاهر لاتجاه الرياح .

خصائص رواسب الكثبان الرملية

يهدف هذا الجزء من الدراسة إلى تحليل الخصائص الحجمية والشكلية والجيوكيميائية للرواسب الرملية؛ حتى يمكن التعرف على مصادر الرمال، والعوامل التي نقلتها وعملت على تراكمها، ومن هنا فإن دراسة هذا الموضوع سوف تُقسم إلى الآتي :

أولاً: تحليل الخصائص الطبيعية للرواسب

أ- أحجام الرمال

ب- الاستدارة والتكور

ثانياً: الخصائص الجيوكيميائية

ثالثاً: نشأة الكثبان الرملية ومصدرها

أولاً: تحليل الخصائص الطبيعية

تعد دراسة الخصائص الحجمية للرمال أحد أهم جوانب دراسة الكثبان الرملية وتصنيفها المكاني بين القمة والوسط والقاعدة وجهتي الكساح والصباب، واهتم الباحثون بدراسة الخصائص الطبيعية من حيث قياسها وتصنيفها ووفق استدارتها وكرويتها، وهناك وسائل ومقاييس عدة استخدمت لقياس هذه الخصائص وتسجيلها. ويمكن استخلاص بعض النتائج الدالة على قدرة الرياح السائدة على منطقة المرصص شمال شرق ليبيا التي أدت إلى تكوين الكثبان الرملية بها، ودراسة الاختلافات المكانية لأحجام الرمال وتصنيفها، وتأتي هذه الدراسة للتأكيد أو الاختلاف في الحقائق التي أوضحتها دراسات عديدة عن خصائص الرمال في مناطق مختلفة.ولدراسة الخصائص الطبيعية لحبيبات رمال الكثبان الرملية في منطقة الدراسة أخذت خمسة عشرة عينة من مواقع متفرقة من منطقة الدراسة، ويوضح الشكل رقم (3) مواقع العينات، بحيث تكون موزعة توزيعا جغرافيا شاملا لأجزاء الكثبان المختلفة، من قمم وجوانب مواجهة للرياح، وجوانب مظاهرة للرياح، بحيث يمكن عقد مقارنة بين أحجام الرواسب المختلفة حسب مواضعها للمنطقة، وبالتالي يمكن التوصل إلى العوامل المسئولة عن الاختلاف الحجمي للرواسب في أرجاء منطقة الدراسة.

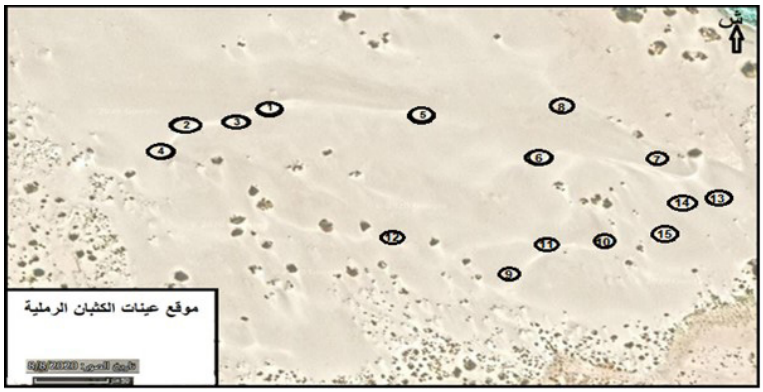

الشكل رقم (3)

الأشكال الرملية :

أ. الكثبان الرملية:

وهى ظاهرة تتشكل على السواحل وتنشأ عن تحرك الحبيبات الرملية الجافة أو الترابية غير المتماسكة وتجمعها في شكل تجمعات رملية، تعُرف بالكثبان الرملية [5] . وتنتشر الكثبان الرملية في منطقة الدراسة بأنواعها المختلفة؛ إذ تنتشر الكثبان الطولية شمال منطقة الدراسة بالقرب من الشاطئ، وتنتشر الكثبان العرضية في الجزء الأوسط والجزء الجنوبي من منطقة الدراسة، أما الكثبان الهلالية وتنتشر في أقصى جنوب شرق منطقة الدراسة، وقد اتضح من الخريطة الطبوغرافية، والدراسة الميدانية أن الأشكال السائد بمنطقة الدراسة هي الكثبان الطولية والعرضية.

ب. النباك:

وهى عبارة عن تجمعات من الرمال المتراكمة حول الحشائش والنباتات الصحراوية، ويزداد حجم هذه النباك مع نمو هذه الحشائش والنباتات، بشرط أن يكون محتواها الخضري كبيراً [6] وقد سُجلت في أثناء الدراسة الميدانية نباتات تراوح ارتفاعها ما بين 30سم إلى 120سم لكن محتواها الخضري ضئيل، لذلك فالنباك المرتبطة بهذه النباتات ضئيلة؛ لأنه كلما زادت حيوية النباتات واخضرارها زادت قدرتها على تجميع حبات الرمال وبالتالي يزيد حجمها.

والنباك من الأشكال الرملية البارزة على أسطح الغطاءات الرملية الواقعة بين الكثبان الرملية، وتتباين أبعاد النباك تبايناً كبيراً في منطقة الدراسة؛ إذ يتراوح

(5) العوضي، جاسم محمد عبد الله (1989) حركة الكثبان الهلالية في الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، العدد 127، ص 5.

(6) دسوقي، صابر أمين (1992) جيومورفولوجية الأشكال الرملية في حوض وادي الحاج والجدي في سيناء، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد 24، القاهرة، ص 255.

ارتفاعهـا بـين 30سـم إلى 240سـم. ويـتراوح العـرض بـين 70سـم إلى 320سـم، والطـول بـين 2 إلى 6 مـتر.

وقـد اتضـح مـن الدراسـة الميدانيـة سـيادة الشـكل العـرضي والقبابـي وأنهـا تمتـد مـن الشـمال الغربـي إلى الجنـوب الشرقـي، وتتسـم بعـدم تماثـل جوانبهـا مـن حيـث الانحـدار والشـكل، فالجوانـب المواجهـة للريـاح (الكسـاح) تـتراوح انحدارهـا بـين 6- 17 0. ونجـد هنـاك علاقـة مبـاشرة بـين زوايـا الانحـدار السـائدة عـلى سـطح الكسـاح وحجـم الكثيـب، أمـا الجوانـب المظاهـرة للريـاح (الصبـاب) فيـتراوح انحدارهـا بـين 19إلى 37 0 عـلى الكثبـان كبـيرة الحجـم. ويوضـح الشـكل رقـم (4) الكثبـان الرمليـة عـلى سـطح الكسـاح وقمـة الكثيـب.

الشكل رقم (4) الكثبان الرملية على قمة الكثيب وجهة الكساح في منطقة المرصص
تصوير الباحث 13/ 6/ 2022

ج. الفرشات الرملية:

وهـي عبـارة عـن رواسـب رمليـة مسـتوية إلى حـد كبـير، وتعـد هـذه الفرشـات مصـدراً أساسـياً للأشـكال الرمليـة كافـة عـن طريـق حركتهـا. ويوجـد هـذا النـوع مـن الأشـكال الرمليـة في منطقـة الدراسـة بشـكل واضـح في أراضى مـا بـين الكثبـان، ويـتراوح سـمك رواسـبها بـين 50 سـم وبضعـة أمتـار، وتنمـو عليهـا بعـض النباتـات السـاحلية عقـب سـقوط الأمطـار في فصـلى الشـتاء والربيـع، لكـن مـع حلـول الصيـف تجـف معظـم هـذه النباتـات، وينشـط بالتـالي دور الريـاح في تذريـة الرمـال. وتشـكل الفرشـات الرمليـة معظـم سـطح الهامـش الشرقـي والجنوبـي الشرقـي لسـاحل المرصـص، ويبلـغ أقـصى امتـداد لهـا مـن الشـمال إلى الجنـوب 650م، ومـن الغـرب إلى الـشرق 1950م.وتتسـم معظـم سـطوح الفرشـات الرمليـة باسـتوائها إلى حـد كبـير؛ إذ يـتراوح انحدارهـا بـين 1 – 3 o، وقـد يكـون سـطحها مموجـاً، وقـد يرتبـط بالفرشـات الرمليـة شـكل دقيـق مـن الأشـكال الرمليـة هـو التموجـات الرمليـة، والشـكل رقـم (5) يوضـح أسـطح الفرشـات الرمليـة في منطقـة المرصص،وتنقسـم التموجـات الرمليـة إلى نوعـين: يُعـرف النـوع الأول باسـم التموجـات الدقيقـة، وهـى سريعـة التكـون وسريعـة

الـزوال، أمـا النـوع الثانـي فيُعـرف باسـم التموجـات الكبـيرة، وتظهـر متتاليـة[7] وفقـاً لاتجاهـات الريـاح.

يوضح الشكل رقم (5) الفرشات الرملية والتموجات عليها
تصوير الباحث 13/ 6/ 2022

2 – الأودية الجافة :

توجـد في منطقـة الدراسـة عـدد من الأوديـة الجافـة، منهـا وادي القطارة والسـوينات بوالحمـام، وتنتـشر الرمـال في الأقسـام الدنيـا بهـذه الأوديـة، وقـد سـاعدت الأحـوال المناخيـة وسـمات السـطح عـلى جفـاف تلـك الأوديـة؛ فالأمطـار محـدودة وفصليـة، وبالتـالي لا ينتـج عنهـا جريـان مائـي إلا نـادراً، كمـا أن سـمات السـطح لا تسـمح إلا بجريـان مائـي ذو طاقـة محـدودة عـلى النحـت والتشـكيل في ظـل المنـاخ السـائد.

3 – السبخات:

وتنتـشر السـبخات قـرب الشـاطئ وكذلـك حـول مصـاب الأوديـة عـلى، وهـى عبـارة عـن مسـاحات مسـتوية السـطح إلى حـد كبـير، يقـع معظمهـا عنـد منسـوب يـتراوح بـين صفـر- مـتر فـوق مسـتوى سـطح البحـر، ويـتراوح عرضهـا بـين 543م في الجنـوب و 1500م في الشـمال وتتكـون هـذه السـبخات مـن الرواسـب الناعمـة مثـل الطـين والرمـال المشـبعة عـادة بالميـاه المالحـة، وهـى مـن السـبخات السـاحلية؛ لذلـك لا يرتفـع سـطحها كثـيراً عـن مسـتوى سـطح البحـر (لا تتجـاوز المـتر غالبـاً)، ويرجـع اسـتواء سـطوح السـبخات إلى أن مسـتوى المـاء تحـت السـطح في هـذه السـبخات قريب مـن أسـطحها؛ لأن رواسـب السـبخات عـادة مـا تكـون عاليـة النفاذيـة، ممـا يسـمح بحركـة الميـاه بيـسر داخـل مكوناتهـا، وبالتـالي وجودهـا عـلى مسـتويات متقاربـة. وتغطـى أسـطح السـبخات رواسـب بنيـة إلى رماديـة ضعيفـة التماسـك، وتتـوج معظـم أجزائهـا قـشرة ملحيـة مختلطـة بالرمـال يـتراوح سـمكها بـين 1 – 3 سـم. كمـا تنمـو عـلى أسـطح السـبخات بعـض النباتـات مثـل القطـف السـاحلي والروبيـا والديـس والرتـم السـاحلي، ويـبرز بالقـرب منهـا بعـض التـلال المتهدلـة؛ لتعرضهـا لعمليـات التفـكك والتحلـل. وفيمـا يأتـي دراسـة خصائـص الكثبـان الرمليـة بمنطقـة الدراسـة:

أحجام الرمال :

(7) دسوقي، صابر أمين (1992) مصدر سبق ذكره، ص 259.

يقصد بالتحليل الحجمي تصنيف الرمال إلى فئات وفقاً لحجم الحبيبات، وتم تمثيل نتائج التحليل بيانياً على هيئة منحنيات تراكمية صاعدة، ومن هذه المنحنيات أمكن حساب بعض المعاملات الإحصائية لكل عينة على حدة، وهي الوسيط ومتوسط الحجم، ومعامل التصنيف، الالتواء، التفلطح، وقد تم الاعتمادعلى بعض المعادلات للحصول علي القيم الإحصائية للعينات بعد تحليلها الحجمي، ومن أهمها [8] وكذلك [9] ، وقد تم استخدام برنامج Statistics 24 Com-muterIBM spss، للدقة العالية التي يوفرها، وقد أمكن وضع القيم الخاصة بكل معالجة في جدول خاص بها، وتم إعداد المدرجات التكرارية لمتوسط إجمالي العينات كما بالشكل (6) لتوزيع فئات الأحجام.

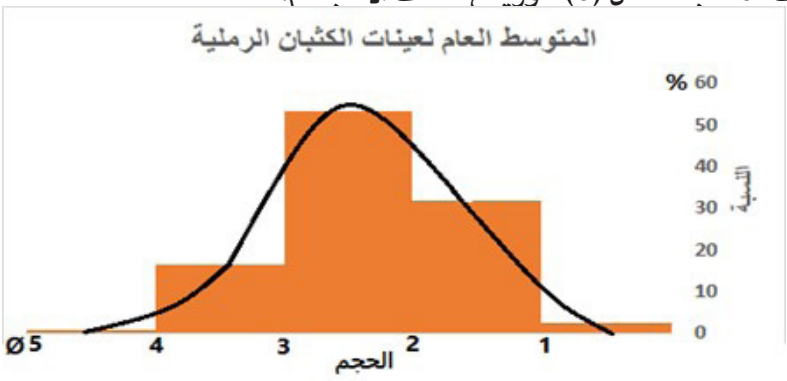

يوضح الشكل رقم (6) المدرج التكراري في عينات الكثبان

ويتبين من الشكل رقم (6) ما يأتي :

تراوح حجم الرمال في جميع العينات بين الرمل الخشن (صفر1Ø-) والغرين الخشن (5Ø-4).

ترتفع نسبة حجم الرمال المكونة للكثبان الرملية بين الرمال الناعمة (2 - 3Ø) البالغ نسبتها (52.92 ٪)، والرمال المتوسطة الحجم (1 - 2Ø) والبالغ نسبتها (31.66 ٪)، أي (84.58 %) من إجمالي العينات، ثم كل من الرمال الخشن، والناعم جداً، والغرين الخشن تشكل النسبة الباقية (15.42 %) وهي موزعة على التوالي بنسبة 3.23 %، 11.58 %، 0.61 %.

تتوزع أحجام الرواسب بيانيا توزيعا أحادى الشكل، مما يعنى سيادة أحجام معينة وهى الرمال المتوسطة والناعمة.

ويوضح الشكل رقم (7) نتائج التحليل الحجمي للعينات التي مثلت بيانياً، وتصنيفها بين القمة والوسط والقاعدة والجوانب المظاهرة للرياح(الصباب) وكذلك

(8) جودة، حسنين جودة وآخرون(1991) وسائل التحليل الجيومورفولوجى، الطبعة الأولى، بدون ناشر، القاهرة، ص ص 221-219.

(9) Folk, R.L & Ward, W.C (1957): Brozes River bar in the significance of grain-size parameters, Journal of Geology, V.62 P.P. 344-359.

الجوانب المواجهة للرياح (الكساح) والمتوسط العام لعينات الكثبان الرملية.

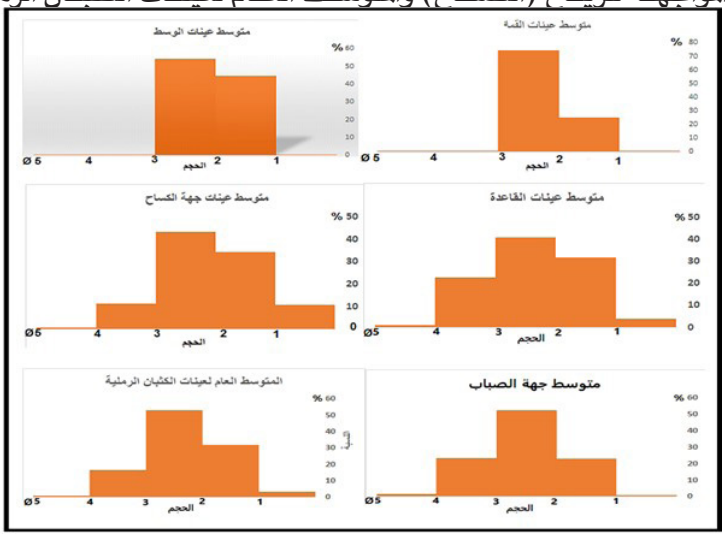

يوضح الشكل رقم (7) التمثيل البياني لنتائج تحليل العينات الرملية

ومن خلال الشكل ونتائج التحليل الحجمي لعينات الرمال نستخلص ما يأتي:

1 - تختلف أحجام الرمال في قمة الكثيب عنها في جانبيه، ورواسب الجوانب المظاهرة للرياح (الصباب) ذات حبيبات أدق من تلك الموجودة على الجانب المواجه للرياح، وقمة الكثيب، إلا أن هذه الاختلافات محدودة، وترجع إلى عمل الرياح التي تحمل كمية أكبر من الحبيبات الدقيقة، بينما تترك الحبيبات الخشنة خلفها.

2 - ترتفع في عينات القمة نسبة الرمال الناعمة (74.28 %) والرمال المتوسطة الحجم (24.93 %)، وتنخفض نسبة الرمل الخشن، والناعم جداً، والغرين الخشن.

3 - بلغت في عينات الوسط نسبة الرمال الناعمة (54.05 %) والمتوسطة الحجم (44.75 %)، وتظل نسبة الرمال الخشن والناعم جداً والغرين قليلة إذا قورنت بعينة القمة.

4 - نجد في عينات منصرف الرياح (الصباب) كانت نسبة الرمال الناعمة (52.18 %) والناعمة جداً (22.98) والرمال المتوسطة (22.65 %) هناك اختلاف إذا ما قورنت بجهة مقابل الرياح (الكساح).

5 - بلغت حجم حبيبات الرمال في عينات مقابل الرياح (الكساح) وكانت نسبة الرمال الناعمة (43.24%) والرمال المتوسطة (34.12 %) والرمال الخشنة (10.80 %) ونجد اختلاف إذا ما قورنت بعينة منصرف الرياح.

ويتضح مما سبق أن أحجام حبيبات الرمال تنحصر في مجال ضيق، وكذلك تقارب أحجام أصناف محددة من الرمال قرب المصدر؛ لطبوغرافية سطح منطقة

المرصـص، وإلى قـدرة الريـاح عـلى نقـل الرواسـب مـن هـذا الحجـم دون الأحجـام الأخـرى.

1 – المتوسط Mean :

ويحسب باستخدام المعادلة الآتية :

$$\text{المتوسط f} = \frac{f16 + f50 + f84}{3}$$

ويمكن وصف حجم العينة حسب المتوسط طبقا للجدول (1).

جدول (1): التعبيرات الوصفية لفئات أحجام الرمال

الحجم (f)	الحجم (مم)	الوصف
صفر– 1	1 – 0.5	رمل خشن
2 – 1	0.5 – 0.25	رمل متوسط
3 – 2	0.25 – 0.125	رمل ناعم
4 – 3	0.125 – 0.625	رمل ناعم جدا
5 – 4	0.625 – 0.312	غرين خشن

المصدر: (إمبابي، عاشور، 1985،ص 8)

– معامل التصنيف Sorting Coefficient :

ويحسب معامل التصنيف بالمعادلة الآتية :

$$\text{معامل التصنيف} = \frac{Ø84 - Ø16}{4} + \frac{Ø95 - Ø5}{6.6}$$

وتستعمل المسميات الآتية كما وردت بالجدول رقم (2) لوصف التصنيف Sorting

جدول (2) مسميات تصنيف عينات الرمال.

التصنيف Ø	الوصف
أقل من 0.35	تصنيف جيد جدا
0.50 – 0.35	تصنيف جيد
0.71 – 0.50	تصنيف متوسط جدا
1.0 – 0.71	تصنيف متوسط
2 – 1	تصنيف ردىء
4 – 2	تصنيف ردىء جدا
أكثر من 4	تصنيف سيىء

المصدر:Folk, R. L., 1974, p170.

– معامل الالتواء : Skewness Coefficient :

ويتم حساب معامل الالتواء من المعادلة الآتية:

$$\text{معامل الالتواء } Ø = \frac{Ø16 + Ø84 - 2Ø50}{2\,(Ø\,84 - Ø16)} + \frac{Ø5 + Ø95 - 2Ø50}{2\,(Ø95 - Ø5)}$$

ويمكن وصف التواء أي منحني كما هو ورد في الجدول (3).

جدول (3) التعبيرات الوصفية لفئات التواء
منحنى توزيع أحجام الرمال

الالتواء Ø	الوصف
من – 1.0 إلي – 0.3	التواء سالب جدا
من – 0.3 إلي – 0.1	التواء سالب
من 0.1– إلي 0.1	التواء متماثل
من 0.1 إلي 0.3	التواء موجب
من 0.3 إلي 1.0	التواء موجب جدا

المصدر: (إمبابي، عاشور، 1985،ص 9)

4 – معامل التفلطح Kurtosis Coefficient :

للحصول على قيم معامل التفلطح يتم تطبيق المعادلة الآتية:

$$\text{معامل التفلطح} = \frac{Ø95 + Ø5}{Ø75 - Ø25}$$

ويوصف التفلطح كما في الجدول (4).

جدول (4) التعبيرات الوصفية لفئات التفلطح

التفلطح	الوصف
أقل من 0.67	تفلطح شديد
من 0.67 إلي 0.90	مفلطح
من 0.90 إلي 1.11	تفلطح متوسط
من 1.11 إلي 1.50	تفلطح مدبب
من 1.50 إلي 3.0	تفلطح شديد التدبب

المصدر: (إمبابي، عاشور، 1985،ص 10)

ويوضح الجدول رقم (5) التحليل الحجمي لعينات رمال منطقة الدراسة،حيث تسودها الرمال الناعمة وتمثل حوالي 52.02 %، وتليها الرمال المتوسطة الحجم؛ إذ تمثل بمفردها نسبة تصل إلى 31.66 % من جملة العينات، على حين تصل نسبة

الرمال الناعمة جداً 11.58 %، ولا تزيد نسبة الرمال الخشنة عن 3.23 % فقط، والغرين الخشن 0.61 % من إجمالي العينات.

وقد اتضح أن قيم متوسطات حجم الكثبان الرملية تتراوح بين (1.87 – 3.1Ø)، بمتوسط يصل إلى (2.22Ø).

تراوحت قيم التصنيف بين (0.402 – 1.088 Ø)، بمتوسط يصل (0.774 Ø)، أى أنه تصنيف متوسط، وتمثل العينات ذات التصنيف الجيد 20 % من إجمالي العينات، والعينات ذات التصنيف المتوسط 33.4 %، والمتوسط جداً 40 %، وتصنيف ردئ عينة واحدة من عينات الكساح بنسبة 6.6% من جملة عينات الكثبان المدروسة، مع افتراض أن رمال الكثبان كانت رمالاً شاطئية نقلت محليا بواسطة الرياح، وخلال عملية النقل تم تصنيف الرمال بصورتها الحالية.

تدرجت قيم الالتواء لمنحنيات التوزيع من (- 0.359 إلى 0.210 Ø)، بمتوسط يصل (- 0.071Ø)، وتصل نسبة المنحنيات ذات الالتواء المتماثل إلى 20 % من إجمالي العينات المدروسة، وشكلت المنحنيات ذات الالتواء السالب 26.7%، أما المنحنيات ذات الالتواء السالب جدا كانت نسبتها الأكبر وبلغت 46.7 %، وقد أشار[10] إلى أن الالتواء السالب نادر الارتباط بالرمال الهوائية، ويعارضه رأى بيجاريلا[11] الذي يعد معامل الالتواء بجملته مؤشراً إلى المصدر الهوائي للرمال؛ لأن عدّ الالتواء الموجب دليلا على بيئة الكثيب غير مسلمّ به؛ لأن الالتواء السالب أيضاً تم تسجيله في رمال الكثيب[12]، كما أن نتائج الدراسة الحالية تأكد تسجيل الالتواء السالب والسالب جداً التي شكلت 73.4 % من إجمالي العينات. ونجد بعض الدراسات تشير إلى الالتواء الموجب في عينات الكثبان ترجع إلى عدم مقدرة الرياح على نقل الحبيبات الخشنة مع الحبيبات الناعمة، كما أن رواسب الشواطئ تكون سالبة الالتواء[13] وهو ما تأكده نتائج تحاليل عينات الرمال بالدراسة الحالية.

(10) Ahlbrandit,T.S.(1979): Textural Parameters of Eolian Deposits in" Study of Global Sand Seas" ED-WIN,D. McKee, edition U.S. Geological survey Professional Paper 1052.P. 23-32.

(11) Bigarella, J.J. (1972): Eolian enrichment. In Recognition of Sedimentary Environments: Their Characteristics, Recognition and Importance. Edited by J.K.Righty & W.K.Homblin. Tulsa: Society of Economic Paleontologists, Vol, 16, P. 14.

(12) فرغلي، عبير علي(2007) جيومورفولوجية الكثبان الرملية فيما بين الجزء الجنوبي من الإسماعيلية والحافة الغربية لهضبة التيه- سيناء، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ص. 147.

(13) Boggs Sam, Jr. (1987): Principles of sedimentology & stratigraphy. Publishing Co. & A bell & Howell Co. Columbus Ohio, p. 118.

يوضح الجدول رقم (5) الخصائص الطبيعية لرمال الكثبان

رقم العينة	الموقع	0-1Ø	1-2Ø	2-3Ø	3-4Ø	4-5Ø	الوسيط Ø	المتوسطØ	معامل التصنيف Ø	معامل الالتواءØ	التفلطحØ
1	القمة	0.36	47.32	52.02	0.28	0.02	2.1	1.93	0.481	0.334 -	3.18
2	القمة 1	0.11	9.67	89.36	0.78	0.08	2.4	2.43	0.402	0.095 -	8.6
3	القمة 2	0.22	17.79	81.47	0.46	0.06	2.35	2.18	0.52	0.42 -	6.31
المتوسط		0.23	24.93	74.28	0.51	0.05	2.35	2.18	0.63	0.355 -	5.4
4	وسط	0.10	49.36	49.54	0.24	0.76	2.0	2.02	0.611	0.019	4.0
5	وسط 1	0.66	39.63	59.23	0.33	0.15	2.15	2.07	0.611	0.176 -	4.21
6	وسط2	0.35	45.27	53.38	0.88	0.12	2.05	2.03	0.658	0.055 -	3.76
المتوسط		0.37	44.75	54.05	0.48	0.35	2.1	2.03	0.645	0.135 -	3.76
7	قاعدة	1.20	37.60	58.82	2.08	0.30	2.2	2.13	0.630	0.166 -	4.05
8	قاعدة 1	9.18	49.55	24.58	16.19	0.50	1.85	2.02	0.960	0.210	3.23
9	قاعدة 2	1.27	8.37	39.19	49.47	1.70	3.05	3.00	0.774	0.195 -	4.65
المتوسط		3.88	31.84	40.86	22.58	0.84	2.35	2.35	0.932	0.026	3.73
10	الكساح	9.20	53.24	35.72	1.38	0.46	1.8	1.87	0.739	0.025	3.24
11	الكساح 1	14.32	6.35	50.29	28.41	0.63	2.6	2.43	1.088	0.262 -	3.95
12	الكساح 2	8.87	42.76	43.71	4.24	0.42	1.95	1.95	0.771	0.071 -	3.09
المتوسط		10.80	34.12	43.24	11.34	0.50	2.15	2.08	0.935	0.087 -	3.15
13	منصرف الرياح	1.70	46.08	48.86	2.66	0.70	2.05	2.03	0.643	0.030 -	3.86
14	منصرف الرياح 1	0.12	13.95	80.28	4.96	0.69	2.45	2.45	0.480	0.122 -	7.42
15	منصرف الرياح 2	0.75	7.92	27.39	61.34	2.6	3.25	3.1	0.759	0.359 -	5.19
المتوسط		0.86	22.65	52.18	22.98	1.33	2.5	2.5	0.834	0.0	5.26
متوسط عينات الرمال		3.23	31.89	52.92	11.58	0.61	2.3	2.22	0.774	0.071 -	4.4

تراوحت قيم التفلطح لمنحنيات التوزيع بين (3.15 - 8.6Ø) بمتوسط يصل إلى (4.4Ø) أى أنه تفلطح شديد التدبب، أي أن رمال العينات تتركز معظمها في حجم واحد.

وقد عمد الباحث إلى جمع رمالها من القمم والجوانب المواجهة للرياح (الكساح) ومنصرف الرياح (الصباب)؛ للوقوف على مدى الاختلاف بين أجزاء الكثيب، وتم تطبيق معادلة كرومبين الخطأ المحتمل (Probable Error) لمتوسط حجم الرمال؛ نظراً لأن العينات التي أخذت لا يمكن أن تمثل الكثبان الرملية في منطقة المرصص تمثيلاً مطلقاً،والمعادلة هي:

ثابت كرومبين (0.6745) X الانحراف المعياري(14)

وبتطبيق المعادلة على عينات الكثبان الرملية بمنطقة الدراسة تبين أن نسبة الخطأ المحتمل في عينات القمة بلغت (0.42)، وفي عينات الوسط (0.44)، وفي عينات القاعدة والكساح (0.63) وفي عينات الصباب (0.56)، وبلغت نسبة الخطأ المحتمل

(14) عبد الله، عزة أحمد (2005) خصائص رمال الكثبان جنوب بحيرة البردويل دراسة في الجيومورفولوجية التطبيقية، ندوة التنمية والبيئة في الصحاري المصرية، كلية الآداب جامعة القاهرة، ص 110.

في جميع العينات (0.52)
وفيما يأتي دراسة تفصيلية للبيانات الإحصائية لأجزاء الكثبان المختلفة :
رمال قمم الكثبان :

أن قيمة متوسط أحجام رمال قمم الكثبان (2.18Ø)، مما يعنى أن متوسط أحجام رمال قمم الكثبان يدل على أنها رمال ناعمة؛ إذ تمثل أحجام الرمال الناعمة(74.28 %) من إجمالي العينات المدروسة، تليها نسبة الرمال المتوسطة التي تصل إلى (24.93 %)، في حين تمثل النسبة المتبقية (0.79 %) أحجام الرمال الخشنة والناعمة جداً والغرين الخشن على التوالي.

بلغت قيمة التصنيف لرمال القمة (0.63Ø)، ما يعنى أن رمال قمة الكثبان ذات تصنيف متوسط جداً، ويدل هذا على أن حجم الرمال يقل بالاتجاه صوب القمة. وتتفق هذه النتائج مع نتائج[15]) الذي يرى أن قمم الكثبان تتسم برمال أكثر نعومة وأفضل تصنيفا؛ لأن الحبيبات الخشنة تتحرك بواسطة الزحف، وتتركز في مناطق ما بين الكثبان وعند قواعدها، كما تتحرك تحت تأثير الرياح من الاتجاهات العمودية على اتجاه الكثيب. وكانت قيمة متوسط التفلطح (5.4Ø) ما يعنى أن متوسط منحنيات التفلطح يشير إلى أنها ذات تفلطح شديد التدبب.

2 - رمال جوانب الكثبان المواجهة للرياح:(الكساح)

بلغت قيم متوسط أحجام رمال جوانب الكثبان المواجهة للرياح (2.08Ø)، وتمثل الرمال المتوسطة والرمال الناعمة نسبة (77.36 %)من رمال العينة، تليها في نسبة الرمال الخشنة (10.8 %)، بينما لا تمثل الرمال الناعمة جداً سوى (11.34 %) والغرين الخشن (0.50 %) من جملة رمال العينة. وكانت قيمة التصنيف (0.935Ø)، أى أن الرمال ذات تصنيف متوسط. وتتركز الرمال متوسطة التصنيف عند نهاية الجانب المواجه للرياح، حيث تتراكم الحبيبات الخشنة عند قاعدة الجانب المواجه للرياح؛ لعجز الرياح عن حملها، وبالتالي ترتبط كفاءة التصنيف في هذا الجانب بحركة الحبيبات الأصغر حجماً إلى أعلى باتجاه القمة، لتكون رمالا ذات تصنيف أفضل مع فقدانها الحبيبات الأكبر. وكانت قيم متوسط التفلطح (3.15Ø)، أي أن متوسط منحنيات التفلطح يدل على أن التفلطح شديد التدبب. بينما وصلت قيمة متوسط الالتواء (- Ø0.087)، ما يعنى أن متوسط منحنى التوزيع سالب.

3 - رمال جوانب الكثبان منصرف الرياح: (الصباب)

يتضح أن قيمة متوسط أحجام رمال جوانب الكثبان منصرف الرياح (2.5Ø) ما يعنى أن متوسط أحجام رمال هذه الجوانب يعنى أنها رمال ناعمة ومتوسطة؛ إذ تمثل نسبة حجم الرمال الناعمة حوالي (52.18 %) من إجمالي العينة المدروسة، تليها الرمال الناعمة جداً والتي بلغت نسبتها (22.98 %) ثم

(15) Lancaster, N. &Tchakerian,v, (1996): Sedimentology and Geomorphology of sand Ramps in Mojave Desert Geomorphology, 17, p.p.151-165.

الرمال المتوسطة؛ إذ بلغت نسبتها (22.65 %) وهو ما يتفق مع ما عليه رمال القمة وبلغت قيمة التصنيف (0.834Ø) ما يعنى أن الرمال هنا ذات تصنيف متوسط أيضا، وهو ما يتفق مع قيمة متوسط التصنيف على قمة الكثيب بمنطقة الدراسة.

ويتضح من ذلك أن رمال الجوانب المظاهرة للرياح ورمال القمم تكون أفضل تصنيفاً من رمال الجوانب المواجهة للرياح؛ وذلك لإزالة الرياح للحبيبات الناعمة من الجوانب المواجهة للرياح, ليتم إرسابها على القمم والجوانب المظاهرة للرياح.

ويرى ديفيد[16] أن المنحنى المتماثل تبلغ درجة الالتواء فيه صفر، ويدل ذلك على أن جميع الرواسب من بيئة رسوبية واحدة، وعندما يكون الانحراف سالب فذلك يعني أن المنحنى يميل بذيل نحو الأحجام الخشنة، وعندما يكون الانحراف موجب فيدل على أن المنحنى يميل نحو الأحجام الدقيقة، وتتراوح درجة الانحرافين بين (1-، 1+) وتهدف دراسة الالتواء إلى التعرف على درجة تماثل منحنيات توزيع الرمال في العينات المدروسة بمنطقة الدراسة، تتراوح قيم متوسطات الالتواء بين (- 0.359 إلى 0.210 Ø) بمتوسط (0.071- Ø) وتمثل نسبة منحنيات التوزيع ذات الالتواء السالب جداً (53 %) والسالب (27 %) والمتماثل (20 %) من جملة العينات، وبمقارنة أحجام رمال قمم الكثبان ورمال جوانبها أظهرت نتائج الدراسة أن رمال القمم أكثر نعومة من رمال الجوانب؛ إذ بلغ متوسط أحجام رمال القمم- كما سبقت الإشارة نحو2.18 Ø بينما بلغ متوسط أحجام الجوانب المواجه للرياح والجوانب المظاهرة لها نحو 2.08 Ø 2.5 ،Ø على التوالي. ويوضح التواء منحنيات التوزيع لعينات الرمال محل الدراسة تعدد بيئات الترسيب، ويكاد يقترب من تماثل التوزيع حيث يلاحظ اقتراب قيم الوسيط والمتوسط إلى حد كبير من خلال الجدول رقم (5).

وقد اتفقت هذه النتائج مع نتائج لانكستر [17] ، الذي قرر أن رمال قمم الكثبان تكون أدق حجماً، وأفضل تصنيفاً، بالمقارنة بمناطق ما بين الكثبان، وجوانب الكثبان وتتفق أيضاً قيم متوسطات التصنيف في كل من القمة وجوانب الكثبان؛ إذ بلغ متوسط أحجام رمال القمم 0.63Ø وفي الجانب المواجه للرياح 0.935 Ø بينما وصل في الجانب المظاهر للرياح 0.834 Ø مما يعنى أن رمال الكثبان عند القمة وجانبي الكثيب تكون ذات تصنيف متوسط ومتوسط جداً، ويرى باجنولد[18] (Bagnold, 1941) أن جودة التصنيف لرمال الكثبان ترجع إلى أن للرياح قدرة على حمل أحجام دون أخرى من الرمال، وقد أرجع كل من Mason

(16) David, B., (1977): " Sediments: Sources and Methods in Geography, " London, p.118.

(17) Lancaster, N. &Tchakerian,v, (1996), OP, Cit, p.159.

(18) نقلًا عن إمبابي، نبيل سيد، عاشور، محمود محمد(1985) الكثبان الرملية في شبه جزيرة قطر، الجزء الثاني، مركز الوثائق والبحوث الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، قطر، ص. 17.

and Folk, 1958)) ضيق المدى الذي تنتشر فيه الرمال إلى تقارب أحجام رمال المصدر، كما أن العوامل المحلية قادرة على خلق نوع من التجانس الحجمي بين الحبيبات.

ومن المرجح أن خصائص الرمال الطبيعية في منطقة الدراسة ترجع أساساً إلى تأثير الرياح، وقدرتها على حمل حبيبات رمل من أحجام معينة والمواد المتاحة، وطبوغرافية السطح، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة، كدراسات إمبابي وعاشور (1985م) على كثبان شبه جزيرة قطر، وهذه أدلة تشير كلها إلى أن الرمال في منطقة المرصص قد وصلت إلى مرحلة النضوج.

كما اتضح أن هناك اختلافاً في قيم الالتواء بين أجزاء الكثيب بمنطقة الدراسة؛ إذ أظهر التوزيع على الكثبان عامة التواءً متماثل، أما الجانب المواجه للرياح (الكساح) وقمة الكثبان كان التواء سالب، أما في الجانب المظاهر للرياح (الصباب) فيكون الالتواء متماثل، كما ورد بالجدول رقم (5).

يهدف حساب معامل التفلطح إلى قياس شكل منحنى التوزيع ما إذا كان مدبباً أو مفلطحاً، وتراوحت قمم متوسطات التفلطح بين (3.15 إلى 8.6 Ø) بمتوسط 4.4) Ø)، ما يعنى أن متوسط منحنيات التفلطح تشير إلى أنها ذات تفلطح شديد التدبب؛ وهو ما يتفق مع ما عليه حال متوسطات التفلطح على قمم الكثبان بمنطقة الدراسة. وأتضح أن شكل منحنيات التوزيع في العينات المدروسة كان تفلطح شديد التدبب، وهذا يشير إلى أن رمال العينات تتركز معظمها في حجم واحد. وتتفق نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة حسن على حسن 1987م في منطقة جبل المغارة في شبه جزيرة سيناء.

ب- الاستدارة والتكور:

يعد شكل حبيبات الرمال أحد الخصائص الطبيعية لها، التي توثر على قابليتها للنحت والانتقال بواسطة الرياح [19]؛ ولدراسة استدارة رواسب الكثبان الرملية بمنطقة الدراسة وكرويتها تم اختيار مائة حبيبة رمل اختياراً عشوائياً من عينات الرواسب ونظراً لاتساع مدى توزيع أحجام الرمال فقد تم اختيار عينة الرمل الحجم الخشن (0.5-1.0 مم) ليكون أكثر تمثيلاً، حيث تقوم الرياح بعملية تفتيت ميكانيكي لحبيبات الرمال حتى حجم 0.1 مم، ثم يتلاشى دورها عندما يصل حجم الحبيبة إلى أقل من 0.5 مم [20].

ثم فحصت حبات الرمال بواسطة المجهر الالكتروني ثلاثي العدسات وتم التكبير (400مرة) ولتحديد مدى استدارتها وكرويتها وتمت المقارنة البصرية لحدود كل حبيبة بالأشكال الواردة في لوحة باور(Powers, 1953)) كما بالشكل رقم (8) ثم تحديد الفئة الأقرب إلى شكل حبة الرمل، وتحديد مدى كروية الحبيبات

(19) Watson, A. (1986): 'Grain-size variations on a longitudinal dune and a barchan dune'. Sedimentary Geology, p. 217

(20) مشرف، محمد عبد الغنى عثمان (1997) أسس علم الرسوبيات، جامعة الملك سعود، الرياض، ص. 41.

عاليــة كانــت أو منخفضــة بالمقارنــة بالأشــكال الموجــودة فى اللوحــة المذكــورة.

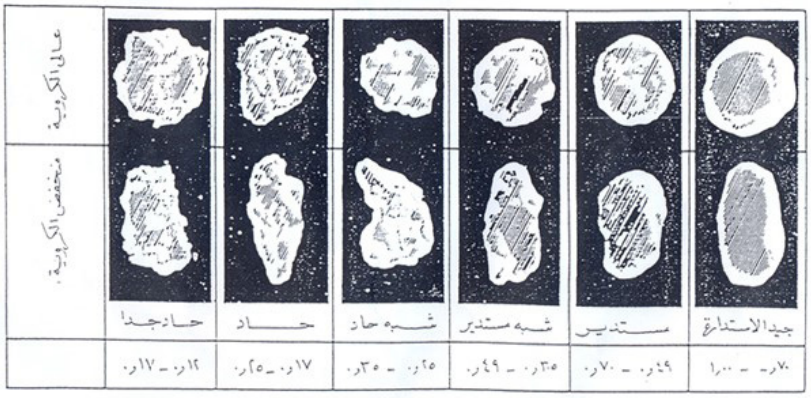

يوضح الشكل رقم (8) لوحة Powers, 1953 (نقلا عن امبابي، عاشور، 1985، ص 11)

يوضح الجدول (6) توزيع حبيبات الرمال حسب فئات الاستدارة والكروية والحجم

الموقع	الحجم (مم)	الكروية	جيد الاستدارة	مستدير	شبه مستدير	شبه حاد	حاد	حاد جداً	المجموع
القمة	1.0 – 0.5	عالي	22	17	9	11	11	2	72
		منخفض	4	8	4	6	4	2	28
الوسط	1.0 – 0.5	عالي	13	10	13	13	15	4	68
		منخفض	4	2	2	8	12	4	32
القاعدة	1.0 – 0.5	عالي	24	12	21	6	6	–	69
		منخفض	6	6	9	6	4	–	31
الكساح	1.0 – 0.5	عالي	30	16	25	5	2	–	78
		منخفض	8	2	5	2	5	–	22
الصباب	1.0 – 0.5	عالي	23	7	16	24	7	2	79
		منخفض	11	1	2	4	2	1	21
النسبة العامة للاستدارة			29	16	21	17	13	4	% 100

ويتضــح مــن خــلال الجــدول رقــم (6) فحــص عينــات رمــال الكثبــان مجهريــاً في منطقــة الدراســة أن نســبة حبيبــات الرمــال الجيــدة الاســتدارة تفــوق نســب بقيــة العينــات؛ فقــد بلغــت نســبتها 29 % مــن إجمــالي العينــات، تليهــا الحبيبــات شــبه المســتديرة، وبلغــت نســبتها 21 %، تليهــا الحبيبــات الرمليــة شــبه الحــادة وبلغــت نســبتها 17 %، وبلغــت نســبة الرمــال المســتديرة 16 %، ثــم الحبيبــات الحــادة والحــادة جــداً؛ إذ بلغــت نســبتها 13 %، 4 % لــكل منهمــا عــلى التــوالي. ويوضــح الشــكل رقــم (9) الفحــص المجهريــة للعينــات الرمليــة بمنطقــة الدراســة.

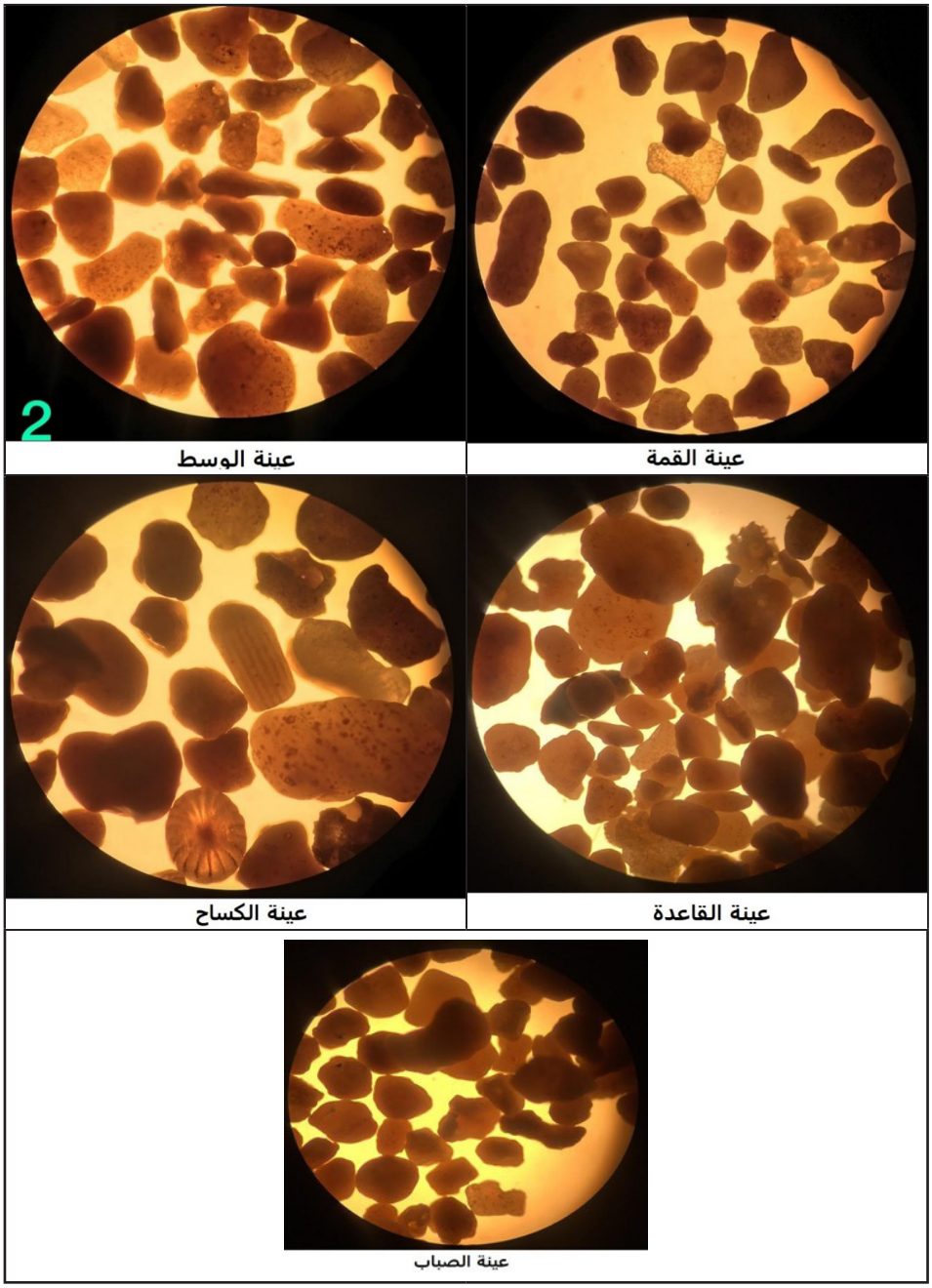

يوضح الشكل رقم (9) الفحص المجهري لعينات الكثبان الرملية في منطقة المرصص

يتبين من الشكل(9) والجدول (6) أن درجات الاستدارة كانت حوالي 66 % من مجموع حبيبات الرمال تقع في فئات جيدة الاستدارة والمستديرة وشبه المستديرة، وهي الفئات الغالبة على الحبيبات الرملية بمنطقة الدراسة، بينما تمثل الحبيبات شبه الحادة والحادة والحاد جداً نحو 34 %، مما يعكس نضج الرواسب الرملية، وإن دل ذلك على شئ فإنه يدل على فعل الرياح، لاسيما تتسم منطقة الدراسة بسهولة تضاريسها وانفتاح المجال لهبوب الرياح التي تعمل على حركة الرمال بها. كما أوضح فحص الكروية أن نسبة عينات الرمال مرتفعة الكروية بلغت 73.2% من إجمالي العينات(0.5-1مم). ويمكن تفسير ذلك بأن الحبيبات الكبيرة تنقل بواسطة الدحرجة والقفز، وبالتالي ترتطم الحبيبات بعضها ببعض، وتأخذ الشكل الكروي، بينما حبيبات الرمال الصغيرة والمتوسطة فتنقلها الرياح على هيئة حمولة عالقة، وتكون فرصة ارتطام بعض الحبيبات ببعض أقل في هذه الحالة، وبالتالي تكون هذه الحبيبات منخفضة الكروية [21] . وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة[22] مع امبابي وعاشور في شبه جزيرة قطر، لكن هذه النتائج لا تتفق مع نتائج فولك (Folk, 1978) لأشكال حبيبات الرمال في صحراء سمبسون بأستراليا ولعل مرد هذا الاختلاف إلى أن رمال منطقة الدراسة وصلت إلى مرحلة النضج؛ إذ اشتقت الرواسب الهوائية من الرواسب الساحلية التي تغطى شمال منطقة الدراسة، بواسطة التذرية الهوائية ونقلت للداخل بواسطة العواصف الرملية والترابية التي تتعرض لها منطقة المرصص بين الحين والآخر خلال فصول السنة، وبالتالي لم تكن استدارة الرواسب متوارثة من الرواسب الساحلية الأصلية بمنطقة الدراسة، ويرى واطسون[23] أن من أهم العوامل المؤثرة على الاستدارة هي عملية البرى التي تحدث أثناء النقل الريحي، وتكون الحبيبات الرملية الصغيرة أكثر عرضة للتكسير، ما يؤدى إلى حدة شديدة في شكل الحبيبات التي تقل أقطارها عن 0.1 مم، ذكر واطسون في ذلك ذاهباً إلى أن البرى الريحي هو العامل الرئيس المسئول عن زيادة استدارة الحبيبات، وإن كان يتوقف عنده على المسافة التي تقطعها الحبيبات بعيداً عن مصدرها، وترجع أهمية عامل المسافة خلال عملية النقل الريحى لحبيبات الرمال إلى أن نسبة الاستدارة يمكن أن تتزايد في حالة اصطدام الحبيبات بعضها ببعض، أو بالعوائق التي تعترضها أحياناً على سطح الأرض، وإن كان ذلك يعتمد على اختلاف آليات الرياح[24] ولذلك ذهب بعض الباحثين إلى أن استدارة الحبيبات الرملية مؤشر واضح إلى النقل الريحى في تاريخ حبيبات الرمال، إذ تقوم الرياح

(21) دسوقي، صابر أمين (2000) الكثبان الطولية شرقي قناة السويس تحليل جيومورفولوجى، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد 35، القاهرة، ص 270.

(22) إمبابي، نبيل سيد، عاشور، محمود محمد(1985) مصدر سبق ذكره، ص. 25

(23) Watson. A. (1990): 'The control of blowing sand and mobile desert dunes'. In A.S.Goudie (ed.), Techniques for Desert Reclamation, 35–85, John Wiley, Chi Chester,P.224

(24) Cook, R.et al, (1993): Desert Geomorphology, Uel press Ltd, London, P. 314.

بعملية تفتيت ميكانيكي لحبيبات الرمال حتى حجم 0.1 مم، ثم يتلاشى دورها عندما يصل حجم الحبيبة إلى أقل من 0.5 مم[25].

ثانياً الخصائص الجيوكيميائية:

لإجراء التحليل الجيوكيميائى للعينات التي جمعت من الكثبان الرملية بمنطقة الدراسة، اختار الباحث 5 عينات تغطي حقل المرصص الرملي محل الدراسة، وأخذت من كل عينة 100 جرام للتحليل الكيميائي الكلى، وتم أذابت العناصر الموجودة في العينات بإضافة حمض نيتريك تركيزه 5 عياري، وباستخدام جهاز الامتصاص الذرى الموجود بالمعمل المركزي بكلية العلوم جامعة عين شمس القاهرة ودونت نتائج التحليل بالجدول (7).

م	السليكا Sio2	كربونات الكالسيوم CaCO3	كربونات الماغنسيوم $MgCO_3$	أكسيد الحديد Fe2 o3	أكسيد الومنيوم Al2 o3	أكسيد البوتاسيوم K_2O
عينات القمة	34	38	16	4.0	7.7	0.3
عينات الوسط	32	47.4	12	2.3	6.1	0.2
عينات القاعدة	42	25.1	20	7.4	5.3	0.2
عينات الكساح	36	37.1	16	4.5	6.2	0.2
عينات الصباب	35	37.7	18	4.0	5.0	0.3
المتوسط	35.8	37.06	16.4	4.44	6.06	0.24

يوضح الجدول رقم (7) نتائج التحليل الكميائى لعينات الرمال الساحلية بمنطقة المرصص تم التحليل بمعمل كلية العلوم جامعة عين شمس القاهرة 15/ 3/ 2021م.

ويتضح من الجدول (7) أن السليكا وكربونات الكالسيوم وكربونات الماغنسيوم هي العناصر الغالب في العينات كافة، إذ تراوحت نسبتها بين -87.1% 91.4%، ويليها أكسيد الألومنيوم، بنسب تراوحت بين 7.7-5 %، ثم أكسيد الحديد 2.3 – 7.4 %، وبذلك يمكن القول بأن رمال الكثبان بمنطقة الدراسة تتكون بصفة أساسية من ثلاث عناصر كيميائية أساسية، هما السيليكا وكربونات الكالسيوم وكربونات الماغنسيوم، حيث شكل متوسط هذه العناصر في جميع العينات 89.26 %، ويلي العناصر السابقة عنصر ثانوي وهو أكسيد البوتاسيوم والذي يشكل نسبة ضئيلة لا تتجاوز من إجمالي التركيب الكيميائي للرمال لا تكاد تذكر كما بالجدول أعلاه.

مما سبق يتبين أن التركيب الكيميائي لرمال الكثبان يلقى الضوء على مصدرها؛ حيث يمكن إرجاع زيادة نسبة السيليكا (الكوارتز) إلى صخور الأصل الساحلية، إلى جانب دور مياه الأودية الجافة في منطقة الدراسة وما يؤكد هذا الاحتمال ارتفاع الهامشين الشرقي والجنوبي الشرقي بمنطقة الدراسة، حيث هضبة البطنان والتي تنحدر منها بعض الأودية، أهمها أودية القطارة والسوينات وبوالحمام، ومع ظروف الجفاف قامت الرياح بتشكيلها، وتشير ارتفاع نسبة

(25) مشرف، محمد عبد الغنى عثمان (1997) مصدر سبق ذكره، ص 41.

كربونات الكالسيوم في العينات إلى أن مصدر الرمال بحري، ويرجع ارتفاع نسبة هذا العنصر في العينات إلى أن التكوينات الصخرية - التي تشكل جزءاً كبيراً من رواسب المنطقة- هي تكوينات جيرية ترتفع فيها نسبة كربونات الكالسيوم.

ثالثاً نشأة الكثبان الرملية بمنطقة الدراسة

تشير معظم الأدلة التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة إلى أن الكثبان الرملية الساحلية في منطقة المرصص ترجع من حيث النشأة إلى مصدر واحد ألا وهو رواسب شواطئ البحر الحالي والسابق. وتفيد معظم الدراسات الجيومورفولوجية السابقة التي تناولت منطقة سواحل الخليج العربي والبحر المتوسط[26] أن معظم الرواسب الرملية تكونت خلال الذبذبات التي تعرضت لها الشواطئ - كما هو الحال في مناطق آخري من العالم – خلال فترة الهولوسين الأخيرة حيث ارتفع سطح البحر ما بين -1.5 2.0م فوق سطحه الحالي. وتعرضت المنطقة خلال الخمسة آلاف سنة الأخيرة إلى ظروف جفاف واضحة تمثل الفترة الحالية[27] (صالح،1994،ص 98)، وعلى ذلك فإنه يمكن إرجاع عمر هذه التكوينات الرملية بمنطقة الدراسة إلى هذه الفترة وهي رواسب حديثة التكوين خلال الزمن الرابع، وهو افتراض مع التحفظ، لأن ذلك يحتاج إلى تأريخ كربوني وكذلك المزيد من الدراسات التي تؤكد ذلك والتي لم يتسع مجال الدراسة الحالية إلى القيام به.

نتائج الدراسة:

أوضحت الدراسة ما يلي:

تراوح حجم الرمال في جميع العينات بين الناعم والمتوسط في معظم العينات، وهذه الفئة من الأحجام ترتبط في حركتها بالرياح تبعاً لقدرتها ولعل أشكالها الحالية تمثل خير دليل على طبيعة هذا العامل، بالإضافة إلى موقعها. وهذه الفئة من الأحجام أيضاً تشير إلى أن أحجام الرمال موزعة توزيعاً أحادياً، مما يدل على وجود تركز في حجم محدد من الرمال. وهذه أدلة تشير إلى أن الرمال قد وصلت إلى مرحلة النضوج.

اتضح أن شكل حبيبات الرمال انحصرت في الفئات جيد الاستدارة ومستديرة وشبه مستديرة وبلغت نسبتها 66 % من مجموع الحبيبات. ويشير ذلك إلى تأثير دور الرياح وطبوغرافية سطح منطقة الدراسة مما يعكس وصول الرواسب الرملية إلى مرحلة النضج.

وبدراسة فحص الكروية قد بلغت نسبة عالي الكروية في عينات الرمال 73.2 % في إجمالي العينات الرملية الخشنة (0.5 - 1.0مم)، وبالابتعاد عن الشاطئ نحو

(26) Anton,D.(1990): Environmental changes and Aelian dynamics during the quaternary in the Arabian peninsula, in proceedings of the international workshop on sand transport and desertification in Arid-lands, 17-26 November 1985, Khartoum, Sudan, Edited by EL-BAZ,F .et. Al. Word Scientific, Singapore, P.230.

(27) - صالح، أحمد سالم(1994) أشكال التكوينات الرملية في منطقة سهل الباطنة سلطنة عُمان دراسة جيومورفولوجية، الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد 168، الكويت، ص. 98.

الداخل، ويرجع ذلك أيضاً إلى تأثير الرياح ودورها في نقل الرمال وحركتها بواسطة التدحرج والقفز وبالتالي تأخذ الشكل الكروي، وتأثير التجوية الكيميائية.

يوضح الموضع الحالي للكثبان الرملية من حيث وقوعها على الشاطئ، أو مجاورة له اتفاقاً مع الخصائص الشكلية للرواسب وحركتها، حيث أدى استواء سطح منطقة الدراسة إلى سهولة حركة الرمال من الشاطئ نحو الداخل.

تشير نتائج التحليل الكيميائي لعينات الرمال إلى التجانس الكبير بينها من حيث التركيب الكيميائي، وهي تتكون بصفة أساسية من السيليكا (الكوارتز) وكربونات الكالسيوم مع بعض العناصر الثانوية القليلة النسب، وتشير ارتفاع نسبة كربونات الكالسيوم في العينات إلى أن مصدر الرمال بحري، ويرجع ارتفاع نسبة هذا العنصر إلى أن التكوينات الصخرية - التي تشكل جزءاً كبيراً من رواسب المنطقة- ترتفع فيها نسبة كربونات الكالسيوم .

ترجع نشأة الكثبان الرملية في ساحل المرصص إلى عدة عوامل أهمها الرياح والنبات الطبيعي ومظاهر السطح مع وفرة مصادر الرواسب. وتدل الاختلافات النسبية في الحجم ومعدلات الاستدارة والتركيب الكيميائي، بالإضافة إلى فقرها التصنيف إلى أن هذه الخصائص تعتبر من خصائص الرواسب المائية ثم تأثير الرياح ودورها في حركة الكثبان الرملية وأشكالها الحالية.

التوصيات:

ضرورة تكثيف الدراسات في منطقة الدراسة وما جاورها من الساحل الليبي لأهمية الكثبان الرملية من الناحية الاقتصادية والبيئية والسياحية.

ضرورة متابعة التغيرات البيئية والكشف عن حركة الكثبان وآلية تشكيلها والوقوف على تطورها.

تعد الكثبان الرملية الساحلية محصلة العلاقة بين مجموعة العوامل الجيولوجية والجيومورفولوجية والمناخية، فضلا عن نشاطات الإنسان الغير مخططة، ما يؤدي إلى استنزاف موارد البيئة الطبيعية الساحلية وإحداث تغيرات إيكولوجية غير متوازنة.

يجب الحد من تجريف واستنزاف الكثبان الرملية الساحلية بمنطقة الدراسة، تمشياً مع الإستراتيجية المتوسطة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة خطة عمل البحر المتوسط للفترة 2016-2025 بشأن إطار العمل الإقليمي المشترك للإدارة المتكاملة للمناطق الساحلية لخلق منطقة بحرية صحية ونظماً إيكولوجية بحرية ساحلية منتجة ومتنوعة بيولوجياً لتحقيق بيئة ساحلية متكاملة لصالح الأجيال الحالية والمقبلة .

المراجع

أولاً المراجع العربية:

إمبابي، نبيل سيد، عاشور، محمود محمد(1985) الكثبان الرملية في شبه جزيرة قطر، الجزء الثاني، مركز الوثائق والبحوث الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة، قطر.

العوضي،جاسم محمد عبد الله (1989) حركة الكثبان الهلالية في الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، العدد 127.

جودة، حسنين جودة وآخرون(1991) وسائل التحليل الجيومورفولوجي، الطبعة الأولى، بدون ناشر، القاهرة.

حسن، حسن على(1987) منطقة جبل المغارة شمال سيناء، دراسة جيومورفولوجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة.

دسوقي، صابر أمين (1992) جيومورفولوجية الأشكال الرملية في حوض وادي الحاج والجدي في سيناء، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد 24، القاهرة.

دسوقي، صابر أمين (2000) الكثبان الطولية شرقي قناة السويس تحليل جيومورفولوجي، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد 35، القاهرة.

سليم، محمد صبري محسوب (1986) جيومورفولوجيا السواحل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

صالح، أحمد سالم(1994) أشكال التكوينات الرملية في منطقة سهل الباطنة سلطنة عُمان دراسة جيومورفولوجية، الجمعية الجغرافية الكويتية، العدد 168، الكويت.

عبد الله، عزة أحمد (2005) خصائص رمال الكثبان جنوب بحيرة البردويل دراسة في الجيومورفولوجية التطبيقية، ندوة التنمية والبيئة في الصحاري المصرية، كلية الآداب جامعة القاهرة، ص ص 140-104.

10 - فرغلي، عبير علي(2007) جيومورفولوجية الكثبان الرملية فيما بين الجزء الجنوبي من الإسماعيلية والحافة الغربية لهضبة التيه- سيناء، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة الإسكندرية.

11 - مشرف، محمد عبد الغنى عثمان (1997) أسس علم الرسوبيات، جامعة الملك سعود، الرياض.

ثانياً المراجع الأجنبية:

1 - Ahlbrandit,T.S.(1979): Textural Parameters of Eolian Deposits in" Study of Global Sand Seas" EDWIN,D. McKee, edition U.S. Geological survey Professional Paper 1052.P. 23-32.

2 - Anton,D.(1990): Environmental changes and Aelian dynamics during the quaternary in the Arabian peninsula, in proceedings of the international workshop on sand transport and desertification in Arid-lands, 17-26 November 1985, Khartoum, Sudan, Edited by EL-BAZ,F .et. Al. Word Scientific, Singapore.

3 - Bigarella, J.J. (1972): Eolian enrichment. In Recognition of Sedimentary Environments: Their Characteristics, Recognition and Importance. Edited by J.K.Righty & W.K.Homblin. Tulsa: Society of Economic Paleontologists, Vol, 16, P.P.12-62.

4 - Boggs Sam, Jr.(1987): Principles of sedimentology & stratigraphy. Publishing Co. & A bell & Howell Co. Columbus Ohio.

5 – Cook, R.et al, (1993): Desert Geomorphology, Uel press Ltd, London.
6 – David, B., (1977): " Sediments: Sources and Methods in Geography, " London.
7 – Folk, R.L & Ward, W.C (1957): Brozes River bar in the significance of grain–size parameters, Journal of Geology, V.62 P.P. 344–359.
8 – Folk, R.L. (1974): Petrology of Sedimentary Rocks. Hemphill Publ. Co., Austin, Texas.p.159.
9 – Gheteu, D. (2012): MARINE SAND–DUNES: CHALLENGES AND SOLUTIONS IN THEIR CONSERVATION MANAGEMENT, Scientific Annals of the "Alexandru Ioan Cuza" University of Iasi, Animal Biology, Volume LVIII.
10– Industrial Research Centre, (1974): Darnah sheet, Explanatory Booklet, Tripoli, Jamahiriya, Libya.
11– Kamel, A.F., El–Rakaiby M.M., and El–Kassas, I.A. (1982): Photo interpretation of sand Dune Belts in North western Sinai Egypt. J. Geol. Special Issue (Part I).
12– Lancaster, N., (1994): Dune Morphology and Dynamics, in Abrahams, A.D. and Parsons, A.J, (Eds.) Geomorphology of Desert Environment, Chapman & Hall, London, P.474 – 505.
13– Lancaster, N., (1995): A geomorphology of Desert Dunes Rout ledge, London, p. 290.
14–Lancaster, N. &Tchakerian,v, (1996): Sedimentology and Geomorphology of sand Ramps in Mojave Desert Geomorphology, 17,PP.151–165.
15–Mason, C.C, & Folk, R.L, (1958): Differentiations of Beach, Dune and Eolian flat Environments by size analysis, Mustang Island, Texas: Jour. Sed. Petrol, 28, P.P. 211–260.
16– S.P.L.A.J, ZAWIYAT ALMURASSAS NO, 4089, scale, 1: 50000, Prepared by the Army Map service (AM) Corps of engineers, U.S. Army. By photogrammetric methods in 1964. Updated by Pacific Aero survey Co. Ltd from land sat images taken in 1977 st scale 1:250000, under the supervision of the S.D.L. for the secretariat of Municipalities.
17– Watson, A. (1986): 'Grain–size variations on a longitudinal dune and a barchan dune'. Sedimentary Geology, 46.
18– ..... (1990): 'The control of blowing sand and mobile desert dunes'. In A.S.Goudie (ed.), Techniques for Desert Reclamation, 35–85, John Wiley, Chi Chester.

إصلاح الجهاز الإداري للدولة الليبية (المعوقات وآليات التطبيق)

إعداد :
طـــه الكوني المختار معيوف
محاضر مساعد بكلية القانون والعلوم السياسية، جامعة الزنتان

الاستلام : 1/ 10/ 2022 القبول : 5/ 11/ 2022

الملخص :

يعتـبر إصـلاح الجهـاز الإداري تحديًـا كبيرًا لعمليـة إعادة بنـاء الدولة في ليبيـا، كوننا بمجـرد إصلاحـه سـنتمكن مـن الحصـول عـلى إدارة فعَالـة ذات كفـاءة وقـدرة عـلى تنفيـذ الخطـط والاسـتراتيجيات التـي رسـمتها الدولـة، وسـنتمكن مـن تزويـد موظفـي الخدمـة المدنيـة بالإمكانيـات والوسـائل اللازمـة لتحقيـق مهامهـم، وتوفـير الخدمـات للمواطنـين. لـذا فقـد قامـت هـذه الدراسـة بتسـليط الضـوء عـلى أبـرز المعوقـات التـي تحـول دون إصـلاح الجهـاز الإداري، والتـي مـن بينهـا المركزيـة والبيروقراطيـة والتضخم الوظيفـي والتدخـل الخارجـي. لنتطـرق بعدهـا لمفهـوم الإصـلاح الإداري بتعريفـه وبيان أهدافـه واسـتراتيجياته، والتركيـز عـلى أبـرز آليـات تطبيقـه والتـي مـن ضمنهـا إعـادة هيكلـة المؤسسـات وتدريـب وتأهيـل الـكادر الوظيفـي ومكافحـة الفسـاد.

لقـد توصلـت هـذه الدراسـة إلى أن إصـلاح الجهـاز الإداري لكـي يتحقـق، يجـب أن تقـترن عمليـة الإصـلاح بخطـة عمـل وباسـتراتيجية واضحـة، وبـضرورة التركيـز عـلى الأولويـات والتـي عـلى رأسـها انشـاء دسـتور جديـد تخضـع لـه كافـة مؤسسـات الدولـة، والعمـل عـلى تنميـة المـوارد البشريـة، والتنسـيق للعمـل المشـترك بغيـة تحقيـق الأهـداف المرسـومة بسرعـة أكـبر.

الكلمـات المفتاحيـة: المركزيـة الإداريـة، الإدارة الالكترونيـة، إعـادة الهيكلـة، البيروقراطيـة، مكافحـة الفسـاد.

Reform of the Libyan State Administrative Apparatus (obstacles and implementation mechanisms)

Abstract

Reforming the administrative apparatus, developing its capabilities, and developing its human resources is a major challenge to the process of rebuilding the state in Libya. To fulfill their duties and provide services to citizens. Therefore, this study has shed light on the most important obstacles and obstacles that prevent the reform of the administrative apparatus of the Libyan state, including centralization, bureaucracy, job inflation and external interference. We will then discuss the concept of administrative reform by defining it and stating its main objectives and strategies, and focusing on the most prominent mechanisms for its implementation, including the restructuring of administrative institutions, training and rehabilitation of the functional staff and fighting corruption.

This study concluded that the reform of the administrative apparatus in order to be achieved, the reform process must be accompanied by a plan of action and a strategy for rebuilding the state, and the need to focus on priorities, on top of which is the creation of a new constitution to which all state institutions are subject and determines the form of the state and its system of governance, and work on developing resources Humanity with all available capabilities, and coordination for joint action in order to achieve the goals set more quickly.

Keywords: Administrative centralization, Anti-corruption, Bureaucracy, Electronic management, Restructuring.

المقدمـــة:

توجـد اليـوم العديـد مـن الـدول التـي تمـر بأزمـات وصراعـات سـواء داخليـة أو دوليـة أدت الى انهيارهـا بشـكل جزئـي أو كامـل، وهـذه الـدول تحتـاج إلى إعـادة بناءهـا وإصـلاح مؤسسـاتها المنهـارة، ولكنهـا تفتقـر إلى الاليـات والخطـط والاسـتراتيجيات التـي تمكنهـا مـن تحقيـق هدفهـا هـذا، وهـو مـا دفعنـي لاختيـار هـذا الموضـوع، كونـي انتمـى لدولـة تواجـه نفـس المشـكلة وهـي (ليبيـا)، التـي عانـت ولازالـت تعانـي مـن مشـاكل في إعـادة بنـاء وإصـلاح المؤسسـات العامـة للدولـة، وخصوصـا بعـد التدخـل الـدولي وسـقوط النظـام في 2011، والـذي غرقـت بعـده البـلاد في حالـة مـن الفـوضى.

نعلـم جيـدا أن مسـألة إعـادة بنـاء الدولـة في ليبيـا تعـد مسـألة هامـة حاليـا وذات اولويـة كـبرى، ويجـب أن نأخـذ في الاعتبـار مـن خلالهـا مصالـح جميـع أفـراد المجتمـع لتجنـب الانـزلاق مـرة أخـرى في حالـة الحـرب والفـوضى، لذلـك فقـد اخـترت التركيـز عـلى جزئيـة هامـة، وهـي إصـلاح الجهـاز الإداري للدولـة، لـدوره الهـام والاسـاسي في إعـادة بنـاء الدولـة، ولأنـه يعتـبر المسـؤول الأول عـلى تنفيـذ سياسـات وقوانـين وقـرارات وخطـط واسـتراتيجيات الدولـة، ويشـكل أحـد الأدوات الرئيسـية لقيادتهـا نحـو الاسـتقرار وإعـادة البنـاء.

إن نمـاذج اصـلاح الجهـاز الاداري كثـيرة ومتنوعـة، ونسـتطيع القـول بـأن هنـاك نهجـين رئيسـيين للإصـلاح قـد ظهـرا عـلى مـر السـنين، الأول هـو نمـوذج اصـلاح دولي مـن خـلال عمليـة يقودهـا المجتمـع الـدولي إلى حـد كبـير كمـا حـدث في كوسـوفو وتيمـور الشرقيـة، والثانـي هـو نمـوذج اصـلاح داخـلي بقيـادة الفاعلـين الوطنيـين. وعـلى كل حـال فـان أي عمليـة اصـلاح يجـب عـلى الفاعلـين فيهـا احـترام القوانـين، ويجـب أن تكـون كافـة اسـتراتيجياتهم واجراءاتهـم متوافقـة مـع القانـون سـواء الداخـلي او الـدولي.

ونشـير أيضـا إلى أن هنـاك العديـد مـن المداخـل الاسـتراتيجية لتحقيـق الإصـلاح الإداري مـن أبرزهـا: المدخـل الشـمولي؛ والـذي ينظـر للإصـلاح الإداري كجـزء لا يتجـزأ مـن الأوضـاع السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة للدولـة، وينطلـق نحـوه في إطـار اسـتراتيجية شـاملة، وهنـاك في المقابـل المدخـل الجزئـي؛ والـذي ينطلـق نحـو الإصـلاح مـن خـلال الأخـذ بمبـدأ الأولويـات والتـدرج في الإصـلاح، والنظـر إليه كعمليـة تـرميم للأجـزاء المتـضررة بشـكل كبـير، ومـن ثـم الانتقـال للأقـل تـضررا، وهكـذا.

نُضيـف بـأن اصـلاح الجهـاز الاداري وتنميـة قدراتـه وتطويـر مـوارده البشريـة يعتـبر تحديًـا كبـيرًا لعمليـة إعـادة بنـاء الدولـة، لأن بتحقيقـه نسـتطيع الحصـول عـلى إدارة أكثـر ملاءمـة وقـدرة عـلى دعـم جهـود الدولـة في مهامهـا اليوميـة عـلى جميـع المسـتويات، وتزويـد موظفـي الخدمـة المدنيـة بالدوافـع والامكانيـات والوسـائل الإدارية اللازمـة لتحقيـق مهامهـم، فالموظـف الإداري إذا كان عديـم الكفـاءة والخـبرة والتأهيـل أو فاسـد، فـإن الإصـلاح وإعـادة البنـاء سـتكون عمليـة محكـوم عليهـا بالفشـل ولـو

بعد حين، ولذلك فوجود إدارة عامة فعّالة وذات كفاءة سيمكن من إعادة بناء الدولة وإصلاح كافة مؤسساتها بسرعة أكبر.

إشكالية البحث: يعتبر اصلاح الجهاز الإداري ركن أساسي في إعادة بناء دولة ليبيا، وذلك نظرا لعدم إمكانية إعادة البناء او تحقيق أية عملية تنموية شاملة دون النجاح في تحقيق هذا الإصلاح كونه مرتبط بتنفيذ أي سياسات أو قرارات أو خطط أو استراتيجيات على مستوى الدولة، فكلما ارتفع مستوى أداء هذا الجهاز حققت خطط البناء والخطط التنموية والقومية أهدافها والعكس صحيح. وعليه فإن إشكالية هذا البحث تتمحور حول الإجابة عن التساؤلات الاتية: ماهي عيوب الجهاز الإداري للدولة الليبية؟ وما المعوقات والمشاكل التي تحول دون إصلاحه؟ وما المقصود بالإصلاح الإداري وما أبرز أهدافه واستراتيجياته؟ وماهي الخطوات والآليات التي ينبغي استخدامها لتحقيق هذا الإصلاح المنشود؟

أهمية موضوع البحث: يعاني الجهاز الإداري للدولة الليبية منذ فترة طويلة من فشل وصعوبة في أداء دوره والقيام بمهامه على الوجه الأمثل، ولهذا فان أهمية هذا البحث تتمثل في تسليط الضوء على المشاكل الحالية والعقبات التي يعاني منها الجهاز الإداري، ومن ثم الانتقال لعرض كيفية إصلاحها من خلال تناول أهم الآليات والاستراتيجيات التي يجب اتباعها.

منهجية البحث: يستخدم هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، فقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي لجمع البيانات والمعلومات والتقارير والابحاث المتوفرة سواء كانت صادرة عن طريق الحكومة الليبية أو غيرها، والمنهج التحليلي من خلال تحليل هذه البيانات والمعلومات بشكل علمي، بغية الوصول الى وضع الحلول المناسبة والملائمة للدولة الليبية.

خطة البحث: سنقوم بدراسة موضوع معوقات إصلاح الجهاز الإداري للدولة الليبية وآليات تطبيقه وفق خطة البحث التالية:

المبحث الأول: أسباب ضعف الجهاز الإداري للدولة الليبية

يعاني الجهاز الإداري للدولة الليبية من عدم قدرته على أداء دوره والاضطلاع بمهامه بالشكل المطلوب لوجود العديد من العيوب التي سنتناولها في (المطلب الأول) وكذلك العديد من المعوقات التي تحول دون إصلاحه والتي سنتناولها في (المطلب الثاني):

المطلب الأول: العيوب التي يعاني منها الجهاز الإداري

سنحاول في هذا المطلب التطرق لأبرز عيوب الجهاز الإداري وفق ما يلي:

أولا: الضعف بشكل عام: يعاني الجهاز الإداري في ليبيا من الضعف العام الذي يعرقل أي مشروع إصلاح أو إعادة بناء للدولة.[1] حيث يعيق تدني مؤهلات الموظفين الإداريين وزيادة عددهم وانتشار الفساد جهود عملية الإصلاح الاداري،

(1) المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، ليبيا: حصاد 2015، تقرير بحثي، طرابلس، ليبيا، 2015، ص 35.

فمن خلال اطلاعنا على التقارير السنوية لهيئة الرقابة الإدارية بداية من العام 2014، نجد أنها في تقريرها السنوي قد نوهت للعديد من الظواهر التي يعاني من الجهاز الإداري للدولة منها: (انتشار ظاهرة التسيب الإداري في أغلب أجهزة الدولة وعدم العمل على حلحلته؛ عدم تناسب المؤهلات العلمية والمهنية لشاغلي الوظائف القيادية بأغلب مؤسسات الدولة وعدم مراعاة مبدأ الخبرة والكفاءة في ذلك؛ الإهمال في تحديث الملاك الوظيفي وعدم تسكين العاملين وفقا للمؤهلات والتخصصات والخبرة؛ إصدار قرارات إدارية معيبة بما يتوجب نقضها أو إلغائها أو تعديلها أو سحبها ببعض الوحدات الإدارية بالدولة؛ عدم تفعيل أنظمة الرقابة الداخلية بكافة الجهات؛ غياب الخطط السنوية لأغلب الوزارات والجهات التابعة لها مما ترتب عليه عدم تحقيق أهدافها؛ عدم وجود قاعدة بيانات مشتركة بين مؤسسات الدولة، وتعرض مقرات وممتلكات الدولة للسطو المسلح والسرقة دون وجود خطط أمنية وإجراءات رادعة للقضاء على هذه الظاهرة).[2]

وتستمر هذه الظواهر سنويا بل تتفاقم، فمن خلال اطلاعنا أيضا على تقرير هيئة الرقابة الإدارية لسنة 2017م نجد أنها في تقريرها قد أشارت الى معظم النقاط سالفة الذكر وأضافت عليها بأنها من خلال المتابعة وتقييم الأداء الحكومي لمجلس الوزراء باعتباره أعلى سلطة إدارية في البلاد قد لاحظت: (عدم إعداد خطة عمل تحدد الأولويات والسياسات العامة للدولة وفقاً لما نص عليه الاتفاق السياسي؛ التقصير في معالجة ظاهرة التسيب الإداري واتخاذ الإجراءات القانونية حيالها وفقاً لأحكام القانون رقم (12) لسنة 2010م بإصدار قانون علاقات العمل؛ عدم فتح سجل خاص لتسجيل وتوثيق القرارات والاكتفاء بتسجيل القرارات وأرشفتها إلكترونياً؛ التأخر في إقفال وتسوية العهد المالية وعدم اتخاذ الاجراءات القانونية بالخصوص بالمخالفة لقانون النظام المالي للدولة؛ وعدم إعداد التقارير الفصلية لعمل ديوان المجلس والتقرير السنوي).[3] وقد أكد النقاط السابقة كذلك تقرير الهيئة لسنة 2019م والذي ورد فيه (عدم وجود خطة عمل لمجلس الوزراء لعام 2019 تنص على السياسات والاستراتيجيات، بالإضافة إلى منح قرارات النقل والإيفاد والإعارة للعمل في مجلس الوزراء بالمخالفة لأحكام قانون العمل رقم 12 لسنة 2010م ولائحته التنفيذية).[4] وعليه فنلاحظ بأن غياب خطة العمل والتسيّب الإداري وضعف الرقابة الإدارية منذ 2011م قد أضحى ظاهرة في أغلب الإدارات الحكومية بلا استثناء، ولعل أبرز العوامل التي ساعدت عليه هي: غياب الهيكل التنظيمي والملاك الوظيفي المعتمد لإدارة الجهاز أو المؤسسة، وعدم الاستقرار الإداري العام بالمؤسسات، وغياب أغلب المسؤولين عن أعمالهم مما أدّى إلى تدنّي مستوى الأداء وغياب الرقابة والمتابعة. وما يزيد من خطورة الوضع هو

(2) التقرير السنوي لهيئة الرقابة الإدارية بليبيا لسنة 2014، ص125-123.

(3) التقرير السنوي لهيئة الرقابة الإدارية بليبيا لسنة 2017، ص13-11.

(4) التقرير السنوي لهيئة الرقابة الإدارية بليبيا لسنة 2019، ص27.

ما يحيط بالجهاز الإداري من ظواهر تصل في معظمها لدرجة الجريمة المعاقب عليها قانوناً، فالرشوة على سبيل المثال صارت ظاهرة منوعة الأشكال، وأكثرها خطورةً ما يسمى بالرشوة الإداريّة السياسيّة: فهي إداريّة من حيث المحلّ، حيث تتمثل في الوظيفة التي يعين فيها المواطن غير الكفء أو غير الجدير بها أو على أقل تقدير غير المفيد فيها، وهي سياسية لأنها تمنح من أجل حصول المانح على ميزة أو عطية سياسية تتمثل في تحشيد الأصوات الداعمة لموقفه السياسي، سواء كانت هذه الاصوات عائدة لأبناء عائلة المستفيد منها أو عائدة لأبناء قبيلته أو منطقته أو ومدينته[5]. وبالتالي فإن كل ما سبق نتج عنه وجود ضعف عام للجهاز الإداري ومنعه من تأدية دوره ومهامه بفاعلية وكفاءة.

ثانيا: المركزية الإدارية: إن من أبرز العيوب التي يعاني منها الجهاز الإداري في ليبيا المركزية الإدارية، وذلك باعتبارها تركيز وحصر لجميع مظاهر النشاط الإداري بصوره المختلفة في يد سلطة إدارية واحدة. يعرفها الأستاذ سعيد السيد بأنها (قصر الوظيفة في الدولة على ممثلي الحكومة المركزية في العاصمة وهم الوزراء، دون مشاركة من هيئات أخرى، فهي تقوم على توحيد الإدارة وجعلها تنبثق من مصدر واحد مقره العاصمة).[6] وبالتالي فالنظام الإداري المركزي يُعنى بتركيز واحتكار الإدارة في يد الحكومة المركزية بعيدا عن السلطات المحلية.

في ظل النظام السابق 1969 – 2011، كانت ليبيا مثالاً للمركزية الإدارية حيث يتم تنفيذ جميع المهام وفقًا لتقدير كبار قادة الدولة، مما كان له تأثير سلبي على البلاد إداريا واقتصاديًا واجتماعيًا. فعلى سبيل المثال، من وجهة نظر إدارية فإن غياب دور الإدارات المحلية الموجودة في مختلف مناطق الدولة يفاقم العمل الإداري المرهق ويعيق ولادة الخطط والمشاريع التنموية بمختلف أنواعها نتيجة لانشغال موظفي المركز بقضايا ثانوية على حساب وضع السياسات العامة والاستراتيجيات والخطط على مستوى الدولة.[7] ومن وجهة نظر اقتصادية، فالإدارة المحلية عندما تقترح مشاريع تنموية فذلك لأنها أكثر قدرة على معرفة احتياجات الأفراد والاحتياجات العامة للمنطقة، وبالتالي، فإن وجود إدارة مركزية لا يسمح بفهم هذه الاحتياجات وأخذها في الاعتبار. وعلى الصعيد الاجتماعي، فإن غياب الإدارة المحلية يؤدي إلى الإحباط الاجتماعي لدى الأفراد الذين يفقدون الأمل في الاستفادة من الخدمات والمصالح الأساسية ويولد لديهم الشعور بالتذمر من الحكومة. [8] هذا بالإضافة إلى أن هذه المركزية تجبر المواطنين على السفر

(5) جازية جبريل محمد، ظاهرة الفساد الإداري في ثقافة المجتمع الليبي، يناير 2017، https://www.minbarlibya.org/?p=4795، بتاريخ 29/12/2021.

(6) سعيد السيد علي، أسس وقواعد القانون الإداري، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009، ص88.

(7) ALKAZAGLI Mohamed, La réforme administrative et son rôle dans la construction du nouvel État en Libye, Thèse en droit, Université Pierre Mendès France, Grenoble Alpes, 2017, p. 96-101

(8) عمار قحف وآخرون، حول المركزية واللامركزية في سورية بين النظرية والتطبيق، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، إسطنبول، تركيا، 2018، ص 22.

لمسافات طويلة للوصول إلى العاصمة لإنجاز أعمالهم وانهاء إجراءاتهم الإدارية، كالحصول على شهادة الخلو من السوابق مثلا، ما يتسبب في إهدارهم لجزء كبير من وقتهم ومدخراتهم.[9]

ولذلك نرى بأن المركزية الإدارية تمثل عقبة أمام تنفيذ أي إصلاحات مرجوة في الجهاز الإداري لسببين رئيسيين؛ الأول لأن السلطة المركزية لن تكون قادرة على تنفيذ جميع القرارات الإدارية الصادرة عنها في الوقت المناسب وبالكيفية المرجوة نظرا لاتساع الرقعة الجغرافية للدولة الليبية، والثاني لأن السلطة المركزية ستكون بعيدة عن الاهتمامات المحلية ومنشغلة بقضايا مركزية أهم، ولا يمكنها متابعة الأحداث والمتغيرات وحل المشاكل المحلية الطارئة بصورة سريعة.[10] وكذلك نرى بأن المدن الليبية لها خصوصية وأولويات لا يعرفها إلا سكانها، وبالتالي تطبيق المركزية فيها سيؤدي إلى تجاهل العديد من هذه الأولويات والحاجات المُلِحَة.

وختاما فمن عيوب المركزية أنها تولد شعور عند الموظفين العموميين بأنهم لا علاقة لهم باتخاذ القرارات الهامة ولا حتى بالمساهمة في اتخاذها، وهو ما يثني عزائمهم ويولد لديهم شعور بعدم الانتماء، ويمنعهم من القيام بأي مبادرات فردية لإصلاح أو تحسين الأداء.

ثالثا: البيروقراطية الإدارية وتباطؤ الإجراءات: أرتبط مفهوم البيروقراطية باسم ماكس فيبر (1864م – 1920م) الذي استخدم مصطلح البيروقراطية لكي يعني مجموعة الأنساق القانونية للسلطة التي تمارسها المنظمات الكبيرة الحجم، والتي تعتمد على الرسمية والموضوعية والرشد في بناء أنظمتها الإدارية.[11] على أن تكون منظمة بطريقة هرمية.[12] وبالتالي فهي تشير إلى تطبيق القوانين والقرارات بالقوة في المجتمعات المنظمة، بحيث تعتمد على الإجراءات الموحدة وتوزيع المسؤوليات بطريقة هرمية. وقد شملت المبادئ الرئيسية للبيروقراطية مفاهيم التسلسل الهرمي والقواعد الرسمية والشرعية وتوحيد الإجراءات وتقسيم العمل والجدارة والمؤهلات والابتعاد عن العلاقات الشخصية. وتغلغلت البيروقراطية في الأنظمة الإدارية على مستويات مختلفة، بعد أن قامت بسن أولويات لتحقيق خدمة عامة فعَالة، وذات كفاءة تنظيمية، بضوابط هرمية، وإحساس قوي بالمهنية بالإضافة للعقلانية والحياد والمساءلة والديمقراطية.[13] ولكن في المقابل،

(9) HASHMI Mohammed-Hadi, L'évolution de l'administration locale en Libye sous les régimes politiques successifs, Thèse en droit public, Université Paris I, 2007, p. 12.

(10)عمار قحف وآخرون، مرجع سابق، ص 23.

(11) أحمد صقر عاشور، الإدارة العامة: مدخل بيئي مقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص87.

(12) MACLOUF Pierre. Sociologie du monde du travail, Chapitre 3 – La critique de la bureaucratie aux États-Unis, Norbert Alter édition, Presses Universitaires de France, 2012, p. 47..

(13) SINTOMER Yves, La démocratie impossible ? Politique et modernité chez Weber et Habermas. La Découverte, Paris, 1999, p. 56-82.

يمكننا رؤية البيروقراطية كمفهوم ذو وجهين، لأنها تعكس من جهة العقلانية والموضوعية التي تتجه نحو تنظيم مثالي قادر على تسهيل الإجراءات الإدارية للمواطنين، ومن جهة أخرى، يمكن أن تبرز لنا الجوانب المظلمة التي تعكس في كثير من الأحيان الروتين والبطء في الإجراءات وتعقيدها.

لقد تآكلت مصداقية البيروقراطيات التقليدية تدريجياً بسبب الاختلافات بين نظريتها وممارستها، حيث يُرى في ممارسة البيروقراطية الافتقار إلى المرونة، وانخفاض الإنتاجية، ومشاكل الكفاءة والتسييس، وكلها تشكل الكثير من العيوب التي تؤثر على الجهاز الإداري للدولة. كما أن النموذج البيروقراطي التقليدي، الذي لا يستجيب بشكل ملموس للاحتياجات المتزايدة والمتغيرة أصبح عتيقًا مع تطور المجتمعات.

يمكننا التأكيد على أن مبادئ البيروقراطية نفسها ليست معيبة، ولكن الموظفين، من خلال تطبيقها حرفياً ودون فهم وإدراك حقيقي للهدف الأساسي منها وخوفاً من العقاب، يسببون في بطء وعرقلة الإجراءات، بالإضافة لعيوب أخرى، كون اغلب القوانين واللوائح في المؤسسات الخاضعة للبيروقراطية جامدة وغير مرنة، والأفكار الحديثة والابتكارات لا يمكن قبولها واعتمادها بسهولة، والحرص على الالتزام الصارم بالقوانين واللوائح يقضي على روح الكفاءة والإبداع لدى الموظفين، ويمكن حتى أن يوفر لهم عذرًا للتهرب من تحمل المسؤولية في حالة الفشل.[14] أيضا، الإدارة البيروقراطية غالبًا ما تؤدي إلى الفساد، حيث يصبح الافراد تحت رحمة الموظف أو المسؤول الذي يمكنه استخدام سلطاته في عرقلة الاجراء أو تأخيره حتى يتحصل على رشوة أو مقابل لإنجاز العمل، فأصبح بطء الإجراءات والتعقيد أمرًا شائعًا في ليبيا، فهناك تأخير لا حصر له في أداء العديد من الخدمات العامة، لا سيما في مجال الصحة والتعليم وغيرها، أو في الحصول على المستندات الرسمية كجوازات السفر. وبالتالي ما نتج عن البيروقراطية في ليبيا هو زيادة تكلفة الخدمات العامة، والفساد والمحسوبية في الإدارة، وفقدان ثقة المستخدم فيها.

ونستطيع الإشارة الى انه لم تتمكن الحكومات المتعاقبة منذ عام 2011م من إدارة أزمة انقطاع التيار الكهربائي وخاصة في فصل الشتاء الذي أجبر المواطنين على البحث عن طرق تدفئة بديلة وخطرة، مما تسبب عنه اندلاع العديد من الحرائق، والتي سببت في وفاة الكثيرين.[15] وكان هذا نتيجة للبيروقراطية والبطء في اتخاذ القرارات من الحكومة لتخصيص الموارد البشرية والمادية اللازمة للشركة العامة للكهرباء سنويا وبشكل منتظم لتسيير عملها، أو حتى منحها مزيدًا من

(14) عمار بوحوش، دور البيروقراطية في المجتمعات المعاصرة، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، عمان، الأردن، 1982، ص. 8.

(15) المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، تحليل تقرير هيئة الرقابة الإدارية لسنة 2015، تقرير بحثي، طرابلس ليبيا، د س، ص 6.

الاستقلالية من أجل أداء عملها بشكل أفضل.[16]

رابعا: تضخم الكادر الوظيفي: تركت سنوات من سوء الإدارة في القطاع العام إرثًا من تضخم عدد الموظفين، وزيادة الرواتب، ناهيك عن المشاكل الناجمة عن عدم كفاءة وجدارة هؤلاء الموظفين. فبداية من عام 1978م حين قرر النظام السابق حظر جميع أنشطة القطاع الخاص وحصر جميع الأشغال والخدمات في القطاع العام، مما أدى إلى زيادة عدد الموظفين بشكل كبير نتيجة للجوء أغلب المواطنين الى القطاع العام لإيجاد فرص عمل لهم، فنتج عن ذلك تزايد تدريجي في عدد موظفي القطاع العام. فبحسب تقرير ديوان المحاسبة الأخير لسنة 2021م وصل عدد الموظفين إلى (2024539) موظفا، والذي أشار بأن هذا العدد الأخير لا يشمل عددا من القطاعات في المنطقة الشرقية التي لم تقدم بيانات موظفيها إلى وزارة المالية وفقا لقانون الرقم الوطني، مما يعني بأن العدد الإجمالي يفوق ما تمت الإشارة اليه.[17] في بلد يبلغ عدد سكانه 6،830،237 مليون نسمة تقريبا، هذا العدد من موظفي القطاع العام أعلى بكثير من العدد المطلوب من قبل الحكومة حيث أنه يشكل قرابة ثلث عدد السكان، وفي ليبيا لا يجب أن يفوق عدد الموظفين 10% من عدد السكان الإجمالي أي بما لا يجاوز 683000 موظفا، ونتيجة لهذا التضخم يتم إنفاق ما يقرب من نصف الميزانية السنوية للدولة على رواتب ومزايا موظفي الخدمة المدنية، ما يسبب في نقص الأموال المخصصة للبناء والتطوير وإقامة المشاريع الجديدة. إضافة لما سبق، نجد بأنه يتم تعيين موظفي الخدمة المدنية في القطاع العام للدولة بأعداد كبيرة دون استخدام للمهنية والشفافية في الاختيار، حيث لا توجد معايير اختيار واضحة، ولا يتم تعيين الموظفين على أساس احتياجات حقيقية وتوصيف وظيفي واضح، بل على أساس الواسطة والمحسوبية والقبلية والجهوية وتبادل المصالح.[18] فيمكن أن تجد اليوم موظفًا حكوميًا لا يزال طالبا في المدرسة، أو في الجامعة.

خامسا: غياب الإدارة الإلكترونية: تعتبر ليبيا من ضمن الدول ذات الأداء الضعيف للغاية في مجال الخدمات الإلكترونية، حيث تحتل مرتبة قريبة من أدنى مستوى في مؤشر الخدمات الذي يقيس قيمة وجدوى الخدمات عبر الإنترنت، ومدى تأثيرها على تقديم الخدمة العامة.[19] حيث يعاني الجهاز الإداري من بنية تحتية متدنية لتقنية المعلومات، حيث لازالت بعض المدن النائية جغرافيًا تفتقر حتى لوجود شبكة الانترنت، كما أن اعتماد أنظمة تقنية المعلومات القادرة على تسهيل العمل الإداري في المؤسسات العامة محدود، حيث تستخدم الأنظمة الحالية

(16) أبوبكر محمد، أزمة الكهرباء في ليبيا، مقال منشور في الموقع الالكتروني: https://www.afrigatenews.net/article، تاريخ الزيارة 20/11/2021م.

(17) التقرير السنوي لديوان المحاسبة الليبي لسنة 2021م، ص 21.

(18) حمزة أطيش، وأنور الفيتوري، إصلاح الإدارة العامة في ليبيا، مركز البحوث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، أنقرة، تركيا، 2021، ص 56-55.

(19) محمد يوسف، الإدارة العامة في ليبيا: الاستمرارية والتغيير، المجلة الدولية للإدارة العامة، المجلد 41، العدد 10، نوفمبر 2018م.

بشكل أساسي فقط لطباعة الوثائق والمستندات أو تسجيلها.[20]

إن المشاكل الرئيسية التي تحول دون تفعيل الإدارة الإلكترونية في ليبيا تتمثل في عدم كفاية خبراء تكنولوجيا المعلومات الليبيين، حيث أن وظائف تقنية المعلومات المعقدة عادة ما يتم تخصيصها لخبراء أجانب، بالإضافة إلى نقص معرفة الموظفين بتكنولوجيا المعلومات إلى حد كبير، فضلًا عن ضعف السياسات الهادفة إلى ترسيخ ممارسة جيدة للإدارة الإلكترونية، وذلك يعود لعدم وجود إطار تشريعي ينظم عمل الإدارة الالكترونية، وهو ما لا يشجع على الاستثمار مستقبلا في تطوير تكنولوجيا المعلومات وإعادة بناء بنيتها التحتية. وكذلك الدافع لدى الموظفين لتبني الإدارة الإلكترونية منخفض للغاية، لأنهم يخشون من أن يؤدي تفعيلها إلى توفير كبير في التكاليف مما يعني تقليل الحاجة إليهم وإلى خدماتهم أو حتى الاستغناء عنهم مستقبلا مما يجعلهم يواجهونها بمقاومة صريحة أو ضمنية. وعليه فالمرحلة الحالية تستوجب وجود أنظمة أرشفة إلكترونية حديثة، وكذلك أنظمة وشبكات تجعل المعلومات والبيانات في متناول الجميع، وتسهل الاتصال بين جميع الإدارات والمكاتب الإدارية، وبينها وبين المواطنين، بالإضافة إلى تفعيل طرق تبادل المراسلات والوثائق الرسمية بين الحكومة والمؤسسات التابعة لها أو غير التابعة لها.[21]

المطلب الثاني: المعوقات التي تحول دون إصلاح الجهاز الإداري

إن أبرز المعوقات التي تحول دون عملية إصلاح الجهاز الإداري للدولة الليبية ما يلي:

أولا: عدم وجود دستور: بعد عام 2011م كان على المجلس الوطني الانتقالي، باعتباره أول سلطة تشريعية للبلاد، أن يتخذ قرارا فيما يتعلق بدستور البلاد، فكانت الخيارات أمامه حينها إما إحياء دستور 1951م أو دستور 1963م المُعدَل، أو صياغة دستور جديد، فقرر صياغة دستور جديد. ولكن في ذلك العام لم يكن من الممكن كتابة دستور يعكس رغبات الشعب الليبي وينظم بشأنه استفتاء وطني عام، وعليه فقد بدأ في صياغة دستور مؤقت أُطلق عليه أسم الإعلان الدستوري، والذي تضمن خارطة طريق للفترة الانتقالية ومهد الطريق لانتخابات ديمقراطية بلغت ذروتها في أول برلمان منتخب ديمقراطيا في 2012م، أطلق عليه أسم المؤتمر الوطني العام.[22] تم تفويض المؤتمر الوطني العام (البرلمان) بعد ذلك بموجب الإعلان الدستوري بتعيين اللجنة الدائمة لصياغة الدستور المعروفة باسم الجمعية الدستورية. لكن الضغط الشعبي أجبر المؤتمر الوطني العام على الدعوة لانتخابات مباشرة للجمعية الدستورية، فأجريت الانتخابات المباشرة لهيئة

(20) المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، تطبيق الحوكمة في الإدارة الليبية، تقرير بحثي، طرابلس، ليبيا، د س، ص 15.

(21) المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، تقييم الأداء الحكومي، تقرير بحثي، طرابلس، ليبيا، د س، ص 10.

(22) المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، تطبيق الحوكمة في الإدارة الليبية، مرجع سابق، ص 16.

صياغة الدستور في 20 فبراير 2014م وعقدت اجتماعها في 22 أبريل 2014م، وحددت مدة لجنة صياغة الدستور بـ 120 يومًا من خلال تعديل الإعلان الدستوري.[23] ولعدة اعتبارات منها الخلافات الحزبية والسياسية والعسكرية وانقسام السلطة التشريعية في 2014م وتعدد الحكومات ووجود ممثلين وفرق في اللجنة تتبع هذه الأطراف المتصارعة على السلطة، فقد أدى هذا إلى فشل هذه اللجنة في صياغة دستور ينهي المرحلة الانتقالية، وفشلت في التوصل إلى صيغة توافقية لصياغة الدستور، وكل هذه الأسباب ساهمت في إطلاق مشروع دستور جديد لا يرضي غالبية مكونات الشعب الليبي.[24] وعليه فليبيا تعتبر اليوم دولة بلا دستور وتحتاج بشدة إلى دستور دائم مستفتى عليه شعبيا ليكون الإطار الشامل لكافة القوانين، وليوصف الصلاحيات والمدد الممنوحة، وينهي المرحلة الانتقالية، ويصل بنا إلى مرحلة الانتخابات الرئاسية والبرلمانية وفق قاعدة دستورية، من أجل المضي قدمًا في عملية الانتقال إلى الاستقرار وإعادة بناء الدولة وإصلاح مؤسساتها العامة وعلى رأسهم جهازها الاداري.

ثانيا: انعدام الاستقرار السياسي: كان لعدم الاستقرار السياسي في ليبيا منذ 2011م تأثير كبير على الجهاز الإداري للدولة، خاصة بعد الحرب الأهلية التي عرفت باسم "فجر ليبيا"، التي اندلعت مطلع يوليو 2014م واستمرت حتى منتصف 2015م، ونتج عنها انقسام سياسي تولدت عنه حكومتين إحداها في الشرق والأخرى في الغرب. وما أسفر بعدها من انتقال الملف الليبي إلى المنظومة الدولية بفتح حوار سياسي بإشراف الأمم المتحدة وبدعم من الفاعلين الدوليين، نتج عنه تضاعف التدخلات الدولية وزيادة الوضع السياسي الداخلي تعقيدا. وقد ذكر حينها عوض البرعصي بأن أبرز العوامل التي ساعدت على الانقسام السياسي: وجود مؤسسات مركزية ضعيفة ينخرها الفساد وغير قادرة على الاضطلاع بمهامها، وغياب الحوار، وعدم وجود ميثاق اجتماعي، وضعف الإطار المؤسسي للفترة الانتقالية، واتخاذ قرارات غير صائبة وغير مناسبة كنقل بعض المؤسسات الإدارية خارج العاصمة كحل لمشكلة اللامركزية.[25] شكل عدم الاستقرار السياسي عقبة رئيسية أمام أداء الجهاز الإداري، ما جعل من الصعب إصلاحه وتطويره حتى على المنظمات الدولية المشاركة في برامج التدريب والتوجيه كبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي.[26] كما يُخشى أن يؤدي استمرار عدم الاستقرار هذا إلى مزيد من الانعكاسات السلبية على المدى الطويل، كتفكك المؤسسات

(23) حمزة أطيش، وأنور الفيتوري، مرجع سابق، ص 64.

(24) نفس المرجع، ص75.

(25) عوض البرعصي، الانقسام السياسي في ليبيا وتداعياته على مؤسسات الدولة، تقرير بحثي، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، طرابلس، ليبيا، د س، ص 10-9.

(26) المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، تطبيق الحوكمة في الإدارة الليبية، مرجع سابق، ص 15.

الحكومية بشكل أكبر، وإهدار الأموال العامة، وزيادة انتشار الفساد.[27] وعدم قدرة الإدارة على تقديم الخدمات الأساسية، وهو ما سيؤثر سلبا على الظروف المعيشية للمواطن، وقد يصل بالدولة الى مرحلة الفشل الكامل.

ثالثا: التدخل الخارجي: التدخل الخارجي يعرّفه MENCER وCOSTE بأنه ضغط تمارسه دولة أو مجموعة دول على دولة أخرى بهدف فرض إرادة خارج إرادتها.[28] أي أنه عمل يتعارض مع إرادة الدولة في إدارة شؤونها الداخلية، ويتجلى بأي وسيلة كانت سواء عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو غيرها، ويحمل في طياته تهديدًا ومصدرًا لعدم الاستقرار ولانعدام الأمن. إن سيادة الدولة وعدم التدخل في شؤونها الداخلية يعتبر مظهر من مظاهر استقلالها على أراضيها، باستثناء ما ينظمه القانون الدولي من تدخلات. فبموجب المواثيق الدولية، تتمتع جميع الدول بحقوق والتزامات متساوية،[29] ويمكنها ممارسة سلطاتها الوطنية دون قيود خارجية، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية أو إنسانية. وعلى الرغم من ذلك، فلا أحد يستطيع أن ينكر وجود تدخلات خارجية في الشؤون الداخلية لدول مثل العراق وغيرها من الدول التي عاشت ما يسمى بـ «الربيع العربي» وعلى رأسهم ليبيا.

ترى بسمة الأوقاتي أستاذة العلوم السياسية بجامعة بغداد في سنة 2018م، بأنه منذ سقوط نظام صدام حسين بسبب الاحتلال الأمريكي للعراق في2003م، تعاني البلد ضعفا في الاستقلالية والحصانة تجاه التدخلات الخارجية، مما يعيق سير العملية السياسية ويؤخر إعادة بناء الدولة بأجهزتها المختلفة.[30] ونرى بأن التدخل الخارجي في الشأن الليبي بعد 2011م واضح جدا، والذي يهدف لخدمة مصالح الدول المتدخلة وتحقيق تطلعاتها، والاستمرار في التأثير والسيطرة على الحكومات المتعاقبة، حتى بلغ هذا التدخل حدود الابتزاز سواء السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي. وعليه فهذه التدخلات الخارجية تستمر في تغذية الانقسامات والصراعات الداخلية وتعزيزها من أجل ضمان تحقيق مكاسبها، مما يؤثر سلباً على مؤسسات الدولة، وخصوصا جهازها الإداري الذي يصبح أكثر هشاشة وضعفا وغير قادر على إصلاح نفسه، أو أداء مهامه وتقديم حتى أبسط الخدمات للمواطنين.

رابعا: انعدام الأمن: يعد انعدام الأمن في ليبيا وخصوصا بعد 2011م سببا في ضعف الجهاز الإداري للدولة واحد المعوقات الرئيسية التي حالت دون اصلاحه،

(27) التقرير السنوي لديوان المحاسبة الليبي لسنة 2014، ص16.

(28)MENCER, G., « Du principe de non-intervention », Revue de droit contemporain, Larcier, Bruxelles, 1964, p. 39 ; et COSTE, R., « Réflexion philosophique sur le problème de l'intervention », R.G.D.I.P., Bruylant Bruxelles, 1967, p. 370.

(29) ميثاق الأمم المتحدة، الفصل الأول: مقاصد الهيئة ومبادئها، المادة 2، فقرة 1.

(30) مروان الجبوري، هواجس التدخل الخارجي بالانتخابات تؤرق العراقيين، 2018، مقال منشور على الموقع الالكتروني: https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2018/4/19/، تاريخ الزيارة 17/8/2022.

فبعد التدخل الدولي وانهيار النظام السابق في 2011م ظهرت العديد من التنظيمات والجماعات المسلحة في جميع أنحاء البلاد، فكانت لكل منها أهداف وأجندات تعمل على أساسها، ما تسبب في انفلات الامن بشكل عام، وتصاعد العنف نتيجة لحدوث صراعات مسلحة متكررة بين بعضها البعض، وانتشرت أعمال السرقة والنهب والاشتباكات العرقية، وهو ما أدى إلى تدهور كبير في الوضع العام للسكان، وحال دون قدرة الدولة على حماية مواطنيها وتلبية احتياجاتهم الأساسية وتوفير متطلباتهم سواء من جانب توفير الأمن، أو حتى من جانب توفير السلع الغذائية الأساسية والخدمات الصحية والتعليمية التي يحتاجونها.

إن انعدام الأمن يقضي على الدولة من خلال تقويض شرعيتها وإضعافها، ويؤدي إلى ضعف وتفكك المؤسسات العامة فيها بشكل كبير وخصوصا جهازها الاداري، وإلى فقدانها السيطرة والقدرة على إدارة شؤون البلاد، نظرا لعدم قدرة موظفيها على أداء عملهم، وهجرة الأدمغة منهم إلى الخارج، ويؤدي أيضا لغياب الرقابة والمتابعة على الاعمال المنجزة، وهو ما يولَد الفساد والمحاباة والظلم الذي يؤدي إلى الانقسام داخل المجتمع على أساس قبلي أو عرقي أو جهوي، ويؤدي إلى وجود مجتمع مدني ضعيف يعتمد بشكل كبير على القوى الخارجية لتسير اموره.[31] وعليه فإن الأمن هو أحد الركائز الأساسية التي يجب أن تقوم عليها أي عملية بناء أو تطوير أو اصلاح للجهاز الإداري للدولة، وبعبارة أوضح، لا يمكن أن يتحقق استقرار للدولة أو إصلاح لجهازها الإداري إلا في ظل وجود الأمن.

خامسا: انتشار الفساد وغياب الرقابة: تحتل ليبيا وفق تقرير منظمة الشفافية الدولية المرتبة 172 عالميا من مجموع 180 دولة في مؤشر فساد القطاع العام لسنة 2021م، بحيث تعتبر من الدول الأكثر فسادا بحصولها على 17 نقطة من أصل 100 ضمن مؤشر مدركات الفساد في الدول التي تعاني من الصراعات المسلحة.[32] وعلى الرغم من أن ليبيا قد وقعت على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد سنة 2003م، وصادقت عليها سنة 2005م، ونصت المادة 6 منها على أن الدول الموقعة عليها يجب أن تنشئ هيئة أو هيئات تتولى منع الفساد عن طريق تنفيذ سياسات مختلفة.[33] واستجابت ليبيا بإنشاء هيئة مكافحة الفساد التي أوكلت إليها مهام التحقيق والكشف عن جرائم الفساد، والتنسيق مع مصرف ليبيا المركزي والجهات ذات الصلة لاسترداد الاموال الناتجة عن الفساد داخل وخارج البلاد، وتلقي الإفصاحات المالية وفحصها والاحتفاظ بها، وطلب أي بيانات أو توضيحات تتعلق بالأشخاص المعنيين أو الكيانات المختصة، وإعداد اقتراحات حول تعديل التشريعات الخاصة بمكافحة الفساد.

(31) عارف بني حمد، وأمين المشاقبة، الدولة الفاشلة (سوريا نموذجا)، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 45، العدد 4، الملحق 1، الجامعة الأردنية، 2018، ص 170-163.

(32) أنظر الموقع الرسمي لمنظمة الشفافية الدولية، https://www.transparency.org

(33) https://www.unodc.org/documents/treaties/UNCAC/Publications/Convention/08-50024_A.pdf

إلا أننا وبالاطلاع على التقارير الرقابية المختلفة يمكننا القول بأن القطاع العام هو أكثر المؤسسات فسادًا ومن كافة الجوانب، حيث أن الفساد والوساطة والمحسوبية والإهمال في ممارسة الواجب من أكثر المظاهر السائدة، بل أصبحت متجذرة بعمق في الإدارة الليبية، حيث غالبًا ما يكون من هم في السلطة منحازين تجاه أقاربهم أو أصدقائهم أو معارفهم، خاصة عند منحهم المهام والمناصب العليا، وهو ما أتاح لأشخاص غير أكفاء الحصول على المناصب، واستغلال وظائفهم للحصول على المنافع الشخصية وجمع الأموال والرشاوى مقابل تقديم الخدمات للمواطنين، كما شجع هذا الوضع نظرا لعدم وجود رادع للفاسدين، قيام الاخرين بنفس التصرف، حتى أصبحت الغالبية تنظر إلى الفساد على أنه هو القاعدة، وما عداه الاستثناء.[34]

يظهر لنا كذلك ضعف واضح في مستوى الرقابة على عمل الادارات الحكومية، من حيث تنظيم الوظائف، ومن حيث ضبط احترام المسؤولين الإداريين للالتزامات المفروضة عليهم بموجب القوانين والقرارات واللوائح المنظمة للعمل. فعلى سبيل المثال: مدير إدارة الشؤون الإدارية بوزارة الحكم المحلي لم يكن موجودا بمقر الوزارة خلال ساعات الدوام الرسمية، بل وقام بتسليم الختم الخاص بالإدارة لأحد الموظفين المتعاونين مع الوزارة دون أي إجراء رسمي، وكذلك غياب معايير الرقابة عن المؤسسة الوطنية للاستثمار الخارجي فمجلس الأمناء بها لا يمارس أية رقابة فنية أو إشرافيه على أعمال مجلس الإدارة بالمؤسسة، ومعظم مكاتبات مقرر مجلس الأمناء الموجه إلى مجلس الإدارة لا تحمل أرقاما إشارية واسم مُصدرها، وخاصة تلك التي تتطرق إلى الحصول على مزايا مالية.[35] وعليه فهذه الصور من الإهمال وغياب الرقابة وغياب الوسائل الرادعة تفسر لنا سبب زيادة فساد الجهاز الإداري وتأخر عملية إصلاحه كونها من أبرز المعوقات التي تحوله دون ذلك.

المبحث الثاني: الإصلاح الإداري وآليات تطبيقه

الجهاز الإداري في ليبيا على الرغم من وجوده، إلا أنه غير قادر على القيام بواجباته وتنفيذ مهامه سواء من حيث التخطيط أو التنظيم أو التنفيذ أو المتابعة وهو ما يستوجب إصلاحه وبشكل عاجل. ما دفعنا لتناول موضوع الإصلاح بشكل عام، ومن ثم التطرق لآليات تطبيقه.

المطلب الأول: الإصلاح الإداري (مفهومه، أهدافه، استراتيجياته)

سنقوم في هذا المطلب بالتطرق لمفهوم الإصلاح الإداري، ومن ثم تحديد أهدافه، لننهي باستراتيجيات تنفيذه.

(34) حمزة أطيش، وأنور الفيتوري، مرجع سابق، ص 177 – 178.

(35) المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، تحليل تقرير هيئة الرقابة الإدارية الليبية لعام 2015م، مرجع سابق، ص 5.

أولا: مفهوم الإصلاح الإداري: يُعرَف مفهوم الإصلاح الإداري على أنه (مجموعة الجهود السياسية والإدارية الهادفة إلى دفع عجلة النمو والتنمية عبر اصلاح مكامن الخلل في عمل الأجهزة الإدارية والحكومية لزيادة كفاءتها وفعاليتها).[36] ويُعرَف أيضا بأنه: (جهد سياسي وإداري واقتصادي وثقافي هادف لإحداث تغييرات أساسية إيجابية في السلوك والنظم والعلاقات والأساليب والأدوات تحقيقا لتنمية قدرات وإمكانات الجهاز الإداري، بما يؤمن له درجة عالية من الكفاءة والفعالية في إنجاز أهدافه.[37] وأشارت أيضا منظمة الأمم المتحدة للإصلاح الإداري، فعرَفته على أنه (التأثير والاستخدام المعتمد للسلطة من أجل تطبيق معايير جديدة للنظام الإداري، بغرض تغيير الأهداف والهياكل والعمليات وتحسينها خدمة للتنمية).[38] ونختم بتعريف Jean-Michel Eymeri-Douzans الذي يحدده (بأنه ليس نهجًا روتينيًا عاديًا بسيطًا يؤثر على جزء من الإدارة ولكنه تغيير كلي للخطط وتحول أساسي في الاستراتيجيات والفكر والتنظيم وكذلك العمل الإداري وسلوكه وأساليب عمله).[39]

وعليه فتوجد العديد من التعريفات لمفهوم الإصلاح الإداري تتنوع بحسب تنوع مدارس الإدارة العامة والباحثين في علم الإدارة، ولكن المفهوم الأكثر شمولية حسب وجهة نظرنا لتعريف الإصلاح الإداري هو أنه جهد يهدف إلى إحداث تغييرات جذرية في جوهر أنظمة الإدارة من أجل تطوير قدراتها العامة وترسيخ جودة أدائها، وهو ما يتطلب فهم طبيعة مراحلها وطرق تطبيقها المختلفة وتقييم آثارها فيما يتعلق بتحقيق الأهداف العامة، بحيث لا يكون مضمون الإصلاح مجرد تحسينات هامشية في النظام. والإصلاح هو الوسيلة لتطوير عمليات وسياسات الجهاز الاداري ليحقق الأهداف والخطط المرسومة، والتي تسعى للتخلص من السلوكيات السلبية والممارسات الخاطئة التي ارتكبت وحالت دون التطوير والتحديث، كإحداث تغييرات هيكلية في الجهاز الإداري القائم، بهدف زيادة فعاليته، بما يتناسب مع الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية السائدة، من خلال تحسين أساليب العمل، وتأهيل وتدريب الأفراد الذين يقودون العملية الإدارية، وتهيئة البيئة القانونية والتشريعية المناسبة، التي ترفع من إمكانيات الجهاز الإداري، وتحسن من مستوى أدائه،[40] وبالتالي فتتم هذه العملية

(36) عمر ملاعب، الإصلاح الإداري مدخلا لتصويب المسار التنموي: تجارب دولية، سلسلة دراسات تنموية، العدد 62، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، 2019، ص11.

(37) سامي محمد أحمد البحيري، مداخل الإصلاح الإداري -التطوير التنظيمي والتدريب وتقييم الأداء، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير من الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، لندن، المملكة المتحدة، 2011، ص 32.

(38) عمر ملاعب، مرجع سابق، ص10.

(39)EYMERI-DOUZANS Jean-Michel ,Les stratégies de réforme administrative en Europe : essai d'évaluation comparative ,éditions Institut de la gestion publique et du développement économique ,Vincennes, ,2008p..115-140.

(40) سحر الحملي، الإصلاح الإداري مفهومه وآليات تطبيقه، المجلة العلمية لقطاع كليات التجارة بجامعة الأزهر، العدد العاشر، مصر، 2013، ص 337.

عبر إصلاح وتطوير النظم والبرامج وإعادة التفكير في المناهج والأساليب العملية وتبني الناجح منها أو الأكثر ابتكارا بما يزيل أية أخطاء وينهي أية ممارسات خاطئة، ليحقق التحسين في الأداء ويرفع من مستوى الكفاءة بما يتماشى مع المتغيرات الداخلية والخارجية.

وختاما، الإصلاح الإداري عملية سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، فهو عملية سياسية على أساس أن الجهاز الإداري له وزن سياسي لا يمكن إنكاره بمعنى أنه يمكن أن تغيره التوجهات السياسية بشكل كبير، وعملية اجتماعية لأنه يسعى إلى خلق مؤسسات وأنظمة فاعلة وفق البيئة المحيطة، بهدف الحفاظ على مستقبل المجتمع، وعملية اقتصادية لأنه يريد أن يكون فعال من حيث استخدام الطاقات البشرية والمادية والتقنية، وعملية ثقافية لأنه يقوم على المعرفة والبحث العلمي التي تساهم في بناء الدولة.[41]

ثانيا: أهداف الإصلاح الإداري: يهدف الإصلاح الإداري إلى تحقيق العديد من الغايات والأهداف منها:

1. اعداد خطة عمل واستراتيجية تمثل رؤية الدولة في كيفية اصلاح الجهاز الإداري، وتمكينه من مواجهة التحديات والعقبات الداخلية والخارجية التي تحوله دون أداء دوره، بهدف تحسين مستواه ورفع انتاجيته.

2 – زيادة كفاءة الأجهزة الحكومية، وتحسين نوعية خدماتها للمواطن العادي، وتعزيز القدرة التي تتمتع بها من خلال إحداث تغييرات مقصودة في الهياكل التنظيمية، وأساليب الإدارة، وسلوكيات العاملين فيها.[42]

3 – تحديث وتطوير القوانين والقرارات المتعلقة بعمل الجهاز الإداري للدولة.

4 – مراجعة أهداف ومهام كل إدارة لتعديلها وتحديثها من حيث التخطيط والتنفيذ والتنسيق والتوثيق، للوصول إلى جهاز إداري متقدم يظهر مرونة أثناء التغيرات، ومنتج، ومتناغم مع البيئة التي حوله.[43]

5 – ترشيد الإنفاق العام، من خلال تقليل عدد الإدارات وعدد الموظفين الزائد عن الحاجة، وإصلاح الأنظمة المالية والضريبية.

6 – دعم إدارة تنمية الموارد البشرية للرفع من مستوى الكادر الوظيفي وتطوير خطط التدريب والتأهيل سواء قصيرة أو متوسطة أو طويلة المدى.

7 – استخدام التكنولوجيا وتقنية المعلومات وتفعيل الإدارة الالكترونية لتسهيل عمل الجهاز الإداري، وانجاز المهام بجهد وتكلفة أقل، وبكفاءة وسرعة أكبر.

8 – تبسيط الإجراءات الإدارية وتحسين أساليب استقبال الجمهور وتعزيز

(41) CHRISTENSEN Tom, LISHENG Dong, PAINTER Martin, « La réforme administrative au sein de l'administration centrale chinoise – L'importance de « l'inspiration occidentale » », Revue Internationale des Sciences Administratives, vol. 74, n° 3, 2008, p. 371–394.

(42) سحر الحملي، مرجع سابق، ص 338.

(43) مصطفى كافي، الإصلاح والتطوير الإداري بين النظرية والتطبيق، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2018، ص 46.

مفهـــوم ضرورة الاســـتجابة لمطالبهـــم.

9 - تفعيـل اللامركزيـة الإداريـة بنقـل الصلاحيـات والمسـؤوليات إلى المسـتوى المحـلي مـع ضمـان تجنـب تأثرهـم بالضغوطـات السياسـية والقبليـة والجهويـة.

10 - إنشـاء هيئـة عامـة للرقابـة عـلى عمـل الجهـاز الإداري، وتمكينهـا مـن اتخـاذ الإجـراءات التـي تكفـل القضـاء عـلى الفسـاد والواسـطة والمحسـوبية، والدفـع قدمـا نحـو الشـفافية والمسـاءلة.

ثالثـا: اسـتراتيجيات الإصـلاح الإداري: إن اسـتراتيجيات الإصـلاح الإداري ليسـت موحـدة، فهـي تتقلـب وفقًـا للسـياقات الجوهريـة لـكل دولـة، ومـدى التغيـر المنشـود، حيـث يمكـن للإصـلاح الإداري أن يشـمل النظـام الإداري بأكملـه أو أن يسـتهدف فقـط بعـض عنـاصره، ولكـن عـلى كل حـال فـإن الخطـوات المتبعـة للإصـلاح قـد تصبـح لاغيـة وباطلـة في حـال اسـتنادها عـلى اسـتراتيجيات لا تتوافـق مـع ظـروف الدولـة، ونذكـر فيمـا يـلي ثـلاث أنـواع مـن الاسـتراتيجيات للإصـلاح:[44]

الاسـتراتيجية العلميـة العقلانيـة، وهـي قائمـة عـلى فكـرة أن السـبب الرئيسـي لمعارضـة الإصـلاح تكمـن في الجهـل بأهدافـه أو بمعنـى أصـح بمزايـاه، وعليـه فسـتركز هـذه الاسـتراتيجية عـلى التعليـم والتدريـب والتوعيـة ودعـم مراكـز التدريـب والتأهيـل.

الاسـتراتيجية الموجهـة نحـو التثقيـف، وهـي تقـوم عـلى فرضيـة أن مقاومـة التغيير ورفضـه قـد لا تنشـئ مـن نقـص في المعلومـات، بـل لأن الأفـراد والمؤسسـات لا يرغبون في التغيـر والإصـلاح، إمـا لخوفهـم عـلى مصالحهـم كـون هـذا الإصـلاح يهـدد وجودهـا، وإمـا لاعتقادهـم بـأن هـذا الإصـلاح يتعـارض مـع قيمهـم ومعتقداتهـم، وعليـه فسـتركز هـذه الاسـتراتيجية عـلى دراسـة أسـباب مقاومـة هـؤلاء للتغيـر ومحاولـة تثقيفهـم وتوعيتهـم بخطئهـا.

اسـتراتيجية القـوة والإكـراه، وهـي تقـوم عـلى مخطـط يتـم تنفيـذه بالقـوة والإكـراه، حيـث يجـب وقـف أي مقاومـة أو رفـض يحـدث مـن قبـل النـاس لهـذا التغيير وهـذا الإصـلاح، وتجـدر الإشـارة إلى أن مثـل هـذه الاسـتراتيجية يمكـن أن تسـتخدم في الظـروف الخاصـة والطارئـة، ولكنهـا غـير مقبولـة في الظـروف العاديـة.

وبالإضافـة إلى ذلـك، هنـاك عـدة اسـتراتيجيات أخـرى متبعـة عالميـا لتطبيـق الإصـلاح الإداري، منهـا:

1 - اسـتراتيجية الإصـلاح الشـامل: حيـث يتـم اسـتخدامها عـن طريـق دمـج جهـود جميـع الفاعلـين في الدولـة سـواء كانـت هـذه الجهـود مـن القيـادات السياسـية؛ المؤسسـات الحكوميـة؛ المؤسسـات التشريعيـة؛ مجموعـات المصالـح والضغـط أو أجهزة وخـبراء الإصـلاح الإداري. ويتـم اللجـوء إليهـا عـادة أثنـاء الأزمـات المفاجئـة والخطـيرة، والدولـة في هـذه الحالـة حتـى وان كانـت لا تملـك تحـت تصرفهـا هيئـات إصلاحيـة، لكنهـا قـادرة عـلى الاسـتعانة بخـبراء ومستشـارين قادريـن عـلى البحـث عـن حلـول

(44) رحيم عويد نغميش، الإصلاح الإداري والتنمية الإدارية في العراق 1980-1970، أطروحة، جامعة القاهرة، 1984، ص. 76.

لتجاوز العقبات وإدارة الدولة وفق خطة استراتيجية شاملة.[45]

2 - استراتيجية الإصلاح الجزئي: وفق هذه الاستراتيجية سيتم التركيز على عدد قليل من الهياكل التي يتم تصنيفها إلى أربع فئات حسب مكانها من حيث المستوى الإداري، بما في ذلك: المستوى الهيكلي؛ مستوى العنصر البشري؛ مستوى طرق وأساليب العمل، ومستوى النصوص واللوائح والتشريعات. تركز استراتيجية الإصلاح الجزئي في المقام الأول على تبسيط إجراءات العمل وتطوير الهياكل التنظيمية والوظيفية لأن إصلاح العناصر الرئيسية للجهاز الإداري كافٍ لتشغيل بقية النظام.

3 - استراتيجية الإصلاح الأفقي: تركز هذه الاستراتيجية على عدد قليل ومحدود من العناصر المكونة للنظام الإداري بشكل عام، ولكنها تطبق على كل أجهزة وادارات القطاع العام، وبالتالي فهي تعتبر محدودة التأثير كأن تختص مثلا بتعديل الهياكل التنظيمية للجهاز الإداري، أو بتعديل وتطوير الملاكات الوظيفية أو غيرها.

4 - استراتيجية الإصلاح القطاعي: تركز هذه الاستراتيجية على اصلاح بعض الأجزاء او القطاعات المنهكة داخل الجهاز الإداري، ويتم اختبار برامج الإصلاح التي سيتم تطبيقها على هذه المكونات قبل تعميمها على بقية الأجزاء، وذلك من خلال تشكيل لجنة اختبار للإصلاحات المطلوبة على المستوى القطاعي أو الجغرافي.

وهي بذلك تعتبر طريقة إدارية مؤقتة للإصلاح تتناسب مع عادات وممارسات عمل الموظفين، والوسائل القانونية المصاحبة لها، وتعتبر هذه الطريقة من وجهة نظر بعض الباحثين (ذات آثار إيجابية على عملية الإصلاح الإداري، فهي تدفع الإدارة التقليدية إلى الشعور بوجود مهام مستجدة ومعقدة، كما تنشر روح المبادرة في الإدارة، وتكون أداة حافزة للإدارة التنفيذية، ولكن يعاب على هذه الطريقة ظهور الصراعات التي قد تعيق عملية الإصلاح الإداري).[46]

المطلب الثاني: آليات تطبيق إصلاح الجهاز الإداري

لضمان نجاح عملية إصلاح الجهاز الإداري للدولة الليبية، يجب علينا القيام بالعديد من الخطوات والإجراءات أبرزها:

أولا: انشاء دستور جديد: قبل التفكير في إعادة بناء دولة ليبيا الخارجة لتوها من الصراع، من الضروري أولاً التعهد بترسيخ أسسها وذلك من خلال إنشاء نظام قانوني ستظهر قواعده المعيارية والمؤسسية في الدستور الجديد. ولكن ما

(45) محمد علي عيتاني، الإصلاح الإداري: المفهوم النظري، الغايات والأهداف، تقرير بحثي، معهد العلوم الاجتماعية، بيروت، لبنان، 2016، ص 6.

(46) سحر الحملي، مرجع سابق، ص 350.

هـو الدسـتور وماهـي أهميتـه؟ عـرف عبـد العزيـز النعيم الدسـتور عـلى انـه (مجموعة الأحـكام التـي تبـين شـكل الدولـة ونظـام الحكـم فيهـا، وسـلطاتها، وطريقـة توزيـع هـذه السـلطات، وبيـان اختصاصاتهـا، وبيـان حقـوق المواطنـين وواجباتهـم).[47] وبـيّن أهميتـه Jean-Luc Martineau بأنـه: (خريطـة طريـق ترسـم ملامـح مسـتقبل الدولـة، مثـل اتفاقيـة السـلام، ويعـد اعتمـاده ضمانًـا لنجـاح عمليـة إعـادة بنـاء الدولـة بأكملهـا بعـد الـصراع).[48] إذاً فهـو مجموعـة مـن القواعـد القانونيـة التأسيسـية التـي تهـدف إلى إضفـاء الطابـع المؤسـسي عـلى السـلطة السياسـية في الدولـة، وهـو المرجـع الأسـاسي لنظـام حكـم الدولـة ووظائـف السـلطات العامـة، والـذي يحـدد القواعـد الرئيسـية للدولـة، نظامهـا الملكـي أو الجمهـوري، شـكل حكومتهـا، طبيعـة السـلطات العامـة، وتبيـان الالتزامـات والحقـوق الفرديـة أو الجماعيـة الأساسـية وضماناتهـا أمـام السـلطات العامـة، وبالتـالي فهـو يشـكل ضامنـا أساسـيا لإعـادة بنـاء الدولـة.

يحكـم الدسـتور أنشـطة السـلطات الثـلاث، التشريعيـة والتنفيذيـة والقضائيـة، مـن خـلال تحديـد اختصاصـات كل منهـا وطريقـة ممارسـتها وكذلـك القواعـد التـي تنظـم الفصـل أو التبعيـة بـين هـذه السـلطات، كمـا يحـدد العلاقـة بـين الحـكام والمحكومـين وكيفيـة تنظيمهـا، والوسـائل القانونيـة التـي تضمـن اسـتمراريتها بشـكل جيـد. وعليـه فالدسـتور هـو محـور أسـاسي في عمليـة إعـادة بنـاء الدولـة عـلى أسـاس أنـه تقـوم عليـه شرعيـة المؤسسـات والسـلطات العامـة، وولادة أي دولـة حديثـة مرتبـط بصياغـة دسـتورها.

إن أحـكام الدسـتور لهـا الأسـبقية عـلى قواعـد القانـون الأخـرى، وبالتـالي يجـب أن تمتثـل لهـا سـلطات الدولـة، بمـا في ذلـك السـلطة التنفيذيـة. عـادة الدسـتور ينـص عـلى أهميـة الإدارة العامـة مـن خـلال تحديـد القضايـا الأساسـية المتعلقـة بهـا مثـل التنظيـم والإدارة والحكـم والتوزيـع الإداري واللامركزيـة وغيرهـا مـن القضايـا.[49] ويقـدم الدسـتور نفسـه أيضـا عـلى أنـه داعـم حقيقـي لـلإدارة العامـة، لـدرء الانجراف نحـو الإدارة البيروقراطيـة التـي تُجمَـد قدراتهـا، ويتـم القضـاء عـلى روح المبـادرة فيهـا بحيـث تمنـع مـن الوصـول الى التنميـة.[50] ولذلـك يجـب أن يتغلـب الدسـتور، العمـود الفقـري للدولـة، عـلى العقبـات التـي خلقتهـا الممارسـات الإداريـة الخاطئـة، لا سـيما في الأنظمـة التقليديـة.[51] وأن يؤسـس لمرحلـة جديـدة تقـوم عـلى اصـلاح الجهـاز الإداري والاهتمـام بـه بشـكل أكـبر. وهـو مـا أكـده Vincent Hugeux في مقالتـه (ليبيـا:

(47) عبد العزيز النعيم، أصول الأحكام الشرعية ومبادئ علم الأنظمة، N.S، 1977، ص 182.

(48) MARTINEAU Jean-Luc, L'Union européenne et la reconstruction post-conflit de l'État, Thèse en droit public, Université Lille 2, 2014, p. 736-737.

(49) ALKAZAGLI Mohamed, op. cit. p. 331.

(50) المرجع نفسه، ص330.

(51) FOUGEROUSE Jean, Le statut constitutionnel de l'administration en Italie – Contribution à l'étude de l'administration dans la démocratie constitutionnelle, Association Nationale Recherche et Technologie (ANRT), Paris, 2003, p. 19-21.

المتمردون يقدمون لأنفسهم دستوراً)، أن الإطار الدستوري للدولة يجب أن يكون ديمقراطياً وأن يتغلب على العقبات الإدارية التي تخلقها الأنظمة العامة، ويترك للإدارة مكاناً مميزاً...[52]

ونشير ختاما إلى أنه يجرى وضع الدستور عادة عن طريق سلطة أعلى من السلطة التشريعية، وتسمى السلطة التأسيسية، وإجراءات تعديل أحكامه تتم بطريقة أشد تعقيدا من الإجراءات المتبعة لتعديل الأحكام القانونية الأخرى، ولذا فصياغة دستور جديد في ليبيا اليوم يعتبر الدعامة الرئيسية لإعادة بناء الدولة فيها، والتي من ضمنها اصلاح جهازها الإداري، وعليه فيجب إعطاء السلطة التأسيسية ولجنة صياغة الدستور أولوية كبرى ودعمها بكافة الإمكانيات التي تساعدها في الوصول إلى تحقيق هدفها.

ثانيا: إعادة هيكلة مؤسسات الجهاز الإداري: نلاحظ أنه في العقود الأخيرة، قد تم إعادة هيكلة وتنظيم الجهاز الإداري للعديد من الدول بشكل منتظم بهدف تحسين خدماته وتقليل تكاليفه. وكجزء من البحث الذي تم إجراؤه في سبع دول أوروبية حول موضوع إعادة هيكلة الخدمة العامة، (ميز فريق خبراء **HIRES** أربع فئات من التدابير في هذا المجال، وهي: -1تقليص الحجم، -2إعادة التنظيم الجغرافي والهيكلي، -3الخصخصة، -4تغيير الثقافات التنظيمية والوظيفية).[53]

يساعد الهيكل التنظيمي للجهاز الإداري للدولة إداراته المختلفة على تحقيق أهدافها وتجسيد خططها والتعامل مع المتغيرات الداخلية والخارجية، حيث تتمثل أبرز مهام الهيكل التنظيمي في تحديد المسميات الوظيفية، وموقع تنفيذها، ونطاق المهام والمسؤوليات، وتحديد توزيع الأدوار بين الوزارات والمؤسسات والمصالح الحكومية المختلفة لإبراز مبدأ التكامل في العمل. وعليه، فإن عمليات إعادة الهيكلة لسبب أو لأخر تسعى إلى تحقيق الأهداف المحددة أعلاه على المستويات الفنية والتنظيمية والإدارية، بما يتماشى مع الأهداف الاستراتيجية للجهاز الإداري. لذلك يمكن القول بأن إعادة هيكلة الجهاز الاداري ستتجه نحو تصميم هيكل جديد لنظامها الإداري، ونحو اللامركزية، والقدرة على إدارة القطاعات الحكومية بشكل جيد، واستخدام الموارد البشرية نوعا وكماً، وضمان جودة الخدمات التي تلبي تطلعات المواطنين.[54]

وبصورة تفصيلية أكثر يمكننا تحديد الأهداف العامة لإعادة هيكلة الجهاز الإداري في الدولة على النحو التالي: (تطوير تنظيمات الجهاز الإداري في أهدافها

(52) HUGEUX Vincent, « Libye : les insurgés s'offrent une constitution », Revue L'Express, N° 23, 2011, p. 7-18.

(53) JALETTE Patrice, GRENIER Jean-Noël, HAINS-POULIOT Jérémie (2012). Restructuration de la fonction publique québécoise : configurations et conséquences disparates. Relations industrielles/Industrial Relations, p. 568-569. Disponible sur le site: https://doi.org/10.7202/1013195ar.

(54) حكومة جديدة، نهضة متجددة، خطة إعادة هيكلة الجهاز الإداري للدولة، مقال متاح عبر الموقع الالكتروني: https://www.wisal.fm/wp-content/uploads/2020/pdf ، تاريخ الزيارة 09/06/2022.

ووحداتها ونشاطاتها الخدمية، وإزالة ما بها من ازدواج أو تضارب أو غموض، ومراعاة التناسب بين حجم الإدارة والمهام المناطة بها؛ تحسين نوعية الخدمات المقدمة للمواطنين من قبل الجهاز الإداري عن طريق زيادة الفاعلية التنظيمية، ورفع كفاءة أداء الجهاز والموظفين العاملين فيه، وتسهيل مسارات ونظم العمل المتبعة وتحسينها؛ زيادة درجات التوافق بين حجم الجهاز الإداري العام وبين متطلبات العمل وظروفه من جهة، والتوجهات المستقبلية نحو أجهزة حكومية أقل عدداً وأكثر اختصاصاً وأفضل أداءً من جهة أخرى؛ تخفيض كلفة التشغيل وتوجيه الوفر نحو زيادة الفاعلية والكفاءة؛ تعزيز المؤسسية والعمل الجماعي والتنسيق المشترك في الأجهزة والمؤسسات العامة، وترسيخ مبدأ المساءلة لضمان الإنجاز المتميز؛ دراسة حجم الوظائف وأعداد الموظفين ومدى الحاجة إليهم، مع التعزيز الإيجابي لاتجاهات الموظفين نحو الوظيفة العامة، وتحفيزهم على زيادة الإنتاجية، وتحسين نوعية أدائهم، والاهتمام بتحديد مساراتهم الوظيفية والتدريبية بشكل يراعي التطورات المتلاحقة في ظروف وأدوات العمل المختلفة، وكذلك وضع تصور واضح للوظائف التي تحتاج إليها المؤسسات، والقدرات اللازمة لتشغيلها، ونوعية التدريب المناسب لها؛ تعزيز اللامركزية الإدارية على مستوى الأجهزة الرئيسية وفروعها، مع تفويض الصلاحيات وتوزيع نشاطات واهتمامات الدولة بشكل إيجابي فاعل على مناطقها المختلفة بما يزيد من كفاءة وفاعلية الخدمات المقدمة على النطاق الإداري...).[55]

بالنسبة لليبيا، يبدو من الوضع الحالي للخدمة المدنية أنه لم يتم إجراء أي تنظيم رسمي لمؤسسات الدولة، بما في ذلك الوزارات والهيئات الحكومية المحلية، حيث يتغير هيكلها الإداري حسب رغبات وقرارات الوزير المختص أو المدير العام، بحيث تنشأ إدارات جديدة أو تلغى أو تُدمج بطريقة عشوائية وغير منطقية، حتى أنه تتخذ غالبا هذه الإجراءات في أوقات غير مناسبة، وبدون الاستعانة بمتخصصين أو أهل خبرة في هذا المجال.[56]

إن الهيكل التنظيمي للجهاز الإداري للدولة الليبية يحتاج اليوم لإعادة هيكلته وتطويره بشكل عام لجعله فعالاً في مواجهة التحديات وتحقيق الأهداف، وهذا يعني اعتماد منهجية قادرة على تصحيح الهيكل التنظيمي الحالي على جميع المستويات بما يتوافق مع القانون والأولويات الوطنية من خلال: توحيد أبعاد الجهاز الإداري على مستوى مكوناته لزيادة كفاءة العمل، وفي نفس الوقت القضاء على الازدواجية؛ مراقبة امتداد إنشاء الأجهزة الادارية، وتحديد عددها حسب طبيعة عملها سواء كانت أساسية أم لا؛ تنظيم الوزارات بحيث يمكنها التركيز على المهام الأساسية وتحمل المسؤوليات، والاستفادة من الموارد المختلفة،

(55) عبد الرحمن تيشوري، الأهداف العامة لمشروع إعادة الهيكلة في اية مؤسسة، مقال متاح عبر الموقع: https://www.ahewar.org/debat/org.asp.art.show?aid=556054، تاريخ الزيارة 18/09/2022.

(56) محمد علي الناكوع، إصلاح الخدمة المدنية في ليبيا، تقرير بحثي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية / جامعة طرابلس، التقرير متاح عبر الموقع: https://ly.edu.libyanuniv/index.php/31 ، تاريخ الزيارة 18/09/2022.

وتقديم خدمات عالية الجودة للمواطنين.[57]

ويجب أن تعتمد منهجية إعادة الهيكلة على تنفيذ مجموعة من الإجراءات، مع إعطاء الأولوية للتحليل الداخلي الذي يهدف إلى إبراز نقاط القوة والضعف، ومراجعة القوانين المنظمة للعمل، وفحص الضوابط الرقابية، والأهداف المستقبلية والخطط الاستراتيجية، ومقارنة النتائج المحققة، مع تنظيم الأقسام التي تقوم بمهام وأهداف متشابهة، للاحتفاظ بأفضل الممارسات لاستخدامها في بناء الهيكل التنظيمي الجديد، ووضع الإطار العام للهيكلية الجديدة متضمنا مقترحات للبدائل، ودون إهمال للضوابط القانونية.[58] ونشير إلى أن عملية إعادة الهيكلة تنقسم إلى نوعين: النوع الأول يتمثل في إعادة هيكلة الجهاز الإداري العام، حيث يتم أخذ الهيكل التنظيمي بأكمله في الاعتبار، والنوع الثاني يتمثل في إعادة الهيكلة الفردية للوزارات، كأن تُطبق في كل مرة على وزارة.

وختاما، يجب على ليبيا من أجل إصلاح جهازها الإداري، الإسراع في إعادة هيكلته على أسس متينة من أجل تحقيق الأهداف التي يسعى إليها وفق ما تقتضيه المرحلة التي تمر بها البلاد.

ثالثا: تدريب وتأهيل الكادر الوظيفي: يُعتبر تدريب وتأهيل موظفي الجهاز الإداري للدولة أحد أهم أساسيات الإصلاح الإداري، حيث يتم تدريب وتأهيل موظفي القطاع العام عبر مجموعة من الأنشطة، بغية الرفع من مستواهم العلمي والعملي، وتطوير مهاراتهم الوظيفية والشخصية سواء كانت في الجانب المهني أو الإداري أو حتى الاجتماعي.

فالتدريب والتأهيل لموظفي القطاع العام يهدف إلى تزويدهم بالمعلومات والخبرة اللازمة للقيام بعملهم بشكل جيد، ولضمان إنتاجية أفضل، بحيث يؤدي الموظفون مهامهم بمهنية أكبر، تقل نتيجة لها أخطاءهم وحوادثهم في العمل. فالتدريب والتأهيل يعوضان دائما أوجه القصور لدى الموظف في التعليم والخبرة. لذا فالمزج بينهما سيقود إلى تحقيق الأهداف وتزويد الجهاز الإداري بموظفين مؤهلين ذوي مستوى عال من القدرة والخبرة والكفاءة. ويجب أن نشير هنا إلى ضرورة التركيز أيضا على تدريب وتأهيل المسؤولين والمدراء العامين في الجهاز الإداري والعمل على الرفع من مستواهم بإعطائهم برامج تدريبية ذات جودة عالية، بحيث يمكنهم تنفيذها بالتعاون مع مراكز التدريب أو الجامعات الوطنية أو الدولية المعتمدة.

وعليه، فمن خلال التدريب يمكننا تحقيق العديد من الفوائد والمكاسب، بداية من تنمية قدرات ومهارات الموظفين القيادية، ومنحهم العديد من المهارات

(57) عبدالرحمن تيشوري، مرجع ألكتروني سابق.

(58) الدليل الإرشادي لإعادة هيكلة الوزارات. "إدارة تطوير السياسات والأداء المؤسسي"، رئيس الوزراء، الأردن، ص 2، متاح عبر الموقع: http://www.pm.gov.jo/Develop/files/upload/Restructuring-Institutions.pdf، تم الرجوع إليه بتاريخ 15/04/2022.

الأخرى التي ترفع من مستواهم على كافة الأصعدة وبالأخص الإدارية منها، والتقليل من الجهد والوقت لأداء العمل، وزيادة المكسب على مستوى أداء الخدمات بفضل التدريب المستمر، وصولا لسد الفجوات التعليمية وتحسين القدرات بشكل عام.

ولكن ننوه الى انه قبل التطرق إلى تدريب وتأهيل الموظفين يجب تحليل الوضع الحالي لهم بالتفصيل، من حيث تحديد المشاكل التي تواجه عمليات التخطيط الخاصة بهم، واقتراح الحلول العلمية والعملية المناسبة لها، وتوفير جميع الوسائل القادرة على ضمان الأنشطة المختلفة لتنمية الموارد البشرية في المستقبل، ووضع السياسات والبرامج المناسبة لتحسين الكفاءة الإنتاجية. وننوه أيضا إلى انه عند وضع خطة للتدريب والتأهيل، يجب أن تتم الدراسة والتخطيط الجيد لمعرفة أفضل وسائل وأساليب التدريب والتأهيل، للتمكن من اختيار الأنسب منها.

يجب أيضا متابعة جودة التدريب وكفاءته باستخدام الأدوات العلمية والعملية المختلفة لقياس سلوك الموظفين عند تعاملهم مع بعضهم البعض أو مع المواطنين، أو متابعته من خلال تحليل نتائج التدريب ومدى قدرتهم على تجاوز الاختبارات وحصولهم على شهادات الكفاءة أو قياس مدى تعلُّم الموظفين وتطورهم من خلال مؤشرات الأداء الرئيسية. وختاماً، إن إصلاح الجهاز الإداري للدولة الليبية اليوم يستوجب التركيز على موارده البشرية من خلال تنميتها وتدريبها وتأهيلها بشكل مستمر، كونها الأداة لتنفيذ مهامه.

رابعا: تطبيق اللامركزية الإدارية: لقد ورد تعريف اللامركزية الإدارية في قاموس المعجم الوسيط على أنّها (توزيع الوظيفة الإدارية بين جهاز مركزي، وإدارات أخرى، وهي تعني على المستوى العام تحويل السلطة إلى الأقاليم، والولايات، وجعلها تتمتع باستقلالية في تسييرِ شؤونها الخاصة عكس المركزية).[59] وقد عرَّفها أيضا (جلاوي) على أنها: (أسلوب من أساليب تنظيم العمل، حيث تُمنَح الوحدات المختلفة قَدراً كبيراً من الإدارة الذاتية، وهذا يعني مَنح الصلاحيّات، والمسؤوليات للمُستويات الأدنى في التنظيم).[60] وعليه يقصد باللامركزية نقل بعض السلطات والاختصاصات والمسؤوليات من الإدارة المركزية إلى الادارات المحلية سواء كانت بلديات أو محافظات أو أقاليم، أو أي هيئات أخرى تتمتع بالشخصية القانونية، لكي تكون لها استقلاليتها وحريتها في أداء مهامها وإنجاز اعمالها بدون الرجوع الى السلطات الأعلى منها لأخذ الأذن في كل مرة. على أن تبقى بطبيعة الحال تحت مراقبة الدولة.[61]

(59) تعريف ومعنى اللامركزيّة"، متاح عبر الموقع: https://www.almaany.com/ar/dict/ar/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%B1%D9%83%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%B1%D9%8A%D8%A9%D8%B2%D9%8A%D8%A9/، تاريخ الزيارة 2022-09-18.

(60) فرح يس فرح، مفاهيم حول المركزية واللا تمركز الإدارية، جامعة القضارف، السودان، 2015، ص 6-5.

(61) نبيه محمد، الجهوية المتقدمة بين اللامركزية واللامركزية، الطبعة الأولى، الرباط، المغرب، 2019، ص22.

ونشير إلى أن اللامركزية تتصف بالعديد من الصفات التي تساهم بشكل كبير في اصلاح الجهاز الإداري للدولة من بينها سرعة اتخاذ القرارات وحل المشكلات، وتدريب المدراء في المستويات الإداريّة المختلفة، وعدم انشغال المدراء من المستويات العليا بصغائر الأمور نظرا لأن لديهم ما هو أهم، ورفع الروح المعنوية لدى جميع موظفي الجهاز الاداري لكي يشعروا بمشاركتهم الإيجابية في العمل الإداري، وتوزيع المخاطر والخسائر التي قد تلحق بالقرارات الغير مدروسة، بحيث تقتصر نتائجها وتأثيراتها على إدارة واحدة، وليس على الجهاز الإداري كله، ومن ثم الحرص على اتِّخاذ أفضل القرارات وأنسبها، فمن يُعايش الأخطاء والمشاكل يكون أكثر قدرة على اتِّخاذ القرارات المناسبة بشأنها، وبالتالي، جعل الخدمات العامة في متناول جميع المواطنين مع تحسينها.[62]

وعليه فللحصول على إصلاح أفضل للجهاز الإداري يجب أن يقوم أي نظام إداري محلي على معايير البساطة ووضوح الاختصاصات، ويجب أن يحدد دستور الدولة مستقبلا في ليبيا المبادئ الأساسية لتنظيم الإدارة المحلية مثل تقسيم البلاد إلى أقاليم أو محافظات أو بلديات ينظم القانون حدودها الإدارية، بحيث تتمتع كل منها بالشخصية الاعتبارية والذمة المالية المستقلة، ويمكنها انتخاب أو تعيين رئيس وتشكيل مجلسها الاداري. وفي هذا السياق، نشير إلى أن المبادئ الديمقراطية الحديثة تتطلب أن يتم شغل المناصب الإدارية المحلية رفيعة المستوى من خلال انتخابات تستند إلى برامج عمل يضعها المرشحون ويكون الانتخاب بناء عليها، فالانتخابات تعتبر ضرورية لإنشاء دولة ديمقراطية. ويجب على الدستور أيضا أن يحدد القواعد والضوابط التي على أساسها يقوم البرلمان بإنشاء الأقاليم والمحافظات والبلديات والفروع البلدية، وتحديد حدودها الإدارية. وبالنسبة للخلافات التي قد تنشأ بين الإدارات المحلية المجاورة لبعضها خصوصا فيما يتعلق بحدودها الادارية، تتم تسوية هذه النزاعات المحتملة فقط أمام الدائرة الدستورية بالمحكمة العليا.[63] وختاماً، نشدد على ضرورة تفعيل اللامركزية الإدارية وتطبيقها بشكل سليم لتحقيق إصلاح الجهاز الإداري في ليبيا.

خامسا: تفعيل الإدارة الالكترونية: يعرّف عبد الفتاح حجازي الإدارة الالكترونية على أنها (استخدام تقنيات المعلومات لأجراء المعاملات الإدارية، وتقديم الخدمات، والتواصل مع المواطنين بطريقة أكثر سلاسة).[64] وعرَفها حميدي القبيلاتي بأنها (النشاط الذي تقوم به الهيئات الإدارية بالوسائل الإلكترونية لتلبية احتياجات الجمهور وتقديم الخدمات العامة).[65] ويمكننا أيضا تعريف الحكومة الإلكترونية

(62) VARIMELO Arquimedes João, La décentralisation en Angola et au Mozambique : Du discours à la consécration juridique, Thèse en droit public, Université de Bordeaux, 2017, p. 150.

(63) أمل المرشدي، التنظيم الإداري المحلي في ليبيا الجديدة، مقال قانوني منشور بتاريخ 2017-02-8، متاح على الموقع: https://www.mohamah.net/law/، تاريخ الزيارة 2022-08-04.

(64) عبد الفتاح حجازي، الحكومة الإلكترونية بين الواقع والطموح، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2008، ص 23.

(65) حميدي القبيلاتي، قانون الإدارة العامة الإلكترونية، الطبعة الأولى، دار وائل، الأردن، 2014، ص 25.

على نطاق واسع بأنها استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في إدارة الخدمات العامة أو الخاصة للأفراد، بطريقة فعالة وعملية ومربحة، مما يسمح بدرجة أكبر بحوكمة إدارية أكثر شفافية وأكثر خضوعًا للمساءلة.

ولإصلاح الجهاز الإداري يجب أن تلجأ الدولة إلى الإدارة الإلكترونية لأنها ستسمح لها بتنشيطه وتفعيله وجعله أكثر قدرة على أداء مهامه بأحسن المواصفات وأقل التكاليف. ولمزيد من التوضيح سنتناول أهم الأهداف التي ستتحقق باستخدام الإدارة الالكترونية فيما يلي:

1 -تبسيط حياة المواطنين. فلقد لاحظنا بالفعل حجم الجهد الذي يبذله الأفراد للوصول إلى الخدمات الحكومية، نظرًا لساعات الخدمة المحدودة، وبُعد المكاتب الإدارية لمن يعيشون خارج المدن الرئيسية، كون غالبية الخدمات متوفرة في المدن الكبرى فقط، مما يسبب في ضياع الوقت والجهد للكثيرين، ناهيك عن المصاريف التي يتكبدونها.

2 - تقليل تكاليف التشغيل. تتحمل الخزينة العامة للدولة أعباء مالية ثقيلة، نتيجة تزويدها للجهاز الإداري بمختلف فروعه بالقرطاسية والأدوات المكتبية وغيرها، ولذلك فإن استخدام الوسائل الإلكترونية هو السبيل الأمثل للحفاظ على المال العام من خلال خفض التكاليف وترشيد الإنفاق ومحاربة ما ينتج عنه من فساد.

3 - القضاء على البيروقراطية ومحاربة الفساد والوساطة والمحسوبية. حيث يمكن لأحد موظفي الجهاز الإداري أن يرفض تقديم الخدمة لأحد الأشخاص على أساس قبلي أو عرقي أو ديني أو حتى اجتماعي أو جهوي، ولكن بالإدارة الالكترونية نستطيع التغلب على هذه المظاهر من خلال القضاء على العلاقة المادية وعوامل التأثير الشخصي بين الموظف والمواطن، ومن خلال الإدارة الالكترونية يمكننا أيضا أن نتجنب الوساطة والمحسوبية ومظاهر الفساد الأخرى، مما يساهم في شفافية العمل.[66] وتحسين صورة الجهاز الاداري أمام الرأي العام وعلى الساحة الدولية.

4 - تقديم خدمات متميزة. حيث تتمثل إحدى مزايا الإدارة الإلكترونية في إتاحة وصول المستخدمين إلى المعلومات أو الإجراءات عبر الإنترنت ببضع نقرات، على مدار 24 ساعة في اليوم، و7 أيام في الأسبوع. لأن كل ما يتعين على المستخدم فعله للاستفسار أو الحصول على معلومة هو فتح جهاز الكمبيوتر الخاص به لطلبها، بعكس ما يحدث في سياق الخدمة التقليدية، حيث يجب على الفرد في كثير من الأحيان الوصول باكرا والانتظار في طوابير طويلة للحصول على معلومة أو الاستفسار عن خدمة معينة.

5 - تحقيق خدمات ذات جودة عالية. حيث إن استخدام أنظمة إلكترونية دقيقة وفعّالة لتنفيذ العمليات الادارية المختلفة يؤدي إلى الحد من الأحكام الشخصية

(66) حمزة حمد، الحكومة الإلكترونية ودورها في تقديم الخدمات العامة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2016، ص 73.

ومن الأخطاء البشرية المتكررة في المصالح الحكومية.[67]

وعليه فإن تفعيل الادارة الإلكترونية يمكن أن يساهم بشكل كبير في إصلاح الجهاز الإداري للدولة، نظرا لمزاياها المتعددة التي أشرنا إليها، إضافة لتميزها بالمرونة والقدرة على مراقبة واكتشاف الانتهاكات والممارسات غير القانونية التي تحدث في مكان العمل ومعالجتها.[68]

سادسا: مكافحة الفساد: يجمع برنامج مكافحة الفساد في ليبيا، بين أحكام النصوص التشريعية المستمدة بشكل خاص من قانون العقوبات، وقانون الإجراءات الجنائية، وقانون إنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، وقانون الجرائم الاقتصادية، وقانون مكافحة غسيل الأموال وتمويل الإرهاب، وعلى الرغم من أن ليبيا أنشأت بالفعل إطار قانوني ومؤسسي لمكافحة الفساد على أرضها، إلا أن الفساد مستشري بشكل كبير في أغلب مؤسسات الدولة.

ولعل أبرز المؤسسات الرقابية المطالبة بمكافحة الفساد هيئة الرقابة الإدارية لكونها مختصة في المقام الأول بالتحقيق مع الهيئات التنفيذية في الدولة بهدف ضمان تنفيذ المهام الموكلة إليهم وتقيدهم بالتشريعات والقوانين النافذة، وهيئة مكافحة الفساد لدورها في الكشف عن جرائم الفساد والحد منه، وديوان المحاسبة كونه أعلى سلطة تنظيمية مالية في الدولة.[69] ولكن مع وجود كل هذه المؤسسات إلا أن ليبيا تعتبر اليوم من أكثر الدول فسادًا وكما سبق أن أشرنا. ولعل السبب الرئيسي في انتشار الفساد وضعف مكافحته هو عدم الالتزام بمعايير الشفافية والمساءلة. ولذلك، فلمكافحة الفساد الإداري يجب أن يتم:

أ-تطبيق الشفافية الإدارية: تعتبر الشفافية أحد الأدوات التي تقاس بها مستويات الفساد في بلدا ما أو نظام ما، لأنه كلما زادت الشفافية قل الفساد وكلما قلت الشفافية زاد الفساد. يعرّف سعيد الرشيدي الشفافية بأنها (الوضوح التام في اتخاذ القرار، ووضع الخطط والسياسات وعرضها على الجهات المعنية برقابة الأداء الحكومي نيابة عن الشعب).[70]

تهيئ الشفافية الجهاز الإداري لمتابعة المتغيرات والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتهيئه أيضا لمكافحة مختلف أشكال الفساد الإداري.[71] فعند توفر المعلومات للجميع وبدون استثناء، فليس هناك مجال لاحتكارها والمساومة عليها من قبل الموظفين العموميين، وبالتالي عندما يَعرف المواطن ما له وما عليه، والتشريعات المنظمة لعمل الجهة والشروط المطلوبة لتقديم

(67) داود الباز، الحكومة الإلكترونية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2008، ص 3.

(68) حنان مطهري، كمال مطهري، دور الحكومة الإلكترونية في تحسين الخدمة العامة ومحاربة الفساد الإداري، مجلة Lareiid، عدد 5، 2019، ص 68-67.

(69) حمزة أطيش وأنور الفيتوري، مرجع سابق، ص 130-129.

(70) المرجع نفسه، ص 293.

(71) بناء دولة المؤسسات والتكامل الإقليمي والتعاون الدولي، تقرير صادر عن لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا)، 2021، ص13.

الخدمة والوقت الذي تستغرقه الجهة لتقديم الخدمة للمواطن وبكل وضوح وشفافية، فليس هناك مجال للموظف بأن يساوم على تعجيل الخدمة أو تعطيلها، ولن يكون لديه مجال لابتزاز المواطن بطلب رشوة أو خدمة في المقابل، وبالتالي وجودها ضروري كونها سر نجاح عملية الإصلاح.(72)

إن أهمية الشفافية تتمثل في المساعدة على اتخاذ القرارات الإدارية الصحيحة، كون غياب الشفافية في بعض التشريعات والقوانين والقرارات وعدم وضوح نصوصها يعتبر سببا رئيسيا للاجتهادات الشخصية الخاطئة. فوفقا لفلاح بن فرج السبيعي، يجب على الإدارة السعي لتوضيح الإجراءات من أجل إعطاء الجمهور ومؤسسات المجتمع المدني ووسائل الإعلام الحق في فحصها. أيضا، أهمية الشفافية تتمثل في إزالة العوائق البيروقراطية والروتينية وتبسيط الإجراءات، وتجنب الوساطة والمحسوبية بما يحقق المساواة والعدالة بين متلقي الخدمة العامة.

لذلك، نوصي بعدم اعتبار الشفافية الإدارية غاية في حد ذاتها، بل وسيلة لبلوغ غاية وهي الحد من الفساد الإداري بما يمكننا من إصلاح الجهاز الإداري للدولة. وعليه، يجب أن تلتزم الهيئات الإدارية بالشفافية والوضوح في عملها، وأن تتيح حرية وصول المعلومات عما تقوم به من اعمال للمواطنين، وذلك لأنها لا تقوم بأعمال سرية بل تقدم خدمات للمواطنين، وإن من شأن ذلك دعم أواصر الثقة بين الجهاز الإداري والمواطنين.

ب-تفعيل المساءلة الإدارية: يقصد بتفعيل المساءلة الإدارية ان تتم مساءلة موظفي الجهاز الإداري للدولة عن أعمالهم المكلفين بها، ليتم الحكم عليها او قياسها من خلال معايير واضحة ومعلنة، ويتحملوا مسؤوليتهم عنها.

تسلط المساءلة الضوء على مدى التزام مسؤولي الجهاز الإداري بتقديم التقارير الدورية عن تقدمهم في أعمالهم المكلفين بها، بحيث يتم شرح أسباب قراراتهم وحجم انجازاتهم وخططهم التي يسعون لتنفيذها، ويجب على المسؤولين أن يعلنوا عن استعدادهم لتحمل الاثار المترتبة عنها سواء كانت إيجابية أو سلبية.

إن موضوع تفعيل المساءلة الإدارية يحظى باهتمام متزايد لما له من أهمية بالغة في مكافحة الفساد الذي أصبح اليوم ظاهرة دولية، وليزيد من درجة الوعي السياسي لدى المواطنين الذين يطالبون بالحكم الرشيد والإدارة السليمة لشؤونهم وشؤون بلادهم، لأنهم بحصولهم على البيانات والمعلومات سيمتلكون العدو اللدود للفساد.

يمكن أن تكون المساءلة الإدارية رسمية أو غير رسمية (شعبية)، فالرسمية أما أن تكون داخلية أو خارجية، تكون داخلية بحيث تقوم بها الادارة بذاتها، ويباشرها الرؤساء على مرؤوسيهم، وتتضمن مساءلة سابقة اما عن طريق التدقيق في اختيار المسؤولين لتولي الوظائف العامة أو بإسداء النصح والإرشاد

(72) حمزة أطيش وأنور الفيتوري، مرجع سابق، ص244.

والتوجيه، او مساءلة لاحقة وهي التي تتم بعد قيام الموظف بمباشرة اعماله، وذلك للتحقق من مدى مطابقتها للقوانين والأنظمة. وإما تكون مساءلة خارجية تتم من جهات خارج الادارة، كالبرلمان من خلال (السؤال، الاستجواب، التحقيق، حجب الثقة) أو تنفيذية وتتم من خلال الادارة العليا. ومن ضمن آليات الحكومة لتطبيق المساءلة الرسمية الاعتماد على اجهزة رقابية متخصصة ومستقلة كهيئة مكافحة الفساد، هيئة الرقابة الادارية، ديوان المحاسبة. وتوجد أيضا المساءلة القضائية وهي أن تباشر الهيئات القضائية سلطتها في مساءلة الجهاز الاداري عن أعماله.

أما المساءلة غير الرسمية (الشعبية): فيقصد بها تلك التي يباشرها المواطنون على الجهاز الاداري، اما مباشرة عن طريق تعاملهم معه، او عن طريق مباشرتهم لحقوقهم السياسية في اختيار اعضائه أو في تقييم اعماله، أو من خلال وسائل الاعلام، او التنظيمات غير الحكومية، وتظهر هذه المساءلة في كل المراحل، كما أنها قد تأخذ في بعض الأحيان شكل النصيحة، وفي أحيان أخرى شكل المحاسبة أو المعارضة.

وبما أن ليبيا تعاني من الفساد الإداري وهناك حاجة ماسة الى مكافحته والحد منه، يتطلب الامر تفعيل المساءلة الإدارية من خلال خضوع الجميع لحكم القانون، ومساءلتهم عن أفعالهم وقياس مستوى أدائهم لبيان أوجه الانحراف أو الفساد في هذه الأفعال والتصرفات، ونتيجة لذلك يجب إعمال مبدأ الثواب والعقاب، من خلال مكافأة الأسوياء والنزيهين ومحاسبة المنحرفين والفاسدين، لكي تكون هناك صورة واضحة أمام الجميع بأن من ينحرف يُساءل عن ذلك ومن يستقيم يكافئ على ذلك. ويجب أن تتم هذه المساءلة من خلال الجهات الخاصة بالمساءلة لدورها البارز في مكافحة الفساد، بهدف زيادة كفاءة وفعالية الجهاز الإداري من خلال تحسين تقديم الخدمات ورسم السياسات العامة، وتحسين أداء الحكم الرشيد، ورفع الوعي المجتمعي في مجال المساءلة المجتمعية من حيث المعرفة والمهارات والأدوات، وتنفيذ أي مبادرات تتعلق بهذا الشأن، كونها جميعا تساهم في إصلاح الجهاز الإداري للدولة بالصورة السليمة التي نطمح لها من اجل إعادة بناء الدولة.

الخاتمة:

إن إصلاح الجهاز الإداري في ليبيا يواجه العديد من التحديات والمخاطر والعقبات، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أمنية أو ثقافية، وعلى رأسها عدم الاستقرار الكلي في البلاد، والمركزية المطلقة في اتخاذ القرار، والبيروقراطية، وانتشار الفساد، وغياب الرقابة، وغيرها. وعلى الرغم من كل هذه التحديات، فإن الخروج منها واستمرار إصلاحها يتوقف على الحكومة، وحكمة القيادة فيها.

يتعين في المقام الأول لمعالجة هذه العقبات استعادة الدولة بسط سلطتها في

جميع أنحاء البلاد، وإعادة هيكلة المؤسسات العامة على نحو شامل وتحسين أدائها، والقيام بالعديد من الخطوات الأخرى المهمة، كإنشاء دستور واعتماد إطار تشريعي لإصلاح الخدمة المدنية بحيث تكون قائمة على الكفاءة والجدارة، وقادرة على الوفاء بالتزاماتها.

إن الإصلاح الإداري في ليبيا يعتمد نجاحه بشكل خاص على تحديد نقاط الضعف والعقبات، ومن ثم على إنشاء خطة عمل واستراتيجية واضحة، وتطوير هذه الاستراتيجية للتغيير الشامل وإعادة البناء، وبلورة رؤية إدارة عامة معدلة ومرنة، تعمل بشكل جيد، في ضل تشريعات وأنظمة قانونية وسياسات وقوانين تتماشى مع رؤية الحكومة. ويتطلب هذا الإصلاح إنهاء إضعاف مؤسسات الدولة القديمة، وإعادة تأسيس مؤسسات عامة قوية وفاعلة، وإيجاد قادة أقوياء ومؤهلين يتمتعون برؤية شمولية في مختلف القطاعات، (وتحويل المؤسسات العامة إلى مؤسسات خالية من الضغط والتأثير السياسي المفرط، والتركيز فقط على الوظائف الموكلة إليها، وتعزيز البنى التحتية لصنع القرار في الحكومة المركزية والمؤسسات السياسية، و ضمان الاتصال والتنسيق داخل الحكومة المركزية، وتفويض السلطة للإدارات المحلية أي تفعيل اللامركزية من خلال تقليل عبء العمل المفرط على الحكومة المركزية، و الاستفادة من القطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية في تقديم الخدمات العامة، وإرساء استراتيجية وهيكل إداري موجه نحو الأداء وتقييم الأداء، وتفعيل دور الأجهزة التفتيشية والرقابية المختلفة).[73]

نشير أيضا الى أنه بدلا من البدء في تنفيذ جميع عناصر الإصلاح الإداري معا، يجب العمل على تنفيذها على مراحل بشكل متدرج ووفق الإمكانيات المتاحة، ضمن إطار أولويات الدولة وصناع السياسات، ويجب التركيز على العوامل الرئيسية في نجاح عملية التنفيذ لبرنامج الاصلاح كالتزام كبار القادة، والمشرفين على التخطيط، وتوافر الموارد المالية الكافية والإطار الزمني المناسب.

توصيات:

لإصلاح الجهاز الإداري للدولة الليبية يجب تنفيذ مجموعة من الخطوات في إطار تكتيكي ووفق خطة عمل واستراتيجية محددة، بحيث يُمكنها تحقيق مكاسب سريعة وكسب للتأييد الشعبي، ويجب أن تتضمن عملية الإصلاح آليات لضمان إدراك الموظفين لفوائد الإصلاح، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن مخاوفهم وتطمينهم.

ولذلك فنحن نوصي بالتركيز على جميع النقاط التالية والعمل على تنفيذها:

1 - تجنب الإصلاحات شديدة الطموح بالنسبة لقدرة الدولة على تنفيذها في الوقت الحالي، وبضرورة توفير الدعم السياسي لبرنامج الإصلاح، والحرص على ألا يؤدي هذا البرنامج إلى تآكل وانهيار القدرة القائمة بالفعل عند بدايته.

2 - ضرورة الإسراع بإنشاء دستور جديد تخضع له كافة مؤسسات الدولة

(73) أنظر: حمزة أطيش وأنور الفيتوري، مرجع سابق، ص 130-129.

المستقبلية، ويحدد شكل الدولة ونظام الحكم فيها، والإسراع بصياغة إطار قانوني تشريعي جديد يضع أسس الخدمة المدنية واسس إصلاح الجهاز الإداري للدولة بحيث يقوم على مبادئ المساواة والجدارة، ويعمل على توضيح أدوار كل من الحكومة المركزية والهيئات أو الوكالات العامة التابعة والسلطات الإقليمية والمحلية.

3 - اعداد خطة عمل واستراتيجية شاملة واضحة الأهداف والغايات للإصلاح الإداري وطرق تحقيقه، على أن تتسم بالمرونة.

4 - إعادة النظر في الهياكل التنظيمية للمؤسسات القائمة وتحديثها طبقاً للمتغيرات المختلفة التكنولوجية والسياسية.

5 - ضرورة تقليص حجم الجهاز الإداري للدولة وعدد موظفيه، من خلال خطة تدريجية مرحلية، بتوجيه فائض موظفي الخدمة المدنية إلى القطاع الخاص، وتشجيعهم على إنشاء أعمالهم التجارية الخاصة بهم.

6 - إيجاد حلول وضوابط للوقاية من ممارسة التأثير السياسي على المناصب الإدارية العليا، حيث يتم غالبا استبدال الكفاءة المهنية، وفي بعض الحالات إلغاؤها تماما بالتدخل السياسي، فالحلول والضوابط في هذه الحالة ستمكننا من الحصول على خدمة مدنية محايدة وقائمة على الجدارة والكفاءة.

7 - ضرورة اتخاذ سياسة تدريب وطنية شاملة، وإنشاء مدارس ومراكز تدريب عالية الجودة لفائدة موظفي الجهاز الاداري، وتأسيس أكاديمية خاصة بتدريب وتأهيل القادة والمدراء، وتقديم برامج تدريب مكثفة لهم سواء قبل الخدمة أو أثناءها، لأن الدولة في المرحلة الحالية يجب أن تركز بشكل كبير على تنمية الموارد البشرية من خلال تأهيل الموظفين العاملين ليستطيعوا العمل بفعالية وكفاءة، من خلال نظام إدارة موارد بشرية جيد التصميم ومناسب للمرحلة الانتقالية، يكون على أساسه التوظيف مبني على المؤهل والجدارة والكفاءة.

8 - تحسين نظام الأجور لموظفي الجهاز الاداري بعد تقليص عددهم، ووضع جدول مرتبات موحد لجميع القطاعات وتفعيله بأسرع وقت، بحيث يغطي احتياجات الموظفين، ويحقق العدالة الاجتماعية في توزيع الرواتب، ويحافظ على المهنيين ويجذبهم ويشجعهم على الانخراط في عملية الإصلاح.

9 - توفير الميزانية الكافية لتطوير البنية التحتية، لأن وجود البنية التحتية المناسبة سيوفر البيئة الملائمة لأداء الاعمال وتنفيذها بالشكل المناسب.

10 - تفعيل نظام اللامركزية الإدارية، لأنه سيساهم في تسريع تقديم الخدمات، وتقريبها للمواطنين، وتخفيف عدم المساواة الإقليمية في البلاد، فالخصائص الجغرافية والديموغرافية في ليبيا تشير إلى أن نظام الحكم المحلي هو الأنسب في التعامل مع الأزمات التي تعصف بالدولة والشعب. ويجب في المقابل ان نترك للحكومة المركزية إنتاج وتنفيذ السياسات الوطنية العامة، وتوفير الخدمات العامة مثل الدفاع والشؤون الخارجية وتوزيع الموارد الاقتصادية وإدارة النفط.

11 - تبسيط وتحسين وتسريع الإجراءات الإدارية وتقليل العبء الإداري والبيروقراطية والأعمال الورقية من خلال استخدام تكنولوجيا المعلومات وتفعيل الحكومة الإلكترونية، كونها توفر فرصة واضحة لاعتماد استراتيجية "حرق المراحل" من أجل تسريع وتيره تنمية البلاد والوصول إلى الخدمات الحكومية وإتمامها بسهولة أكبر وبكلفة أقل.

12 - نوصي بضرورة مراقبة ورصد وقياس أداء الجهاز الإداري من خلال وضع أهداف مصممة ومفصلة بشكل صحيح لتسهيل رصده، وبتفعيل الشفافية والرقابة والمساءلة ومكافحة الفساد، من خلال تعزيز آليات الشكاوى لضبط أنشطة الإدارة العامة وضمان حقوق المواطنين في الوصول إلى المعلومات، وكذلك من خلال تحسين المساءلة التأديبية لموظفي القطاع العام للدولة، وإنشاء نظام مراقبة فعال واتخاذ إجراءات صارمة ضد الفساد من خلال تعزيز دور المؤسسات الرقابية والتفتيشية المختلفة، وتحسين التنسيق بينها وبين الوزارات والمراكز الحكومية المختلفة، وكذلك بينها وبين المؤسسات القضائية بأجهزتها المختلفة.

13 - نوصي بالوقوف ضد التدخلات الخارجية الغير قانونية من الدول أو المنظمات بشكل مباشر او غير مباشر في الشؤون الداخلية لليبيا، بما يكفل احترام سيادة هذه الدولة ووحدتها واستقرارها، وان تطبيق الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي تنظم اوجه التعاون مع الدول والمنظمات الدولية والاقليمية يجب ان يكون في إطار مبدا المعاملة بالمثل واحترام المصالح المشتركة، والتي تعد جميعها عامل مهم للوصول لمرحلة الإستقرار والإصلاح وإعادة البناء.

14 - نوصي ختاما بفتح المجال لإشراك المواطنين والقطاع الخاص في تصميم وتنفيذ ورصد سياسات وبرامج الإصلاح الإداري، وتأمين وصول افراد المجتمع إلى المعلومات الحكومية، والتشاور مع منظمات المجتمع المدني، وتشجيع صنع القرار التعاوني، بإنشاء آلية لرصد ردود فعل المواطنين ومستخدمي الخدمات العامة، وتسهيل آليات المراقبة التي يقودها المواطنون.

قائمة المراجع

أولا: الكتب

1. أحمد صقر عاشور، الإدارة العامة: مدخل بيئي مقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.
2. حمزة أطيش، وأنور الفيتوري، إصلاح الإدارة العامة في ليبيا، مركز البحوث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية، أنقرة، تركيا، 2021م.
3. حمزة حمد، الحكومة الإلكترونية ودورها في تقديم الخدمات العامة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2016م.
4. حميدي القبيلاتي، قانون الإدارة العامة الإلكترونية، الطبعة الأولى، دار وائل، الأردن، 2014م.
5. داود الباز، الحكومة الإلكترونية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2008م.
6. سعيد السيد علي، أسس وقواعد القانون الإداري، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009م.
7. عبد العزيز النعيم، أصول الأحكام الشرعية ومبادئ علم الأنظمة، S.N، 1977م.
8. عبد الفتاح حجازي، الحكومة الإلكترونية بين الواقع والطموح، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2008م.
9. عمار قحف وآخرون، حول المركزية واللامركزية في سورية بين النظرية والتطبيق، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، إسطنبول، تركيا، 2018م.
10. عمار بوحوش، دور البيروقراطية في المجتمعات المعاصرة، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، عمان، الأردن، 1982م.
11. مصطفى كافي، الإصلاح والتطوير الإداري بين النظرية والتطبيق، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2018م.
12. ميثاق الأمم المتحدة، الفصل الأول: مقاصد الهيئة ومبادئها، المادة 2، فقرة 1.
13. نبيه محمد، الجهوية المتقدمة بين اللامركزية واللامركزية، الطبعة الأولى، الرباط، المغرب، 2019م.
14. **SINTOMER Yves, La démocratie impossible ? Politique et modernité chez Weber et Habermas. La Découverte, Paris, 1999.**
15. **EYMERI-DOUZANS Jean-Michel, Les stratégies de réforme administrative en Europe : essai d'évaluation comparative, éditions Institut de la gestion publique et du développement économique, Vincennes, 2008.**

ثانيا: الرسائل العلمية

1. سامي محمد أحمد البحيري، مداخل الإصلاح الإداري -التطوير التنظيمي والتدريب وتقييم الأداء، رسالة ماجستير من الأكاديمية العربية البريطانية

للتعليم العالي، لندن، المملكة المتحدة، 2011م.
2. رحيم عويد نغميش، الإصلاح الإداري والتنمية الإدارية في العراق 1980-1970، أطروحة، جامعة القاهرة، 1984م.
3. ALKAZAGLI Mohamed, La réforme administrative et son rôle dans la construction du nouvel État en Libye, Thèse en droit, Université Pierre Mendès France, Grenoble Alpes, 2017.
4. HASHMI Mohammed-Hadi, L'évolution de l'administration locale en Libye sous les régimes politiques successifs, Thèse en droit public, Université Paris I, 2007.
5. MARTINEAU Jean-Luc, L'Union européenne et la reconstruction post-conflit de l'État, Thèse en droit public, Université Lille 2, 2014.
6. VARIMELO Arquimedes João, La décentralisation en Angola et au Mozambique : Du discours à la consécration juridique, Thèse en droit public, Université de Bordeaux, 2017.

ثالثا: البحوث والتقارير والمجلات

1. التقرير السنوي لهيئة الرقابة الإدارية بليبيا لسنة 2014م.
2. التقرير السنوي لهيئة الرقابة الإدارية بليبيا لسنة 2017م.
3. التقرير السنوي لهيئة الرقابة الإدارية بليبيا لسنة 2019م.
4. التقرير السنوي لديوان المحاسبة الليبي لسنة 2014م.
5. التقرير السنوي لديوان المحاسبة الليبي لسنة 2021م.
6. المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، ليبيا: حصاد 2015م، تقرير بحثي، طرابلس، ليبيا، 2015م.
7. المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، تحليل تقرير هيئة الرقابة الإدارية لسنة 2015م، تقرير بحثي، طرابلس ليبيا، د س.
8. المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، تطبيق الحوكمة في الإدارة الليبية، تقرير بحثي، طرابلس، ليبيا، د س.
9. المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، تقييم الأداء الحكومي، تقرير بحثي، طرابلس، ليبيا، د س.
10. بناء دولة المؤسسات والتكامل الإقليمي والتعاون الدولي، تقرير صادر عن لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا)، 2021م.
11. حنان مطهري، كمال مطهري، دور الحكومة الإلكترونية في تحسين الخدمة العامة ومحاربة الفساد الإداري، مجلة Lareiid، عدد 5، 2019م.
12. سحر الحملي، الإصلاح الإداري مفهومه وآليات تطبيقه، المجلة العلمية لقطاع كليات التجارة بجامعة الأزهر، العدد العاشر، مصر، 2013م.

13. عارف بني حمد، وأمين المشاقبة، الدولة الفاشلة (سوريا نموذجا)، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 45، العدد 4، الملحق 1، الجامعة الأردنية، 2018م.
14. عوض البرعصي، الانقسام السياسي في ليبيا وتداعياته على مؤسسات الدولة، تقرير بحثي، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، طرابلس، ليبيا، د س.
15. عمر ملاعب، الإصلاح الإداري مدخلا لتصويب المسار التنموي: تجارب دولية، سلسلة دراسات تنموية، العدد 62، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، 2019م.
16. فرح يس فرح، مفاهيم حول المركزية واللام تمركز الإدارية، تقرير بحثي، جامعة القضارف، السودان، 2015م.
17. محمد علي عيتاني، الإصلاح الإداري: المفهوم النظري، الغايات والأهداف، تقرير بحثي، معهد العلوم الاجتماعية، بيروت، لبنان، 2016م.
18. محمد يوسف، الإدارة العامة في ليبيا: الاستمرارية والتغيير، المجلة الدولية للإدارة العامة، المجلد 41، العدد 10، نوفمبر 2018م.
19. CHRISTENSEN Tom, LISHENG Dong, PAINTER Martin, « La réforme administrative au sein de l'administration centrale chinoise – L'importance de « l'inspiration occidentale » », Revue Internationale des Sciences Administratives, vol. 74, n° 3, 2008.
20. FOUGEROUSE Jean, Le statut constitutionnel de l'administration en Italie – Contribution à l'étude de l'administration dans la démocratie constitutionnelle, Association Nationale Recherche et Technologie (ANRT), Paris, 2003.
21. MACLOUF Pierre. Sociologie du monde du travail, Chapitre 3 – La critique de la bureaucratie aux États-Unis, Norbert Alter édition, Presses Universitaires de France, 2012.
22. MENCER, G., « Du principe de non-intervention », Revue de droit contemporain, Larcier, Bruxelles, 1964, p. 39 ; et COSTE, R., « Réflexion philosophique sur le problème de l'intervention », R.G.D.I.P., Bruylant Bruxelles, 1967.

رابعا: شبكة الانترنت

1. أبوبكر محمد، أزمة الكهرباء في ليبيا، مقال منشور في الموقع الالكتروني: https://www.afrigatenews.net/article، تاريخ الزيارة 20/11/2021.
2. أمل المرشدي، التنظيم الإداري المحلي في ليبيا الجديدة، مقال قانوني منشور بتاريخ 8-02-2017، متاح عبر الموقع: https://www.mohamah.net/law/، تاريخ الزيارة 04-08-2022.
3. الموقع الرسمي لمنظمة الشفافية الدولية، https://www.transparency.org

4. الدليل الإرشادي لإعادة هيكلة الوزارات. "إدارة تطوير السياسات والأداء المؤسسي"، رئيس الوزراء، الأردن، ص 2، متاح عبر الموقع: http://www.pm.gov.jo /upload/files/Develop/Restructuring-Institutions.pdf، تم الرجوع إليه بتاريخ 15/ 04/ 2022.
5. تعريف ومعنى اللامركزيّة"، متاح عبر الموقع: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A9/، تاريخ الزيارة 18-08-2022.
6. جازية جبريل محمد، ظاهرة الفساد الإداري في ثقافة المجتمع الليبي، يناير 2017، https://www.minbarlibya.org/?p=4795، بتاريخ 29/12/2021.
7. حكومة جديدة، نهضة متجددة، خطة إعادة هيكلة الجهاز الإداري للدولة، مقال متاح عبر الموقع الالكتروني: https://www.wisal.fm/cms/wp-content/uploads/2020/pdf ، تاريخ الزيارة 09/06/2022.
8. عبد الرحمن تيشوري، الأهداف العامة لمشروع إعادة الهيكلة في اية مؤسسة، مقال متاح عبر الموقع: https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=556054، تاريخ الزيارة 18/09/2022.
9. محمد علي الناكوع، إصلاح الخدمة المدنية في ليبيا، تقرير بحثي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية / جامعة طرابلس، التقرير متاح عبر الموقع: https://libyanuniv.edu.ly/index.php/31 ، تاريخ الزيارة 18/09/2022.
10. مروان الجبوري، هواجس التدخل الخارجي بالانتخابات تؤرق العراقيين، 2018، مقال متاح عبر الموقع الالكتروني: https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2018/4/19، تاريخ الزيارة 17/2/2022.
11. https://www.unodc.org/documents/treaties/UNCAC/Publications/Convention/08-50024_A.pdf
12. JALETTE Patrice, GRENIER Jean-Noël, HAINS-POULIOT Jérémie (2012). Restructuration de la fonction publique québécoise : configurations et conséquences disparates. Relations industrielles/Industrial Relations, p. 568-569. Disponible sur le site: https://doi.org/10.7202/1013195ar.

الشرط الجزائي وسلطة القاضي وفقاً لأحكام القانون الليبي

إعداد:
د. ميسون فتحي عمر أبوغرسة
قسم القانون الخاص- كلية القانون- جامعة مصراته

الاستلام: 7/ 10/ 2022 القبول : 30/ 10/ 2022

المستخلص:

يلتزم القاضي بالحكم بالتعويض المتفق عليه بين المتعاقدين في الشرط الجزائي الذي يتضمن العقد المبرم بينهما أو في الاتفاق لاحق عنه احتراماً لمبدأ سلطان الإرادة وعملاً بمبدأ العقد شريعة المتعاقدين، من أجل ضمان عدم التنفيذ، أو التأخر فيه. استثناء عن الأصل العام خول القانون القاضي سلطة التدخل لتخفيض الشرط الجزائي إذا كان مبالغا فيه، يكون في حالتي التنفيذ الجزئي للعقد أو المبالغة في تقديره أساساً، كما يكون له سلطة الحكم بزيادة مقدار الشرط الجزائي إذا تجاوز الضرر قيمة التعويض المحددة في الاتفاق، بسبب غش أو خطأ جسيم ارتكبهما المدين، ونظراً لجوازيه واختيارية السلطة الممنوحة للقاضي في التدخل لتعديل الشرط الجزائي فهي لا تعتبر من النظام العام.

كلمات مفتاحية: الشرط الجزائي _ تخفيض مقدار التعويض _ زيادة مقدار التعويض .

Abstract:

The judge obligated to role a compensation that were agreed between the two parties of the contact which is included in the penalty clause or that was agreed in the later agreement, considering to the principle of power of will, and respecting to the principle of that the contract of the contracting parties, in order of guarantee fulfill the contract and even not delaying that, moreover, the judge may reduce the penalty clause –unlike the regulars rules– when the contract has been partly fulfilled or it was more than usual amount, also, the judge could produce compensation if the damage was more than what could be expected by the time of contracting, if that was because fraud or massive error, all that is not pounded to the judge which is meant it is not form the public legal system.

Key words: penalty clause, reducing penalty clause, increasing penalty clause.

مقدمة:

إذا كان الأصل في تقدير التعويض عن الضرر الذي لحق بالدائن نتيجة لعدم تنفيذ المدين لالتزامه أو التأخير في تنفيذه يعود للسلطة القضائية صاحبة الاختصاص الأصيل، ولكن انطلاقاً من مبدأ سلطان الإرادة المستند على القاعدة القانونية (العقد شريعة المتعاقدين) أعطى القانون الحق للطرفين المتعاقدين أن يُضمنا تعاقدهما إضافة إلى الالتزامات الأصلية اتفاقاً على تعويضٍ قد تم تحديده سلفاً بينهما، سواء عند التعاقد أو في وقت لاحقٍ عنه يتحمله الطرف الذي أخل بالتزامه التعاقدي، فهذا الاتفاق الإضافي يعتبر شرطاً من شروط الاتفاق الأصلي؛ ولذلك سمي بالشرط الجزائي، وهو موضوع هذه الدراسة.

إلا إنه ما يعتبر مثيراً للجدل ومحل للنزاع بين الطرفين حالة اتفاق المتعاقدين على مبلغ مبالغاً فيه للتعويض عن الضرر أو يكون الالتزام الأصلي قد نفد في جزء منه فهنا يتوجب على القاضي التدخل لإعادة التوازن العقدي بين الطرفين ويكون ذلك بتعديل الشرط الجزائي الذي تم الاتفاق عليه مسبقاً مما يثير معه تساؤل بشأن هذا التدخل من قبل القاضي هل يكون بشكل مطلق أم مقيد وفقاً لحدود معينة رسمها له المشرع؟ وهل توجد معايير معينة يستند عليها القاضي في زيادة أو تخفيض ما اتفق عليه المتعاقدين؟ وهل يعتبر تدخل القاضي في تعديل الشرط الجزائي من النظام العام؟ هذا ما سنوضحه تباعاً من خلال المنهج الوصفي التحليلي ووفقاً للخطة التالية:

المطلب الأول: أحكام الشرط الجزائي في القانون الليبي.

الفرع الأول: مفهوم الشرط الجزائي في القانون الليبي.

الفرع الثاني: شروط استحقاق الشرط الجزائي في القانون الليبي.

المطلب الثاني: مظاهر سلطة القاضي في تعديل الشرط الجزائي وفقاً للقانون الليبي.

الفرع الأول: سلطة القاضي في تعديل الشرط الجزائي في القانون الليبي.

الفرع الثاني: النظام العام وسلطة القاضي في تعديل الشرط الجزائي في القانون الليبي.

المطلب الأول: أحكام الشرط الجزائي في القانون الليبي:

وفقاً لما هو معمول به في أغلب التشريعات لم تتضمن في طياتها توضيحاً لمفهوم الشرط الجزائي، في حين نجدها قد تضمنت شروط استحقاقه في نصوص قانونية حددها القانون، بموجبها يسمح للسلطة القضائية بالتدخل لتعديل الشروط التي تضمنها العقد بين أطرافه، طبقاً لقاعدة الرضائية في العقود، وذلك سيكون من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول: مفهوم الشرط الجزائي في القانون الليبي:

للوصول إلى توضيح معنى الشرط الجزائي في القانون الليبي يتعين علينا توضيح معناه وبيان الخصائص التي يتميز بها وفقاً للتالي:

أولاً: تعريف الشرط الجزائي: يمكن توضيح معناه من خلال الشقين اللغوي

والاصطلاحي تباعاً:

1.معنى الشرط والجزائي لغة: معنى الشرط لغة: جاء في لسان العرب في تعريف الشرط لغةً بأنه " إلزام الشيء والتزامه في بيع ونحوه، والشرط علامة والجمع أشراط"[1]، ومعنى الجزائي لغة: ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة " الجزاء مصدر جزى، الجزاء من جنس العمل، يقال: بند جزائي: فقرة تتضمن شرط يجازي بموجبه أحد طرفي الاتفاق، ويقال: قانون جزائي: قانون العقوبات"[2].

ويُعرف الشرط الجزائي بأنه:" بند يُعين مبلغ العطل أو الضرر الواجب دفعه في حالة عدم تنفيذ عقد_ شرط لابدَّ منه واجب لازم"[3].

2.معنى الشرط الجزائي في الاصطلاح القانوني: وفقاً للتعريف الصادر من السلطة التشريعية المتمثل في نصوصها القانونية نجد إن جُل القوانين قد أشارت إلى تعريف الشرط الجزائي، ومنها القانون الفرنسي حيث نصت المادة 1229 على أنه (التعويض عن الأضرار التي يتحملها الدائن بسبب عدم تنفيذ الالتزام الأصلي)[4] إلا أن كلمة تعويض لا تحمل في طياتها إلا معناً واحدًا، وهو عدم الأحقية في المطالبة بالشرط الجزائي ما لم يقع الضرر الذي يتطلب التعويض، بمعنى لا يمكن وفقاً لهذا النص القانوني إن يطالب بتنفيذ الشرط الجزائي إلا عند التضرر من عدم تنفيذ الالتزام، بينما نص المشَّرع الليبي في المادة 222 من القانون المدني الليبي على الشرط الجزائي بأنه (يجوز للمتعاقدين أن يحددا مقدماً قيمة التعويض بالنص عليها في العقد أو في اتفاق لأحق ويراعى في ذلك أحكام المواد من 215 إلى 220) من خلال ذلك يُفهم أن الشرط الجزائي: تعويض اتفاقي بين طرفي العقد مقدماً على مقدار ما يلتزم المدين بدفعه للدائن جبراً للضرر الذي يلحق به إذا لم ينفذ المدين التزامه أو تأخر في تنفيذ الالتزام، وذلك عكس القانون الفرنسي فعدم اقتداء القانون الليبي ومعظم القوانين العربية بالقانون الفرنسي خطوة في الاتجاه الصحيح، حيث اكتفت بذكر أحكامه فقط، وترك المجال للفقه القانوني لوضع تعريفٍ مناسبٍ له، وكان من ضمن التعريفات أنه " اتفاق المتعاقدين في ذات العقد أو في اتفاق لاحق _ ويشرط أن يكون ذلك قبل الاخلال بالالتزام _ على مقدار التعويض الذي يستحقه الدائن عند عدم قيام المدين بتنفيذ التزامه أو تأخيره عنه فيه"[5] كما عُرف بأنه " اتفاق بين الطرفين يحدد مقدماً مقدار التعويض الذي يجب على المدين أن يدفعه إلى دائنه في حالة

(1) ابن منظور. لسان العرب. 1993م.ط2. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. ص349 .

(2) أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة. 2008م. عالم الكتب. ص249-248.

(3) المرجع السابق. ص 1187.

(4) سعيد عبد المحسن الرويشد. الشرط الجزائي في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة.1983م جامعة القاهرة. رسالة دكتوراه. ص 47 وما بعدها.

(5) أحمد حشمت أبو ستيت. نظرية الالتزام في القانون المدني المصري.1945م. مطبعة مصر. القاهرة. ص 442.

عـدم تنفيـذ التزامـه أو تأخـره في تنفيـذه"[6].

وعـرّف بالـشرط لأنـه " عـادة مـا تكـون قيمـة التعويـض أكـبر مـن الـضرر الحقيقـي، وبمـا أن الـشرط الجزائـي هـو التـزام تابـع للالتـزام الأصـلي يقـوم دائمـاً إلى جانـب التـزام آخـر أصـلي فيتبعـه مـن كل الجوانـب، كمـا إن للـشرط الجزائـي دور احتياطـي فيلجـأ إليـه عنـد الإخـلال بالالتـزام العينـي[7]، كمـا عرفـه فقيـه القانـون المدنـي السـنهوري بأنـه " اتفـاق المتعاقديـن مقدمـاً عـلى مقـدار التعويـض الـذي يسـتحقه أي منهمـا في حـال تخلـف أحدهمـا عـن التنفيـذ أو التأخـر في التنفيـذ"[8].

ثانيـاً: خصائـص الـشرط الجزائـي في القانـون الليبـي: إن الغايـة الأساسـية مـن الـشرط الجزائـي هـي ضمـان تنفيـذ الالتـزام، فهـو لا يسـتحق إلا في حالـة الإخـلال مـن الالتـزام الأصـلي الـذي يـدور معـه وجـوداً وعدمـاً بالتـالي فـإن للـشرط الجزائـي خاصيتـين:

1.الـشرط الجزائـي شرط اتفاقـي وجُـزافي: وفقـاً لقاعـدة (العقـد شريعـة المتعاقدين) التـي نـص عليهـا القانـون المدنـي الليبـي يمكـن بنـاء الاتفـاق العقـدي وفقـاً لمـا تـم الاتفـاق عليـه بـين أطـراف التعاقـد، فلهـم الحريـة في ذلـك وصـولاً إلى التعويـض المناسـب في حالـة عـدم تنفيـذ الالتـزام، أو التنفيـذ المعيـب، أو التأخـر في تنفيـذ الالتـزام تجنبـاً لبـطء إجـراءات التقـاضي[9]، فيتمثـل الـشرط الجزائـي في المبلـغ الـذي يتـم تحديـده مسـبقاً بـين المتعاقديـن[10] إذْ ليـس هنـاك أفضـل مـن طـرفي العقـد في تقديـر الـضرر المتوقـع، ومقـدار التعويـض الـذي يقابلـه عنـد الإخـلال بالعقـد، فالأصـل إنـه لا سـلطان للقـاضي عـلى مـا اتفـق عليـه المتعاقديـن بإرادتهمـا طالمـا أن الغـرض مـن إيـراد الـشرط الجزائـي في العقـود هـو منـع نشـوب نـزاع بـين الطرفـين حـول وقـوع الـضرر أو مقـداره[11].

2.الـشرط الجزائـي التـزام تابـع واحتياطـي: يعتـبر الـشرط الجزائـي التـزام تابـع للالتـزام الأصـلي، فـلا يجـوز بذلـك الاتفـاق عليـه مسـتقلاً، فهـو يقـوم إلى جانـب التـزام آخـر وهـو الالتـزام الأصلي[12]مـن ثَـمَّ فالـشرط الجزائـي يـدور وجـوداً وعدمـاً

(6) انظـر حسـن الدنـون. النظريـة العامـة للالتزامـات. 1976م. الجامعـة المسـتنصرية. بغـداد. العـراق. ص 353.وأيضـاً فـرج، توفيـق حسـن. النظريـة العامـة للالتـزام. 1985م. القاهـرة. مـصر. ص392.

(7) عبد الرزاق دربال. الوجيز في أحكام الالتزام في القانون المدني الجزائري. 2004م. دار العلوم عنابة. الجزائر. ص17.

(8) عبـد الـرزاق أحمـد السـنهوري. الوسـيط في شرح القانـون المدنـي نظريـة الالتـزام بوجـه عـام (آثـار الالتـزام). 1968م. الجـزء الثانـي. دار النهضـة العربيـة. القاهـرة. ص851، 853.

(9) انظر في نفس المعنى: طارق بهاء الدين العياشي. سلطة المحكمة في تعديل الشرط الجزائي بعقود المقاولات. 2016م. (قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في القانون الخاص). جامعة الشرق الأوسط. ص56، 57.

(10) زينة صاغي ونسيمة مقري. سلطة القاضي في تعديل العقد. 2004م. جامعة عبد الرحمن ميرة. بجاية. الجزائر. ص 61.

(11) محمـد بـن شـنيتي. سـلطة القـاضي في تعديـل العقـد. 1996م. (أطروحـة لنيـل درجـة الدكتـوراه في القانـون). معهـد الحقـوق والعلـوم الإداريـة. جامعـة الجزائـر. ص 71.

(12) انظـر في نفـس المعنـى: محمـد صـبري السـعدي. أحـكام الالتـزام النظريـة العامـة للالتـزام في القانـون المدنـي. 2009م. الجزائـري. دار الكتـاب الحديـث. الجزائـر. ص 80، وأيضـاً: محمـد بـوادلي. مكافحـة الـشروط التعسـفية دراسـة مقارنـة. 2007م. دار الفجـر للنـشر والتوزيـع. القاهـرة. ص 83.

مـع الالتـزام الأصـلي، فالعـبرة بقيـام الالتـزام الأصـلي[13] ، بمعنـى أنـه إذا بطـل الالتـزام الأصـلي لا وجـود أساسـاً للـشرط الجزائـي، فببطـلان الالتـزام الأصـلي يبطـل معـه الـشرط الجزائـي، وكذلـك كـون العقـد قابـلاً للإبطـال وتمسـك بـه مـن لـه الحـق في ذلـك؛ فإنـه يترتـب عليـه سـقوط الـشرط الجزائـي تبعـاً لسـقوط الالتـزام الأصـلي، ويـسري نفـس الحكـم إذا سـقط الالتـزام الأصـلي لاسـتحالة تنفيـذه بالقـوة القاهـرة، فالتابـع يتبـع المتبـوع وجـوداً وعدمـاً، وليـس العكـس ففـي حالـة الالتـزام الأصـلي صحيـح والـشرط الجزائـي باطـل، فـلا مجـال لسـقوط الالتـزام الأصـلي إنمـا يقتـصر البطـلان عـلى الـشرط الجزائـي دون الالتـزام الأصـلي إلا في حالـة إن الـشرط الجزائـي هـو الدافـع الباعـث للتعاقـد، فبسـقوطه يترتـب عليـه سـقوط الالتـزام الأصـلي[14]، كمـا يعتـبر الـشرط الجزائـي وسـيلة تعويضيـة احتياطيـة لا يلجـأ إليهـا الدائـن إلا في حالـة عـدم تنفيـذ المديـن للالتـزام الأصـلي عينـاً، والدائـن في هـذه الحالـة عليـه أن يقـوم بالمطالبـة بالتنفيـذ العينـي للالتـزام الأصـلي إذا كان ممكنـاً[15] وفي حالـة اسـتحالة التنفيـذ عـلى المديـن يكـون للدائـن الحـق في المطالبـة بتنفيـذ الالتـزام الاحتياطـي المتمثل في الـشرط الجزائـي.

الفرع الثاني: شروط استحقاق الشرط الجزائي في القانون الليبي:

بعـد أن يتأكـد القـاضي مـن مشروعيـة الـشرط الجزائـي كونـه غـير مخالفـاً للنظـام العـام والآداب العامـة، ينتقـل إلى مرحلـة أخـرى تهـدف إلى التأكـد مـن مـدى توافـر الـشروط الخاصـة بالـشرط الجزائـي، التـي سـوف نتناولهـا تباعـاً:

أولاً: شروط قيـام المسـؤولية العقديـة لاسـتحقاق الـشرط الجزائـي: باعتبـار إن الـشرط الجزائـي يتـم الاتفـاق عليـه في العقـد أو في اتفـاق لاحـق بعـد التعاقـد يتطلـب لاسـتحقاقه مـا يشـترط لقيـام المسـؤولية العقديـة، بنـاءً عـلى ذلـك تتضـح هـذه الـشروط في التـالي:

1.الخطـأ العقـدي: هـو امتنـاع المديـن عـن تنفيـذ التـزام ترتـب في ذمتـه بموجـب عقـد صحيـح، فالقـاضي وهـو بصـدد رقابـة عنـصر الخطـأ يجـب عليـه التأكـد مـن أمريـن: الأمـر الأول: هـو ثبـوت عـدم تنفيـذ الالتـزام، والثانـي: هـو نسـبة عـدم تنفيـذه إلى المديـن أي إن هـذا الأخـير لـم يتمكـن مـن نفـي مسـؤوليته [16]. فـإذا كان التـزام المديـن تجـاه الدائـن هـو التـزام بتحقيـق نتيجـة، هنـا يتوجـب عـلى الدائـن إثبـات عدم

(13) عبد الرزاق أيوب. سلطة القاضي في تعديل التعويض الاتفاق دراسة مقارنة. 2003م. مطبعة النجاح الجديدة. المغرب. ص 24.

(14) انظـر في نفـس المعنـي: بالحـاج العربـي. أحـكام الالتـزام في القانـون المدنـي الجزائـري دراسـة مقارنـة. 2013م. دار هومـة للطباعـة والنـشر والتوزيـع. الجزائـر. ص 225. وأيضـاً: محمـد صـبري السـعدي. 2009. أحـكام الالتـزام النظريـة العامـة للالتـزام في القانـون المدنـي الجزائـري. ص 81. وأيضـاً: عـلي عـلي سـليمان. نظـرات قانونيـة مختلفـة. 1994م. بـن عكنـون. الجزائـر. ص 186.

(15) انظـر في نفـس المعنـى: رمضـان أبـو سـعود. أحـكام الالتـزام. 2006م. دار الجامعـة الجديـدة. مـصر. ص126، وأيضـاً: بالحـاج العربـي. أحـكام الالتـزام في القانـون المدنـي الجزائـري دراسـة مقارنـة. ص 225.

(16) طاهـر حـازم وصالـح عرسـان. التعويـض عـن تأخـر المديـن في تنفيـذ التزامـه دراسـة مقارنـة. 2011م. (رسـالة ماجسـتير). كليـة الدراسـات العليـا. نابلـس. فلسـطين. ص29.

تحققها، فالخطأ مفترض من جانب المدين ويكون عليه لنفي تحقق المسؤولية تجاهه إثبات السبب الأجنبي [17] ، أما إذا كان التزام المدين ببذل عناية، فالدائن ملزم هنا بإثبات مصدر الالتزام، ثم إثبات عدم تنفيذه للالتزام، وكذلك عليه أن يثبت عدم بذل المدين العناية اللازمة لتنفيذ التزامه، والمعيار هنا موضوعي، ويعتبر الأكثر صعوبة في الإثبات على الدائن وأصعب للإقناع بالنسبة للقاضي[18].

2.الضرر: يعتبر الضرر الركن الأساسي لقيام المسؤولية المدنية بشقيها العقدية والتقصيرية، حيث نصت المادة 166 من القانون المدني الليبي بأنه (كل خطأ سبب ضرر للغير يلتزم مرتكبه بالتعويض) حيث إنه لا قيام للمسؤولية، ولا وجود للتعويض في حالة عدم ترتب الضرر حتى وإن صدر خطأ من المدين، ولم ينتج عنه ضرر للدائن، فإن المسؤولية لا تنعقد في هذه الحالة، وإن كانت مسؤولية عقدية أو تقصيرية حيث إن التعويض مرهونٌ بضرر يلحق الدائن نتيجة فعل المدين[19] ، غير أن مهمة القاضي في رقابة هذا العنصر تعتبر بسيطة مقارنة بعنصر الخطأ، إذ أن الدائن متى استطاع إثبات الخطأ تشكلت قرينة قانونية لصالحه، غير إنها قرينة بسيطة غير قاطعة بإمكان المدين إثبات عكسها، لذلك فإن القاضي ملزم بمنح المدين فرصة لإثبات أن الدائن يلحقه ضرر من عدم تنفيذه لالتزامه[20]، وقد قضت المحكمة العليا الليبية بأنه " إذا وجد شرط جزائي في العقد أو في ورقة مستقلة فإن من شأن هذا الشرط ومن مقتضاه أن يصبح الضرر مفترضاً يترتب على مجرد الإخلال بالعقد، أو أن التعويض المقدر بالشرط هو التعويض اللازم لجبر الضرر إلا أن هذا التقدير يكون خاضعاً لتقدير المحكمة أيضاً إذ نوزع فيه وتبين للمحكمة أنه مبالغاً فيه، وهذا الافتراض بدوره قابل لإثبات العكس، وتكون نتيجة الشرط الجزائي هي قلب عبء الإثبات، فيقع على عاتق المدعي عليه نفي الضرر أو إثبات القوة القاهرة لنفي الخطأ"[21] .

3. علاقة السببية بين الخطأ والضرر: قد يتوافر الخطأ والضرر ومع ذلك لا تقوم المسؤولية العقدية ومن تم لا يُستحق الشرط الجزائي[22] بل يتوجب لاستحقاقه أن يكون الخطأ هو المسبب الرئيسي للضرر وهو ما يُعرف بعلاقة السببية بين الخطأ والضرر[23] أما إذا انتفت هذه العلاقة يكون الضرر اللاحق بالدائن لم ينشأ نتيجة ثبوت الخطأ من جانب المدين فإن المسؤولية لا تقوم

(17) انظر في نفس المعنى: بلحاج العربي. أحكام الالتزام في القانون الجزائري دراسة مقارنة. ص864.

(18) رغد عبد الحميد فتال. الشرط الجزائي في القانون الفرنسي. 2013م. مجلة الدراسات القضائية. معهد التدريب والدراسات القضائية. الامارات العربية المتحدة. العدد 11. ديسمبر. ص 29.

(19) فؤاد دراكة. الشرط الجزائي التعويض الاتفاقي في القانون المدني الأردني دراسة مقارنة. 1994م. (رسالة ماجستير). الجامعة الأردنية. ص 179.

(20) منير قزماف. التعويض المدني في ضوء الفقه والقضاء. 2005م. دار الفكر الجامعي. مصر. ص 107.

(21) طعن مدني رقم 28/43ق منشور في مجلة المحكمة العليا، السنة 21، العدد 02 يناير 1985م، ص 77.

(22) أسامة الحموي. الشرط الجزائي في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة). 2012م. دار النوادر. سوريا. ص 336.

(23) انظر في نفس المعنى: زينة صاغي ونسيمة مقري. سلطة القاضي في تعديل العقد. ص 63.

كأن يكون هناك سبب أجنبي هو الذي الحق الضرر بالدائن كالحروب، والزلازل، والفيضانات باعتبارها السبب في إلحاق الضرر بالدائن ولا يد للمدين في إحداثه، كما تظهر صورة السبب الأجنبي القاطع لعلاقة السببية بين الخطأ والضرر في الحادث الفجائي، أو القوة القاهرة، أو فعل الدائن، أو فعل الغير، فإذا كان عدم التنفيذ راجع للأسباب السابق ذكرها فلا مجال لاستحقاق التعويض الذي تم الاتفاق عليه فلا مجال إذاً لإعمال الشرط الجزائي، كما لو أثبت المقاول أن السبب في تنفيذه للعمل المتفق عليه في عقد المقاولة في موعده المحدد يرجع لسبب خارجي لا يد له فيه، ويشترط في هذه الأحداث أن تكون غير متوقعة الحصول ولا يمكن درء نتائجها[24] .

ثانياً: الإعذار كشرط لاستحقاق الشرط الجزائي: لاستحقاق قيمة الشرط الجزائي الزم القانون الدائن اتخاذ إجراء معين يتمثل في إعذاره للمدين من أجل مطالبته بالتنفيذ العيني للالتزام الأصلي الأمر الذي يتطلب التوضيح:

1.المقصود بالإعذار: يقصد بالإعذار وضع المدين في حالة المتأخر في تنفيذ التزامه؛ لأن مجرد حلول أجل الالتزام لا يكفي لجعل المدين في هذا الوضع القانوني[25]، وهذا ما يؤكده القانون المدني الليبي في المادة 221 على أنه (لا يستحق التعويض إلا بعد إعذار المدين، ما لم ينص على غير ذلك) بمعنى إنه بمجرد حلول موعد الوفاء بالالتزام لا يعتبر المدين مقصراً تجاه الدائن، أو إنه لم يصبه ضرر من تأخر المدين في تنفيذ التزامه لذلك نجد أن القانون الليبي قد نص على شكل معين يتوجب أن يكون عليه الإعذار وذلك في المادة 222 من القانون المدني الليبي عندما نص على أنه (يكون إعذار المدين بإنذاره أو بما يقوم مقام الإنذار ويجوز أن يتم الإعذار عن طريق البريد على الوجه المبين في قانون المرافعات، كما يجوز أن يكون مرتباً على اتفاق يقضي بأن يكون المدين معذوراً بمجرد حلول الآجل دون حاجة إلى أي أجراء آخر) بالتالي فإن اشتراط قاعدة الإعذار أو الإنذار ليس من النظام العام لهذا لا يجوز الخروج عن نص المادة 222 التي تشير إلى أنه من الجائز الاتفاق على أن يكون المدين معذوراً بمجرد حلول الأجل دون حاجة إلى إجراء آخر، فحلول آجل الدين دون وجود اتفاق لا يعفي الدائن من التزامه بإعذار المدين، فبمجرد أن يحل أجل الدين لا يعتبر في ذاته إعذاراً إلا إذا وجد اتفاق بين المتعاقدين على ذلك [26]، وهذا ما نجد سنده في حكم المحكمة العليا الليبية " من المقرر أن حلول أجل الالتزام المترتب في ذمة المدين لا يجعل التعويض مستحقاً للمتعاقد الآخر إذ التعويض لا يستحق بصريح

(24) انظر في نفس المعنى: أنور سلطان. مصادر الالتزام في القانون المدني الأردني دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي. 1987م. منشورات الجامعة الأردنية. الأردن. ص 175. وأيضاً: فؤاد محمود معوض. دور القاضي في تعديل العقد دراسة تحليلية وتأصليه في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي. 2008م. دار الجامعة الجديدة للنشر. ص 325.

(25) عبد الرزاق أحمد السنهوري. الوسيط في شرح القانون المدني الجديد نظرية الالتزام بوجه عام (الاثبات-آثار الالتزام). ص 380.

(26) عدنان طه الدوري. أحكام الالتزام والأثبات في القانون المدني الليبي. 1995م. منشورات الجامعة المفتوحة. ص 58.

نص المادة 221 من القانون المدني إلا بعد إعذار المدين، ما لم يوجد نص بغير ذلك في القانون أو في الاتفاق"[27].

ولكي يكون الإعذار مجدياً يجب أن يكون عند حلول أجل الشرط الجزائي أو بعده، ولا يكون قبله؛ لأنه في هذه الحالة يكون خائبا الأثر ويصبح للدائن أن يمنح المدين أجلاً لتنفيذ الالتزام في الإعذار الموجه لهذا الأخير قِبل الدائن دون أن يؤثر ذلك على قوة الإعذار، وذلك لأنه متى حلَّ الأجلُ الممنوح أصبح المدين معذوراً [28].

2. الاستثناءات الواردة على وجوب الإعذار: بالإضافة إلى الإعفاء الاتفاقي من الإعذار حيث بيناه في نص المادة 222 من القانون المدني الليبي التي أجازت الاتفاق على أن يكون المدين معذوراً بمجرد حلول الأجل دون حاجة إلى أي إجراء آخر، فإن الإعفاء من الإعذار يأتي في بعض الحالات بنص القانون وهذا ما تضمنته نص المادة 223 من القانون المدني الليبي في الحالات التالية:

أ. إذا أصبح تنفيذ الالتزام غير ممكن أو غير مجدي بفعل المدين.

ب. إذا كان محل الالتزام رد شيء يعلم المدين أنه مسروق، أو شيء تسلمه دون وجه حق، وهو عالم بذلك.

ج. إذا كان محل الالتزام تعويضاً ترتب على عمل غير مشروع.

د. إذا صرح المدين كتابةً بأنه لا يريد القيام بالتزامه.

فمن خلال نص هذه المادة اشتملت الحالات التي لا ضرورة للإعذار فيها، وتمثل ذلك جلياً في الطعن المدني رقم 62/ 34ق حيث أشار إلى أنه " من المقرر أنه لا ضرورة لإعذار المدين قبل المطالبة بالفسخ إذا أصبح تنفيذ الالتزام غير ممكن، وكان الثابت من الحكم المطعون فيه أن الطاعن أصبح من المتعذر عليه تنفيذ التزامه بنقل ملكية المنزل إلى المطعون ضده نتيجة تملكه لساكنه عملاً بقانون رقم 04 لسنة 1978م فضلاً على أن مجرد رفع الدعوى بالفسخ يعد إعذارا "[29].

المطلب الثاني: مظاهر سلطة القاضي في تعديل الشرط الجزائي وفقاً للقانون الليبي:

لقد أجاز القانون الليبي للمتعاقدين الاتفاق مسبقاً على تحديد التعويض الاتفاقي (الشرط الجزائي) سواء كان عند التعاقد أو في اتفاق لأحق بينهم، إلا إنه في ذات الوقت أعطى للقاضي سلطة التدخل بالزيادة أو النقصان في مقدار التعويض المتفق عليه في حالة عدم تناسبه مع الضرر الواقع، وأعطيت ضمانات للقاضي للقيام بذلك، وهذا ما سنوضحه في الفرعين التاليين تباعاً:

الفرع الأول: سلطة القاضي في تعديل الشرط الجزائي في القانون الليبي:

بناء على اتفاق أطراف التعاقد يتم تحديد مقدار التعويض المستحق في حالة التأخر في تنفيذ الالتزام أو استحالة تنفيذه وتكون لهما الحرية المطلقة في

(27) طعن مدني رقم 24/75ق. بتاريخ 11.03.1979. مجلة المحكمة العليا. ص 43.

(28) عبد الرزاق أحمد السنهوري. الوسيط في شرح القانون المدني الجديد نظرية الالتزام بوجه عام (الاثبات – آثار الالتزام). ص 830.

(29) طعن مدني رقم 34/62ق. جلسة رقم 1989-04-10م. مجلة المحكمة العليا. ص 12.

تحديده وفقاً للأصل العام ويُلزم القاضي بالحكم بالتعويض المتفق عليه مسبقاً بين أطراف التعاقد متى تحققت شروطه، إلا إنه ورد استثناء على هذا الأصل العام يسمح فيه للقاضي بالتدخل بتعديل الشرط الجزائي بالزيادة أو بالنقصان، وهذا ما يتعين علينا توضيحه تباعاً:

أولاً: سلطة القاضي في تخفيف الشرط الجزائي: حيث نص على ذلك المشرع الليبي في المادة 227/2 من القانون المدني على أنه (يجوز للقاضي أم يخفف هذا التعويض إذا اثبت المدين إن التقدير مبالغاً فيه إلى درجة كبيرة او ان الالتزام الأصلي قد نفد في جزء منه) من نص هذه المادة نجد ان القانون أعطى الحق للقاضي في تخفيف الشرط الجزائي في حالة توافر شرطين، وهما:

1.حالة المبالغة في تقدير التعويض: وفقاً لما جاء في نص المادة 227/2 السابق الإشارة إليها يكون للقاضي سلطة تقديرية لخفض التعويض الذي تم الاتفاق عليه بين الأطراف المتعاقدة إذا اثبت المدين إن التعويض مبالغاً فيه عند الموازنة بينه وبين الضرر، فمن حيث المبدأ يحتفظ الشرط الجزائي بقوته الملزمة لتحقيق الغرض الذي من أجله وجد هذا الاتفاق فلا يكفي أن يثبت المدين أن التعويض الاتفاقي يجاوز مقدار الضرر الذي لحق بالدائن حتى يستطيع القاضي أن يخفض هذا التعويض فتدخل القاضي في هذه الحالة يجب أن يكون بحذر وبشكل استثنائي، وتتحقق هذه الحالة عندما يكون التعويض مبالغاً فيه ومجحفاً في حق المدين ويجب على المدين اثبات ذلك، وإذا ما اثبت ذلك يتعين على القاضي أن يقوم بتخفيض التعويض إلى الحد المعقول أي إلى الحد الذي يتناسب مع الضرر لا إلى حد المساواة معه آخذاً في عين الاعتبار إرادة المتعاقدين، ومصالح الدائن، وحسن النية[30]، وللقاضي هنا سلطة تقديرية فيما يقرره أو ينفيه من مبالغة التعويض الاتفاقي من عدمه ولا رقابة عليه من المحكمة العليا[31].

ومن صور المبالغة في التعويض ما ورد في حكم المحكمة العليا الليبية بأن " شخص اشترى آلة ثقيلة بمبلغ 1300 دينار من شركة ولم تُسلم الآلة في الميعاد المتفق عليه فاتفق الطرفان على أن الشركة البائعة تدفع مبلغ 100 دينار عن كل يوم تأخير في التسليم، وفعلاً الشركة لم تسلم الآلة المبيعة بعد أكثر من ستة أشهر فيكون مجموع التعويض عن التأخير في تنفيذ الالتزام هو 1800 دينار، قضت المحكمة في الموضوع بتسليم الآلة ودفع مبلغ التعويض المتفق عليه، فطعنت الشركة البائعة في هذا الحكم ونقضت المحكمة العليا الحكم؛ لأن الشرط الجزائي مبالغ فيه[32]. كما قد قضت بأنه " إذا اتضح أن تقدير التعويض في الشرط الجزائي كان مبالغاً فيه إلى درجة كبيرة، وكان يتبين من الحكم المطعون

(30) انظر في نفس المعنى: طارق محمد مطلق أبو ليلى. التعويض الاتفاقي في القانون المدني دراسة مقارنة. " ص 76.

(31) انظر في نفس المعنى: المرجع السابق. ص 77.

(32) تم الإشارة إلى الحكم القضائي عند: محمد على البدوي الأزهري. النظرية العامة للالتزام. الجزء الثاني. أحكام الالتزام. 2018م. مكتبة الوحدة. ليبيا. هامش (2) ص 45.

فيه أنه اقتصر على ذكر نص الشرط الجزائي الوارد في العقد بدون أن يناقش ما إذا كان مبلغ التعويض الوارد فيه مبالغاً فيه بحسب ظروف العقد المبرم بين الطرفين، أو أنه وضع كشرط تهديدي، فإن الحكم إذا قضى بالتزام الشركة الطاعنة به يكون قد خالف القانون وشابه قصور في التسبيب مما يستوجب نقض في خصوص تقدير قيمة التعويض"[33].

حسب وجهة نظر الباحثة الخاصة بخصوص تدخل القاضي بتعديل الشرط الجزائي المبالغ فيه أجد بأنه لا ضرورة له وهو في غير محله حيث يتعين على المدين بذل جهده لتنفيذ التزامه الذي تم الاتفاق عليه، وفي حالة قيامه بذلك يُعفى من تنفيذ الشرط الجزائي المبالغ فيه وذلك عندما نعتبر التعويض الاتفاقي المبالغ فيه حافزاً ودافعاً للمدين لتنفيذ التزامه الذي التزم به بكامل إرادته في مواجهة دائنه.

2.حالة تنفيذ جزء من الالتزام: نصت على ذلك أيضاً بشكل صريح الفقرة الثانية من المادة 227 سالفة الذكر حيث تعتبر سبباً لتخفيض الشرط الجزائي من طرف القاضي[34]، ويتحقق ذلك عند عدم قيام المدين بتنفيذ التزامه كلياً حيث تقتضي العدالة العقدية إعادة التوازن المالي للعقد تخفيض المبلغ المتفق عليه بنسبة ما نفذ من الالتزام[35] ويقع عبء اثبات التنفيذ الجزئي للالتزام على المدين، أما في حالة تنفيذ الالتزام تنفيذا معيباً لا يحقق الهدف والغاية المرجوة منه، فلا يمكن للقاضي اعتباره تنفيذا للالتزام جزء منه فيستحق الشرط الجزائي كله احتراماً لاتفاق الطرفين، أما إذا كان هذا العيب غير جسيم، وكان الشرط الجزائي كتعويض عنه مفرطاً في التقدير جاز للقاضي اعتباره تنفيذاً للالتزام في جزء منه وله أن يعمل على تخفيض الشرط الجزائي إلى الحد المناسب[36].

ولقد قررت المحكمة العليا في هذا الصدد من خلال الطعن المدني رقم 88/25 ق بأنه " حيث أن الطعن المقدم قد عاب على محكمة استئناف بنغازي أنها من بين أمور أخرى قد انحرفت عن عبارة العقد الواضحة التي تقرر أنه في حالة عدم تنفيذ المرحلة الثانية من قبل الشركة المطعون ضدها، تلتزم بدفع القيمة الباقية من المبلغ المتفق عليه بالكامل أي (9000) دينار ليبي، دُفع نصفها عند تنفيذ المرحلة الأولى من عملية نقل الأثاث من بنغازي إلى طرابلس، إلا أن المحكمة قد قضت بمبلغ جزافي وقدره 150 دينار ولم تطبق الاتفاق في العقد وهو شريعة المتعاقدين دون أن تستند إلى مسوغ قانوني يكفي لتقدير ذلك العدول، وقد ردت المحكمة العليا بقولها : وحيث إن هذا النعي مردود، ذلك وإن

(33) طعن مدني بتاريخ 10/ 05/ 1982م، السنة 19، العدد 02 يناير 1983م، ص 124.

(34) طارق محمد مطلق أبوليل. التعويض الاتفاقي في القانون المدني دراسة مقارنة. ص 77.

(35) محمد حسين منصور. النظرية العامة للالتزام أحكام الالتزام. 2006م. دار الجامعة الجديدة للنشر. الإسكندرية. ص82.

(36) عبد الرزاق أحمد السنهوري. الوسيط في شرح القانون المدني الجديد نظرية الالتزام بوجه عام. ص 871.

كان يجوز للمتعاقدين أن يجددا مقدماً قيمة التعويض بالنص عليه في العقد، إلا أن هذا التعويض لا يكون مستحقاً إذا أثبت المدين أن التقدير مبالغ فيه إلى درجة كبيرة، أو أن الالتزام الأصلي قد نفذ جزء منه، وكان الحكم المطعون فيه قد انتهى إلى أن الأضرار التي لحقت الطاعن الناقل هي نتيجة تأخر المطعون ضده - الشركة صاحبة الأثاث – في تكليفه للطاعن لتنفيذ المرحلة الثانية مدة تسعة أيام، ورأت المحكمة تعويض الطعن عنها تعويضاً مناسباً بمبلغ 150 دينار، كان البين من ذلك أن الحكم قد خفف التعويض المتفق عليه بما يتناسب والضرر الذي لحق الطاعن عملاً بالمادة 227 من القانون المدني الليبي، وهو قضاء سليم يُعتمد في تقدير التعويض عن الضرر الذي لحق الطاعن، وقضى بالتزام المطعون ضده بهذا التعويض فإنه لا يكون قد خالف الثابت في الأوراق أو شابه قصور في الأسباب أو فساد في الاستدلال"[37] .

حسب وجهة نظر الباحثة يجب أن يوضح المشرع الليبي المعيار الذي استند عليه القاضي في تخفيض قيمة الشرط الجزائي فالعبرة بالفائدة التي عادت على الدائن من التنفيذ الجزئي وليس بمقدار الجزء المنفذ من الالتزام بالنظر إلى الالتزام الكلي، فأحياناً ينفذ المدين جزء كبير من الالتزام ولكن الفائدة التي تعود على الدائن تكون بسيطة وأحياناً أخرى يحدث العكس، وذلك بأن ينفذ المدين جزء بسيط من الالتزام يكون لها اثرٌ فعليٌ على الالتزام بشكل عام، فالعبرة ليست بالمقدار إنما بالفائدة التي عادت على الدائن من التنفيذ الجزئي للالتزام، ويعتبر هذا متوافقاً مع مبدأ حسن النية في تنفيذ الالتزام.

ثانيا: سلطة القاضي في زيادة الشرط الجزائي: لقد نص المشرع الليبي بشكل صريح في المادة 228 من القانون المدني الليبي على إنه (إذا جاوز الضرر قيمة التعويض الاتفاقي فلا يجوز للدائن أن يطالب بأكثر من هذه القيمة إلا إذا اثبت أن المدين قد ارتكب غشاً أو خطا جسيماً) وبناء على ذلك لا يكون هناك حق للدائن بالمطالبة بالتعويض عن الضرر الذي لحق به أكثر مما تم الاتفاق عليه مسبقاً بينه وبين المدين إلا في حالتين وهما:

1.حالة ارتكاب المدين غشاً: وجاء ذلك بشكل واضح في نص المادة 228 سالفة الذكر والتي تبين بشكل صريح وواضح عن الدائن يكون له حق المطالبة بزيادة مقدار التعويض عن الضرر الذي لحق به إذا أثبت أن المدين قد ارتكب غشاً ففي حالة استطاعته إثبات ذلك يتعين على القاضي زيادة مقدار التعويض الاتفاقي ليكون متناسباً مع الضرر الذي لحق بالمدين[38]، ويلحق بالمدين تابعيه فيكون مسؤولاً عما يصدر عنهم من غش ويجوز للدائن في هذه الحالة أن يطالب بزيادة مقدار التعويض الاتفاقي ولكن للمدين إعفاء نفسه من هذه الزيادة، ذلك بالاتفاق مع الدائن مسبقاً على عدم مسؤوليته عن الغش

(37) طعن مدني 25/88 ق جلسة 1990-6-1. مجلة المحكمة العليا الليبية، س 17. ع 2. ص95.

(38) انظر في نفس المعنى: طارق محمد مطلق أبوليلى، التعويض الاتفاقي في القانون المدني دراسة مقارنة، ص81.

الـذي يقـع مـن تابعيـه عنـد تنفيـذ التزامـه، وحينئـذ لا يكـون للدائـن الحـق في المطالبـة بزيـادة التعويـض[39].

2. حالـة ارتـكاب المديـن خطـأ جسـيماً: وهـذا أيضـاً مـا نصـت عليـه بشـكل صريح وواضـح المـادة 228 سـالفة الذكـر، والتـي تبـين مـن خلالهـا أن الدائـن لا يسـتطيع المطالبـة بزيـادة التعويـض الاتفاقـي إلا إذا ارتكـب المديـن خطـأً جسـيماً، ويعتـبر مـن قبيـل الخطـأ الجسـيم التهـاون البسـيط الـذي يترتـب عليـه نتائـج خطـيرة مثـل التدخـين في الأماكـن العامـة التـي توجـد بهـا مـواد قابلـة للاشـتعال مـع علـم الشـخص بمنـع التدخـين في تلـك الأماكـن[40]، ولا يفتـح المجـال للدائـن في المطالبـة بأكثـر مـن قيمـة التعويـض المحـددة في الـشرط الجزائـي سـواء أكان الخطـأ اليسـير لا يسـتطيع تلافيـه إلا الرجـل الحريـص جـداً أو الرجـل العـادي فـإذا تبـين أن التعويـض المقـدر ليس مبالغـاً فيـه بـل أقـل مـن الـضرر الواقـع فـإن المحكمـة لا يجـوز لهـا زيادتـه حتـى يتسـاوى مـع الـضرر بـل تحكـم بـه كمـا هـو إلا إذا فقـد الـشرط الجزائـي معنـاه بحيـث يصبـح بمثابـة شرط يخفـف المسـؤولية عـن المديـن، أي يجـوز للقـاضي أن يزيده ويجعلـه مسـاوياً للـضرر الواقـع[41]، وبالمقابـل يكـون للدائـن الحـق في المطالبـة بزيـادة التعويـض الاتفاقـي إذا تعمـد المديـن عـدم تنفيـذه للالتـزام المتفـق عليـه فيكـون تقديـر التعويـض طبقـاً للقواعـد العامـة[42]، وهـذا مـا قضـت بـه المحكمـة العليـا الليبيـة [43] بقولهـا " إن مـؤدى نـص المادتـين 226، 228 مـن القانـون المدنـي الليبـي أن للدائـن أن يطالـب بالـزام مدينـه أن يدفـع لـه فضـلاً عـن التعويـض الاتفاقـي تعويضـاً آخـر، إذا تجـاوز الـضرر قيمـة التعويـض الاتفاقـي متـى أثبـت أن المديـن قـد ارتكـب غشـاً أو خطـأً جسـيماً ممـا ينبغـي معـه عـلى محكمـة الموضـوع إذا مـا قضـت فـوق التعويـض الاتفاقـي أن تتحقـق مـن توافـر شروط اسـتحقاقه عـلى نحـو مـا سـبق مـن بيـان فـإن تفعيـل كان قضاؤهـا مخطـأً في تطبيـق القانـون قـاصر البيـان، ولمـا كان يبـين مـن الحكـم المطعـون فيـه أنـه أيـد حكـم محكمـة أول درجـة فيمـا قـضى بـه، قُـضي لـه أيضـاً بمبلـغ عـشرة آلاف دينـار كتعويـض آخـر دون أن يـورد في أسـبابه مـا يفيـد عـن الـضرر تجـاوز قيمـة التعويـض المتفـق عليـه، أو أن المديـن ارتكـب غشـاً أو خطـأً جسـيماً فإنـه يكـون معيبـاً ويتعـين نقضـه" ومـن ذلـك يتبـين لنـا إن المحكمـة العليـا نقضـت حكـم محكمـة أول درجـة لزيـادة قيمـة التعويـض الاتفاقـي دون إثبـات الدائـن بـأن المديـن قـد ارتكـب غشـاً أو خطـأً جسـيماً.

(39) عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد نظرية الالتزام بوجه عام، ص 878.

(40) انظـر في نفـس المعنـى: مصطفـى مصبـاح شـليبك. الالتزامـات في التشريـع الليبـي مصـادر الالتـزام.2008م. منشـورات جامعـة الزاويـة. ص 355.

(41) المرجع السابق، ص 335.

(42) أيوب عبد الرزاق، سلطة القاضي في تعديل التعويض الاتفاقي دراسة مقارنة، ص 162.

(43) طعـن مدنـي رقـم 229/48ق جلسـة 03/05/ 2005م. منشـور في مجموعـة أحـكام المحكمـة العليـا القضـاء المدنـي. ج1. سـنة 2007م. دار الكتـب الوطنيـة. بنغـازي. ص 183.

الفـرع الثانـي: النظـام العـام وسـلطة القـاضي في تعديـل الـشرط الجزائـي في القانـون الليبـي:

باسـتقراء نـص المادتـين 227، 228 مـن القانـون المدنـي الليبـي نجـد أنهمـا قـد وضعتـا أحكامـاً لسـلطة القـاضي في تعديـل الـشرط الجزائـي وجعلهـا مـن النظـام العـام وبالمقابـل وضـع أحكامـاً أخـرى لـم يضـف عليهمـا صيغـة النظـام العـام وهـذا مـا يتعـين علينـا توضيحـه تباعـاً وفقـاً للتـالي:

أولاً: سـلطة القـاضي في التدخـل لتعديـل الـشرط الجزائـي مـن النظـام العـام: يظهـر لنـا تدخـل القـاضي في تعديـل الـشرط الجزائـي مـن النظـام العـام مـن خـلال المظهريـن التاليين:

1.مـن حيـث السـلطة التقديريـة الممنوحـة للقـاضي: إذا نظرنـا إلى سـلطة القـاضي في تعديـل الـشرط الجزائـي مـن ناحيـة القـاضي نفسـه لا يمكـن اعتبارهـا مـن النظـام العـام بدليـل إنـه لا يسـتطيع أن يتدخـل مـن تلقـاء نفسـه وباسـتقراء نـص المـادة 227 مـن القانـون المدنـي الليبـي نجـد أنهـا سـلطة جوازيـة، غـير إننـا لـو نظرنـا إليـه مـن جهـة الأطـراف المتعاقـدة فـإن مبـدأ النظـام العـام نجـده متجسـدًا فيهـا مـن حيـث إن أطـراف الالتـزام لا يمكنهـم الاتفـاق عـلى اسـتبعادها وهـذا مـا جـاء واضـح في نـص المـادة 227 سـالفة الذكـر[44]، وتبريـر ذلـك أنـه لـو تركـت سـلطة التعديـل لمشـيئة الأطـراف بـدون هـذه الخصوصيـة (النظـام العـام) لمـا تـردد الطـرف القـوي في الـزام الطـرف الضعيـف بمـا يكفـل اسـتبعادها، فمـن قبـل عـلى نفسـه تعويضـاً اتفاقيـاً مرتفعـاً أو منخفضـاً إلى درجـة كبـيرة سـيرضى في خضـم هـذا الخضـوع باسـتبعاد سـلطة القـاضي[45]، لذلـك فـإن أي اتفـاق يسـعى عـلى اسـتبعاد هـذه السـلطة يعتـبر باطـلاً، وكأنـه لـم يكـن حيـث قضـت بذلـك صراحـة المـادة 227 مـن القانـون المدنـي الليبـي.

2. عـدم جـواز الاتفـاق عـلى اسـتبعاد مسـؤولية المديـن إذا ارتكـب غشـاً أو خطـأ جسـيماً: ففـي حالـة ارتـكاب المديـن غشـاً أو خطـأ جسـيماً لا يجـوز الاتفـاق عـلى الإعفـاء مـن المسـؤولية لتعارضـه مـع القواعـد العامـة [46] وفي ذلـك تقـضي نـص المـادة 220/ 3 مـن القانـون المدنـي الليبـي (ويقـع باطـلاً كل شرط يقـضي بالإعفـاء مـن المسـؤولية المترتبـة عـن العمـل الغـير مـشروع) وتبريـر ذلـك بـأن ارتـكاب المديـن لغـش أو خطـأ جسـيم يعنـي الخـروج مـن انطبـاق أحـكام المسـؤولية العقديـة إلى انطبـاق أحـكام المسـؤولية التقصيريـة وباعتبـار أحـكام هـذه الأخـيرة تعتـبر مـن النظـام العـام فـلا يجـوز الاتفـاق عـلى اسـتبعادها وإلا كان الـشرط باطـلاً [47] .

---

(44) راجع نص المادة 227 من القانون المدني الليبي.

(45) حسـين محمـد جـاد الـرب. التعويـض الاتفاقـي عـن عـدم تنفيـذ الالتـزام دراسـة مقارنـة بـين الفقـه الإسـلامي والقانون الوضعـي. 2013م. دار الفكـر الجامعي. مـصر. ص 252.

(46) عبد الرزاق أحمد السنهوري. الوسيط في شرح القانون المدني الجديد نظرية الالتزام بوجه عام. ص 879.

(47) إبراهيم سيد أحمد. التعويض الاتفاقي فقهاً وقضاً. 2005م. دار الكتب القانونية. مصر. ص 55.

ثانياً: سلطة القاضي في التدخل لتعديل الشرط الجزائي ليست من النظام العام: تدخل القاضي في تعديل الشرط الجزائي لا يعتبر من النظام العام في المظهرين التاليين:

1.سلطة القاضي في تعديل الشرط الجزائي جوازية: إذا نظرنا إلى سلطة القاضي في تعديل الشرط الجزائي لوجدناها جوازية حيث نصت على ذلك صراحة المادة 227/2 وذلك بنصها (ويجوز للقاضي أن يخفض هذا التعويض إذا أثبت المدين أن التقدير كان مبالغاً فيه..) يُفهم من نص هذه المادة أن تدخل القاضي مرهون بتقديم طلب المراجعة من المدين فالقاضي لا يملك سلطة التدخل من تلقاء نفسه إنما مرهون بطلب المدين وإثباته بأن تقدير التعويض مبالغاً فيه، ومن جهة أخرى فإن طلب تعديل الشرط الجزائي حقا مخولاً للمدين لأن القاضي لو قام بالتعديل من تلقاء نفسه يكون قد حكم بما لم يطلبه الخصوم مما يعرض حكمه للنقض [48].

2. سلطة القاضي في تعديل الشرط الجزائي اختيارية: مما يجعل سلطة القاضي غير متعلقة بالنظام العام إن هذه السلطة اختيارية بمعنى إن المدين لو تمكن من إثبات المغالاة في تقدير التعويض أو التنفيذ الجزئي للالتزام الأصلي فإن ذلك لا يعني بالضرورة تخفيض قيمة الشرط الجزائي؛ لأن سلطة القاضي وبنص القانون اختيارية فهو غير ملزم بالتخفيض في كل مرة يثبت فيها المدين دواعي هذا التخفيض هذا ما نصت عليه المادة سالفة الذكر عندما ذكرت (يجوز للقاضي) فهي مسألة واقعية ترجع للسلطة التقديرية لقاضي الموضوع [49].

من خلال ما تضمنه نص المادة 227/2 نجد أن المشرع الليبي لم يوفر الحماية المناسبة للمدين فالأجدر به أن يجعل سلطة القاضي في التدخل من النظام العام بمنحه سلطة المبادرة بالتعديل من تلقاء نفسه بشكل وجوبي دون توقف الأمر على تمكن المدين من إثبات دواعي التخفيض؛ لأنها الوسيلة الأكثر فاعلية لتوفير الحماية للمدين الطرف الضعيف في أغلب العلاقات التعاقدية.

الخاتمة:

من خلال عرضنا للموضوع البحث خلصنا إلى أنه بالرغم من أن القانون يعطي للقاضي كأصل عام السلطة التقديرية في تقدير قيمة التعويض المُستحق عن الضرر المترتب عن عدم تنفيذ الالتزام أو التأخير في تنفيذه، إلا أنه استثنى من هذه القاعدة إعطاء القانون للمتعاقدين الحق بأن يتفقوا مسبقاً على تحديد قيمة التعويض المستحق في حالة الإخلال في تنفيذ الالتزام، أو عدم تنفيذه أساساً، ويصبح إلزاماً على القاضي التقيد بالحكم بالتعويض المحدد في العقد

(48) انظر في نفس المعنى: عبد الله نجاري. الشرط الجزائي في القانون المدني الجزائري دراسة مقارنة.1983م. مذكرة ماجستير معهد الحقوق والعلوم الإرادية. جامعة الجزائر. ص 207.

(49) المرجع السابق، ص 212.

أساساً أو في ملحقه احتراماً لمبدأ العقد شريعة المتعاقدين، ولكن قد يشوب هذا التقدير المتفق عليه بين أطراف الالتزام بعض الغموض مما يُخول بموجبه للقاضي التدخل في حالات محددة من أجل تخفيض قيمة الشرط الجزائي إذا كان مبالغاً فيه أو زيادة مقداره في حالة ارتكاب الدائن غشاً أو خطأ جسيماً، إضافة إلى توضيح حكم الشرط الجزائي ومدى ارتباطه بالنظام العام بالنظر لسلطة القاضي في التدخل من عدة زوايا، ومن خلال ذلك توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نعرضها تباعاً:

أولاً: النتائج:

1. دور القضاء في تعديل الشرط الجزائي يقوم على أساس الموازنة والتقارب بين الضرر الحاصل؛ نظراً لتقصير المدين وبين التعويض المتفق عليه أساساً، وليس على مساواة الضرر بالتعويض.

2. لزيادة قيمة التعويض المتفق عليه يجب على الدائن إثبات أن المدين قد ارتكب غشاً أو خطأ جسيماً؛ لا يجوز للقاضي أن يزيد من قيمة التعويض حتى يصبح معادلاً للضرر الذي وقع.

3. إذا أثبت المدين أنه قد نفّذ جزءًا من الالتزام الأصلي، أو كان التعويض مبالغاً فيه جاز للقاضي تخفيض قيمة الشرط الجزائي ليكون محققاً للعدالة.

4. النص الصريح على جعل سلطة تدخل القاضي في تعديل الشرط الجزائي جوازية واختيارية جعلتها متوقفة على شكوى الطرف المضرور مما جعله بعيداً عن توفير الحماية اللازمة للطرف الضعيف في العلاقة التعاقدية.

ثانياً: التوصيات:

1. إعادة النظر في النصوص التي بموجبها يُمنح القاضي سلطة تقديرية للتعديل بالزيادة أو بالتخفيض، لأن الأصل هو ما اتفق عليه المتعاقدين في العقد، والاستثناء هو التعديل، فالاستثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه.

2. أن يضع المشرع الليبي معيارًا يستند عليه في تخفيف الشرط الجزائي، ويكون مرتكزاً بشكل أساسي على الفائدة التي عادت على الدائن من وراء التنفيذ الجزئي للالتزام وليس بمقدار ما تم تنفيذه.

3. الربط بين تخفيض الشرط الجزائي من قبل القاضي وبين إثبات ارتكاب المدين غشاً أو خطأ جسيماً كما هو عليه في حالة زيادة الشرط الجزائي من قبل القاضي لتحقيق العدالة من وراء تدخل القاضي في الحالتين.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب:

1. إبراهيم سيد أحمد. التعويض الاتفاقي فقهاً وقضاء. 2005م. دار الكتب القانونية. مصر.
2. ابن منظور، لسان العرب. 1993.ط2. دار إحياء الثرات العربي. بيروت. لبنان.
3. أحمد حشمت أبو ستيت. نظرية الالتزام في القانون المدني المصري. 1945م. مطبعة مصر. القاهرة.
4. أحمد مختار عمر. معجم اللغة العربية. 2008م. عالم الكتب.
5. أسامة الحموي. الشرط الجزائي في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة).2012م. دار النوادر. سوريا.
6. أنور سلطان. مصادر الالتزام في القانون المدني الأردني دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي. 1987م. منشورات الجامعة الأردنية. الأردن.
7. بالحاج العربي. أحكام الالتزام في القانون المدني الجزائري دراسة مقارنة.2013م. دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر.
8. توفيق حسن فرج. النظرية العامة للالتزام.1985م. القاهرة. مصر.
9. حسن الدنون. النظرية العامة للالتزامات.1976م. الجامعة المستنصرية. بغداد. العراق.
10. حسين محمد جاد الرب. التعويض الاتفاقي عن عدم تنفيذ الالتزام دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي. 2013م. دار الفكر الجامعي. مصر.
11. رمضان أبو سعود. أحكام الالتزام. 2006م. دار الجامعة الجديدة. مصر.
12. عبد الرزاق أحمد السنهوري. الوسيط في شرح القانون المدني نظرية الالتزام بوجه عام (آثار الالتزام). 1968م. الجزء الثاني. دار النهضة العربية. القاهرة.
13. عبد الرزاق أيوب. سلطة القاضي في تعديل التعويض الاتفاق دراسة مقارنة. 2003م. مطبعة النجاح الجديدة. المغرب.
14. عبد الرزاق دربال. الوجيز في أحكام الالتزام في القانون المدني الجزائري.2004م. دار العلوم عنابة. الجزائر.
15. عدنان طه الدوري. أحكام الالتزام والأثبات في القانون المدني الليبي.1995م. منشورات الجامعة المفتوحة.
16. علي علي سليمان. نظرات قانونية مختلفة.1994م. بن عكنون. الجزائر.
17. فؤاد محمود معوض. دور القاضي في تعديل العقد دراسة تحليلية وتأصليه في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي.2008م. دار الجامعة الجديدة للنشر.
18. محمد بوادلي. مكافحة الشروط التعسفية دراسة مقارنة.2007م. دار الفجر للنشر والتوزيع. القاهرة.
19. محمد حسين منصور. النظرية العامة للالتزام أحكام الالتزام. 2006م. دار الجامعة الجديدة للنشر. الإسكندرية. مصر.
20. محمد صبري السعدي. أحكام الالتزام النظرية العامة للالتزام في القانون

المدنـــي الجزائـــري. 2009م. دار الكتـــاب الحديـــث. الجزائـــر.
21. محمـــد عـــلى البـــدوي الأزهـــري. النظريـــة العامـــة للالتـــزام. 2018م.الجـــزء الثانـــي. أحـــكام الالتـــزام. مكتبـــة الوحـــدة. ليبيـــا.
22. مصطفـــى مصبـــاح شـــليبك، الالتزامـــات في التشريـــع الليبـــي، مصـــادر الالتـــزام. 2008م. منشـــورات جامعـــة الزاويـــة.
23. منـــير قزمـــاف. التعويـــض المدنـــي في ضـــوء الفقـــه والقضـــاء.2005م. دار الفكـــر الجامعـــي. مـــصر.

ثانياً: المقالات المحكمة:

رغـــد عبـــد الحميـــد فتـــال. الـــشرط الجزائـــي في القانـــون الفرنـــسي. 2013م.مجلـــة الدراســـات القضائيـــة. معهـــد التدريـــب والدراســـات القضائيـــة. الامـــارات العربيـــة المتحدة. العـــدد 11. ديســـمبر.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

1. زينـــة صاغـــي ونســـيمة مقـــري. ســـلطة القـــاضي في تعديـــل العقـــد مُذكـــرة لنيـــل شـــهادة الماســـتر تخصـــص القانـــون الخـــاص الشـــامل. 2004م. جامعـــة عبـــد الرحمـــن مـــيرة. بجايـــة. الجزائـــر.
2. ســـعيد عبـــد المحســـن الرويشـــد، الـــشرط الجزائـــي في الفقـــه الإســـلامي دراســـة مقارنة. 1983م. جامعـــة القاهـــرة، رســـالة دكتوراه.
3. طـــارق بهـــاء الديـــن العيـــاشي. ســـلطة المحكمـــة في تعديـــل الـــشرط الجزائـــي بعقـــود المقـــاولات. 2016م. (قدمـــت هـــذه الرســـالة اســـتكمالاً لمتطلبـــات الحصـــول عـــلى درجـــة الماجســـتير في القانـــون الخـــاص). جامعـــة الـــشرق الأوســـط.
4. طـــارق محمـــد مطلـــق أبـــو ليـــلى. التعويـــض الاتفاقـــي في القانـــون المدنـــي دراســـة مقارنـــة. 2007م.“ رســـالة ماجســـتير” جامعـــة النجـــاح الوطنيـــة.
5. طاهر حازم وصالح عرسان. التعويض عن تأخر المدين في تنفيذ التزامه دراسة مقارنة.2011م. (رسالة ماجستير). كلية الدراسات العليا. نابلس. فلسطين.
6. عبد الله نجاري. الشرط الجزائي في القانون المدني الجزائري دراسة مقارنة.1983م. مذكرة ماجستير معهد الحقوق والعلوم الإرادية. جامعة الجزائر.
7. فـــؤاد دراكـــة. الـــشرط الجزائـــي التعويـــض الاتفاقـــي في القانـــون المدنـــي الأردنـــي دراســـة مقارنـــة. 1994م. (رســـالة ماجســـتير). الجامعـــة الأردنيـــة.
8. محمـــد بـــن شـــنيتي. ســـلطة القـــاضي في تعديـــل العقـــد. 1966م. (أطروحـــة لنيـــل درجـــة الدكتـــوراه في القانـــون). معهـــد الحقـــوق والعلـــوم الإداريـــة. جامعـــة الجزائـــر.

رابعاً: الأحكام القضائية:

أحكام المحكمة العليا.

خامساً: القوانين:

القانون المدني الليبي.